مجلة عجمان للدراسات والبحوث
دورية محكمة
المجلد السادس عشر - العددالثاني
١٤٣٩هـ – ٢٠١٧م

الاعتداء الجسدي على الأطفال هل أطباء أسنان المستقبل في دولة الإمارات العربية المتحدة قادرين على تشخيصه ؟

*د. رغد هاشم _____ _____ 3

** د. علي العاني

استراتيجية خطاب الظلمة في رواية "ظلمة يائيل" للروائي محمد الغربي عمران مقاربة سيميائية .

* د. عبدالله زيد صلاح _____ 13

تقييم بعض العوامل المعرفية لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمحافظة جدة في ضوء تباين مستوياتهم التحصيلية .

* د. علي بن مستور الزهراني_____24

**د. سعد بن مسعد المحياوي

مدى فعالية معيار كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة في خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في مملكة البحرين

*د. مها محمود الصباغ_____67

خطاب الاستعارة في السرد القصصي دراسة في مجموعة "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" لجمال الغيطاني.

*د.أحمد يحيى علي _____88

آليات تطوير الاداء الوظيفي في المنشآت الخدمية (دراسة حالة على احدى الجامعات السعودية)

* د. حسام سعد سليم _____ 112

دور التدابير الوقائية في منع الجريمة و تحقيق الأمن في المجتمع الإسلامي

د. منذر عبدالكريم أحمد القضاة _____146

تمكين المرأة الإماراتية رؤية قيادة و استراتيجية دولة

*** أ. نورة ناصر الكربي_____165**

**** أ.د.فيصل الشياد**

الازدواج اللغوي وأثره في ثقافة الأمّة

***د. حسن طاهر مصطفى أبو الرُّب _____ 193**

تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري كما يدركها الشباب الجامعي وآليات مواجهته ا(دراسة ميدانية)

***د. محمد محمد غنيم سويلم _____213**

الاعتداء الجسدي على الأطفال هل أطباء أسنان المستقبل في دولة الإمارات العربية المتحدة قادرين على تشخيصه ؟

Recognition and reporting of child physical abuse: a survey of dental students in United Arab Emirates.

*د. رغـد هاشـم

** د. علي العاني

ملخص

الهدف من هذه الدراسة هو تقييم مقدرة طلبة كليات طب الأسنان في دولة الامارات على تشخيص وتحديد حالات الاعتداء الجسدي على الأطفال.

المواد والطرق: تم جمع المعلومات عن طريق استبيانات صُممت خصيصاً لغرض هذه الدراسة وتم تعبئتها من قبل 578 طالب وطالبة يدرسون طب الأسنان في أربع جامعات مختلفة في دولة الإمارات العربية المتحدة ، ثم تم تحليل البيانات باستخدام التحليل الوصفي للرد على الأسئلة المستخدمة لهذا الغرض.

النتائج: أظهرت النتائج أن هناك بعض النقص في معرفة علامات الاعتداء الجسدي والمؤشرات الاجتماعية التي قد تُساعد في تحديد مثل هذه الحالات بين جميع المشاركين. وأكد 80% من المشاركين أن لطبيب الأسنان التزام قانوني حول الابلاغ عن حالات الاعتداء الجسدي في حال لو لوحظت آثارها على أحد الأطفال الذين يقوم بعلاجهم ، بالإضافة إلى أن 94.3% من المشاركين كانوا مدركين بأن عليهم التزام أخلاقي مهني حول الإبلاغ عن حالات الاعتداء الجسدي على الأطفال.

الاستنتاجات: كشفت نتائج الدراسة الحالية أن طلاب كليات طب الأسنان لم يكونوا مستعدين بما فيه الكفاية لمعرفة ما الذي يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار عند الاشتباه بحالات الاعتداء الجسدي على الأطفال وما الذي يتوجب عليهم أن يقوموا به لمواجهة هذه المشكلة من الناحية المهنية. وأكدوا بأن لديهم الرغبة في تلقي المحاضرات أو ورش العمل التي تهدف الى رفع مستوى قدرتهم على القيام بتشخيص مثل هذه الحالات. ولتوفير رعاية أفضل لضحايا العنف المنزلي، ينبغي أن يتم التركيز على تعزيز معرفة أطباء أسنان المستقبل ليتمكنوا من المساهمة بالارتقاء بصحة المجتمع الإماراتي .

[البحث الفائز بالمركز الأول في مجال الطب والصحة بالمسابقة 33 لجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم]

* جامعة عجمان – كلية طب الأسنان- رئيسة قسم النمو والتطور-أخصائية طب الأسنان الوقائي

**أخصائي طب أسنان الأطفال

*** Dr. Raghad Hashim**

****Dr. Ali Al-Ani**

Abstract

Purpose**:** the aim of this study was to investigate dental students' educational experience, attitudes and knowledge with regard to child physical abuse in all dental schools in United Arab Emirates.

Material and methods: The data were collected by self-administered structured questionnaire completed by 578 under graduate dental students in four (all) dental schools in United Arab Emirates. Data analyzed using descriptive analyses for responses to each question.

Results**:** The results indicated that there is lack of knowledge of reporting procedure, signs of physical abuse and social indicators among all respondents. Most students indicated that their dental school was the main source of information on this topic.

Conclusions**:** the finding of the current study revealed that dental students were not sufficiently prepared to know what to look for when they suspect child abuse and what to actually do when they encounter this problem in a professional setting. To provide better care for these young domestic violence victims, dental schools' curriculum modifications should focus on providing students with concrete educational experiences regarding child abuse cases.

∗Ajman University of Science & Technology- College of Dentistry, Head of Growth and Development Department, Associate Professor

** Associate Professor

مقدمة

إساءة معاملة الأطفال مشكلة خطيرة تواجه كافة المجتمعات، وعدم تشخيص مثل هذه الحالات ينتج عنه عواقب وخيمة بالنسبة للطفل وأسرته والمجتمع ككل. إن موضوع مجال حماية الطفل من مثل هذا النوع من الإساءات قد حظي باهتماماً كبيراً من قبل المختصين على المستوى العالمي في السنوات الأخيرة (Welbury et al.2003)[5] (Cairns et al., 2005a)[3] (Harris et al. 2007)[2] (Bhatia et al, 2014)[1] ويُعد أطباء الأسنان من الفئة الأكثر قدرة على معرفة وتشخيص مثل هذه الحالات لأن 50 إلى 75 بالمئة من الحالات المسجلة والتي تتعلق بهذه المشكلة سوف تحدث تحديداً في مناطق الفم والوجه والرقبة ، وهذه المنطقة يتم فحصها بشكل دقيق من قِبَل أطباء الأسنان(Welbury and Murphy, 1998)[6] (cairns et al .2005b)[4]

وبالإضافة إلى ذلك فإن أطباء الأسنان لهم علاقة مستمرة مع الأطفال المرضى وأسرهم نظراً لحاجة متابعة العلاج السني ، وهذا مما يجعل طبيب الأسنان من المحطات الأولى القادرة على كشف هذه الإصابات. هذا الواقع يعطي طبيب الأسنان فرصة لمراقبة ليس فقط الحالة الصحية والنفسية للأطفال، ولكن أيضاً بيئتهم الأسرية. في كثير من الأحيان يتجنب المسيء (الأهل مثلاً) العودة إلى نفس الطبيب العام الذي قد قام سابقاً بعلاج الطفل المُعتدى عليه، إلا أنهم لا يبدو نفس المستوى من الحذر عند أخذ طفلهم إلى طبيب الأسنان ظنا منهم بأنه غير قادر على تشخيص مثل هذه الحالات (Kassebaum et al., 1991)[7].

يحتاج طلبة كليات طب الأسنان أن يتزودوا بالمعرفة الطبية اللازمة من خلال جودة التعليم الذي قد يكون أحد العوامل الحاسمة التي قد تُشير لوجود هذا النوع من الاعتداء الجسدي حتى يتمكنوا مستقبلاً من تشخيص هذه الحالات والإبلاغ عنها وعدم تعريض الأطفال الى تبعات الاعتداء الجسدي وعواقبه والتي لها دور كبير في بناء شخصياتهم لاحقاً (Thomas et al., 2006a)[8]. أكدت الدراسات في الولايات المتحدة (Thomas et al., 2006a, 2006b)[8،9] بأن مستوى الإلمام بتشخيص حالات الاعتداء الجسدي مبني بشكل كبير على المعرفة العلمية المكتسبة اثناء دراسة طب الأسنان. وقد تناولت ضرورة تقييم مستوى إعداد المتخرجين من أطباء الأسنان ، ونوهت هذه الدراسات إلى أن المناهج الدراسية لطب الأسنان بحاجة إلى إعادة نظر لإعداد أطباء أسنان المستقبل للقيام بدورهم الفعّال في حماية الأطفال من سوء المعاملة.

ومن الجدير بالذكر أن هناك جهود قائمة في الوقت الحالي في دولة الإمارات العربية المتحدة إلى زيادة المعرفة والوعي لدى جميع مقدمي الرعاية الصحية حول هذه المسألة. لذلك كأن الهدف من هذه الدراسة هو التحقق من مستوى هذه المعرفة لدى طلاب المراحل المنتهية في كليات طب الأسنان للارتقاء بصحة المجتمع الإماراتي .

الطرق

تمت الموافقة على الدراسة الحالية من قبل اللجنة المسؤولة عن اخلاقيات البحوث في كلية طب الأسنان / جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا. تم جمع كافة المعلومات عن طريق استبيانات وزعت في نهاية الدروس المقررة لجميع طلاب السنة الرابعة والخامسة من المرحلة الجامعية في أربع جامعات التي لديها برنامج طب الأسنان في دولة الإمارات العربية المتحدة ، وتحديداً جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا (AUST)، كلية الخليج الطبية (GMC)، جامعة الشارقة (UoS)، جامعة رأس الخيمة للعلوم الطبية (RAKMUSU). وأبلغ الطلاب أن مشاركتهم تطوعية وأن رفض المشاركة لن يؤثر على درجاتهم. وكأن متوسط الوقت المطلوب لاستكمال ملئ الاستبيان بحدود عشر دقائق فقط.

الاستبيان الذي تم استخدامه في هذه الدراسة يتكون من 23 سؤالاً وتم استخدامه في دراسات مماثلة سابقة في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة والأردن (Kassebaum et al., 1991)[7] (Al-Jundi et al., 2010)[11] (Ramoz-Gome al., 1998)[10]، ويتألف من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول حول الخصائص الفردية مثل الجنس والعمر وكلية طب الأسنان والمستوى الجامعي . وخُصص الجزء الثاني لتقييم معرفة الطالب للمؤشرات التشخيصية، وعلامات الاعتداء الجسدي، ومعرفة المسؤوليات القانونية المستوجبة على طبيب الأسنان بشأن حالات الاعتداء الجسدي على الأطفال. وكان القسم المخصص للمسؤوليات القانونية يهدف إلى معرفة مستوى الإلمام بوجود قانون خاص في دولة الإمارات العربية المتحدة يطالب بتكليف أطباء الأسنان للإبلاغ عن حالات الاعتداء المُشتبه بها . كما جرى تقييم لوجهات نظر الطلاب عن طريق سؤالهم عما إذا كانوا يعتقدون بأن لأطباء الأسنان التزام قانوني أو أخلاقي للإبلاغ عن حالات سوء معاملة الأطفال. أما الجزء الأخير من الاستبيان فخُصص للتحقق من معلومات الطلبة حول موضوع إساءة معاملة الأطفال، وطُلب منهم عمل تقييم ذاتي لمستوى معرفتهم حول هذا الموضوع من خلال ما إذا كانوا يعتقدون أن تدريبهم في هذا الموضوع كان بما فيه الكفاية للقيام بهذه المسؤولية في المستقبل في مجال حماية الأطفال. وقد تم إدخال كافة البيانات على برنامج مايكروسوفت إكسل، ومن ثم تم تحويلها إلى SPSS نسخة ويندوز 17.0 (SPSS Inc., Chicago, IL, USA). حللت البيانات باستخدام تحليلات وصفية للرد على كل سؤال.

النتائج

أن مجموع طلاب طب الأسنان الجامعيين الذين استجابوا على الاستبيان الموزع هو (578) معطيا نسبة الاستجابة تصل إلى (94٪). ويعرض (الجدول 1) موجزا لتوزيع أفراد العينة حسب نوع الجنس والعمر والسنة الجامعية و كأن أكثر من ثلاثة أرباع المشاركين (76.6٪) من الأناث (443)؛ وكأنت الغالبية العظمى من المشاركين هم الذين تقل أعمارهم عن 25 سنة (89.1٪).

جدول 1: المعلومات الديموغرافية والخصائص الشخصية لطلاب طب الأسنان المشاركين

التصنيف	العدد	(%)
الجنس:		
ذكر	135	23.4
أنثى	443	76.6
العمر:		
اصغر من 25 سنة	515	89.1
بين 25 – 35 سنة	60	10.4
اكبر من 35 سنة	3	0.5
السنة الجامعية:		
السنة الرابعة	348	60.2
السنة الخامسة	230	39.8
الجامعة:		

جامعة عجمان للعلوم و التكنولوجيا	346	59.8
جامعة الشارقة	164	28.4
جامعة الخليج الطبية	42	7.3
جامعة رأس الخيمة للطب و العلوم الصحية	26	4.5

عندما سُئل طلاب كلية طب الأسنان حول معرفتهم بشأن المسؤوليات القانونية والأخلاقية تجاه الاعتداء الجسدي على الأطفال، فأن الغالبية من طلاب طب الأسنان أكدوا أنهم مطالبون قانوناً للإبلاغ عن حالات الاعتداء على الأطفال.

جدول 2 : المعرفة بشأن المسؤوليات القانونية والأخلاقية بين طلاب طب الأسنان في دولة الإمارات العربية المتحدة

التصنيف	العدد	(%)
أطباء الأسنأن مطالبون من الناحية القانونية أن يقدموا تقريراً عند وجود حالة اعتداء على الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة:		
نعم	506	87.5
لا	70	12.1
اين يتم تقديم تقارير الاعتداء على الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة؟		
إدارة حماية الأسرة	209	36.2
الشرطة المحلية	196	33.9
أقرب مستشفى	28	4.8
لا أعرف	139	24.0
ينبغي أن يكون أطباء الأسنان مسؤولين قانونا بأن يقدموا تقريراً عند تواجد حالة الاعتداء على الأطفال:		
نعم	465	80.4
لا	111	19.2
ينبغي أن يكون أطباء الأسنان مسؤولين اخلاقياً بأن يقدموا تقريراً عند تواجد حالة الاعتداء على الأطفال		
نعم	545	94.3
لا	32	5.5

وعندما سُئل طلاب كلية طب الأسنان عن المسؤولية القانونية الأخلاقية ، وعن الجهة التي يجب أن يتم تقديم التقرير لها عند مواجهة حالة إساءة معاملة الأطفال. وكانت الإجابة الصحيحة هي "مجلس حماية الأسرة" و لكن من الملفت للأنتباه أن (36.2%) فقط من الطلاب يعرفون هذه المعلومة و نحو ربع عدد الطلاب المشاركين أكدوا بأنهم لا يعرفون الإجابة الصحيحة. واتفق أكثر من (80٪) من الطلاب المشاركين أن أطباء الأسنان يجب

أن يكونوا مكلفين من الناحية القانونية للإبلاغ عن حالات إساءة المعاملة؛ ومن الجدير بالذكر أن نسبة أعلى من المشاركين (94.3٪) يعتقدون أنه من واجبهم الأخلاقي أن يقدموا تقريرا للسلطات المختصة عند مواجهة حالة الاعتداء على الأطفال.

يعرض الجدول (3) البيانات الخاصة بمصادر المعلومات التي تلقاها الطلبة بهذا الخصوص. و من الجدير بالإشارة أن الغالبية العظمى من الطلاب تعتبر المنهج المُدَرَس في جامعة طب الأسنان هو المصدر الرئيسي للمعرفة عن إساءة معاملة الأطفال.

جدول 3: مصدر المعلومات و كفاية التدريب في التعرف والإبلاغ عن إساءة معاملة الأطفال بين طلاب طب الأسنان في دولة الإمارات العربية المتحدة

التصنيف	العدد	(%)
ما هو مصدرك للمعلومات عن إساءة معاملة الأطفال؟		
كلية طب الأسنان	114	77.0
مجلات طب الأسنأن و البحوث الطبية	16	10.8
دورات التعليم المستمر	16	10.8
الاجتماعات والمؤتمرات الوطنية و الدولية	2	1.4
هل حصلت في أي وقت مضى على تدريب بما فيه الكفاية في التعرف و الإبلاغ عن إساءة معاملة الأطفال؟		
نعم	47	8.8
لا	528	91.2

بالإضافة إلى أن أكثر من (91٪) من أفراد العينة اوضحوا بأنهم لم يتلقوا التدريب الكافي ليمكنهم على التعرف والإبلاغ عن حالات إساءة معاملة الأطفال. تم توضيح معرفة طلاب كلية طب الأسنان على العلامات التي تخص الاعتداء الجسدي في (الجدول 4). واتفق 85.8٪ من الطلاب المشاركين على أن الكدمات الظاهرة على الخد قد تشير إلى الصفع أو القبض بقوة على وجه الطفل. ومع ذلك كانت إجابات 52.8٪ من الطلاب المشاركين سلباً عندما سُئلوا أن كانت الكدمات الظاهرة حول الرقبة ترتبط عادة بهذا الموضوع. أكد معظم طلاب كلية طب الأسنان (87.4٪) على أن الحروق هي من المؤشرات البارزة لحالات الاعتداء على الأطفال و على أنها قد تتخذ شكلاً محدداً. وبالمثل، أجاب 77.5٪ منهم على أن علامات العض في كثير من الأحيان تتصل اتصالاً وثيقاً بحالات إساءة معاملة الأطفال.

جدول 4: المعرفة بعلامات الاعتداء الجسدي لدى الأطفال بين طلاب طب الأسنان في دولة الإمارات العربية المتحدة

التصنيف	العدد	(%)
وجود كدمات على الخد قد تشير الى الصفع أو القبض على وجهه:		
صح*	496	85.8
خطأ	78	13.5
عادة ما تحدث كدمات إضافية في مناطق النتوءات العظمية في ضحايا سوء المعاملة لدى الأطفال:		
صح	458	79.2
خطأ*	112	19.4

تكرار إصابة الأسنأن مما قد يؤدي إلى اقتلاع ألأسنأن أو تغير لونها قد يؤشر الى سوء المعاملة الطفل المتكررة:		
صح*	452	78.2
خطأ	121	20.9
عادة ما ترتبط الكدمات وألاشارات حول الرقبة مع الصدمات العرضية:		
صح*	268	46.4
خطأ	305	52.8
تشير الحروق في العديد من حالات على حصول اعتداء لدى الطفل و قد تتخذ هذه الحروق شكلاً محدداً:		
صح*	505	87.4
خطأ	68	11.8
ملاحظة علامات عض على رقبة الطفل أو مناطق أقل تعرضا للاصابة العرضية يجب أن يتم التحقق التام منها حيث أن علامات العض غالبا ما تمثل جزءاً من سوء معاملة الأطفال:		
صح*	448	77.5
خطأ	124	21.5
* تمثل الاجابة الصحيحة		

ويوضح (الجدول 5) المؤشرات التشخيصية والاجتماعية الناجمة عن اهمال و سوء معاملة الأطفال ، واتفق 40.3٪ من الطلاب على ارتباط إساءة معاملة الأطفال في المقام الأول مع ضغوط الفقر و نادراً ما تحدث بين أصحاب الدخول المتوسطة أو العالية. وأظهرت النتائج المبينة في الجدول 5 أن لطلاب كلية طب الأسنان ثغرات في معرفتهم حول إساءة معاملة الأطفال.

جدول 5: المعرفة بالمؤشرات التشخيصية والاجتماعية الناجمة عن سوء معاملة الأطفال لدى طلاب طب الأسنان في دولة الإمارات العربية المتحدة

التصنيف	العدد	(%)
ترتبط إساءة معاملة الأطفال في المقام الأول مع ضغوط الفقر و نادرا ما تحدث بين أصحاب الدخول المتوسطة أو العالية:		
صح	340	58.8
خطأ*	233	40.3
عادة ما يخبر الأطفال الذين تعرضوا لسوء المعاملة احد الاقارب او الاصدقاء بعد إلاساءة بوقت قليل:		
صح	169	29.2
خطأ*	402	69.6
إذا كأن الطفل قد اعترف بسهولة على أن احد الكبار قد تسبب له بضرر، فينبغي التحقق من الحالة بصورة تامة:		
صح*	510	88.2
خطأ	58	10.0

يمكن الاشارة الى وجود حالة الاعتداء على الأطفال إذا تأخر أحد الوالدين في السعي لتوفير الرعاية الطبية الأنتباه بعد إصابة الطفل: صح* خطأ	472 101	81.7 17.5
يمكن الاشارة الى وجود حالة الاعتداء على الأطفال إذا وصف أحد الوالدين إصابة الطفل باعتبارها إصابة ذاتية عرضية: صح* خطأ	416 154	72.0 26.6
يمكن الاشارة الى وجود حالة الاعتداء على الأطفال إذا كأن أحد الوالدين قد اشار الى إصابة الطفل على كونها قد حدثت من قبل أخ او قريب للطفل: صح* خطأ	358 214	61.9 37.0
* تمثل الاجابة الصحيحة		

المناقشة

على حد علم الباحثين القائمين على هذا البحث، فإن هذه الدراسة هي أول دراسة تطرقت لموضوع معرفة أطباء أسنان المستقبل عن حالات الاعتداء الجسدي على الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة. وكان معدل الاستجابة للمسح عالية، مما يجعل من هذه العينة ممثلاً جيداً لطلاب كليات طب الأسنان في الدولة.

وتشير النتائج التي توصلنا إليها أن هناك نقص واضح في المعرفة في العديد من المجالات ذات الصلة بالإيذاء الجسدي للأطفال، وقد تم التوصل إلى نتائج مماثلة من قبل باحثين آخرين في دراسات مماثلة في الولايات المتحدة الامريكية (Thomas et al., 2006a, b)[8،9] ,إن هذا الموضوع الحيوي قد يمنع أطباء الأسنان في المستقبل من الابلاغ عن حالات الاعتداء في الإمارات العربية المتحدة ، وما لذلك من تأثير سلبي على صحة المجتمع ككل.

وفي دراسة أجريت بين أطباء الأسنان في الأردن (Owais et al 2009)[12] تبين أن معدل الإبلاغ عن حالات إهمال و إساءة معاملة الأطفال كانت منخفضة للغاية، وكان أحد العوامل الرئيسية التي تؤثر على قرارات الأطباء بعدم الإبلاغ عند الاشتباه بحالات الاعتداء على الأطفال هو الافتقار أو النقص للمعلومات المتعلقة بذلك. هناك العديد من الدراسات العالمية التي توصلت لنتائج مماثلة لما تم إيجاده في هذه الدراسة

(Lazenbatt and Freeman 2006)[13] (Ramoz-Gomez et al., 1998)[10]

(Sonbol et al.,2012)[14] (Garroch-Rangelo et al., 2015)[15]

أظهرت نتائج الدراسة الحالية أن ربع المشاركين لم يتمكنوا من تحديد الجهة التي يجب أن

يتم إبلاغها عند تشخيص حالات إساءة معاملة الأطفال المشتبه فيها. هذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسات أخرى (Deshpande et al., 2015)[16] (Owais et al., 2009)[12] (Thomas et al., 2006a,b)[9,8]

من الجدير بالذكر أن من الشروط الأساسية المسبقة للإبلاغ عن الحالات المشتبه بها بإساءة معاملة الأطفال

هي الوعي بالمسؤوليات المهنية لهذه المسألة وكذلك المعرفة حول ما الذي يجب التحقق منه و الاستفسار عنه وكيفية التوصل الى التشخيص الصحيح. وأظهرت نتائج هذه الدراسة أن معرفة المستجيبين عن مسؤولياتهم القانونية في حالة مواجهتهم لحالة إساءة معاملة الأطفال المشتبه لم تكن بالمستوى المطلوب. نحو خُمس عدد طلاب كلية طب الأسنان المشاركين بالدراسة لم تكن لديهم الصورة الكاملة عن مسؤولياتهم القانونية فيما يتعلق بالإبلاغ عن حالات الاعتداء المشتبه بها على الأطفال. ومما يجدر الإشارة إليه بأن القانون في دولة الإمارات العربية المتحدة يلزم جميع العاملين في مجال الرعاية الصحية بما في ذلك أطباء الأسنان بلإبلاغ عن حالات الاعتداء الجسدي على الأطفال.

ومما يدعو إلى التفاؤل فإن الغالبية العظمى من طلاب كلية طب الأسنان المشاركين في الدراسة الحالية تعي مسؤوليتها الأخلاقية تجاه حماية الأطفال من سوء المعاملة، وقد تم التوصل لنتائج مماثلة تقريباً في دراسة أُقيمت في الأردن (Al-Jundi et al., 2010)[11] وتُعد هذه النتائج مؤشرات في غاية الإيجابية حيث أن أطباء أسنان المستقبل في دولة الإمارات العربية المتحدة سوف يسعون دوماً لحماية الأطفال من التعرض للإيذاء.

وأكد أكثر من ثلاثة أرباع طلاب كلية طب الأسنان أنهم تلقوا معرفتهم حول إساءة معاملة الأطفال في جامعاتهم. ومع ذلك، وكما تعرض نتائج هذه الدراسة فإنهم بحاجة الى تدريب أكثر للمساهمة في تعزيز صحة المجتمع. هذا و أظهرت لدى الأغلبية الرغبة لتلقي التدريب اللازم بهذا الخصوص. وأظهرت دراسات (Manea et al., 2007)[17] (Lazenbatt and Freeman 2006)[13] أن موضوع الإساءة للطفل تم تغطيته في نطاق محدود في المناهج الدراسية لطب الأسنان في الجامعات ، لذلك فإن المزيد من التدريب خلال المراحل العملية على هذا الموضوع باستخدام التعلم القائم على "حل المشاكل" (Evidence-Based Learning) بدلاً من التعلم المستند على محاضرات النظرية فقط ، سوف يكون مفيداً لجميع طلاب طب الأسنان في دولة الإمارات العربية المتحدة.

قد يأخذ إساءة معاملة الأطفال أشكال مختلفة ، ولذلك يتحتم على أطباء الأسنان في المستقبل التعرف على هذه المشكلة و أن يكونوا مؤهلين وقادرين على التعرف على كافة أنواعها. هذا وقد يبرر بعض الآباء والأمهات الاعتداء على أطفالهم كوسيلة لتعليم أطفالهم السلوكيات الجيدة. و لهذا فإن من الأدوار المهمة لأطباء الأسنان في المجتمع هو إرسال رسالة واضحة بأن "العقوبة البدنية لا تتفق مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان" (Owais et al., 2009)[12] و على ذلك فإن العقوبة الجسدية للأطفال من قبل أهاليهم لا تبرير لها. كانت نتائج هذه الدراسة فيما يتعلق بعلامات سوء معاملة الأطفال مشجعة جدا مقارنة بما تم استنتاجه سابقاً من دراسات أخرى (Thomas et al., 2006a, b)[8,9] (Al-Jundi et al., 2010)[11] (Mogaddam et al. 2016)[18] و ذلك إن دل على شيء فأنه يدل على أن طلاب طب الأسنان في دولة الإمارات العربية المتحدة كانوا أكثر وعيا لتلك الإصابات المُتعمدة وخاصة تلك المتعلقة بخصوص "كدمات على الخد"، "الحروق" و "علامات عض". وقد أوضح دوبير (Dupare)[19] و زملائهم في دراستهم التي نشرت في سنة (2012) أن ضحايا الاعتداء على الأطفال ينقسمون إلى فئتين: فئة من أولئك الأطفال الذين نجوا من تجربة إساءة المعاملة بآثار نفسية أو جسدية أو عقلية واضحة و فئة من أولئك الأطفال الذين لم ينجوا من تلك التجربة و أنتهت حياتهم عند تلك النقطة. وكأطباء أخصائين في هذا المجال فنحن نسعى دوماً على أن لا يكون أطفالنا ضمن أي من هاتين الفئتين.

الخلاصة

طلاب كلية طب الأسنان بحاجة إلى تلقي تدريبات عملية في المرحلة الاستطابية من المرحلة المنتهية حتى يتمكنوا من تجهيز أنفسهم لتقديم رعاية أفضل لضحايا العنف المنزلي ضد الأطفال، فلذلك يُنصح بإجراء تعديلات على المناهج الجامعية لطلاب كلية طب الأسنان حيث يتم التركيز على إكساب الطالب الخبرات التعليمية الملموسة حول عملية الكشف والإبلاغ عن إساءة معاملة الأطفال لما في ذلك من آثار ايجابية وفعالية لحماية الطفل وللارتقاء بصحة المجتمع الإماراتي.

المراجع

1. Bhatia SK, Maguire SA, Chadwick BL, Hunter ML, Harris JC, Tempest V, Mann MK , Kemp AM Characteristics of child dental neglect: a systematic review. J Dent. 2014.
2. Harris JC, Sidebotham PD, Welbury RR. Safeguarding children in Dental Practice Dental Update 2007.
3. Cairns AM, Mok JY, Welbury RR. Injuries to the head, face, mouth and neck in physically abused children in a community setting. Int J Paediatr Dent 2005a .
4. Cairns AM, Mok JY, Welbury RR. The dental practitioner and child protection in Scotland. Br Dent J 2005b.
5. Welbury RR, MacAskill SG, Murphy JM, Evans DJ, Weightman KE, Jackson MC, Crawford MA. General dental practitioners' perception of their role within child protection: a qualitative study. Eur J Paediatr Dent 2003.
6. Welbury RR, Murphy JM. Dental practitioners' role in protecting chidren from abuse: 2. The orofacial signs of physical abuse. Br Dent J 1998.
7. Kassebaum DK, Dove SB, Cottone JA. Recognition and reporting of child abuse: a survey of dentists. Gen Dent 1991.
8. Thomas J, Straffon L, Inglehart MR. Child abuse and neglect: dental and dental hygiene students' educational experiences and knowledge. J Dent Education 2006a.
9. Thomas J, Straffon L, Inglehart MR. Knowledge and professional experiences concerning child abuse: an analysis of provider and student responses. Pediatr Dent 2006b.
10. Ramoz-Gomez F, Rothman D, Blain S. Knowledge and attitude among California dental care providers regarding child abuse and neglect. J Am Dent Assoc 1998.
11. Al-Jundi SH, Zawaideh F, Al-Rawi M. Jourdanian dental students' knowledge and attitudes in regard to child physical abuse. J Dent Education 2010.

12. Owais AI, Qudemait MA, Qodceih S. Dentists' involvement in identification and reporting of child physical abuse: Jordan as a case study. Int J Paediatr Dent 2009.
13. Lazenbatt A, Freeman R. Recognizing and reporting child physical abuse: a survey of primary health care professionals. J Adv Nurs 2006.
14. Sonbol HN, Abu-Ghazaleh S, Rajab LD, Baqain ZH, Saman R, Al-Bitar ZB. Knowledge, educational experiences and attitudes towards child abuse amongst Jordanian dentists. Eur J Dent Educ. 2012.
15. Garrocho-Rangel A, Márquez-Preciado R, Olguín-Vivar AI, Ruiz-Rodríguez S, Pozos-Guillén A Dentist attitudes and responsibilities concerning child sexual abuse. A review and a case report. J Clin Exp Dent. 2015.
16. Deshpande A, Macwan C, Poonacha KS, Bargale S, Dhillon S, Porwal P Knowledge and attitude in regards to physical child abuse amongst medical and dental residents of central Gujarat: a cross-sectional survey. J Indian Soc Pedod Prev Dent. 2015.
17. Manea S, Favero G, Stellini E, Romoli L, Mazzucato M, Facchin P. Dentists' perceptions, attitudes, knowledge, and experience about child abuse and neglect in northeast Italy. J Clin Pediatr Dent 2007.
18. Mogaddam M, Kamal I, Merdad L, Alamoudi N. Knowledge, attitudes, and behaviors of dentists regarding child physical abuse in Jeddah, Saudi Arabia. Child Abuse Negl. 2016.
19. Dupare R, Kumar P, Datta S, Dupare A. Identifying the dirty secret of child abuse through dentistry. Indian Journal of Forensic Odontology 2012.

استراتيجية خطاب الظلمة في رواية "ظلمة يائيل" للروائي محمد الغربي عمران مقاربة سيميائية.

Strategy of Darkness Discourse in Yael Darkness' by the novelist: Mohammed Al-GharbiAmran, aSemiotic Approach

* د. عبدالله زيد صلاح

ملخص

ونعني باستراتيجية الخطاب، الانصراف نحو رصد الدلالات الكلية لخطاب الظلمة في السياق السردي المتعدد في الرواية. حيث يتجلى هذا الخطاب كاستراتيجية موضوعية وبنائية ووظيفية. أو كبنية لغوية وبصرية ودلالية مهيمنة. تتصف بالإنسيابية المتلاحقة، وتبرز ضمن مجموعة من المعايير الفنية، والتصورات التلقائية والفلسفية والثقافية المؤثرة في الإدراك والشعور والخيال.

وفي إمكان القارئ مواجهة حقيقة خطاب الظلمة، في أكثر عناصر الرواية وتقنياتها السردية المتعددة (اللغة، والشخصية، والحدث، والزمكانية، والحبكة، والرؤية ..). ولكننا اكتفينا بمقاربة استراتيجية الخطاب في نطاق دلالات المكان الروائي؛ بصفة المكان أحد أهم عناصر السرد. حيث، وقفت المقاربة في ممارستها التطبيقية على محورين أساسيين اثنين فقط. في المحور الأول اعتنت المقاربة ببنية ظلمة المكان، باعتبارها مكوناً تركيبياً عميقاً، اكتسب حضوره من خلال اتساع دائرة تشكيلاته التركيبية والدلالية والتصويرية المكثفة. وفي المحور الثاني وقفت المقاربة على آفاق العلاقات المهيمنة على خطاب الظلمة، وهي آفاق منتظمة في حضورها، ومتعددة في وظائفها وعلائقها وتجلياتها السردية.

وبما إن السيميائية هي الأقدر على بحث مولدات النص الروائي، وتكويناته البنيوية الداخلية؛ وتهدف إلى مقاربة شكل الخطاب النصي، ودراسة وظائفه؛ لإنتاج المعنى وإدراك ما يضمره من دلالات وتصورات وآليات سردية، فقد اعتمدت كآلية منهجية للقراءة والمقاربة في هذا البحث

*جامعة ذمار-كلية التربية-رئيس قسم اللغة العربية

*DR. Abdullah Zaid Salah

Abstract

The term 'discourse strategy' indicates monitoring the semiotic implications of darkness discourse in various narrative contexts in fiction. Such type of speech emerges either as thematic, structural and functional strategy or as a predomination of linguistic, visual and semantic structure characterized by successive flow and appeared within literary criteria and spontaneous philosophical and cultural perceptions which can affect readers' cognition and imagination. A reader can elicit the fact of 'discourse darkness' in the most of the novel elements and its various narrative strategies (i.e., language, personality, event, place and time, plot, vision, etc.).However, we have only considered approaching the discourse strategy in the range of narrative semiotics of place as one of the most significant element of narration where the approach was applied depending on only two fundamental dimensions. The first deals with approaching the structure of the place darkness as a synthetically profound element where its importance lies in the expansion of its semiotic compositions and indications. The second dimension deals with the prospects ofrelationships which dominate the 'darkness discourse' as well-organized in its existence and multiple in its function, relations and narrations. As semiotics is the most capable element in creating narrative texts including the inner structure and approaching the textual discourse and its applications required for reflecting narrative meanings and connotations, the present research depends on these factors as a typical methodology for both reading and discursive approach.

*Thamar University-Head Of Arabic language Department

مقدمة

نعني بإستراتيجية الخطاب، الانصراف نحو رصد الدلالات الكلية لخطاب الظلمة في السياق لسردي المتعدد في الرواية. أي إن مقاربة فاعلية الخطاب لا تقتصر على الأداء اللغوي، أو الخطاب الملفوظ المتجزئ في النص الروائي. وإنما تتصرف إلى نوع النص ومضامينه ومستوياته السردية والخطابية. في ضوء علاماته ووسائله الدلالية، وعلائقه المباشرة والتلميحية على حد سواء.

إن خطاب الظلمة كاستراتيجية موضوعية وبنائية ووظيفية في رواية "ظلمة يائيل" للروائي اليمني محمد الغربي عمران، تتجلى في سياقات لفظية وتعبيرية وتصويرية وجمالية. تتصف بالإنسيابية المتلاحقة، وتعكس تجربة الراوي المعبرة عن إرادته وفكره وشعوره، ضمن مجموعة من المعايير الفنية المميزة، والتصورات التلقائية والفلسفية المؤثرة في الإدراك والشعور والخيال؛ لما تحمل بداخلها من رؤية نحو الواقع وظروفه وإنسانه وعوالمه المختلفة. فضلاً عن تأسيسها لاستراتيجية ماثلة في الخطاب الروائي، يتكامل حضورها في السياق، ويتجانس كثيراً مع الحركة الخاصة للمجتمع اليمني والعربي، وأنماطه السياسية والاجتماعية والثقافية المعقدة والمثيرة للحزن والقلق والتوتر ..

ومن الواضح أن الرواية في تشكيلها الواقعي أو الموضوعي، أو في انتظامها الخطابي، تتعلق بالتاريخ. بيد أنها لم تخضع لهيمنته، أو تقف عند توثيق أحداثه، واستدعاء ذاكرته المطمورة على نحو مفصل. وإنما تركز أكثر في بنائها السردي على سرد متاهات الواقع المرئي وأزماته وبصماته المتعددة، بأسلوب فني وإبداعي، يمنح عملية البناء الحركة والانتظام وإنجاز الوظيفة الأدبية والجمالية.

واستجابةً لهذه الخاصية السردية، تطمح هذه المقاربة إلى تحليل بنية الخطاب السردي، وتسليط الضوء على علاماته وأشكاله التعبيرية والفنية والخيالية والدلالية. بعيداً عن النسق التاريخي الذي تستدعيه الرواية؛ لإيماننا العميق بأنه لا يبعد عن أنساق التاريخ اليمني المتكررة في شكل مأساة. فالشعور بالتمزق والاغتراب والصراع، هو النسق الغالب على الوعي الجمعي للإنسان اليمني، في مختلف الأزمنة والعصور، بما في ذلك الزمن المعاصر. وهو ما يتجلى بوضوح في مدونة الإبداع اليمني الأدبي الحديث بشكل عام. وليست رواية (ظلمة يائيل) إلا واحدة من أهم الروايات الحديثة في اليمن، التي تجسد فكرة الشعور والإحساس بالظلام والقهر والاغتراب والتمزق، كقيمة لغوية ودلالية وخطابية، تبرز من عنوان الرواية، وتتوغل في كافة عناصر السرد الروائي.

إذن، سنقف في هذه المقاربة النقدية عند استراتيجية خطاب الظلمة في رواية "ظلمة يائيل"، كبنية لغوية وبصرية ودلالية، يهيمن خطابها على مختلف عناصر الخطاب الروائي. ومن الأهمية بمكان، الإشارة إلى أن قراءة خطاب الظلمة ليس أمراً عادياً. خاصة، وأن حضوره في الرواية يتسم بالتكثيف والترميز والعمق. بالإضافة إلى أنه يكتنز دلالات متعددة تستمد طاقتها من استنادها إلى مرجعيات فلسفية وعقائدية وفكرية متباينة في رؤاها ومقاصدها. ولعل المقاربة السيميائية هي الأقدر على بحث مولدات النص الروائي، وتكويناته البنيوية الداخلية؛ لأن السيميائية تبحث عن أسباب التعدد، ولا نهائية الخطابات والنصوص، والأسس الجوهرية المنطقية التي تكون وراء سبب اختلاف النصوص

والجمل[1]. كما أنها تتجاوز وصف البنية الظاهرة للنص في مستوياتها الصوتية، والتركيبية، والمعجمية، والدلالية، والتعمق أكثر في النص للبحث عن البنى العميقة، واكتشاف معانيه التواصلية والمعاني المصاحبة للنص[2]. وفوق ذلك، فإن السيميائية تهدف إلى مقاربة شكل الخطاب النصي، ودراسة وظائفه؛ لإنتاج المعنى وإدراك ما يضمره من دلالات وتصورات وآليات سردية، بقواعد لا تعتمد على التاريخ. فهي ترى أن هنالك ضرورة للعبور من التاريخ إلى البنية[3] .

وفي إمكان القارئ مواجهة حقيقة خطاب الظلمة، في أكثر عناصر الرواية وتقنياتها السردية المتعددة (اللغة، والشخصية، والحدث، والزمكانية، والحبكة، والرؤية ..). إلا أننا نكتفي هنا بمقاربة استراتيجية الخطاب في نطاق دلالات المكان الروائي؛ بصفة المكان أحد أهم عناصر السرد، لما يحمله من معان وقيم فنية وجمالية، تبعده عن ماديته وشكله الظاهري.

وفي هذا السياق، نلاحظ غلبة الوصف المتخيل على طبيعة حضور الأمكنة في الرواية. وهو وصفٌ يشي بالتعميم واللا تحديد. مما يدخل كثيراً من الأمكنة في نطاق المكان السردي غير المرجعي، المعروف بتاريخيته وحدوده الجغرافية. فالمكان الذي تحققت فيه "الظلمة" مثلاً، لا نستطيع التثبت من صحته ووجوده الحقيقي، فهو قيمة تعبيرية وفنية، توجد أبعادها البصرية والدلالية في الغالب على مستوى النص السردي فحسب.

ولذلك، فإن المقاربة ستعيد إنتاجية الدلالة اللغوية والتركيبية العميقة، المعبرة عن استراتيجية خطاب الظلمة في الرواية، لاسيما في سياق ارتباطها ببنية المكان الكلية، وتشكيلاتها المباشرة وغير المباشرة.

ويعد عنوان الرواية (ظلمة يائيل) من أهم المداخل الأساسية التي تعين على قراءة إبداع خطاب الظلمة وعناصره السياقية وصوره المتخيلة. فهو الإشارة الأولى التي تلفت نظر القارئ، وتفتح آفاق العمل الروائي ورؤاه المتميزة عن غيره. وتكون مقاربة العنوان من خلال التركيز على بنائه التركيبي والدلالي، فصيغة (ظلمة يائيل) تعكس بوضوح حالةً من الإبهام والترميز، مع أنها تتميز بالاقتصاد اللغوي. إذ تكونت بنية العنوان من دالين فقط. تجمع بينهما علاقة (الإضافة). وهي علاقة توحد بين الدالين، أي بين المضاف والمضاف إليه. بيد أنها تسمح بانفتاح أفق المعنى أمام القارئ، لتقدير أنساقه الغائبة. بالإضافة إلى التعرف على مضامين العنوان وعلائقه الأخرى، في سياق ارتباطاته بعناصر النص الروائي، وآفاق حضوره السردي.

ويأتي تقدير القارئ، لبيان العنوان واستكماله، في ضوء النظر إلى صياغة العنوان اللغوية، إذ يبدو أن الغائب هو (المبتدأ)، بحيث تكون بنية العنوان على هذا النحو (هذه ظلمة يائيل). ومن الملاحظ، أن هذا البناء يعتمد على التكثيف التصويري والدلالي والخيالي، مما يحتم على القارئ البحث في بنيات الرواية وأنساق خطابها؛ لكشف إحالاتها وارتباطاتها بالعنوان، أو ما يتساوق معه من مكونات وخصائص سردية. ولعل من أهم هذه الإحالات أو الارتباطات

التي تساهم في الإخبار عن العنوان وتوصيفه، هذه العبارة النصية **(ظلمة يائيل المرعبة)**. وهي مأخوذة من قول الراوي في سياقه السردي: "**تعود روحي من فضاء النور ...لأكتشف بأني أَسيرُ ظلمة الله المرعبة**"[4]. وتأسيساً على هذه الإشارة الحاسمة، تعد بنية العنوان **(هذه ظلمة يائيل المرعبة)** مرتكز الرواية في رحلتها الأساسية، أو في التفاعلات الداخلية للخطاب السردي، المعبرة عن الصراع القائم بين الذات الساردة والظلمة.

ومن الملاحظ أيضاً، إشارة العنوان في أحد معانيه إلى السكون والغموض معاً. بيد أنه يظل يحمل في باطنه معاني متعددة، توحي بالاضطراب والتوتر والخوف والصراع. فمن معاني الظلمة ودلالاتها ذهاب النور والشدة والانعزال. كما تستعمل الظلمة للدلالة على الجهل والخطيئة والشر والخوف. وهو ما يعني أن قراءة مفردة "الظلمة" التي جاءت عنواناً للرواية، يمكن أن تنتج دلالات متعددة. لعل أبرزها –بالإضافة إلى ما ذكر– الصراع والشقاء والحيرة والموت، وغياب الإنصاف وجور النظام، أو جور السلطة السياسية والاجتماعية والدينية. وهذا ما يتجلى بوضوح على امتداد مساحة الرواية وفضائها السردي، الذي يرتدي حقل الظلام والعتمة والسواد. إذ بلغ تردد المفردات التي تنتمي إلى هذا الحقل **(294)** ترديداً. وتأتي مفردة **(الظلمة/الظلام)** في المرتبة الأولى، بترددها في الرواية **(164)** ترديداً. تليها مفردة **(الكهف)** بترددها **(54)** ترديداً. ثم مفردة **(السواد/ السوداء)**، **(47)** ترديداً. ثم مفردة **(العتمة)** **(15)** ترديداً. وأخيراً مفردة **(سرداب/ سراديب)**، **(14)** ترديداً. بالإضافة إلى وجود مفردات أو دوال نصية تنتمي بنسبة ما إلى حقل الظلمة والعتمة والسواد، كالمتاهة والكوابيس .

أما الخطاب المضاد للظلام، في الرواية، فهو ينحسر على نحو كبير قياساً بخطاب الظلمة. إذ يتردد دال **(الضوء)** **(64)** ترديداً فقط، مقابل تردد دال (الظلام) **(164)** ترديداً. وفي هذا الإحصاء إشارة أولية هامة، تؤكد جدوى مقاربة خطاب الظلمة في الرواية كاستراتجية نصية ودلالية، لها منطقها الوجودي والوظيفي الخاص.

وبناءً عليه، فإن المقاربة في ممارستها التطبيقية، ستقف على محورين أساسيين اثنين فقط. في المحور الأول، تقف على مقاربة بنية ظلمة المكان، كمكون بنيوي عميق، اكتسب حضوره من خلال اتساع دائرة تشكيلاته التركيبية والدلالية والتصويرية المكثفة. بينما تقف في المحور الثاني على آفاق العلاقات المهيمنة على خطاب الظلمة. وهي آفاق منتظمة في حضورها، ومتعددة في وظائفها وعلائقها وتجلياتها السردية. حيث نقف على آفاق ثلاث من العلاقات؛ لاتساع دائرة حضورها في الرواية، وثراء خصائصها الذاتية والإبداعية، وعمق آثارها النفسية والفنية. وهي: (منزلة البرزخ، الزمن الميت)

1. ظلمة المكان ... المكون البنيوي العميق

يقوم المكان الفني بأداء وظائف متعددة، تنعكس من خلال إضفاء حالة من الحركة والحيوية والجمال على بنية النص السردي وأنساقه المختلفة. الأمر الذي يعني أنه "عنصر مساهم في إنتاج المعنى، ودلالته لا تأتي من العناصر الطبيعية المشكلة له (ما تثيره أمكنة كأعماق البحار أو قمم الجبل أو المغارات)، بل تأتي عن طريق عرض هذا الفضاء"[5].

وأهم ما يلاحظه القارئ في الرواية أن الأمكنة الأساسية التي تتحرك في مساحتها الشخوص، وتدور فيها الأحداث يمكن وصفها بالأمكنة المظلمة والإجبارية. حتى، وإن كانت أمكنة تخيلية تامة، لا مرجعية لها سوى ذهنية الراوي

وخياله. وهي كثيرة تلك الأمكنة التي تشغل فكر الراوي ونفسيته، وهي أيضاً تنتمي إلى عالم الأحلام والأوهام والهواجس. إذ يستطيع القارئ إدراك ملامحها وظواهرها بسهولة. بدءاً من المكان الثاني **(الحانوت)**، الذي انتقل إليه بطل الحكاية الراوي (جوذر) في أول عمره. إذ يقول في سياق حديثه عن (الحانوت)، وعن معلمه (صعصعة): "**أمرني بإزالة ما تبقى ..نافذة تقود إلى ظلام ..ناولني المسرجة ..أشار علي أن أسبقه ..رائحة تكتم الأنفاس ركع بعدي ..زحف بقوائمه ..كدت أختنق ..(.....).ذرات الغبار تلون المكان ..**"[4].

ففي هذا السياق السردي، ينهض خطاب الظلمة على دلالات صيغة الفعل "أمرني". وعلى أوصاف المكان/ الحانوت: (الظلام، والزحف، والاختناق، والرائحة التي تكتم النفس، وذرات الغبار). فهذه أوصاف تفيد أن ظروف المكان لا تتناغم مع شعور الراوي وفكره ورؤيته. وما إحاطة المكان بالسرية والظلام إلا إشارة دلالية تحيل إلى الصراع والتوجس والخوف من العقاب. ومعلوم أنه ""إذا كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكي، فإن الوصف هو أداة تشكل صورة المكان"[6]..

أما المكان السردي الذي يجسد محور ارتكاز خطاب الظلمة، فهو **(السجن)** الذي اكتفى الراوي بوصفه "**ظلمة الله**"؛ ليتبدى من خلاله حجم المأساة التي شغلت فكر الراوي، وتمكنت من صياغة وجدانه وتلوينها بالسواد طوال رحلته السردية. يقول في سياق حديثه عن (ظلمة الله): "**أنزلوني عبر درجات لا أراها .. صمت مخيف إلا من صوت أنفاسنا تختلط بارتطام أقدامنا .. ظلام حالك .. عقلي يعمل في عدة اتجاهات .. يضع أسئلة دون أجوبة.**"[4]. تظهر مشاهد هذه العبارة السردية أن الراوي يعزز من إستراتيجية خطاب الظلمة، على مستوى اللغة والمعنى والتصوير والخيال. هذا ما يبدو بوضوح من تكرار النسق التعبيري ذاته. فالفعل **(أنزلوني)** من العلامات الدالة على القهر والإجبار وفقد الحرية. وهو ما يتناغم مع طبيعة المكان "السجن"، بوصفه مكاناً مغلقاً، أو معادياً. تتم فيه ممارسات القهر والتعذيب النفسي والجسدي.

وتزداد الرؤية أكثر في ظل تكرار العلامات الإشارية الموجودة، وتناسق لغة الوصف، وانسجام دلالاتها؛ مما يؤكد على سيادة خطاب الظلمة، وحقيقة حضوره السالب المصحوب بالعنف والقسوة والخوف. لقد هيمن هذا الحضور القوي والمتميز على قدر كبير من الاتساع في بنية الرواية (السطحية والعميقة). وفي إمكان القارئ إدراك علاماته وصوره المختلفة بوضوح على امتداد الرواية. إذ تتحرك عاطفة الراوي وأحاسيسه وأفكاره، ضمن واقع خطاب الظلمة وحركته الواسعة، المعبرة عن المأساة، وتخلف الواقع في وجوده الإنساني والمادي. وما هاجس الحيرة والإبهام والقلق النفسي، إلا من مواضعات هذا الواقع. يقول الراوي وهو على عتبة **(ظلمة الله)**: "**فَتحَ الباب .. هوة مظلمة .. صراخ يصم الآذان .. أطفأ شعلته .. في بادئ الأمر اعتقدت أن الأصوات تأتي من خلفنا ..لكنني اكتشفت مصدرها حين قذفوا بي في فضاء تلك الهاوية المظلمة .. ارتطمت بظلام صلب .. ثم صمت كل شيء**" [4].

نلاحظ تكرار مفردة (الظلمة) في هذا السياق السردي القصير (أربع مرات)، بأسلوب مباشر وغير مباشر (هوة مظلمة، والهاوية المظلمة، وارتطمت بظلام صلب، وأطفأ شعلته) . فضلاً عن أن السياق كله يؤازر سيرة الظلمة ضمناً. فمعطيات (الصراخ، والرعب، والاعتداء، والصمت)، تكشف عن مجموعة من الإيحاءات الدلالية الجزئية، التي تمتد نسبتها إلى بؤرة الظلام المركزية، وتشاركها الفاعلية والتأثير.

ولنا أن ندرك عمق ارتباط الظلام بالصمت في هذا السياق، (**ارتطمت بظلام صلب ...ثم صمت كل شيء**). وكذلك، في السياق النصي الذي يسبقه (**صمت مخيف إلا من صوت أنفسنا .....ظلام حالك**). ويشكل ارتباط الظلام بالصمت ظاهرة لغوية ودلالية في الرواية. إذ يبلغ تردد دال (**الصمت**) في متن الرواية السردي (**151**) ترددا. وهذا الحضور والتردد الواسع لدال (الصمت) يكاد يساوي حضور دال (**الظلام**) وتردده. حيث بلغ (**164**) ترددا. ولا شك في أن معطيات ذهنية وشعورية. وكذا، تصورات وإحالات إيحائية ودلالية وخيالية تربط بين الصمت والظلام. الأمر الذي يعزز من فكرة إستراتيجية خطاب الظلمة في الرواية. وثمة تعبيرات سردية كثيرة في المتن الروائي، يستطيع القارئ من خلالها التحقق من احتفاء السارد بالظلام والصمت معاً. وهو يستند إلى ما يجمع بينهما من عناصر بنائية ومستويات دلالية. ومن هذه التعبيرات السردية، قول السارد: "**فكرت هنا كثيراً على أجد الطريق ولا زلت أفكر ... الصمت والظلمة أثرا علي أكثر مما اكتسبته من النور..**"[4] . وكذا، قوله: "**استقبلني صمت الظلام ..... ترددت في الدخول ..كانت الساحة خالية وصامتة**"[4]. ونلاحظ في سياق التعبير السردي الأول، بلوغ العلاقة بين الصمت بالظلام (الظلمة) مرحلة الاتحاد، وخاصة في جانب التمثيل الوظيفي، فكل عنصر منهما يتساوى مع الآخر في درجة الفاعلية والتأثير. أما في سياق التعبير السردي الثاني فترتقي درجة العلاقة بينهما إلى مرتبة الحلول، بحيث أصبح الصمت واجهة الظلام وروحه.

وهكذا تمتد استراتيجية خطاب الظلمة، فهي ترتبط بكافة خيوط الرواية وأحداثها، وتقتحم تعيينات الزمان والمكان، حتى تبدو كأنها وسيلة فنية من وسائل الكاتب، أو أداة من أدواته، نستطيع من خلالها الاستدلال على هيمنة خطاب الظلمة على كافة عناصر الرواية. فالمكان (القلعة) "**مبنى مرتفع متداخل مع عدة مباني سوداء**"[4]. والشخص (العسكري) الذي يسحبه إلى هذا المبنى "**يربط رأسه بشال أسود تطير أطرافه كلما اهتز مسرعاً..**"[4]. و(**اللون**) بشكل عام يعد محوراً فنياً في عملية الإبداع. ومن طبيعته تتشكل مكنونات النفس، أياً كانت. سواء أكانت مكنونات مضيئة وممتعة أم سوداوية ومؤلمة. ولكن استحواذ (**اللون الأسود**) على المشهد. وكذا مجاورته لعناصر مأساوية في النص، يدل على أنه علامة من علامات الحزن والموت والفناء. وعادة ما يرمز اللون الأسود إلى الظلام، والكآبة، إلا أن الرمزية الأقوى للون الأسود تتجلى في الحزن؛ والحزن رمز الألم والموت والخوف من المجهول[7] . وفي الرواية يتردد اللون الأسود على نحو لافت، إذ بلغ (**47**) ترددا.

وثمة إشارات قوية تكشف عن طبيعة الرحلة الرئيسة في الرواية، فهي تقع تحت وطأة ملامح الخطاب ذاته. ففي أثناء رحلة الراوي إلى مكة تعرض للاعتقال من قبل جنود أحد أبناء (أبو الفتح الملثم)، فأودعوه "**في بيت أرضي .. تحمل سقفه أعمدة خشبية .. ظلام وأنين محزن .. جوع أنقذني منه نوم عميق**". حتى رؤيته لـ (مكة) المكان المقدس تستسلم لدوافع الخطاب ذاته، فهي تستقبله بصمت الظلام "**استقبلني صمت الظلام ...أزقة شعب عامر ..** "[4].

و"**مكة ببياض بيوتها يخالطها السواد ..جبال داكنة تحاصرها صفرة رمال حارقة**"[4].

إن ديمومة الإحساس بالمكان المظلم وإيحاءاته المتخيلة، تتآلف في طرائقها السردية ومعطياتها الدلالية والنفسية. وهو ما يجعل البحث عن استراتيجية خطاب الظلمة في الرواية يأخذ طريق النسيج اللفظي والدلالي، المتشابه في حركة شخوصه وميوله الزمنية والمكانية. وكذا، علائقه التي تستمد فاعليتها من طاقة التكرار في السرد. وخاصة تكرار

الأنساق البنائية لخطاب الظلمة، واختزالها جملة من المعاني الموحية باعتقاد الراوي في أن هذا الخطاب مكون بنيوي عميق، لا تحفل به أنساق الرواية فحسب، بل يتجاذبه استرجاع الذاكرة المرتبطة بحركة الزمن وأحداثه الداخلية المتحققة في الفكر والروح. يقول الراوي بعد خروجه من الظلمة: "**هذه هي الليلة الأولى لي بعيداً عن ظلمة الله .. أشعرها تلاحقني ..تحملني أينما ذهبت**"[4]. ويقول: "**بعد أن عدنا تأكد لي أنني وحيد .. وأن ظلمة الله لا تكمن في باطن الأرض فحسب ... بل إنها تتخفى هنا في أزقة ودور المدينة ..تترصدني أينما حللت**"[4].

في هذه التعبيرات السردية، ليس خفياً عمق ارتباط البناء السردي بوجهة نظر الراوي وهواجسه النفسية والذهنية، الصانعة لأبعاد المكان المتطابقة في المتخيل السردي على نحو متكامل. فـ (**الظلمة**) لا ترتبط بالخارج أو بحدود مكان معين. بل إنها حركة نفسية ووجدانية، تتكرر مع كل حدث أو موقف؛ لتؤكد على كثافة آلام الغربة والجور، وتسرب آثار المعاناة في صميم أعماق الذات الساردة. وما الرواية إلا "رؤية تخص نسج العلاقات الإنسانية والأشياء وتخص صياغة الوضعيات ونمط تصورها. إنها، بعبارة أخرى، تجسيد فضائي وزماني للمعنى"[8].

2. آفاق العلاقات المهيمنة

إن إستراتيجية خطاب الظلمة في رواية (ظلمة يائيل) تتجلى أكثر في آفاق علاقاتها المهيمنة، فنوازع الموت والقبر من الصور السردية التي تأتي ضمن علاقات خطاب الظلمة المتواترة في الرواية. إذ تطغى الرؤية ذاتها، وكذا الأحاسيس بشكل مباشر على المعجم اللغوي والجو النفسي والأبعاد الدلالية والتصويرية للرواية. إنها علائق ومعطيات تتجلى في أنساق لغوية وتعبيرية متناسقة، وتدور في آفاق دلالية مغلقة، تؤسس للفجيعة والشتات والسواد والمأساة. وغالباً ما كان الموت يترصد شخصيات الرواية، ويحاصرها في معظم أحداث الرواية وحكاياتها.

منزلة البرزخ/ القبر.

من الملاحظ، امتداد استراتيجية خطاب الظلمة في الرواية وانفتاحها على كل خصائص النص الروائي، وعلائقه وبنياته اللغوية والدلالية والخيالية. وكذا، محدداته الزمانية والمكانية. ولعل من أهم آفاق العلاقات المهيمنة لخطاب الظلمة، اتساع حضور منزلة (القبر). باعتبارها بنية لفظية وثقافية ودينية وفلسفية وخيالية، شديدة الارتباط بالعوالم الممكنة المرتبطة بمضامين خطاب (الظلمة). وكذا، العوالم الإضافية الناتجة عن التحولات النفسية والذهنية المختلفة.

إن هذه البنية يتعاظم نشاط حركتها السردية. لما لها من ارتباطات ومقتضيات جوهرية محددة، تخضع أو تتقيد بحدود وأشكال معلومة، ترتبط بوعي الإنسان وذاكرته الثقافية والدينية. فذاكرة (القبر) لها إيحاءات نفسية، وتصورات ذهنية تتنوع بتنوع الأفكار والعقائد والفلسفات المتعددة. لكنها في العموم تحمل معاني الانغلاق والوحشة والرهبة والعتمة والتلاشي والموت والاحتجاب عن الحياة.

وتشير لغة السرد في الرواية إلى اندفاع كبير نحو توصيف طبيعة المكان (القبر)، وعلاقته بالشخصية الروائية، بحيث نستطيع من خلالها كشف تواشج غموض المكان وعتمته الدلالية، مع شكل خطاب الظلمة الذي يتدفق في نصوص الرواية، ويمنحها خاصية التضافر على مستوى اللغة ومساراتها الدلالية والتأويلية المتعددة. ولننظر كيف يتحقق وجود المكان (القبر)، في سياقات تنسجم بالضرورة مع إيقاعات خطاب الظلمة المألوفة، وما يرتبط بها من إشارات وإحالات

وتصورات، لا تنتهي عند حد بعينه. يقول الراوي في (ظلمة الله) : "**هل أنا في ظلمة القبر .. وما تلك الأصوات والروائح إلا لجثامين الأموات؟. إذاً أنا ميت ..لكنهم لم يقتلوني**"[4] .

وإزاء هذا الموقف المكاني الذي تطغى حيرته على أفكار الراوي ومجرى عواطفه. يأتي السؤال تعبيراً عن جدلية الحياة والموت، واستغراق الذات في التفكير الوجودي، والمشاركة الوجدانية لمضامين الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي. وهذا الموقف مكون بنيوي ودلالي ورمزي في البنية التركيبية والدلالية والخيالية لنصوص الرواية. وهو يبرز أكثر عن طريق الحوار والسرد بضمير الـ (الأنا المتكلم). (**هل أنا في ظلمة القبر؟ ..... إذاً أنا ميت**). ويقول في سياق سردي آخر، يعبر عن (ظلمة الله) :"**أمعن النظر عَلَّي ألمح شيئاً يحدد أبعاد ذلك القبر ..ظلام أسود أسود ..تُرى كيف يراني رب أمي في ظلمته؟**"[4]. وبهذا الخطاب تتجلى صراعات الذات الساردة، وارتباطاتها بأبعاد الزمان والمكان. وإن تجلت أكثر في ارتباطاتها بأبعاد المكان (القبر)، لشدة انكساراته وفظاعة واقعه أو أوصافه (ظلام أسود أسود). و(السواد) – كما أشرنا– لونُ يحيل إلى الصمت والحزن والموت والألم والظلام. وهو الأمر الذي يعكس فعلاً حقيقة "أنّ الصراع الأيديولوجي حول المصالح الاجتماعية والاقتصادية يتحوّل إلى بنيات لغوية تعبّر عنها؛ لأنّ كل تجل كلامي هو بنية أيديولوجية تعبّر عن مصالح اجتماعية"[9].

وعلى ضوء هذا النسق السردي، يحضر (القبر) بأشكاله وأصدائه الدلالية في الرواية، بما يتناغم مع السياق الوظيفي لخطاب الظلمة. يقول الراوي في رحلته إلى مكة: "**في فجر باهت ..خرجت قافلتنا بمحاذاة شواهد قبور وقباب أضرحة ..تمتد إلى مساحة واسعة خارج سور مدينة صعدة**". ويقول في السياق ذاته: "**هياكل وعظاماً مبعثرة لدواب نفقت على جنبي المحجة..قبوراً متناثرة..نتوقف بين فينة وأخرى لندفن رفيقاً**"[4] . ويصف مكة سردياً: "**رأيت مكة جنيناً تحتضنه جبال جدباء موحشة ..شبيهة بقبر محكم ..دخلنا شوارع موحلة ...**"[4]. وإذا تأملنا في الحضور اللغوي والدلالي الكثيف والفاعل للمكان (القبر) في الرواية، فإنه يساهم في تأسيس البنية الاستراتيجية لخطاب الظلمة، وتعميق هيمنته على أجواء الرواية، وأفكارها وأنظمتها التشكيلية والمعرفية والجمالية. يؤازره في لعب هذا الدور، حضور الزمن الميت والباهت ""**في فجر باهت**"

الزمن الميت

يأتي الحديث عن العلاقة بين المكان والزمان في الإطار الفني والإبداعي. فالمكان ما هو إلا المسرح الذي يتحرك في تفاصيله خيال المبدع، ويبني من ذاكرته وصوره وأشيائه الحية وثقافته الشائعة معمارية نصوصه الإبداعية. أما (الزمن) فهو الامتداد الذي يصاحب ذلك كله، ويلونه بتجاربه المجسدة للواقع، وأحداثه وتعقيداته الكونية والجزئية. وهو من العناصر الأساسية التي تسهم في بناء الرواية؛ باعتباره الراصد الفعلي لأحداث الرواية.

ويدرك القارئ أن رواية "ظلمة يائيل"، تستوعب الزمن بمختلف أبعاده، الممكنة وغير الممكنة. وبالتالي، فإن النظر إليه بعمق، يساعد على معرفة طبيعة الواقع وأشكاله وأنماط حياته، ويساهم في تفعيل الطاقة الإبداعية للرواية....

وتجدر الإشارة إلى أن "الزمن الميت" يرتبط بالزمن الداخلي (السيكولوجي) الذي يميز (مندلاو) بينه وبين الزمن الخارجي (الموضوعي أو الاصطلاحي). حيث يسير الزمن الخارجي أو يقاس بمعايير ثابتة لا تتغير، بينما الزمن

الداخلي يسير بخطى مختلفة، تبعاً لاختلاف الأشخاص، ومقياسه النفس والشعور، ويتغير كثيراً حسب الظروف[10]. وهو ما يعني أن ظروف الشخص الفرد ومعاناته، أو معاناة المجتمع، هي من تؤدي إلى حدوث الزمن الميت.

ومن أهم ما يلاحظه القارئ في الرواية امتداد استراتيجية خطاب الظلمة إلى أبعاد الزمن. فكل ما يرتبط بالزمن والمكان من صور وعلاقات وتمثيلات واقعية أو خيالية، تبدو متداخلة في الرواية على المستوى الشكلي والوظيفي لخطاب الظلمة. ومع هذا الفائض من الحركة والتصور لأبعاد الزمن، يفرض (الزمن الميت) حضوره بشكل بارز ولافت. إذ تتعدد صوره وعناصره ومقولاته الخاصة، وتنتشر في بنية الرواية وأنساقها اللغوية والتعبيرية والسردية.

ولا شك في أن تجليات الزمن في أنساق ميتة ينسجم تماماً مع خطاب الظلمة على صعيد إنتاج الدلالة وتناولها. ومن ذلك، قول الراوي في (ظلمة الله):"**مات الوقت وسط ظلمة لا تشبه أي ظلمة..لا أعرف كيف .. أو أنني كنت واهماً بوجوده، أنا على يقين أنها ينبوع الظلمات أو أنها ظلمة الله**"[4]. وبهذا الحضور تشتبك صياغة أبعاد المكان السوداوية بأبعاد الزمن الميت. وموت الزمن أو إيقاف حركته، هو بمثابة احتواء الكون أو إفراغه وتوقف الحياة. وهو ما يعني ضمنياً أن علاقة الراوي بالزمن علاقة لا واعية. واللاوعي يعزز من نشاط فكرة الموت والقبر التي سبقت الإشارة إليها. خاصة، وأن الوعي بالزمن يتبلور عبر النظر إليه "باعتباره تجربة حية، وتاريخاً من التداخلات، والتفاعلات، والاستمرارات. أي النظر إليه في شتى أشكاله وصوره كما تتجلى في الواقع والوجود والذهن"[11]. وهذا ما لا يدركه القارئ في سياق التعبير السردي الماثل.

وفي اقتران الزمن بالموت –أيضاً– خاصية تتطابق مع خاصية ظلمة المكان المتواترة، كوظيفة خطابية تحيط بإنتاجية النص السردي، وحركته الدائبة والمتعددة. يقول الراوي في سياق آخر من الظلمة: "**كل شيء أسود ..اللا وقت يندمج مع المكان ..ليتحول كل شيء إلى كتلة من الفراغ غير المرئي**"[4]. وفي ضوء تحويل كل شيء إلى سواد مطلق واندماجه باللا وقت، يتحقق الحضور الخاص لسياقات خطاب الظلمة. في إطار سلسلة من العلامات والإحالات، التي تحيل ذهنياً ونفسياً إلى مضامين الزمن الميت ودلالاته، أو تشير إلى خصائص المكان المتحول "**إلى كتلة من الفراغ غير المرئي**". ولو تتبع القارئ مظاهر هذا المكون السردي العميق، لاكتشف فضاءً واسعاً من التداخل والانسجام البنائي والتصويري والدلالي. الأمر الذي يعزز منظومة خطاب الظلمة في الرواية، من خلال استحضارها، والتفاعل مع مظاهرها وعلاقاتها ومعانيها الضمنية غير المباشرة .

هكذا، تبدو الصورة المندمجة من الزمان والمكان، وليس لها أية قيمة معرفية. وهذا ما ينتظم أكثر في قول السارد:"**ليل صنعاء أزقة خالية ... تسكنها الكلاب والبرد ... شعرت بالألم ساقي ...بحثت عن مكان آوي إليه**"[4]. إذ لا يمكن أن يخرج فهم مضمون اللحظة الزمنية (ليل صنعاء) عن التصور السيميائي لطبيعة المكان (أزقة خالية ...تسكنها الكلاب والبرد). فالمعنى الذي يوجد داخل اللغة، يتوجه نحو خطاب الظلمة ومعطياته وغاياته الدلالية.

وأخيراً، عندما ينظر القارئ إلى استراتيجية خطاب الظلمة في رواية (ظلمة يائيل) للروائي اليمني محمد الغربي عمران، فإنه يمر على تجليات مختلفة، تتواشج وتتآلف في سبيل إثبات الدلالات العميقة، المتضمنة حالات من القلق الوجودي، كالخراب والحيرة والموت والغربة. ذلك ما يغلب على لغة السرد وعناصره، كحتمية إبداعية –موضوعية ومتخيلة– تشذ كثيراً عن تأثيرات التاريخ ونصوصه ومفاهيمه، التي ترتبط بها فكرة الرواية.

تلك الفكرة التي تأتي في سياق ثقافي وإيديولوجي وزمني، مسكون بالصراع والتناقض والتوتر والنزوع الفردي والجماعي المكثف نحو النهايات المؤلمة. وهو ما يشير إليه (امبرتو ايكو)، في سياق حديثه عن الرواية بشكل عام، إذ "يمكن للغة أن تتحدث بنفس القوة عن الأشياء المندثرة وعن الأشياء الموجودة"[8].

ولعل هذا ما يلمسه القارئ من سيرة الراوي التشاؤمية (جوذر) ورؤيته السوداوية التي تحتضنها أفكار الرواية وأصواتها المتعددة وفضائها الجمالي والفني، فهي تعبر جميعاً في خاتمة المطاف عن رؤية فكرية ودينية وسياسية واجتماعية وشعورية، تحاول إيهام القارئ بحداثة أفكار الراوي والتصاقها بإيقاعات الزمن الحاضر ومساوئه. بحيث يصعب انفصال هذه الرؤية عن شخصيات الواقع المعاصر، وأحداثه وتفاصيله التي يهيمن عليها الحزن والموت والعجز والضياع والاغتراب والحيرة وجور السلطان، وافتقاد حرية الفكر والمعتقد. وهي قواسم مشتركة تطغى على مدونة الإبداع اليمني الأدبي بشكل عام.. فمن المستحيل قراءة عمل إبداعي واحد يعرض نهائياً عن مأساة الاغتراب والصراع السياسي والاجتماعي. ولعل رواية "ظلمة يائيل" من أهم الروايات اليمنية الحديثة –إن لم تكن الأهم– التي تتعمق في جذور المجتمع اليمني سياسياً واجتماعياً وقبلياً، فثمة حضور قوي لأعراف القبيلة وعاداتها وسلوكيات أبنائها، تتسع أكثر بفعل توصيف الراوي وإعمال الخيال فيها، دون الإغراق في نقدها أو تجريمها. وقد أفضى التفاعل السردي مع مكونات التاريخ والواقع السوداوية إلى تكثيف بنية العمل الروائي لغوياً ودلالياً وجمالياً؛ لمواجهة الأزمات والانتكاسات التي تولدها حركة الزمان والمكان المعتمة.

نتائج البحث

لعل من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وهو يتناول (استراتيجية خطاب الظلمة في رواية "ظلمة يائيل")، للروائي محمد الغربي عمران، ما يأتي:

- كشف البحث امتداد استراتيجية خطاب الظلمة في الرواية، وارتباطها بكافة خيوط الرواية وأحداثها، وعناصرها السردية، واقتحامها تعيينات الزمان والمكان، لتصبح وسيلة فنية من وسائل الكاتب، أو أداة من أدواته، تساعد القارئ على إدراك القيم الفنية الإبداعية للرواية.
- أكد البحث على اكتناز خطاب الظلمة دلالات متعددة تستمد طاقتها من استنادها إلى مرجعيات فلسفية وثقافية واجتماعية وفكرية متباينة في رؤاها ومقاصدها، مما جعل حضوره يتسم بالتكثيف والترميز والعمق، على مستوى البنية اللغوية والبصرية والدلالية.
- كشف البحث عمق ارتباط خطاب الظلمة بالعلاقات التواصلية والمعاني المصاحبة لعملية السرد، وتجاوزه عملية الوصف المباشرة للبنية الظاهرة للنص في مستوياتها الصوتية، والتركيبية، والمعجمية.
- كشف البحث أيضاً غلبة الوصف المتخيل على طبيعة حضور الخطاب في الأمكنة الروائية، وهو وصفٌ يشي بالتعميم، مما أدخل كثيراً من الأمكنة في نطاق المكان السردي غير المرجعي. أي الأمكنة التخيلية التامة.
- تبين من خلال البحث أن الأمكنة الأساسية التي تتحرك في مساحتها الشخوص، وتدور فيها الأحداث يمكن وصفها بالأمكنة المظلمة والإجبارية. وأن هذه الأمكنة المظلمة هي التي تشغل فكر الراوي ونفسيته، مع أنها في الغالب تنتمي إلى عالم الأحلام والهواجس.
- تجلت من خلال البحث آفاق جديدة للعلاقات المهيمنة على خطاب الظلمة، فنوازع الموت والقبر التي تأتي ضمن علاقات الخطاب المتواترة في الرواية، تطغى بشكل مباشر على المعجم اللغوي والجو النفسي للرواية.

- تجلت العلاقة بين المكان والزمان في الإطار الفني والإبداعي، وكل ما يرتبط بهما من صور وعلاقات وتمثيلات واقعية أو خيالية، تبدو متداخلة في الرواية على المستوى الشكلي والوظيفي لخطاب الظلمة.

المراجع

1. جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة: عالم الفكر، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير . مارس 1997م.
2. محمد عزام، النقد والدلالة، نحو تحليل سيميائي للأدب، وزارة الثقافة، دمشق، 1996م.
3. بول ريكور، ترجمة: فلاح رحيم، الزمن والسرد، التصوير في السرد القصصي، ج2، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2006م.
4. الغربي عمران، رواية "ظلمة يائيل"، ط4، مركز عبادي للنشر، صنعاء، اليمن، 2012م.
5. سعيد بنكراد، السميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2001م.
6. حميد لحمداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ط1، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت – الدار البيضاء، 1991م.
7. أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ط1، دار البحوث العلمية، الكويت، 1982م.
8. أمبيرتو إيكو، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، حاشية على اسم الوردة، آليات الكتابة، منشورات علامات، المغرب، 2007م.
9. سيد البحراوي، علم اجتماع الأدب، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1992م.
10. أ. مندلاو، ترجمة: بكر عباس، مراجعة: إحسان عباس، ط1، الزمن والرواية، دار صادر، بيروت، 1997م.
11. سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.

تقييم بعض العوامل المعرفية لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمحافظة جدة في ضوء تباين مستوياتهم التحصيلية

Evaluation Of Some Cognitive Factors Among Intermediate School Student In Jeddah City Within Their Academic Achievement Variance

***Ali Mastoor Alzahrany**
****Saad Msaad Al Mhayawy**

*** د. علي بن مستور الزهراني**
****د. سعد بن مسعد المحياوي**

Abstract

The aim of the current research is to reveal the variation range of attentional control, speed perception, cognitive style, working memory capacity, strategy of information processing (simultaneity \ succession) and problem solving in view of difference in academic achievement level. The search sample consisted of (750) student in the intermediate stage in Jeddah .

The results showed that there are statistical functions differences between achievements based on all dependent variable.

The researchers recommend to design training programs which aim to increase teachers ability of designing a teaching environments which encourage the cognitive factors and design a training programs for achievement students.

ملخص

هدف البحث الحالي إلى الكشف عن مدى تباين كل من: ضبط الانتباه , والسرعة الإدراكية،والأسلوب المعرفي،وسعة الذاكرة العاملة،واستراتيجيتي التجهيز المتآني والمتتابع، حلا لمشكلات في ضوء اختلاف مستوى التحصيل الدراسي. شملت عينةالبحث (750) طالباًممن يدرسون في المرحلةالمتوسطة بجدة . أظهرت نتائج البحث وجود فروق دالة إحصائياً بين متفاوتي التحصيل على جميع المتغيرات التابعة . أوصى الباحثان بضرورةت صميم برامج تدريبية تهدف لزيادة قدرة المعلمين على تصميم بيئات تعلم محفزة للعوامل المعرفية ،وتصميم برامج تدريبية للطلاب منخفضي التحصيل .

[البحث الفائز بالمركز الأول في مجال الدراسات التربوية والنفسية بالمسابقة 33 لجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم]

* المملكة العربية السعودية–تعليم جدة
** المملكة العربية السعودية– تعليم ينبع

* Kingdom of Saudi Arabia- Education Jeddah
** Kingdom of Saudi Arabia -Education Yanbu

مقدمة

يعد التعلم Learning عملية متشابكة ومعقدة، نتيجة لذلك اهتمت البحوث النفسية و التربوية في مجال علم نفس التعلم ومنذ فترة طويلة بدراسة التحصيل الدراسي Academic Achievement بوصفه دالة لعملية التعلم، إذ انه يمثل جانباً هامًا من النمو النفسي والمعرفي والأكاديمي للطلبة في مختلف المراحل التعليمية، وبالتالي فهو يعد متغيراً معرفياً يؤثر ويتأثر بالعديد من العوامل المعرفية الأخرى (عبدالفتاح ، 2013)[1] .

ويأتي الاهتمام بدراسة التحصيل الدراسي نظراً لكونه يعتبر ركناً أساسياً من أركان التعليم ، ومن أهم المخرجات التي تقوم على أساسها المؤسسات التعليمية، كما يعتبر من أهم المؤشرات الإجرائية لعملية التعلم لقياس الجدارة والأهلية الذي بواسطته تفتح أبواب التدرج العلمي للطلاب، بالإضافة إلى اعتباره احد المتغيرات التربوية المعقدة التي تتطلب المزيد من البحث (بدوي وعبد الجليل ،2012)[2].

وعلى الرغم من كثرة الدراسات والبحوث التي تناولت العوامل المعرفية بمصاحبة التحصيل الدراسي إلا أنه مازالت هناك بعض الفجوات العلمية التي تشكل أسئلة بحثية تتطلب إجراء المزيد من البحوث والدراسات التي يمكن من خلالها تفسير عملية التعلم بشكل عام استناداً على اعتبار أن مفتاح تيسير هذه العملية لدى طلاب مختلف المراحل الدراسية يكون من خلال التعامل مع الفروق الفردية وفقاً لتباين مستويات الأداء التحصيلي على بعض العمليات المعرفية الأساسية مثل: الانتباه ، والإدراك ، والذاكرة العاملة، والتفكير وما يرتبط بها من أساليب واستراتيجيات تعتبر من العوامل المعرفية التي بمقدروها تقديم مجموعة من الأفكار الواضحة حول تباين مستويات التحصيل الدراسي(Hahn,kim,&seo,2014)[3].

ومن الناحية التربوية والنفسية تعد دراسة متغير التحصيل الدراسي لدى شريحة طلاب المرحلة المتوسطة أمراً بالغ الأهمية؛ وذلك لاعتبارها مرحلة نمائية هامة من مراحل النمو المعرفي لدى الطالب، خصوصاً وأنها تتزامن مع فترة المراهقة التي تتنامى فيها مظاهر عدم القدرة على تحمل الضغوط الأكاديمية ، وتزايد الانشغال مع الأصدقاء، وإظهار مشاعر عدم الرغبة في إرضاء الوالدين، وسلطات الإشراف والتوجيه التي تمارسها المؤسسات التربوية (Pickhardt,2012)[4].

ويتفق كل من (Roosa et al,2012)[7] (Abbott,2012)[6]

(Serbin,Stack and Kingdon, 2013)[5]

على أن جودة التحصيل الدراسي في المرحلة المتوسطة يسهم في تعزيز ضمان مستقبل تعليم الطالب مقارنة بزملائه،كما يعتبر مؤشراً للصحة النفسية له على المدى الطويل.

وبشكل عام تعتبر نظرية تجهيز المعلومات Information Processing Theory من أهم الأطر النظرية في علم النفس المعرفي ، نظراً لما تقدمه من مفاهيم ونماذج ومكونات أساسية لفهم وتفسير الفروق الفردية كماً وكيفاً أثناء أداء مهام العمليات المعرفية الأساسية؛ وتتبلور أهمية نظرية تجهيز المعلومات في دراسة الفروق الفردية بين الأفراد من خلال الكشف عن أوجه القوة والضعف في العمليات المعرفية التي يمر بها الفرد إذا تعرض لموقف ما، ومعرفة مدى نجاحه أو فشله من خلال دراسة تجهيز المعلومات خطوة بخطوة في أثناء قيامه بعملية انتقائه للمعلومات المقدمة إليه ورفضه لمعلومات أخرى من خلال عملية التجهيز المعرفي ومن ثم التركيز على تحسين تلك العمليات لتعمل بكفاءة (يوسف، 2011)[8].

ويذكر (Huang ,2012)[9] أن الباحثين في مجال علم النفس المعرفي يفترضون أن التحصيل الدراسي يرتبط بالعوامل المعرفية، فعملية الانتباه Attention تعد حجر الزاوية في البناء المعرفي بشكل عام ،كما أنها تعتبر

استعداداً معرفياً عاماً وتهيؤاً شاملاً للشخصية، إذا إنها تسبق و تلازم كل عملية معرفية. ويُعرف الانتباه بأنه العملية المعرفية التي تخصص قدرة محدودة من نشاط الدماغ بشكل انتقائي لجانب واحد من المعلومات الحسية بينما تتجاهل الأخرى.

ويؤكد(Best,et al.2013)[10] لأن نتائج مجموعة كبيرة من البحوث المعرفية التي تناولت عملية الانتباه أشارت إلى أن الفرد العادي غالباً ما يمتلك القدرة على توجيه حواسه و بأورتها على المعلومات والمثيرات ذات الصلة بالمثير الأصلي المعروض و تجاهل تلك المعلومات والمحفزات التي تتداخل مع المهام المنوطة به، وهو ما يُطلق عليه ضبط مشتتات الانتباه Attention Control.

و يعرف (Reinholdt–Dunne et al 2013)[11] ضبط مشتتات الانتباه بأنه قدرة الفرد على تركيز الانتباه على مهمة معينة، ومراقبة وتنظيم المشتتات الخارجية والداخلية، والعمل نحو الهدف المنشود .

ومن الناحية التربوية ، يتفق كل من (Rose et al. 2011)[13](wass, Scerif and Johnson,2012)[12] على أن دراسة متغير ضبط مشتتات الانتباه أمراً بالغ الأهمية ، باعتباره قدرة معرفية تسهم في تنظيم المجال الإدراكي للمتعلم، ومساهمته في عملية اكتساب مهارات التعلم من خلال تنظيم قدرة الطالب على الحفاظ على مستوى يقظته الذهنية، وتركيزها وتوجيهها نحو المواقف والمشكلات في موقف التعلم، فتشتت الانتباه نحو معلومات غير ذات صلة بالحجر الدراسية عادة ما يؤدي إلى الفشل في إتقان أهداف عمليتي التعلم والتعليم .

وبالمقابل تعتبر عملية الإدراك Perception إحدى العمليات المعرفية التي تمكن الأفراد من المحافظة على البقاء والتكيف والتطور، كونه العملية التي تسهم بقسطٍ كبير في التعرف على البيئة ومعطياتها وكيفية التفاعل معها، إذ يختلف الأفراد في إدراكهم للموقف أو الظاهرة الواحدة ويستجيبون لها استجابات مختلفة (محمد والشحات، 2006)[14]. هذا وتعتبر قدرة الفرد على تنظيم وتفسير وتجميع المعلومات الحسية من أجل تمثيل المعلومات في النظام المعرفي من العوامل المسهمة في فهمه للبيئة المحيطة به(Myers,2014)[15].

وبالتالي تعد السرعة الإدراكية Speed Perception إحدى القدرات المعرفية المرتبطة بعملية فهْم المثيرات بناءً على الخبرة الإدراكية، فهي تتضمن قدرة الفرد على سرعة أداء الأعمال التي تتطلب إدراك شكل أو نموذج بصري يعرض عليه، وتحديد خواصه من بين نماذج أو أشكال مشابهة له تتميز بالخداع البصري (الشربيني،2011)[16].

ويرجع اهتمام البحوث في مجال علم نفس التعلم بمتغير السرعة الإدراكية نظراً لاعتبارها من المصادر والعمليات المعرفية الأساسية للوقوف على الفروق الفردية بين الأفراد، وقد تكون العامل الأقرب إلى قدرات الحكم والمقارنة (نجم، 2014)[17].

ومن الناحية التربوية ؛تعتبر دراسة متغير السرعة الإدراكية أمراً بالغ الأهمية، خاصة في ظل اعتبارها إحدى مصادر الفروق الفردية بين المتعلمين في معالجة مثيرات التعلم أثناء عمليات تجهيز المعلومات، وبالتالي فهي تسهم في تسهيل اكتساب المعلومات وتعلمها في ضوء اعتبار مواقف التعلم مواقف إدراكية ترتبط بسلامة وصحة ودقة العمليات المعرفية لدى المتعلم، فالقصور في سرعة إدراك معنى مثيرات التعلم يؤدي إلى عرقلة عملية التعلم بشكلٍ كامل ، كما تعد السرعة الإدراكية مؤشراً لنمو المهارات الأكاديمية والقدرات المعرفية وغير المعرفية لدى الطلاب العاديين والذين يعانون من صعوبات التعلم (الحربي، 2012)[18].

وعلى نحو وثيق الصلة بعملية الإدراك ؛ يعتبر أسلوب الاعتماد / الاستقلال عن المجال الإدراكي Field Dependence / Independence من أكثر الأساليب المعرفية Cognitive Style التي حظيت بالدراسة والبحث نظير علاقتها ودورها في تحديد ملامح الكثير من الأبعاد النفسية والمعرفية (Danili &Reid;2006)[19].

ويُعبر أسلوب الاعتماد / الاستقلال عن المجال الإدراكي عن الطريقة التي يدرك بها الفرد الموقف أو الموضوع وما به من تفاصيل، أي أنه يتناول قدرة الفرد على إدراكه لجزء من المجال كشيء مستقل أو منفصل عن المجال المحيط ككل، فالفرد الذي يتميز باعتماده Dependence على المجال في الإدراك يخضع إدراكه للتنظيم الشامل (الكلي) للمجال أما أجزاء المجال فإن إدراكه لها يكون مبهماً، في حين يدرك الفرد الذي يتميز بالاستقلال Independence عن المجال الإدراكي أجزاء المجال في صورة منفصلة أو مستقلة عن الأرضية المنظمة له (أحمد ، 2013)[20].

ومن الناحية التربوية تكمن أهمية دراسة أسلوب الاعتماد / الاستقلال عن المجال الإدراكي من منطلق اعتباره من الموجهات ذات المستوى العالي في تنظيم القدرات والاستراتيجيات والعمليات المعرفية المستخدمة في عملية التّعلم . (Tinajero et al,2012)[21]، كما يعتبر وسيلة لتصنيف المتعلمين إلى مجموعات متجانسة، وتساعد في تصميم البرامج التعليمية، كما أنها تؤدي دوراً مهماً في المجال المدرسي في تفسير الفروق الفردية في تباين مستويات التحصيل الدراسي، بالإضافة إلى ارتباطه بالكثير من المتغيرات التربوية المرتبطة بمواقف التّعلم والتدريس كمستوى الطموح ودافعية الإنجاز واستراتيجيات التعلم (Ahmadzade & Shojae.2013)[22].

وعلى نحو وثيق الصلة بالعمليات المعرفية تعد الذاكرة العاملة Working Memory من أهم المفاهيم والقضايا التي تناولتها البحوث المعرفية والتجريبية الحديثة، كما أنها تعتبر أحد الأبنية الأساسية في بحوث علم النفس المعرفي ؛ وذلك لارتباطها بأكثر الأنشطة اليومية، والقدرات العقلية، والعمليات المعرفية العليا، وتشكل دراستها أهمية كبرى؛ لأنها تقف خلف كفاءة وفعالية عملية التعلم والتعليم (Pugin et al ،2015)[23] .

ويشير مفهوم الذاكرة العاملة إلى القدرة على الاحتفاظ بالمعلومات في حالة نشطة داخل الذاكرة للقيام بالمهام المعقدة مثل التفكير والفهم والتعلم (Tariq& Noor, 2012)[24].ونتيجة لتطور البحوث في مجال الذاكرة أصبح مفهوم سعة الذاكرة العاملة Working Memory Capacity يحتل أهمية كبرى في مجال بحوث التعلم ، إذ يشير هذا المفهوم إلى قدرة الفرد على الاستدعاء الكامل لسلسلة من العناصر أو الوحدات بعد أن تُقدم له، وذلك خلال فترة زمنية معينة من الإدراك الفوري (Van Snellenberg et al. 2014)[25] .

ومن الناحية التربوية تحظى دراسة سعة الذاكرة العاملة لدى المتعلمين العاديين وغير العاديين أهمية كبرى باعتبارها من أهم مصادر الفروق الفردية أثناء اكتساب المهارات المعرفية والنفسية بدلاً من الذكاء، ومن ثم فهي تقدم فهماً شاملاً لعملية التعلم لدى الطلاب خاصة تعلم مهارات القراءة والحساب والفهم القرائي واكتساب اللغة الثانية (Troche&Rammsayer,2009)[26] .

هذا و تعتبر استراتيجيات تجهيز المعلومات Information Processing Strategies من أهم المفاهيم المنبثقة عن هذه النظرية ، إذ تُعرف بأنها تكوينات فرضية مكتسبة منظمة يتحكم فيها أنماط من الآليات الوسيطة داخل الذاكرة العاملة يتبعها الفرد لتحويل وتنظيم المثيرات إلى رموز تتقبلها الذاكرة بما يؤثر على سعة ومستوى تجهيز المعلومات (عبد الفتاح ، 2013)[1]. ومن الناحية التربوية تسهم دراسة استراتيجيات تجهيز المعلومات في تسيير وتسهيل عمليات التعلم والاستدعاء Recall والتعرف Recognition على المعلومات المتعلمة، كما تسهم في تحديد أفضل الطرق التي تحفظ فيها المعلومات في ذاكرة المتعلم، و فهم العمليات الحسية الإدراكية بصورة أكثر إجرائية، بما يسهم في الكشف عن الارتباطات التي تتم بين مكونات مثيرات التعلم ومكونات الاستجابة الصادرة عن الفرد المتعلم بعد عملية الاستثارة في الموقف التعليمي(بكيري ، 2014)[27]. ونتيجة لتطور البحوث في مجال استراتيجيات تجهيز المعلومات ؛ اتفق كل من :

(Ismail&Keat,2011)[30](Fillckova ,2014)[29](Naglieri,Das&Goldstein,2014)[28] علـــــى أن اســـــتراتيجية

التجهيز المتآني Strategy Simultaneous، و استراتيجية التجهيز المتتابع Successive strategy تُعد من أهم استراتيجيات تجهيز المعلومات التي يستخدمها الأفراد وخاصة المتعلمين في مواقف حفظ واسترجاع المعلومات الدراسية وغير الدراسية، فاستراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات تعتبر طريقة معرفية يستطيع الفرد من خلالها دمج المثيرات المنفصلة داخل شكل كلي واحد أو مجموعة واحدة، والمفتاح المهم لهذه الطريقة يتمثل في رؤية الفرد كيفية ترابط جميع العناصر المنفصلة في الشكل الكلي المفاهيمي، في حين تعتبر استراتيجية المعالجة المتتابعة طريقة معرفية التي يدمج بها الفرد المثيرات في ترتيب تسلسلي معين (Ismail &Keat2011,)[30].

ويكمن الفرق بين استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات ، واستراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات في أن استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات يستطيع الفرد التفكير في بُعد واحد فقط، كما أن العامل الأساسي فيها يتمثل في أن عملية تكوين المعلومات وتناولها تعتمد على مسح شامل يقوم به الفرد في حال تقديم المثيرات له دون اعتبار لموضع الجزء بالنسبة للكل، في حين استراتيجية التجهيز المتتابع للمثيرات تعتمد على أن تكوين المعلومات وتناولها يجري في ترتيب تسلسلي مما لا يمّكن الفرد من إجراء عملية المسح الشامل للمثيرات كما يحدث في استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات (بكيري،2014)[27].

وفي المقابل يعتبر متغير حل المشكلة Problem Solving قدرة معرفية و محوراً من محاور عملية التفكير، إذ حظي هذا المتغير باهتمام علمي ملحوظ من علم النفس المعرفي في مجالات التربية والتعليم ، وتعتبر القدرة على حل المشكلات Ability Problem Solving نوع من الأداء يتقدم فيه الفرد من الحقائق المعروفة للوصول إلى الحقائق المجهولة التي يود اكتشافها وذلك عن طريق فهم وإدراك الأسباب والعوامل المتداخلة في المشكلات التي يقوم بحلها (العدل ، 2010)[31].

ومن الناحية التربوية تعتبر القدرة على حل المشكلات من الأهداف الرئيسة لعمليات التعلم والتعليم، كما تُعد من المبادئ الهامة التي قام عليها تطوير التعليم في العديد من الدول المتقدمة، فمن خلال هذا المتغير البحثي يمكن للقائمين على عمليات التربية والتعليم معرفة ما لدى المتعلم من مهارات واستراتيجيات التفكير الاستدلالي Reasoning Thinking والتفكير الإبداعي Critical Thinking أثناء ممارسة المتعلم لعمليات التعلم، بالإضافة إلى أن مهام القدرة على حل المشكلات تضع المتعلم في مواقف حقيقية يعمل فيها ذهنه بهدف الوصول إلى حالة الاتزان المعرفي Cognitive Balance(Ates& Catalogue 2007)[32].

هذا وأشارت نتائج دراسة كل من (Nizoloman,2013)[35];(Adeyemo&Udeani,2011)[34];(Jeotee,2012)[33] إلى أن القدرة على حل المشكلات لدى طلاب وطالبات مختلف المراحل الدراسية عادة ما ترتبط بالمستويات العليا من مثابرتهم، وأساليب واستراتيجيات تعلمهم ،وطرق الاختيار الصحيح لتخصصاتهم الأكاديمية ومهنهم المستقبلية.

ويظهر من العرض السابق أن متغيرات : ضبط مشتتات الانتباه ، و السرعة الإدراكية، و سعة الذاكرة العاملة، والأسلوب المعرفي الاعتماد/ الاستقلال عن المجال الإدراكي، وإستراتيجيتي التجهيز المتآني والمتتابع ، والقدرة على حل المشكلات تعتبر منظومة معرفية ترتبط بشكل كبير بعملية التعلم؛ لأنها تقف خلف كفاءة وفعالية عملية التعلم والتعليم بشكل عام ، كما أنها تسهم في تقديم فهم شامل لعملية التعلم المدرسي، وتساعد في تقديم معالجات تعليمية محددة تتلاءم مع خصائصهم المعرفية ،كما تسهم في تفسير الفروق الفردية المتعلقة بتباين مستويات التحصيل الدراسي لدى الطلاب .

وعليه يفترض الباحثان الحاليان أن تجويد عمليات التعلم وتحسين مستويات التحصيل الدراسي لدى طلاب

المرحلة المتوسطة بحاجة ماسة إلى جهد بحثي اكبر يجمع بين طياته منظوراً معرفياً ذو طابع شمولي يتناول الانتباه ، والإدراك ، والذاكرة العاملة، والتفكير وما يرتبط بها من أساليب واستراتيجيات ؛خاصة في ظل اعتبار أن هذا النمط من البحوث المعرفية قد يسهم في تشكيل خريطة معرفية لمجموعة الخصائص المعرفية لدى متفاوتي التحصيل الدراسي في المرحلة المتوسطة ،التي ستدعم مخرجاتها تعزيز وتقويم برامج وعمليات التعليم والتدريس في هذه المرحلة النمائية بالغة الحساسية.

مشكلة البحث

أورد (الحربي 2015أ)[36] أن دراسة التحصيل الدراسي في ضوء اختلاف خصائص المتغيرات سواء المعرفية، أم النفسية ،أم التربوية تعد من أفضل أنماط الدراسات الفارقة وأجودها من ناحية منطقية المقارنات من جهة ومن ناحية فوائدها التربوية التطبيقية من ناحية أخرى ؛ لأن مثل هذا النمط من النتائج يقدم مجموعة من التوصيفات والدلائل التربوية الواضحة لتصنيف المتعلمين وفقاً لمجموعة من المحددات الواقعية والفعلية التي تتلاءم مع تنوع خصائص الأداءات النفسية والمعرفية والسلوكية لكل مجموعة. وفي ظل الأهمية التربوية لمتغيرات ضبط مشتتات الانتباه ، و السرعة الإدراكية، والأسلوب المعرفي الاعتماد/ الاستقلال عن المجال الإدراكي وسعة الذاكرة العاملة، ،واستراتيجيتي التجهيز المتآني والمتتابع ، والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة المتوسطة ، بالإضافة إلى ندرة البحوث التي تناولت تلك المتغيرات في البيئة العربية بشكل عام والمحلية بشكل خاص.

وبالتالي تحددت مشكلة البحث الحالي في التساؤل الآتي:

س: هل تختلف كل من القدرة على ضبط مشتتات الانتباه ، و السرعة الإدراكية، والأسلوب المعرفي الاعتماد/ الاستقلال عن المجال الإدراكي، وسعة الذاكرة العاملة، ،واستراتيجيتي التجهيز المتآني والمتتابع ، والقدرة على حل المشكلات باختلاف مستوى التحصيل الدراسي (منخفض –متوسط – مرتفع) لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمحافظة جدة ؟

أهداف البحث

هدف البحث الحالي إلى تحديد مدى اختلاف كل من: القدرة على ضبط مشتتات الانتباه ، و السرعة الإدراكية، والأسلوب المعرفي الاعتماد/ الاستقلال عن المجال الإدراكي، وسعة الذاكرة العاملة، ،واستراتيجيتي التجهيز المتآني والمتتابع ، والقدرة على حل المشكلات في ضوء اختلاف مستوى التحصيل الدراسي (منخفض –متوسط – مرتفع) لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمحافظة جدة.

أهمية البحث

1. أنها تعتبر الدراسة الأولى من نوعها في المملكة العربية السعودية – على حد علم الباحثين – التي تتناول المتغيرات موضع البحث في ظل البحث عن مقدار الفروق بين متفاوتي التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة كنوع من الاهتمام بتحسين جودة التعليم العام في السعودية .

2. أنها تسلط الضوء على الأهمية التربوية لمتغيرات ضبط مشتتات الانتباه ، و السرعة الإدراكية، والأسلوب المعرفي الاعتماد/ الاستقلال عن المجال الإدراكي، وسعة الذاكرة العاملة، واستراتيجيتي التجهيز المتآني والمتتابع والقدرة على حل المشكلات التي تلعب دوراً بارزاً وهاماً في تحقيق التوافق الأكاديمي، الأمر الذي يجعل إمكانية استغلال قدرات الطلبة بطريقة تحقق لهم التفوق التحصيلي.

3. أنها تركز على شريحة طلاب المرحلة المتوسطة باعتبارها مرحلة هامة من مراحل النمو المعرفي لدى الطالب، خاصة في ظل ندرة الدراسات والبحوث التي تناولت المتغيرات موضع البحث لدى طلاب هذه المرحلة

في البيئة العربية والمحلية.

4. أنها توفر أسس وافتراضات علمية يمكن من خلالها تصميم و استخدام أساليب تعليمية، وطرق عرض للمعلومات تساعد طلاب المرحلة المتوسطة على زيادة سرعة إدراكهم للمعلومات، و ضبط مشتتات الانتباه في حجر الدراسة وانتقاء استراتيجية التجهيز المناسبة مما يؤدي إلى زيادة سعة الذاكرة العاملة الأمر الذي ينعكس على مستوى تحصيلهم الدراسي .

5. أنها قد تُسهم من خلال نتائجها في اقتراح أو إعداد برامج تدريبية تتناسب والمستوى التحصيلي لطلاب المرحلة المتوسطة ،بما يسهم في زيادة مستوى تحصيل الطلاب الدراسي الذي تدعو إليه التوجهات التربوية الحديثة .

مصطلحات البحث

1. ضبط مشتتات الانتباه Attention Control : هو قدرة الفرد على تركيز الانتباه على مهمة معينة، ومراقبة وتنظيم المشتتات الخارجية والداخلية، والعمل نحو الهدف المنشود أو النتيجة.

(Reinholdt–Dunneet et al. 2013)[11].

التعريف الإجرائي لضبط مشتتات الانتباه : هو مجموع الدرجات التي يحصل عليها المفحوص نتيجة إجابته على اختبار ضبط مشتتات الانتباه المستخدم في الدراسة الحالية (إعداد الباحثان).

2. السرعة الإدراكية Speed Perception : هي قدرة الفرد على سرعة أداء الأعمال التي تتطلب إدراك الشكل أو النموذج البصري المقدم إليه وتحديد خواصه من بين نماذج أو أشكال مشابهة له تتميز بالخداع البصري (الشربيني ،2011)[16].

التعريف الإجرائي للسرعة الإدراكية : هو مجموع الدرجات التي يحصل عليها المفحوص على أبعاد اختبار السرعة الإدراكية (شطب الكلمات، ومقارنة الأعداد، والصور المتماثلة) المستخدم في الدراسة الحالية.

3. الأسلوب المعرفي الاعتماد/ الاستقلال: Field Dependence / Independence :هو الطريقة التي يدرك بها الفرد الموقف أو الموضوع وما به من تفاصيل ، أي أنه يتناول قدرة الفرد على إدراكه لجزء من المجال كشيء مستقل أو منفصل عن المجال المحيط ككل ، فالفرد الذي يتميز باعتماده على المجال في الإدراك يخضع إدراكه للتنظيم الشامل (الكلي) للمجال ،أما أجزاء المجال فان إدراكه لها يكون مبهماً ، في حين يدرك الفرد الذي يتميز بالاستقلال عن المجال الإدراكي أجزاء المجال في صورة منفصلة أو مستقلة عن الأرضية المنظمة له (عبدالهادي ،2010)[37].

التعريف الإجرائي لأسلوب الاعتماد/ الاستقلال عن المجال الإدراكي :هو مجموع الدرجات التي يحصل عليها المفحوص نتيجة إجابته على اختبار الأشكال المتضمنة (الصورة الجمعية) ، وينحصر مجموع درجاته بين (صفر) كحد أدنى و (18) درجة كحد أعلى ، ويشير حصول المفحوص على درجة المتوسط إلى زيادة ميله إلى الاستقلال عن المجال الإدراكي، ويشير حصول المفحوص على درجة أقل من المتوسط إلى زيادة ميله إلى الاعتماد على المجال الإدراكي.

4. سعة الذاكرة العاملة : Working Memory Capacity (WMC) : هي قدرة الفرد على الاستدعاء الكامل لسلسلة من العناصر أو الوحدات بعد تقدم له خلال فترة زمنية معينة من الإدراك الفوري.

(Van Snellenberg et al.2014)[25] .

التعريف الإجرائي لسعة الذاكرة العاملة : هي الدرجة التي يحصل عليها المفحوص على اختبار سعة الذاكرة العاملة المستخدم في الدراسة الحالية(إعداد الباحثان) ،والتي تمثل عدد العناصر التي يستطيع المفحوص تذكرها.

5. استراتيجية التجهيز المتآني Strategy Simultaneous : هي طريقة معرفية يستطيع الفرد من خلالها دمج المثيرات المنفصلة داخل شكل كلي واحد أو مجموعة واحدة. (Ismail &Keat,2011)[30]

التعريف الإجرائي لاختبار استراتيجية التجهيز المتآني: هي الدرجة التي يحصل عليها المفحوص على اختبار استراتيجية التجهيز المتآني المستخدم في الدراسة الحالية (إعداد الباحثين).

6. استراتيجية التجهيز المتتابع Successive Strategy: هي طريقة معرفية يدمج بها الفرد المثيرات في ترتيب تسلسلي معين لكي يشكل ارتقاء على شكل سلسلة (Ismail &Keat,2011)[30].

التعريف الإجرائي لاختبار استراتيجية التجهيز المتتابع : هي مجموع الدرجات التي سيحصل عليها المفحوص على اختبار الأقسام: (أ، ب، ج، د) من اختبار المصفوفات المتتابعة العادية في الدراسة الحالية .

7. القدرة على حل المشكلة Problem Solving Ability : تُعرف بأنها قدرة الفرد على اشتقاق نتائج من مقدمات معطاة وهي نوع من الأداء يتقدم فيه الفرد من الحقائق المعروفة للوصول إلى الحقائق المجهولة التي يود اكتشافها عن طريق فهم وإدراك الأسباب والعوامل المتداخلة في المشكلات التي يقوم بحلها (العدل، 2015)[38].

التعريف الإجرائي للقدرة على حل المشكلات : هي مجموع الدرجات التي سيحصل عليها المفحوص على اختبار القدرة على حل المشكلات المستخدم في الدراسة الحالية(إعداد الباحثان). وتشير الدرجة التي تفوق المتوسط إلى القدرة على حل المشكلات بينما تشير الدرجة التي تقع تحت المتوسط إلى عدم القدرة على حل المشكلات .

8. التحصيل الدراسي : AcademicAchievement هو معدل الدرجات التي حصل عليها الطالب في الاختبارات والأعمال الصفية في جميع المقررات الدراسية التي درسها وتدخل في تقرير معدله.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً : ضبط مشتتات الانتباه Attention Control

مع تزايد الاهتمام بعلم النفس المعرفي ومجالاته وعملياته أصبح موضوع الانتباه محوراً أساسياً في التناول المعرفي للنشاط العقلي المعرفي وعملياته. وبوجهٍ عام، يعد الانتباه حجر الزاوية في البناء المعرفي، فهو استعداد معرفي عام وتهيؤ شامل يلازم كل عملية معرفية، ويمهد لها؛ وعليه يعرف الانتباه بأنه تلك العملية التي تجبر الفرد على تحديد بعض المثيرات المعينة وفقاً لحاجاته والموقف الإدراكي من بين العديد من المثيرات الموجودة في البيئة (Mangal2014)[39].

ويظهر من خلال مراجعة الباحثين الحاليين لما ذكره كل من (الحربي ،2015ب)[40]؛ (صبح، 2014)[41] (Petersen & Posner,2012)[42] أن الانتباه يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية، وهي: المكون الأول : التوجه أو الانتقاء Selection or Orientation، ويعني التوجه نحو المثير الهدف، أو انتقائه من بين المصادر المتنافسة، مع ضرورة أن يتم تجاهل باقي المصادر الأخرى التي لا تؤثر على عملية الانتقاء أو التوجه، ويتم ذلك بصرياً أو سمعياً.المكون الثاني: التيقظ Vigilance، ويعني قدرة الفرد على الحفاظ على تركيز انتباهه والبقاء في حالة تأهب للمثيرات على مدى فترات طويلة من الزمن، وهو ما يسمى بالانتباه المستمر Sustained Attention ، بحيث يمكن لجميع المثيرات أن تصبح مع الفرد في حالة نشطة، وتقل هذه الحالة كلما قام الفرد بانتقاء إحدى المثيرات، مما يدفع الفرد أن يقلل من حالة التيقظ حتى يسمح له بالتركيز والتوجه نحو المثير المستهدف.المكون الثالث: الضبط التنفيذي Executive Control، هي العملية التي تساعد الفرد بأن يحتفظ بحالة التوجه نحو الهدف في ظل حدوث توقف أو الانشغال بأهداف أخرى أو جديدة، دون أن يؤثر ذلك باستمرار حالة التوجه السابقة نحو الهدف، ويتعرض الضبط التنفيذي لانخفاض مستوى الكفاءة عندما تظهر بشكل متزامن مثيرات قوية وشديدة الدقة تجعل من الصعب على الفرد أن يستمر بنفس الكفاءة محتفظاً بحالة

التوجه نحو الهدف السابق.

وبشكل عام ؛تعتبر وظيفة ضبط مشتتات الانتباه Attention Control إحدى وظائف مكون الضبط التنفيذي ، وبالتالي فهو يشير إلى قدرة الفرد على تركيز الانتباه على مهمة معينة، ومراقبة وتنظيم المشتتات الخارجية والداخلية، والعمل نحو الهدف المنشود أو النتيجة (Reinholdt-Dunneet et al. 2013)[11] .وبشكل عام، يفرق العلماء المختصين بين ضبط مشتتات الانتباه وبعض المصطلحات المتعلقة بالانتباه مثل : تشتت الانتباه Distraction Of Attention ، ونقص الانتباه Inattention، وقصور الانتباه الانتقائي Selective Attention Deficits، وثبات الانتباه Perseveration ، فتشتت الانتباه هو اتجاه الفرد إلى كل المثيرات الجديدة ،وعدم القدرة على التركيز على مثير معين، بينما نقص الانتباه هو عدم استطاعة الفرد تركيز انتباهه سوى لفترات محدودة من الوقت، أي يقل مدى الانتباه لديه، أما قصور الانتباه الانتقائي فهو فشل الفرد في اختيار أو انتقاء مثير معين يتفق مع ما يفرضه الموقف السلوكي الذي يوجد فيه، والفشل في تركيز الانتباه تجاه المثيرات المهمة، بينما يُعرف ثبات الانتباه بأنه استمرار نشاط الانتباه لمدة طويلة بعد انتهاء الهدف من القيام به وبعد أن تكون الاستجابة قد فقدت ملاءمتها للموقف (يوسف، 2011)[8].

وفي ذات السياق، يختلف ضبط مشتتات الانتباه عن اضطراب تشتت الانتباه المصحوب بفرط الحركة (ADHD)، فالمقصود باضطراب تشتت الانتباه المصحوب بفرط الحركة هو اضطراب نمائي يسبب عدم القدرة على الانتباه، إضافة إلى الاندفاعية والنشاط الزائد، وبالتالي فإن ضبط مشتتات الانتباه يعد نمطاً معرفياً يشير إلى ردود فعل الفرد للمعلومات المتناقضة ، أي الدرجة التي يوجه بها الفرد انتباهه انتقائياً للمعلومات ذات العلاقة والمرتبطة ببعضها، وضبط الانتباه للمعلومات التي ليس لها العلاقة بالموضوع الذي يحتوي على هذا العدد من المعلومات (النجار، 2014)[43] .

ويظهر من خلال مراجعة الباحثين الحاليين لبعض البحوث التي تناولت متغيري ضبط مشتتات الانتباه والتحصيل الدراسي إلى وجود اتفاق نسبي في نتائجها، فعلى سبيل المثال أشارت نتائج بحث كل من (Darcy et al. 2014)[44](Hallowell, 2014)[45]، (Wass، Scerif and Johnson ،2012)[12]

(Rose et al.2011)[13] (Yoshida et al.2009)[46]

إلى أن متغير ضبط مشتتات الانتباه يرتبط بالتحصيل الدراسي في العديد من المقررات الدراسية كالرياضيات، والقراءة، والكتابة، وتعلم اللغة.

ثانياً : السرعة الإدراكية Speed Perception

اهتم علماء النفس المعرفي بعملية الإدراك كونها وسيلة لتكيف الفرد مع العالم الخارجي إذ تسهم في تفسير وإعطاء معانٍ للمحسوسات حتى تصبح مدركات Percepts، ويمكن الاستجابة لها بطريقة انتقائية مناسبة بحسب اهتمامات الفرد وخبراته السابقة، إضافة إلى أنها عملية تتوسط العمليات الحسية والسلوك، ويمكن الاستدلال عليها من خلال الاستجابات الصادرة عن الفرد.وبوجهٍ عام، فإن وظيفة الإدراك ليست أحادية البعد بل هي مركبة من مجموعة من العمليات، وهي وظيفة معرفية نشطة تعي وتفهم وتنظم وتستخرج المعاني والدلالات (يوسف، 2011)[8].

ونتيجة لتراكم الأبحاث حول عملية الإدراك يشير (الزغول والزغول 2014)[47] إلى تميز هذه العملية بخصائص من أبرزها: أنها تعتمد على المعرفة والخبرات السابقة، كما أنها تعد بمثابة عملية استدلال Inferential Process تدفع النظام الإدراكي إلى استخدام المتوفر من المعلومات لعمل الاستدلالات لإدراكها، إضافة إلى أنها عملية تصنيفية Categorical تساعد على تجميع الإحساسات المختلفة في فئة ما تبعاً لخصائصها المشتركة ليسهل

إدراكها لاحقاً، وتعد كذلك عملية تلقائية Automatic تتم على نحو لا شعوري ولكن نتائجها دائماً شعورية، وتكيفية Adaptive تمكّن النظام الإدراكي من التركيز على بعض الخصائص الهامة لمعالجة الموقف بشكل سريع.

ويشير (الكبيسي والخطيب 2015)[48] إلى وجود أربعة عوامل إدراكية حسية بصرية تساعد على إتمام عملية الإدراك البصري، وهي كالآتي:

1. الانتقاء الإدراكي البصري Perception Selective، ويعني التمييز بين المتغيرات التي تظهر أولاً والتي تظهر أخيراً عند النظر للأشكال.

2. المرونة الإدراكية البصرية Perceptual flexibility ، ويعني التمييز بين الأحجام المتشابهة والأحجام المختلفة، كذلك القدرة على إدراك التشابه بين الاتجاهات والأوضاع التي تحتلها الأشكال والأجسام.

3. الدقة والسرعة الإدراكية البصرية Accuracy and Speed Perception ، وتعني القدرة والسرعة في تمييز الأحجام والأشكال والألوان والاتجاهات المختلفة.

4. التركيب الإدراكي البصري، وتعني القدرة على الوصول إلى استنتاجات من معلومات بصرية جزئية. ومن جهة أخرى، يشير (أحمد وبدر 2001)[49] إلى أن عملية الإدراك البصري تتم خلال مرحلتين:

1. البحث البصري Visual Search، ويعني محاولة التحديد الدقيق للمنبه الهدف من بين المنبهات الأخرى التي توجد معه في المجال البصري.

2. التعرف البصري Visual Recognition، ويعني التحديد الدقيق لمثير معين من خلال وجود ملامح معينة أو صفات محددة تميزه عن المنبهات الأخرى التي توجد معه في المجال البصري.

وأشارت أعمال Thurstone التي تناولت دراسة الفروق الفردية للقدرات العقلية الأولية إلى تحديد عدد من العوامل أُطلق عليها اسم القدرات العقلية، ومن هذه القدرات السرعة الإدراكية، التي يرى أنها تمثل التعرف على التفصيلات الدقيقة للأشياء وأوجه الشبه والاختلاف بينها (الكبيسي والخطيب، 2015)[48].

وفي نفس الصدد، أشار (الحربي 2012)[18] إلى أن السرعة الإدراكية من أكثر القدرات الإدراكية تأكيداً في البحوث العاملية نظير تواجدها في جميع القدرات العقلية بمستويات متفاوتة، كما تتميز بنضوجها المبكر فهي أولى القدرات العقلية نضوجاً لدى الفرد، وتعد مؤشراً لنمو المهارات الأكاديمية لدى الطلاب العاديين.

عرف (الشربيني 2011)[16] السرعة الإدراكية بأنها قدرة الفرد على سرعة أداء الأعمال التي تتطلب إدراك الشكل أو النموذج البصري المقدم إليه وتحديد خواصه من بين نماذج أو أشكال مشابهة له تتميز بالخداع البصري. وبشكلٍ عام، تعد السرعة الإدراكية كقدرة عقلية مثلها مثل باقي القدرات العقلية ليست ثابتة لدى جميع الأفراد بل يوجد تفاوتاً واضحاً بين الأفراد في سرعتهم الإدراكية، ولتعدد فوائد هذه القدرة في مجالات عديدة مثل العمل الكتابي والعمل الفني ، فهي تعد أولى القدرات تكويناً إضافة إلى إمكانية تنميتها في مراحل النمو المختلفة من خلال التدريب على بعض الاستراتيجيات التي تساعد على الإدراك الفوري وسرعة اتخاذ القرار (محمد والشحات،2006)[14].

كما يظهر من خلال مراجعة الباحثين الحاليين لما ذكره كل من (رسلان 2010)[50]؛ (الكبيسي والخطيب، 2015)[48] أن السرعة الإدراكية مرتبطة بعملية الإدراك البصري التي تتم خلال مرحلتين:

1. البحث البصري Visual Search، وتعني محاولة التحديد الدقيق للمنبه الهدف من بين منبهات أخرى توجد معه في المجال البصري وتتشابه معه في بعض الخصائص من خلال حركة العين ذهاباً وإياباً لتكوين مفهوم

متكامل (جشطالتي) للموقف البصري.

2. التعرف البصري Visual Recognition، ويعني التحديد الدقيق لمثير معين من خلال وجود ملامح معينة أو صفات محددة تميزه عن المنبهات الأخرى التي توجد معه في المجال البصري.

ويظهر من خلال مراجعة الباحثين الحاليين لبعض البحوث التي تناولت متغيري السرعة الإدراكية والتحصيل الدراسي وجود اتفاق نسبي بينها، فقد أشارت دراسة كل من (Germanol et al. 2013)[51] (الشربيني ،2011)[16] إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الأطفال ذوي صعوبات التعلم وذوي اضطراب فرط الحركة مقارنة مع الأطفال العاديين على اختبار السرعة الإدراكية لصالح الطلاب العاديين، في حين تشير دراسة كل (Baluoti et al.2012)[54]؛ (Kosnin& Daud,2012)[53] (Dhingra, Manhas and Kohli,2010)[52] إلى علاقة السرعة الإدراكية بالأداء الأكاديمي العام وخاصة في مادة الرياضيات وصعوبات القراءة.

ثالثاً : الأسلوب المعرفي الاعتماد/الاستقلال عن المجال الإدراكي

Field dependence / independence Cognitive Style:

نتيجة لتراكم البحوث النفسية في مجال الفروق الفردية والتمايز النفسي برز مفهوم الأساليب المعرفية، حيث أظهرت الدراسات وجود فروق بين الأفراد في طريقة تناول المعلومات ومعالجتها ، وأن مثل هذه الفروق ترتبط بجوانب الشخصية إلى حد ما (الزغول والزغول ، 2014)[47]، إضافة إلى دور نظرية الجشطالت التي تنظر إلى إدراك المثيرات بطريقة كلية، وطريقة الأفراد المفضلة في التكيف مع المثيرات البيئية، والصور الذهنية المفضلة لديهم خلال عمليات معالجة المعلومات، والتقدم في دراسة مكونات الشخصية والتوجه نحو ارتباطها بعملية التعلم الذي ساعد على تطور مفهوم الأساليب المعرفية (العتوم، 2014)[55]. وعليه يعرف التميمي (2014)[56] الأسلوب المعرفي الاعتماد/الاستقلال عن المجال الإدراكي بأنه الفروق الفردية الموجودة بين الأفراد في طريقة تفاعلهم مع الخبرات وأجزاء المواقف المحيطة بهم.

ويعد الأسلوب المعرفي الاعتماد/الاستقلال عن المجال الإدراكي من أهم الأساليب المعرفية التي دُرست بدءاً من أبحاث Witkin وزملائه حتى الآن ، والتي نتج عنها أن الأسلوب المعرفي الاعتماد/الاستقلال عن المجال الإدراكي يعتبر سمة نفسية خاصة بالمجال الإدراكي تشير إلى الطريقة التي يدرك بها الفرد الموقف أو الموضوع وما يتصل به من تفاصيل، ويصنف الأفراد على هذه السمة على النحو الآتي:

1. استقلاليون Independence، وهم الأفراد الذين يدركون أجزاء المجال في صورة منفصلة أو مستقلة عن الأرضية المنظمة لهذا المجال ،ويستطيعون تحليل وتمييز مكونات المثير المركب أو المعقد، ويسمى هؤلاء الأفراد بذوي النمط التحليلي Analytical.

2. اعتماديون Dependence، وهم الأفراد الذين يخططون في إدراكهم للتنظيم الشامل (الكلي) للمجال، أما أجزاؤه فيكون إدراكهم لها مبهماً ،كما يستجيبون أيضاً للمثير المركب ككل ،ويسمى هؤلاء الأفراد بذوي النمط الكلي Global (العتوم ، 2014)[55].

ويظهر من خلال مراجعة الباحثين الحاليين لما ذكره كل من (العتوم ،2014)[55]؛ (المعافى،2012)[57]؛ (Sealetsa & Moalosi,2012)[58] تحديد بعض خصائص الأفراد المستقلين والأفراد المعتمدين على المجال الإدراكي: فالأفراد المستقلين عن المجال الإدراكي يدركون عناصر الموقف بطريقة تحليلية، كما يدركون أجزاؤه كعناصر منفصلة ومستقلة عن بعضها البعض، يستخدمون عمليات وسيطة أثناء تجهيز المعلومات مثل التحليل والتركيب، كما يستخدمون استراتيجيات أكثر فعالية لتجهيز المعلومات، ويتميزون بالقدرة على حل

المشكلات من خلال تحليل الموقف وإعادة بنائه وتنظيمه، ويميلون إلى أن يكونوا أكثر كفاءة في استرداد العناصر من الذاكرة، كما يميلون للمواد العلمية ، ويفضلون الأعمال التي تتطلب مهارات تحليلية، ويتصفون بعدم الاكتراث بالعلاقات الإنسانية، ويشيرون للآخرين أكثر مما يشيرون لأنفسهم بالكلام، ويتميزون بطموح عالي، في حين يتميز الأفراد المعتمدين على المجال الإدراكي بإدراك عناصر المجال بطريقة كلية شاملة تعتمد على تنظيم المجال، ولا يستخدمون عمليات وسيطة أثناء تجهيز المعلومات مثل التحليل والتركيب، و يدركون أجزاء المجال بصورة ذاتية لتكوين انطباعات كلية، ويجدون صعوبة في استرجاع المعلومات من الذاكرة طويلة المدى، ويميلون للمواد الاجتماعية والتعقيد يشعرهم بالقلق، و لا يفضلون الأعمال التي تتطلب مهارات تحليلية، ويكترثون للعلاقات الإنسانية والحاجة لتأييد الآخرين أكثر من المستقلين، و يستخدمون ضمائر المتكلم وصيغ المبني للمعلوم أكثر عند الحديث، وطموحهم معتدل.

ويظهر من خلال مراجعة الباحثين الحاليين لبعض الدراسات والبحوث التي تناولت الأسلوب المعرفي الاعتماد / الاستقلال عن المجال الإدراكي والتحصيل الدراسي تبين له وجود أتفاق في نتائجها حيث أشارت دراسة كلاً من (المزيرعي ،2010)[59]؛(الشامي ،2012)[6]؛(أحمد، 2013)[20]؛(عباس ، 2011)[61]؛(عباس، 2012)[62] (Tinajero et al, 2012)[21]، (Talatu,2014)[63]، (Ahmadzade and Shojae, 2013)[22] (Arisi,2011)[64]،(Okoronka and wada ,2014)[65] (Adegoke، 2011)[66] (Khodadady,2012)[67] (Ramlah and Jantan،2014)[68]، (Fatemi et al.2014)[69] إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً بين الأسلوب المعرفي الاعتماد / الاستقلال عن المجال الإدراكي والتحصيل الدراسي

رابعاً : سعة الذاكرة العاملة Working Memory Capacity

قدم كل من Baddeley & Hitch عام (1974) مصطلح الذاكرة العاملة كبديل لمفهوم الذاكرة قصيرة المدى Short-Term Memory، والذي يفترض أن دورها لا يقتصر على تخزين المعلومات فقط كما هو الحال في الذاكرة قصيرة المدى، بل يتسع ليشمل معالجة المعلومات بالإضافة إلى تخزينها (أبو الديار، 2015)[70]، حيث عرف (Redick,2014)[71]الذاكرة العاملة بأنها نظام معرفي فرضي مسئول عن توفير وتجهيز المعلومات المطلوبة للعمليات المعرفية المعقدة والحفاظ عليها في حالة نشطة.

ومن خلال مراجعة الباحثين الحاليين لما ذكره كل من (العتوم، 2014)[55]؛ (يوسف، 2011)[8] (عامر، 2011)[72] (سليمان، 2010)[73] تبين أن الذاكرة العاملة تمتاز بعدد من الخصائص يمكن تلخيصها في الآتي:

1. أنها تعتبر مركز الوعي لدى الإنسان، فهي توفر كل الأفكار والمعلومات والخبرات التي مرت بالفرد في إي وقت من الأوقات.
2. لها القدرة على تخزين أنواع مختلفة من المعلومات بأنماط إدراكية: لفظية أو بصرية أو بصرية مكانية وليس تخيلات.
3. أن مدة الاحتفاظ فيها بالمعلومات محدودة، حيث تبقى المعلومات لفترة (15-18) ثانية تصل في بعض الأحيان إلى (30) ثانية ما لم يتم تكرارها أو معالجتها.
4. أن الطاقة التخزينية لها محدودة وتقدر بحوالي (5-9) وحدات معرفية.
5. أن وظيفتها تتعدى عمليتي التخزين والمعالجة إلى القيام بالعديد من العمليات المعرفية الأخرى مثل حل المشكلات والاستيعاب واتخاذ القرار والفهم القرائي، و مهام التفكير المركب كالاستدلال وحل المشكلات.

6. محتواها دائماً معلومات نشطة، وبالتالي فهي تتطلب الانتباه الشديد أثناء أداء المهمة، حيث أن حدوث أي مشتتات للانتباه خلال معالجة المعلومات في الذاكرة العاملة يؤدي إلى إضعاف احتمالية معالجتها وتخزينها في الذاكرة طويلة المدى وبالتالي يضعف احتمالية تذكرها لاحقاً.

7. تختلف سعتها من مهمة لأخرى حسب سهولة أو صعوبة المهام، ومن فرد لآخر، حيث تقل سعتها بزيادة عبء الذاكرة، كما ترتبط سعتها بزيادة القدرة اللفظية والخبرة اللغوية، وتزداد بزيادة العمر، كما أن تطورها يرجع إلى زيادة قدرة الفرد على إعادة تنشيط آثار التذكر المتلاشي بتركيز الانتباه.

ومن جهة أخرى، يشير كل من (آدم، 2010)[74]؛ (يوسف، 2011)[8] أن عملية التمثيل داخل الذاكرة العاملة تمر بثلاث مراحل:

1. مرحلة الترميز Encoding، وهي العملية التي تحول فيها المدخلات الحسية إلى رموز أو صور يسهل الاحتفاظ بها في الذاكرة.

2. مرحلة التخزين Storage، وتشير إلى الطريقة التي تمثل بها المعلومات في النظامين الخاصين بالذاكرة العاملة (اللفظية، والبصرية–المكانية)، وتكون سعة التخزين في الذاكرة العاملة محدودة جداً تصل ما بين (5–9) وحدات، وعادةً ما يُستدل على عملية تخزين المعلومات في الذاكرة العاملة من خلال معرفة ما يمارسه الفرد من استدعاء Recall خلال عملية الاسترجاع.

3. مرحلة الاسترجاع Retrieval، وتشير إلى إمكانية استعادة الفرد للمعلومات التي سبق أن احتفظ بها في الذاكرة، حيث يتوقف استرجاع تلك المعلومات على مستوى علاقتها بإلماعات Cues الاسترجاع، وتتأثر عملية الاسترجاع بعمليتين، أولهما: عملية التسميع Rehearsal أو التكرار، وتهدف إلى الاحتفاظ بالمعلومات في الذاكرة العاملة لفترة تصل إلى (30) ثانية، أو نقل المعلومات إلى الذاكرة طويلة المدى، وثانيهما: عملية التجميع Chunking، وهي استراتيجية تنظيمية تؤدي إلى زيادة مقدار المعلومات المخزنة في الذاكرة العاملة من خلال تكوين وحدات كبيرة الحجم من المعلومات ليصل مدى الذاكرة إلى حده الأقصى (9) وحدات.

هذا، ويظهر من خلال مراجعة الباحثين الحاليين لما ذكره كل من (يوسف، 2011)[8]؛ (عبدالفتاح، 2013)[1]، (أبو الديار، 2015)[70] أن نموذج بادلي Baddeley المطور في عام (2000) يعد من أحدث النماذج وأكثرها شيوعا في وصف الذاكرة العاملة ومكوناتها، حيث حظي بقبول الكثير من العلماء واتفاقهم، والذي يفترض أن الذاكرة العاملة تحتوي على أربعة مكونات تعمل معاً في تكامل واتساق، وهذه المكونات هي كالآتي:

1. المكون اللفظي Phonological Loop، وهو المكون المسئول عن القيام بمجموعة العمليات اللازمة لحفظ المعلومات اللفظية والمنتجة للحديث الباطني الذي يدور بداخل الفرد في صورة آثار ذاكرة وتخزينها واسترجاعها، سواءً كان ذلك الحفظ مؤقتاً في الذاكرة العاملة، أو بشكل ثابت في الذاكرة طويلة المدى.

2. المكون البصري /المكاني Visio–Spatial Sketch Pad، وهو المسئول عن التخزين المؤقت للصور، والأماكن ، والوجوه، ومعالجتها، ويتكون من مكونين فرعيين هما:

أ . المخزن البصري Visual Store، وهو مخزن غير نشط ومؤقت للمعلومات والخصائص البصرية المكانية للمثيرات.

ب. آلية التسميع المكاني Spatial Rehearsal ، وهو محرك داخلي نشط، يتمثل في عملية إعادة تنشيط المعلومات البصرية في الذاكرة العاملة، إضافة إلى تخزين المعلومات بشأن السلاسل الحركية.

3. المنفذ المركزي Central Executive، ويطلق عليه الضبط التنفيذي المركزي، ويعرفه بادلي بأنه ذلك المكون محدود السعة المسئول عن الضبط الانتباهي من خلال تركيز أو توزيع أو تبديل الانتباه، ويخضع

لسيطرته كل من المكونين التابعين اللفظي والبصري/المكاني، ومكون مصد الأحداث، ويتميز مكون المنفذ المركزي بالقدرة على تحقيق التكامل بين مكوني التكرار اللفظي واللوحة البصرية/المكانية وربطهما مع المعلومات المستمدة من الذاكرة طويلة المدى، ويعتبر مسئولاً عن اتخاذ القرارات بشأن كيفية استخدام المكونين السابقين.

4. مصد الأحداث Episodic Buffer، ويُطلق عليه الجسر المرحلي، وهو مخزن مؤقت محدود السعة يعمل على دمج المعلومات الصادرة عن المكونين التابعين مع مثيلاتها الصادرة من الذاكرة طويلة المدى ، حيث يخضع مصد الأحداث لسيطرة المنفذ المركزي القادر على استعادة المعلومات منه في حالة شعورية ، ومراجعة تلك المعلومات وتحديثها كلما لزم الأمر.

ومن جهة أخرى، يعتمد قياس الذاكرة العاملة على كل من سعة التخزين والتجهيز معاً، حيث تقاس السعة بقدرة الفرد على الاحتفاظ والاستدعاء لأكبر عدد من الكلمات أو الأعداد أو الأرقام أو الصور البصرية المكانية، وتقاس كفاءة التجهيز من خلال إجابة الفرد لسؤال فهم بسيط يتعلق بالمعلومات المحتفظ بها، كما يجب أن يُراعى زيادة عبء الذاكرة العاملة من مهمة لأخرى أي زيادة صعوبة المهمة، وذلك بهدف زيادة شغل حيز سعة التخزين من مهمة لأخرى والتي بدورها تؤثر على التجهيز (عامر، 2011)[72]. ويرى بعض العلماء أن قياس سعة الذاكرة العاملة لا بد أن يعتمد على وظيفتها في التخزين فقط، وذلك من خلال استرجاع المفحوص لقائمة من الكلمات أو الأرقام التي تعرض عليه أو يسمعها، بينما يرى البعض الآخر ضرورة الاعتماد على وظيفتي التخزين والتجهيز معاً(العدل، 2015)[38] .

ويتبين من خلال مراجعة الباحثين الحاليين لبعض البحوث التي تناولت متغيري سعة الذاكرة العاملة والتحصيل الدراسي وجود تباين في نتائجها، حيث أشارت دراسة كل من (Gropper& Tannock,2009)[75] (Smedt et al. 2009)[76] إلى وجود علاقة ارتباطية قوية بين الذاكرة العاملة والتحصيل الدراسي، بينما أشارت نتائج دراسة كل من (Nalliah,2012)[77]،(Ishak et al.2011)[78] إلى عدم وجود علاقة ارتباطية بين سعة الذاكرة العاملة والتحصيل الدراسي، في حين أشارت دراسة Abraham George and Kunnath (2016،) إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين سعة الذاكرة العاملة والتحصيل الدراسي، إضافة إلى وجود فروق بين مرتفعي ومنخفضي التحصيل الدراسي في سعة الذاكرة العاملة.

خامساً : استراتيجية تجهيز المعلومات Information Processing Strategies

يعتبر اتجاه تجهيز المعلومات أحد الاتجاهات الهامة التي تلقى قبولاً من قبل العديد من علماء النفس المعرفي المعاصرين، وقد وصف (المحمدي، 2010)[79] مفهوم تجهيز المعلومات بأنه مكون فرضي يصف مجموعة من العمليات الإجرائية المتتابعة التي تمثل متصل من النشاط المعرفي الذي يتعلق بتكوين وتناول معلومات منتقاه من قبل الفرد وتؤثر فيها بوصفها معطيات أو مُدخلات معلوماتية مشتقة من المثيرات.ونتيجة لتطور البحوث وظهور نماذج عديدة لتجهيز ومعالجة المعلومات؛ أصبحت المشكلة الرئيسة في أبحاث تجهيز المعلومات بصفة عامة هي استراتيجية التجهيز المتتالي Serial أو المتعاقب ، أو المتتابع Successive ، واستراتيجية التجهيز المتوازي Parallel أو المتآني أو المتزامن Simultaneous (إبراهيم، 2011)[80] .

عرف (يوسف ،2011)[8] استراتيجية تجهيز المعلومات المتتابعة بأنها قدرة الفرد على إدراك المثيرات بشكل تسلسلي بحيث لا يمكن عمل مسح شامل لهذه المثيرات في آن واحد أثناء تجهيز المعلومات بل خطوة بخطوة، لذا تحتاج إلى وقت أطول من التجهيز المتآني للمعلومات، في حين تقوم استراتيجية التجهيز المتآني للمعلوماتStrategy of Simultaneous processing information على مسح شامل لكل المعلومات الموجودة في الموقف في آنٍ واحد. ويعرف Aschraft استراتيجية التجهيز المتآني بأنها قدرة الفرد على معالجة

مجموعة من المثيرات بشكل كلي في وقت متزامن (الزغول والزغول، 2014)[47].

ويشير (إبراهيم 2011)[80] إلى أن استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات تتطلب من الفرد تركيز النظر في كل ما يدخل مجال الإدراك من مثيرات لتتم معالجتها في آنٍ واحد، بينما تتطلب استراتيجية التجهيز المتتابع فترة زمنية أطول في معالجة المنبهات الواردة؛ وذلك بسبب تناولها بطريقة متتابعة.

ومن خلال مراجعة الباحثين الحاليين لبعض الدراسات التي تناولت استراتيجية التجهيز المتتابع والمتآني للمعلومات والتحصيل الدراسي تبين وجود اتفاق في نتائجها ، حيث أشارت دراسة كل من (Das et al2008)[81] (Filičková,2014)[29] (James1995)[83] (Ismail and Keat;2011)[30] (Joseph; et al2003)[82]، (الصافي ،2000)[84] إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً بين استراتيجية التجهيز (المتتابع/المتآني) للمعلومات والتحصيل الدراسي .

سادساً: القدرة على حل المشكلات Problem Solving Ability

حظي موضوع القدرة على حل المشكلات باهتمام علمي ملحوظ من قبل العديد من العلماء والباحثين ، خاصةً مع تبلور النظرية المعرفية على يد مجموعة من العلماء المشهورين أمثال بياجيه Beige، وبرونر Bruner، وترجع أهمية دراسة حل المشكلات لأسباب منها: أن حل المشكلات يُكسب الفرد المرونة في الأداء، ويرفع كفاءة الأداء العقلي للفرد والذي يقدره تقديراً كبيراً (المحمدي، 2010)[79].

ويعرف (سولسو 2000)[85] مفهوم حل المشكلات بأنه التفكير الموجه نحو حل موقف بعينه مع القيام بنوعين من النشاط العقلي هما التوصل إلى استجابات محددة وصياغتها ثم اختيار الاستجابات الملائمة من بينها لحل هذه المشكلة؛ لذا ميّز زوريلا Zurilla بين القدرة على حل المشكلة وسلوك حل المشكلة ويعني الأول قدرة أو عدم قدرة الشخص على التأثير بالمشكلة أو التوافق مع الحل، بينما الثاني يعني نواتج العملية الأولى أي يستخدم الحل أو حتى يختار من بين عدد من الحلول ، ويجب أن تقاس القدرة على حل المشكلة بحسب معلومات الشخص واعتقاداته واتجاهاته ومهاراته في صياغة الحل، بينما يقاس سلوك حل المشكلة بحسب مستوى التقرير الذاتي أو ملاحظة الشخص أثناء القيام بالحل، وهذا التمييز ذو أهمية؛ لأنه يساعد على تجنب الخلط في القياس بين العملية والناتج في حل المشكلات ،وعادةً تقاس القدرة على حل المشكلات لتحديد القوة والضعف في حل المشكلة وإعداد برامج تدريبية والتقويم التكويني لهذه البرامج' في حين يقاس سلوك حل المشكلة لتقويم صدق نماذج حل المشكلات أو نتائج برامج التدريب الخاصة (العدل، 2015)[38].

ويظهر من خلال مراجعة الباحثين الحاليين لما ذكره كل من (عرايس، 1999)[86]؛ (المحمدي،2010)[79] وجود العديد من النماذج التي تناولت تفسير عملية حل المشكلات وفقاً لاتجاه تجهيز المعلومات، ومنها:

1. نموذج ستيرنبرغ Sternberg عام (1982م)، ويفترض وجود ثلاث مكونات لتجهيز المعلومات عند حل المشكلات، وهي: عمليات ضبط ما وراء المكونات، ومكونات الأداء المنشطة في تنفيذ استراتيجيات حل المشكلات، ومكونات اكتساب المعرفة التي استُخدمت في التعلم عن كيفية حل المشكلات.

2. نموذج اندرسون Anderson عام (1983م)، ويتضمن هذا النموذج ثلاثة مراحل وهي: مرحلة التوضيح : وفيها يقوم الفرد باستقبال المعلومات المشفرة كمجموعة من الحقائق حول مهارة مهنية، ثم مرحلة جمع أو تصنيف المعرفة والتي يتم فيها تحويل المعلومات إلى مجموعة من الإجراءات التي يمكن القيام بها، والمرحلة الإجرائية ويتم فيها تنفيذ الإجراءات السابقة.

3. نموذج بيجلرينو و جولدمان Pellegrino & Goldman في عام (1987م)، ويفترض أن حل المشكلات اللفظية يمر بثلاث مراحل لتجهيز المعلومات وهي: مرحلة التجهيز Processing Stage، ويتم فيها معالجة

اللغة المكتوبة أو المسموعة وتحويلها إلى تمثيلات داخلية تتضمن الفهم، ثم مرحلة الاختيار Selection Stage، ويتم فيها اختيار الإجراءات الكمية التي تتناسب مع التمثيلات الداخلية للمشكلة، وأخيرا مرحلة التنفيذ Implementation Stage والتي يتم فيها تنفيذ عمليات تحويل اللغة إلى تمثيلات داخلية ، واختيار الإجراءات الكمية.

كما يشير (الزيات ،2009)[87] إلى بعض المحددات التي تقوم عليها حل المشكلات البسيطة والمشكلات متعددة الخطوات، ومنها: تقديم أو عرض المشكلةProblem Presentation ، و التلميحات Hints التي تقدم بهدف مساعدة الفرد القائم على حل المشكلة، ومألوفية الحل Solution Familiarity، وحجم المشكلة Problem Size، والاستراتيجيات المستخدمة Strategies مثل استراتيجية العصف الذهني Brainstorming strategy، واستراتيجية تقليل الفروق The Difference-Reduction Method، واستراتيجية تعميم البدائل Generating Possible Alternatives، واستراتيجية التجزئة Fractionation Strategy، وغيرها من الاستراتيجيات التي من خلالها يتعلم الفرد كيف يوظف عملياته المعرفية في التعلم والتذكر والتفكير وحل المشكلات في معالجة الموقف المشكل .

ومن خلال مراجعة الباحثان الحاليان لبعض الدراسات والبحوث التي تناولت القدرة على حل المشكلات والتحصيل الدراسي تبين لهما وجود اتفاق في نتائجها، حيث أشارت دراسة كل من (Stanly2014)[88] (Nizoloman,2013)[35] (Adeyemo and Udeani 2011)[34] ، (Smith andBurton;2013)[89] (علیوة،2011)[90] ؛ (المزيرعي،2010)[59]؛ (التميمي،2010)[91]؛ (أبو المعاطي، 2013)[92]؛ (طلافحة، 2013)[93] إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً بين القدرة على حل المشكلات والتحصيل الدراسي.

منهج البحث : قام الباحثان باستخدام المنهج الوصفي الارتباطي لمناسبته لأهداف البحث.

مجتمع البحث :حصل الباحثان على قوائم النتائج التحصيلية لطلاب (8) مدارس متوسطة بمحافظة جدة بالمملكة العربية السعودية شكلت ما نسبته (5.36%) من مجموع المدارس المتوسطة بجدة ؛ وذلك بهدف فرز الطلاب وفق مستوياتهم التحصيلية (منخفضين-متوسطين-مرتفعين) ،وأسفرت عملية الفرز عن الآتي :

جدول 1 : توزيع أفراد مجتمع البحث حسب متغيري الصف والمستوى الدراسي

متغير	المستوى التحصيلي			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
طلاب الصف الأول المتوسط	277	215	198	690
طلاب الصف الثاني المتوسط	212	257	262	731
طلاب الصف الثالث المتوسط	282	240	276	798
المجموع	494	712	736	1942
النسبة المئوية	%25.43	%36.66	%37.89	

واستناداً على شروط التعيين العشوائي ، قام الباحثان بانتقاء أفراد العينة الفعلية للبحث ،إذ شملت هذه العينة على (750) طالباً ممن يدرسون في المرحلة المتوسطة بمحافظة جدة بواقع (38.61%) من مجموع أفراد عينة الفرز الموضحة في الجدول (1) ، تم اختيارهم بطريقة عشوائية بعد التأكد من سلامتهم النفسية والجسمية وخلوهم من أية أمراض أو صعوبات تعلم قد تؤثر على مجمل نتائج البحث ، وذلك استناداً على ملفات الإرشاد النفسي

والطلابي لهم ،وملاحظات معلميهم، بالإضافة إلى شرط موافقتهم على المشاركة التطوعية ضمن إجراءات البحث.ويوضح الجدول(2) توزيع أفراد عينة البحث حسب متغيري الصف والمستوى الدراسي.

جدول 2: توزيع أفراد العينة الفعلية للبحث حسب متغيري الصف والمستوى الدراسي

متغير	المستوى التحصيلي			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
طلاب الصف الأول المتوسط	95	87	73	255
طلاب الصف الثاني المتوسط	66	92	96	254
طلاب الصف الثالث المتوسط	89	61	91	241
المجموع	250	240	260	750
النسبة المئوية	%33.33	%32.0	%34.66	

أدوات البحث

1. اختبار ضبط مشتتات الانتباه Attention Control Test : **(إعداد الباحثان)**

نظراً لعدم توفر أداة بحثية في البيئة المحلية تعنى بقياس القدرة على تجاهل مشتتات الانتباه، والفصل بين المثيرات المتعلقة وغير المتعلقة بالمثير المراد تعلمه ،قام الباحثان بإعداد هذا الاختبار، وتكون الاختبار في صورته المبدئية من (4) مهام رئيسية ، وكل مهمة تتكون من (5) مهام فرعية ، وكل مهمة فرعية بها مجموعة من الأحرف العربية مصفوفة ومرتبة عشوائياً، ويطلب من المفحوص تحديد حرفاً واحداً دخيلاً في زمن محدد بعدها تم عرض الاختبار في صورته المبدئية على مجموعة مكونة من (7) أساتذة في علم النفس التربوي وعلم النفس المعرفي في كليات التربية والآداب، وفي ضوء رأي المحكمين تم الاحتفاظ بجميع المهام وهي (20) مهمة فرعية موزعة على (4) مهام رئيسية. خصص لها زمن يوزع وفق الآتي:المهمات الأولى والثانية والثالثة يخصص لكل منها 30 ثانية ، في حين يخصص للمهمة الرابعة (57) ثانية نظراً لصعوبة المهمة، ليصبح الزمن الكلي لاختبار ضبط مشتتات الانتباه بعد إضافة (90) ثانية لشرح التعليمات وتطبيق مهمة تدريبية هو (3) دقائق و (57) ثانية .

وتكون درجة المفحوص في الاختبار هي مجموع الأحرف الصحيحة التي يقوم المفحوص باكتشافها بأسرع ما يمكن وكتابتها في المكان المناسب .

صدق الاختبار: قام الباحثان بالتحقق من صدق الاختبار باستخدام طريقة الاتساق الداخلي، حيث تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية مكونة من (120) طالباً في المرحلة المتوسطة، ثم تم حساب معاملات الارتباط بين الأقسام الفرعية الأربعة المكونة لاختبار ضبط مشتتات الانتباه والدرجة الكلية.

جدول 3: يوضح مصفوفة الارتباطات بين المهام الفرعية لاختبار ضبط مشتتات الانتباه والدرجة الكلية

	المهمة الأولى	**المهمة الثانية**	**المهمة الثالثة**	**المهمة**
الدرجة الكلية	* 0.767	* 0.772	* 0.730	*0.677

(*) دالة عند مستوى (0.01)

ثبات الاختبار: قام الباحثان بإيجاد معامل ثبات اختبار ضبط مشتتات الانتباه على عينة مكونة من (120) طالباً في المرحلة المتوسطة، وقد تم حساب معامل ثبات الاختبار باستخدام طريقة ألفا كرونباخ فوجداه يساوي (0.754)؛ مما يدل على تمتع الاختبار بخصائص سيكومترية مناسبة لاستخدامه في الدراسة الحالية.

2. اختبار السرعة الإدراكية Speed Perception Test :

ظهرت الصورة الأولى من الاختبار عام (1963) لكل من فرنش French، واكستروم Ekstrom، وبريس Price، ثم قام كل من الشرقاوي والخضري وعبدالسلام في عام (1993) بتعريب المقياس وإعداده باللغة العربية، و يهدف اختبار السرعة الإدراكية إلى قياس السرعة في إدراك التفاصيل الدقيقة من خلال سرعة فهم النموذج أو الشكل المقدم ، وتحديد حدوده وخواصه من بين نماذج أو أشكال مشابهة له تتميز بالخداع البصري، وإدراك أوجه الشبه والاختلاف بينها، ويتكون الاختبار من ثلاثة أبعاد فرعية هي : شطب الكلمات، ومقارنة الأعداد، والصور المتماثلة، حيث يحتوي بُعد شطب الكلمات على قسمين، وزمن تطبيق كل قسم دقيقتين، وبُعد مقارنة الأعداد على قسمين، وزمن تطبيق كل قسم دقيقة ونصف، وكذلك يحتوي بُعد الصور المتماثلة على قسمين، وزمن تطبيق كل قسم دقيقة ونصف.

وقام الباحثان بحساب الخصائص السيكومترية للاختبار كما يلي :

صدق الاختبار: قام الباحثان بالتحقق من صدق الاختبار باستخدام طريقة الاتساق الداخلي حيث تم تطبيق الاختبار على عينة مكونة من (143) طالباً، ثم قام الباحثان بحساب معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية الثلاثة المكونة لاختبار السرعة الإدراكية والدرجة الكلية.

جدول 4 : يوضح مصفوفة الارتباطات بين الأبعاد الفرعية المكونة لاختبار السرعة الإدراكية والدرجة الكلية

البُعد	شطب الكلمات	مقارنة الأعداد	الصور المتماثلة	الأبعاد الكلية للاختبار
شطب الكلمات	–	*0.497	*0.421	*0.552
مقارنة الأعداد	–	–	*0.466	*0.774
الصور المتماثلة	–	–	–	0.719

(*) دالة عند مستوى (0.01)

ثبات الاختبار: قام الباحثان بإيجاد معامل ثبات اختبار السرعة الإدراكية على عينة مكونة من (143) طالباً في المرحلة المتوسطة، وقد تم حساب معامل ثبات الاختبار باستخدام طريقة ألفا كرونباخ فوجداه يساوي (0.648)؛ مما يدل على تمتع الاختبار بخصائص سيكومترية مناسبة لاستخدامه في الدراسة الحالية.

3. اختبار سعة الذاكرة العاملة Working Memory Capacity Test : (إعداد الباحثان)

نظراً لعدم توفر أداة بحثية في البيئة المحلية تعنى بقياس عدد الوحدات المعرفية التي يستطيع الطالب تشفيرها، واستدعائها، قام الباحثان بإعداد هذا الاختبار الذي تكون في صورته المبدئية من (14) مهمة اختبارية موزعة بالتساوي على اختباري تجهيز الكلمات وتجهيز الأرقام، فالمهمة الأولى من اختبار تجهيز الكلمات تتكون من أربع مفردات (كلمات) لا يوجد بينهما ارتباط ، والمهمة الثانية تتكون من خمسة مفردات لا يوجد بينها ارتباط أيضاً، وتزداد مفردات الوحدات تدريجياً حتى تصل إلى المهمة السابعة التي تتكون من (10) مفردات، وبنفس الطريقة في اختبار تجهيز الأعداد، تتكون المهمة الأولى من أربع مفردات (أعداد) لا يوجد بينهما ارتباط، وتزداد مفردات الأعداد تدريجياً حتى تصل إلى المهمة السابعة التي تتكون من (10) مفردات، بعدها تم عرض الاختبار في صورته المبدئية على مجموعة مكونة من (7) أساتذة في علم النفس التربوي وعلم النفس المعرفي في كليات التربية والآداب، وفي ضوء رأي المحكمين تم إعادة صياغة مفردتين من مفردات تجهيز الكلمات لتناسب المرحلة العمرية لعينة البحث مع الاحتفاظ بجميع المهام بعد الاتفاق عليها من قبل المحكمين.

وخصص لاختبار تجهيز الكلمات للاختبار زمن يوزع وفق الآتي:

(7 مهام × 7 ثوان للعرض) + (7 مهام× 8 ثوان للاستدعاء) أي بمجموع (105) ثوان، وهو ما يعادل دقيقة واحدة و(45) ثانية.بينما خصص لاختبار الأعداد (7 مهام× 8 ثوان للعرض) + (7 مهام× 10 ثوان للاستدعاء) ، أي بمجموع (126) ثانية، وهو ما يعادل دقيقتين و(6) ثوان.ليصبح الزمن الفعلي لتطبيق اختبار سعة الذاكرة العاملة بعد إضافة (90) ثانية لشرح التعليمات وتطبيق مهمة تدريبية على الاختبارين كلٌ على حدة هو (321) ثانية، وهو ما يعادل (5) دقائق و(21) ثانية . ويتم عرض مفردات كل مهمة من مهام تجهيز الكلمات والأعداد الـ (14) بواسطة جهاز العرض فوق الرأس Projector كلٌ على حده وفق المدة الزمنية المحددة. وفيما يختص بتصحيح الاختبار يتم احتساب درجة كل اختبار فرعي من خلال عدد مفردات آخر سلسلة كاملة يستطيع استدعائها استدعاءً كاملاً، حيث تعد (10) درجات هي الدرجة الكلية لكل اختبار فرعي .

صدق الاختبار: قام الباحثان بالتحقق من صدق الاختبار باستخدام طريقة الاتساق الداخلي، حيث تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية مكونة من (115) طالباً في المرحلة المتوسطة، ثم تم حساب معاملات الارتباط بين الأقسام الفرعية الأربعة المكونة لاختبار ضبط مشتتات الانتباه والدرجة الكلية.

جدول 5: يوضح مصفوفة الارتباطات بين المهام الفرعية لاختبار ضبط مشتتات الانتباه والدرجة الكلية

	مهام تجهيز	مهام تجهيز	الدرجة الكلية
مهام تجهيز الإعداد	–	* 0.473	* 0.766
مهام تجهيز الكلمات	–	–	* 0.690

(*) دالة عند مستوى (0.01)

ثبات الاختبار: قام الباحثان بإيجاد معامل ثبات اختبار ضبط مشتتات الانتباه على عينة مكونة من (115) طالباً في المرحلة المتوسطة، وقد تم حساب معامل ثبات الاختبار باستخدام طريقة ألفا كرونباخ فوجداه يساوي (0.724)؛ مما يدل على تمتع الاختبار بخصائص سيكومترية مناسبة لاستخدامه في الدراسة الحالية.

4. اختبار الأشكال المتضمنة (الصور الجمعية) : أعد كل من أولتمان – راسكن – وتكن هذا الاختبار في عام (1971م).وتم تقنينه على البيئة العربية في عام(1989 م) عن طريق الخضري والشرقاوي. وينقسم إلى ثلاث أقسام: القسم الأول : وهو خاص بالتدريب، ولا تحتسب درجته ويتكون من سبع فقرات والغرض منها تدريب المفحوص على كيفية الأداء على هذا الاختبار .القسم الثاني : ويتكون من تسع فقرات متدرجة في صعوبتها .القسم الثالث : يتكون من تسع فقرات متدرجة في صعوبتها .وهي مكافئة للقسم الثاني من الاختبار . وبذلك يكون الاختبار الأصلي من (18) فقرة كما أن كل فقرة من فقرات الاختبار عبارة عن شكل هندسي معقد يتضمن داخله شكلاً هندسياً بسيطاً مخفياً، والزمن المخصص لتطبيق هذا الاختبار بأقسامه الثلاثة هو (12) دقيقة تكون موزعة على النحو الآتي : القسم الأول : التدريب : دقيقتان . القسم الثاني: خمسة دقائق ، القسم الثالث : خمسة دقائق.

صدق الاختبار: قام الباحثان بالتحقق من صدق اختبار الأشكال المتضمنة بطريقة حساب معاملات الارتباط بين درجة كل مفردة وبين الدرجة الكلية على عينة استطلاعية مكونة من (136) طالباً .

جدول 6: يوضح قيم معاملات الارتباط بين درجة كل مفردة في اختبار الأشكال المتضمنة والدرجة الكلية

رقم المفردة	معامل الارتباط	رقم المفردة	معامل الارتباط	رقم المفردة	معامل الارتباط
1	*0.591	7	*0.633	13	*0.537
2	*0.404	8	*0.666	14	*0.694
3	*0.550	9	*0.496	15	*0.615
4	*0.621	10	*0.590	16	*0.637
5	*0.626	11	*0.734	17	*0.617
6	*0.488	12	*0.572	18	*0.523

(*) دالة عند مستوى (0.01)

ثبات الاختبار: قام الباحثان بإيجاد معامل ثبات اختبار الأشكال المتضمنة على عينة مكونة من (136) طالباً ممن يدرسون في المرحلة الثانوية بمحافظة ينبع بطريقة ألفا كرونباخ فتبين أنه (0.887).

وبشكل عام ، تشير الخصائص السيكومترية السابق عرضها إلى تمتع بمؤشرات مقبولة ومطمئنة.

5. اختبار استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات: (إعداد الباحثين)

نظراً لعدم توفر أداة بحثية في البيئة المحلية تعنى بقياس قدرة المفحوص على إيجاد تكامل بين المثيرات المتواجدة أو المتزامنة ، التي تتطلب منه وضعها في مثير واحد أو في مجموعة في ضوء معرفة العلاقات المنطقية عن طريق إدراك النمط الكلي للمثيرات، أو عن طريق اكتشاف العلاقة بين أجزاء المعلومات المتضمنة في المهمة أو في المثير نفسه؛لذا قام الباحثان بإعداد هذا الاختبار الذي تكون في صورته المبدئية من (22) مهمة ، وكل مهمة تتكون من (6) صور لأشكال هندسية تتطلب الفهم من خلال الوصف اللغوي للعلاقات المكانية ، ويطلب من المفحوص أن يختار الوصف اللفظي المناسب لطبيعة الأسئلة المحددة أسفل كل مهمة للعلاقة اللفظية المكانية التي تشتمل عليها الصورة ، ويتم تصحيح الاختبار من خلال حساب عدد الإجابات الصحيحة التي نجح فيها المفحوص خلال (30) ثانية في كل مهمة، ثم تم عرض الاختبار في صورته المبدئية على مجموعة مكونة من (10) أساتذة في علم النفس التربوي وعلم النفس المعرفي في كليات التربية والآداب، ووفقاً لرأيهم تم الاحتفاظ بالمهام التي تم الاتفاق عليها من قبل المحكمين بنسبة 80% حيث بلغ عدد المهام المتفق عليها (18) مهمة تجهيز وتم انتقاء (3) مهام تكون كمهام تدريبية ، و(15) مهمة تكون أساسية لقياس استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات.

هذا ويوزع الزمن الكلي المناسب للإجابة على مهام اختبار استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات وفق الآتي :

1. خصص للمهام التدريبية الثلاث (6) دقائق ، يخصص منها (4.30) دقائق لتقديم شرح لفظي وعمل التهيئة النفسية والمعرفية المناسبة للمفحوصين ،وذلك قبل بدء التطبيق الفعلي ، ويخصص (1.30) دقيقة ونصف للإجابة على المهام الثلاث التدريبية بواقع (30) ثانية لكل مهمة .

2. يخصص للمهام الفعلية الـ(15) زمن كلي مقداره (450 ثانية)=(15مهمة× 30 ثانية =450 ثانية) ، أي(7) دقائق و(30) ثانية . وأقصى درجة يحصل عليها المفحوص (15) درجة على اختبار، وأدنى درجة على هذا الاختبار هي (صفر) ، و تشير الدرجة التي تفوق (8) إلى كفاءة امتلاك المفحوص لاستراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات .

صدق الاختبار: قام الباحثان بالتحقق من صدق الاختبار باستخدام طريقة الاتساق الداخلي حيث تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية مكونة من (156) طالباً، ثم قام الباحثان بحساب معاملات الارتباط بين درجة

كل مهمة تجهيز متتابع للمعلومات مع الدرجة الكلية.

جدول 7: يوضح قيم معاملات الارتباط بين درجة كل مهمة تجهيز متآني للمعلومات مع الدرجة الكلية

رقم المفردة	معامل الارتباط	رقم المفردة	معامل الارتباط	رقم المفردة	معامل الارتباط
1	*0.569	6	*0.671	11	*0.530
2	*0.550	7	*0.565	12	*0.596
3	*0.476	8	*0.375	13	*0.390
4	*0.391	9	*0.393	14	*0.363
5	*0.404	10	*0.550	15	*0.711

(*) دالة عند مستوى (0.01)

ثبات الاختبار : قام الباحثان بحساب معامل ثبات اختبار استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات على عينة مكونة من(156) طالباً ممن يدرسون في المرحلة المتوسطة ، بطريقة ألفا كرونباخ وكان (0.634) حيث كان معززاً لتطبيقه في الدراسة الحالية.

6. اختبار المصفوفات المتتابعة العادية :

يذكر كل من (HarrisonShipstead&Engle2015)[94] أن اختبار المصفوفات المتتابعة العادية Raven's Standard Progressive Matrices (SPM) الذي قام بإعداده John Raven يعد من أشهر الاختبارات المعرفية التي تستخدم في مجال البحوث المعرفية ،خاصة تلك البحوث التي ترتبط بالذاكرة العاملة Working Memory سواءً من حيث بعض عملياتها أو استراتيجياتها ، سيما انه اختبار عبر ثقافي تم تصميمه لقياس الذكاء ، الذي تعد الذاكرة العاملة احد أهم مكوناته . ويظهر من خلال مراجعة الباحث لأدوات دراسة كل من (Harri&waches1988)[95] (Wachs&Harris،1986)[96]، (McCallum &Merritt ؛ 1989)[97] (الصافي ، 2000)[84] أن استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات تعتبر مسئولة عن الدقة في المقارنة، والتمييز، والتماثل، وهي ما تحققه مفردات اختبار المصفوفات المتتابعة العادية ، خاصة تلك المفردات التي تنتمي إلى الأقسام: (أ، ب، ج، د)، التي تعتبر من أفضل أساليب قياس استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات فالاستجابة على مفردات هذا الاختبار تتطلب التسلسل والتوليف بين أجزاء المثيرات في ضوء الإدراك الكلي لها وبالتالي فالمفحوص مطالب بدمج أو وضع الأشكال الهندسية(غير المرتبطة بعلاقات منطقية) داخل سلسلة مرتبة على نحو متوالي ومتعاقب ، وهو ما يعتبر جوهر استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات التي عادة ما تتطلب القوة في أداء التسلسل والتوليف بين أجزاء المثيرات ، إضافة إلى الإدراك الكلي لها . لذلك قام الباحثان بالاستناد على اختبار المصفوفات المتتابعة العادية لقياس استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات.

صدق الاختبار: قام الباحثان بتطبيق الأقسام (أ، ب، ج، د)، من اختبار المصفوفات المتتابعة العادية على عينة استطلاعية تكونت من (192) طالباً ممن يدرسون في المرحلة المتوسطة، والجدول (8) يوضح قيم معاملات الارتباط بين درجة كل قسم مع الدرجة الكلية.

جدول 8: يوضح قيم معاملات الارتباط بين درجة بتطبيق الأقسام (أ، ب، ج، د)
من اختبار المصفوفات المتتابعة العادية مع الدرجة الكلية

القسم	أ	ب	ج	د	الدرجة الكلية
أ	–	*0.622	*0.433	*0.344	*0.791
ب	–	–	*0.480	*0.321	*0.847
ج	–	–	–	*0.431	*0.801
د	–	–	–	–	*0.473

(*) دالة عند مستوى (0.01)

ثبات الاختبار :قام الباحثان بحساب معامل ثبات الأقسام (أ، ب، ج، د) من اختبار المصفوفات المتتابعة العادية من خلال درجات عينة استطلاعية تكونت من (192) طالباً ممن يدرسون في المرحلة المتوسطة، بطريقة ألفا كرونباخ تبين معامل الثبات بلغ (0.762) مما أعطى الاطمئنان في اختياره في الدراسة الحالية.

7. اختبار القدرة على حل المشكلات : (إعداد الباحثان)

نظراً لعدم توفر أداة بحثية في البيئة المحلية تعنى بقياس قدرة طالب المرحلة المتوسطة على استنتاج نتائج من مقدمات للوصول لحقائق مجهولة يُراد اكتشافها عن طريق إدراك وفهم العوامل المتداخلة في المشكلات، قام الباحثان الحاليان بإعداد هذا الاختبار الذي تكون في صورته الأولية من ثلاثة مهام فرعية وهي :

1. اختبار حل المشكلات العامة ويهدف إلى قياس قدرة المفحوص على استنتاج وتحديد مجموعة من الحلول لمشكلات تناول قضايا اجتماعية عامة كتلك التي يقرأها أو يسمعها في وسائل الإعلام ويتكون هذا الاختبار من (10) أسئلة عبارة عن اختيار من متعدد تتناول حلولا لقضايا اجتماعية و وطنية مختلفة

2. اختبار حل مشكلات العلاقات : ويهدف إلى قياس قدرة المفحوص على استنتاج وتحديد العلاقات الرياضية والمنطقية الاستدلالية التي تجمع بين مجموعة من العناصر ويتكون هذا الاختبار من (10) أسئلة عبارة عن اختيار من متعدد .

3. اختبار حل المشكلات الحسابية : ويهدف إلى قياس قدرة المفحوص على استنتاج وتحديد العمليات الحسابية التي يمكن استخدامها فقط لحل المشكلات التي تتناول مسائل حسابية محددة . ويتكون هذا الاختبار الفرعي من (10) أسئلة عبارة عن اختيار من متعدد . ثم تم عرض الاختبار في صورته المبدئية على مجموعة مكونة من (7) أساتذة في علم النفس التربوي وعلم النفس المعرفي في كليات التربية والآداب، وفقاً لرأيهم تم الإبقاء على جميع مفردات الاختبار .

هذا وحدد الزمن الكلي لتطبيق الاختبار بـ(24) دقيقة توزع وفق الآتي: (15) دقيقة لتطبيق المهام الفعلية للاختبارات الفرعية الثلاث بواقع (5) دقائق يضاف لها

3 . دقائق لشرح وتطبيق مهمة تدريبية . و يعطى المفحوص درجة عن كل إجابة صحيحة وفقاً لمفتاح التصحيح ، ويصبح مجموع درجات الاختبار بمهامه الاختبارية (30) درجة ، وكلما زادت درجة المفحوص عن متوسط الاختبار كلما دل ذلك على قدرته على حل المشكلات .

صدق الاختبار : قام الباحثان الحاليان بتطبيق اختبار القدرة على حل المشكلات على عينة استطلاعية تكونت من (173) طالباً في المرحلة المتوسطة، ثم قاما بحساب معاملات الارتباط بين درجة كل اختبارات فرعي مع الدرجة الكلية للاختبار .

جدول9: يوضح مصفوفة الارتباطات بين الأبعاد الفرعية الثلاثة لاختبار المشكلات مع الدرجة الكلية

الاختبار	حل المشكلات العامة	حل مشكلات العلاقات	حل المشكلات الحسابية	المجموع الكلي لأبعاد الاختبار
حل المشكلات العامة	–	*0.338	*0.394	*0.758
حل مشكلات العلاقات	–	–	*0.459	*0.797
حل المشكلات الحسابية	–	–	–	*0.664

(*) دالة عند مستوى (0.01)

ثبات الاختبار : قام الباحثان بحساب معامل ثبات اختبار القدرة على حل المشكلات لعينة مكونة من(173) طالباً ممن يدرسون في المرحلة المتوسطة، بطريقة ألفا كرونباخ يساوي (0.689) مما يطمئن في سلامة استخدامه في الدراسة الحالية .

نتائج البحث ومناقشتها

نص تساؤل البحث الحالي على: هل تختلف كل من : القدرة على ضبط مشتتات الانتباه ، و السرعة الإدراكية، والأسلوب المعرفي الاعتماد/ الاستقلال عن المجال الإدراكي، وسعة الذاكرة العاملة، وإستراتيجيتي التجهيز المتآني والمتتابع ، والقدرة على حل المشكلات باختلاف مستوى التحصيل الدراسي (منخفض –متوسط – مرتفع) لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمحافظة جدة ؟. وللإجابة على هذا السؤال تم استخدام تحليل التباين الأحادي One-Way ANOVA .

جدول 10: تحليل التباين لمعرفة دلالة الفروق بين متفاوتي التحصيل على متغيرات البحث

المتغيرات	مصدر التباين	مجموع المربعات	د0ح	متوسط مجموع المربعات	ف	الدلالة
استراتيجية التجهيز المتآني	بين المجموعات	5817.621	2	2908.810	218.33	0.01
	داخل المجموعات	993.846	747	1.330		
	المجموع	6811.467	749			
استراتيجية التجهيز المتتابع	بين المجموعات	4541.735	2	2270.867	137.73	0.01
	داخل المجموعات	1229.465	747	1.646		
	المجموع	5771.200	749			
القدرة على حل المشكلات	بين المجموعات	3854.954	2	1927.477	101.37	0.01
	داخل المجموعات	1413.846	747	1.893		
	المجموع	5268.800	749			
السرعة الإدراكية	بين المجموعات	401051.595	2	200525.797	476.51	0.01
	داخل المجموعات	31406.272	747	42.043		
	المجموع	432457.867	749			

الأسلوب المعرفي	بين المجموعات	4674.099	2	2337.049	238.09	0.01
	داخل المجموعات	732.568	747	0.981		
	المجموع	5406.667	749			
سعة الذاكرة العاملة	بين المجموعات	818.022	2	409.011	448.35	0.01
	داخل المجموعات	681.445	747	0.912		
	المجموع	1499.467	749			
ضبط مشتتات الانتباه	بين المجموعات	2854.863	2	1427.431	249.14	0.01
	داخل المجموعات	427.004	747	0.572		
	المجموع	3281.867	749			

يتبين من الجدول (10) وجود فرق دال إحصائيا عند مستوى (0.01) بين متفاوتي التحصيل الدراسي من طلاب المرحلة المتوسطة في كل من: القدرة على ضبط مشتتات الانتباه ، و السرعة الإدراكية، والأسلوب المعرفي الاعتماد/ الاستقلال عن المجال الإدراكي، وسعة الذاكرة العاملة، واستراتيجيتي التجهيز المتآني والمتتابع للمعلومات ، والقدرة على حل المشكلات.

جدول 11: المقارنات البعدية بطريقة شيفيه Scheffe بين متفاوتي التحصيل الدراسي على درجات المتغيرات محل البحث

المتغيرات	المجموعات	العدد	المتوسطات	الانحراف المعياري	فروق المتوسطات ودلالتها	
					المتوسط	المرتفع
استراتيجية التجهيز المتآني	المستوى المنخفض	250	6.40	1.19	*3.6	*6.75
	المستوى المتوسط	240	10.00	0.83	-	*3.15
	المستوى المرتفع	260	13.15	1.40	-	-
استراتيجية التجهيز المتتابع	المستوى المنخفض	250	7.16	1.37	*1.71	*5.80
	المستوى المتوسط	240	8.87	1.07	-	*4.08
	المستوى المرتفع	260	12.96	1.42	-	-
القدرة على حل المشكلات	المستوى المنخفض	250	7.40	1.77	*2.10	*5.44
	المستوى المتوسط	240	9.50	1.14	-	*3.34
	المستوى المرتفع	260	12.84	1.18	-	-
السرعة الإدراكية	المستوى المنخفض	250	75.88	9.51	*45.35	*51.73
	المستوى المتوسط	240	121.41	5.23	-	*6.19
	المستوى المرتفع	260	127.61	3.67	-	-
الأسلوب المعرفي	المستوى المنخفض	250	6.64	1.22	*2.90	*6.05
	المستوى المتوسط	240	9.54	0.97	-	*3.15
	المستوى المرتفع	260	12.50	0.78	-	-

سعة الذاكرة العاملة	المستوى المنخفض	250	3.92	1.46	*1.62	*2.50
	المستوى المتوسط	240	5.54	0.50	–	*0.88
	المستوى المرتفع	260	6.42	0.64	–	–
ضبط مشتتات الانتباه	المستوى المنخفض	250	6.04	0.78	*1.83	*4.69
	المستوى المتوسط	240	7.87	0.89	–	*2.85
	المستوى المرتفع	260	10.73	0.60	–	–

يتضح من الجدول (11) الآتي:

أ .اتجاه الفروق بين متفاوتي التحصيل الدراسي على استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات:

1. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمرتفع على درجات اختبار استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

2. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمتوسط على درجات اختبار استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المتوسط.

3. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع على درجات اختبار استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

وتشير النتائج السابق عرضها في الفقرات (1،2،3) إلى أن تباين المستوى التحصيلي لطالب المرحلة المتوسطة يعكس مدى قدرته على استخدام الطريقة المناسبة في تناول وتجهيز المعلومات المتصلة بالمشكلة أوالمثير المعرفي والتي تقع في مجاله البيئي و المعرفي ، والتي تعتمد على دمج أكبر عدد من المثيرات في لحظة التجهيز في شكل جشطلتي (كلي) تُعد من العوامل المعرفية المفسرة للتباين في التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

ويرى الباحثان أن النتائج السابق عرضها تعكس وبشكل غير مباشر أهمية استراتيجية التجهيز المتآني للمعلومات كطريقة معرفية لدى المتعلم تهدف إلى معالجة المعلومات وتنظيمها وتمثيلها وإعادة صياغتها وتخزينها في داخل البنية المعرفية، وتعمل على إيجاد تكامل بين المثيرات (السمعية– البصرية) المتواجدة أو المتزامنة، التي تتطلب من الفرد المعالج وضعها في مثير واحد أو في مجموعة في ضوء معرفة العلاقات المنطقية عن طريق إدراك النمط الكلي لمثيرات التعلم المتعلقة بالمهمة الدراسية المتوافرة في حجرة الدراسة على نحو يضمن اكتشاف العلاقة بين أجزاء المعلومات المتضمنة في المهمة أو في المثير نفسه الموجود في الموقف المعرفي أو المدرسي بما يسهم وبشكل واضح في اعتبار المستوى التحصيلي مؤشراً لمدى قدرته على الاستيعاب والاستدعاء للمعلومات الدراسية وفق طريقة دمج المعلومات الدراسية بصورة كلية (جشطالتية) سواء في الموقف التعليمي في حجرة الدراسة أومن خلال الكتاب المدرسي، والتي تعد من أهم الأدوات المسهمة في كفاءة عمليات التعلم و التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة .

وبشكل أكثر تحديداً يمكن القول بأن الطلاب مرتفعي التحصيل الدراسي المرتفع لديهم القدرة على التركيز في كل ما يدخل ضمن مدى الإدراك و تركيب العناصر المنفصلة على شكل مجموعات مكانية في المادة التعليمية

أو الموضوع الدراسي الواحد أثناء عملية التعلم ، وهو ما يعزز قدرتهم على صنع شبكة ترابطية من المعاني الدلالية بين أجزاء المفردات أو المحتويات المراد تعلمها في المادة التعليمية أو الموضوع الدراسي الواحد أثناء عملية التعلم ، نتيجة المسح الشامل للمثيرات المدرسية سواء السمعية أم والبصرية ، الأمر الذي من شأنه أن يضمن التقليل من العبء المعرفي على الذاكرة العاملة بعدم تحميلها فوق طاقتها ، مما يتسبب في ارتفاع الأداء الاسترجاعي للمعلومات في الموقف التعليمي ، من خلال تجميع وحدات صغيرة من المعلومات يكون لها معنى في الذاكرة لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

ب. اتجاه الفروق بين متفاوتي التحصيل الدراسي على استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات

يتضح من الجدولين (10، 11) الآتي:

1. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمرتفع على درجات اختبار استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

2. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمتوسط على درجات اختبار استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المتوسط.

3. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع على درجات اختبار استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

تشير النتائج السابق عرضها في الفقرات (1،2،3) إلى أن تباين المستوى التحصيلي لطالب المرحلة المتوسطة يعكس مدى قدرته على استخدام استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات المتصلة بالمثيرات المعرفية أو المدرسية والتي تتمثل في قدرته على دمج أو وضع المثيرات غير المرتبطة بعلاقات منطقية و منتظمة زمنياً أو المدرسية داخل منظومة من المثيرات المعرفية أو المدرسية المتسلسلة والمتعاقبة زمنياً ، كما أن هذا التباين في المستوى التحصيلي لدى طلاب المرحلة المتوسطة قد يعكس بدوره مدى قدرتهم على القيام بمجموعة من الإجراءات المعرفية التي تسهم في إيجاد علاقات زمنية تساعد في تمييز كل مثير عن بقية المثيرات التي تسبق ظهوره زمنياً، وقد يعزى هذا التباين إلى اختلاف أسلوب الإدراك الكلي للمثيرات المتتابعة الذي يعيق بدوره إجراءات المسح البصري الشامل لكل المثيرات في آن واحد؛ وعليه يرى الباحثان أن اختلاف المستوى التحصيلي الدراسي قد يعكس صورة تبادلية مهمة تتمثل في أهمية استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات كطريقة معرفية لدى المتعلم ، فالطلاب ذوو التحصيل المنخفض يصعب عليهم إدراك مثيرات التعلم في صورتها التفصيلية، كما يصعب عليهم تنظيم مثيرات التعلم سواء السمعية أم البصرية والمتعلقة بالمهمة الدراسية المتوافرة في حجرة الدراسة في سلسلة ذات نظام خطي زمني بما يؤدي إلى إعاقة عمليات استدعاء المعلومات من الذاكرة ، وبما يزيد من عدد الأخطاء المرتكبة في إيجاد تلميحات وإلماعات بين العناصر المراد معالجتها وتجهيزها في أنظمة الذاكرة العاملة والتي تعتبر بدورها الجهاز المعرفي المسئول عن عمليات التعلم، وبالتالي ينخفض مستوى التحصيل الدراسي نتيجة الفشل في معالجة المعلومات المدرسية في نظام معرفي متتالي ، في حين الطلاب ذوو المستوى التحصيل المرتفع يسهل عليهم إدراك مثيرات التعلم في صورتها التفصيلية، و تنظيمها مثيرات التعلم مما يقلل من مستويات العبء المعرفي على الذاكرة خاصة في ظل زيادة في الانتباه والوضوح وتوزيع المكونات عبر الأزمنة ،الأمر الذي ينعكس بصورة ايجابية على استرجاع المادة التعليمية بشكل أكثر كفاءة،

وبالتالي فإن التحصيل الدراسي قد يعتبر عاملاً فارقاً يشير إلى مدى التباين في استخدام استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات كفاءة التعلم لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

ويرى الباحثان أن تباين التحصيل الدراسي بين مرتفعي ومتوسطي التحصيل الدراسي على مستوى استخدام استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات قد يعزى إلى اختلاف نمط الإدراك البصري فمتوسطي التحصيل غالباً ما قد يخلطون في عمليات معالجتهم للمعلومات بين مجموعة غير محددة من استراتيجيات التجهيز، وصولاً إلى الاستراتيجية المثلى وفق لطبيعة عرض المثيرات المعرفية أو المدرسية وهو ما يسبب تشويشاً معرفياً يضعف بدوره كفاءة عمليات التجهيز في الذاكرة العاملة مما يؤدي في نهاية المطاف إلى تباين في مستويات إتقانهم لمهارات استراتيجية التجهيز المتتابع للمعلومات.

ج. اتجاه الفروق بين متفاوتي التحصيل الدراسي على القدرة على حل المشكلات:

يتضح من الجدولين (10، 11) الآتي:

1. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمرتفع على درجات اختبار القدرة على حل المشكلات لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

2. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمتوسط على درجات اختبار القدرة على حل المشكلات لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المتوسط.

3. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع على درجات اختبار القدرة على حل المشكلات لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

تشير النتائج السابق عرضها في الفقرات (1،2،3) إلى أن تباين المستوى التحصيلي لطالب المرحلة المتوسطة يعكس مدى قدرته على اشتقاق نتائج من مجموعة حقائق ومعطيات معروفة بهدف الوصول إلى حقائق مجهولة عن طريق فهم وإدراك الأسباب والعوامل المتداخلة الموجودة في الموقف المعرفي أو المدرسي، تتطلب قدراً كبيراً من مهارات التنظيم المنطقي والتحليل والاستنتاج وتمحيص المعطيات والاستفادة من الخبرات السابقة في اشتقاق حلول جديدة بما يُسهم وبشكل واضح في تفسير التباين في التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة. وبالنظر إلى مقارنة منخفضي ومرتفعي المستوى التحصيلي على القدرة على حل المشكلات يظهر بأن منخفضي المستوى التحصيلي يعتمدون على البُنى السطحية في معالجة المعلومات والمعطيات في الموقف المدرسي مما يؤدي إلى آثار ذاكرة ضعيفة ومعدل تضاؤل سريع، في ظل بنيتهم المعرفية الأقل تنظيماً ودقة، وبشكل أكثر تحديداً نستطيع القول أن منخفضي التحصيل الدراسي يعتمدون على إجراء المعالجة الجشطالتية (الكلية) للمجموعة المهارات والمعارف الدراسية المضمنة في مقررات المرحلة المتوسطة مما تعيق الطالب على تكوين معاني دلالية واضحة لمثيرات التعلم المستهدف إدراكها ومعالجتها سواء في حجرة الدراسة ، أم في الكتاب المدرسي وتؤدي إلى تكوين صور معرفية غامضة لا يمكن استبقاءها أو تنشيطها في أنظمة معالجة المعلومات، بالإضافة إلى عدم استخدامهم لاستراتيجيات مناسبة وفعالة لحل المشكلة ، مما ينعكس ذلك على قدرتهم على حل المشكلات، في حين يتضح أن مرتفعي التحصيل الدراسي يعتمدون على معالجة المعلومات والمعطيات بشكل عميق وتنظيم جيد للمعلومات والمعطيات المتعلقة بالمشكلة التي يواجهها الفرد في المقرر الدراسي أو حجرة الدراسة، ويتم تحليلها تحليلاً تاماً معززاً عن طريق الارتباطات والعلاقات القائمة على المعنى فإنها تدوم فترة في الذاكرة ،حيث أن القدرة على حل المشكلات تعتمد على التذكر الجيد للمعلومات والمعطيات والقواعد وتجهيزها بشكل واضح قائم على المعنى؛ مما يؤدي إلى آثار ذاكرة قوية ومعدل تضاؤل بطيء ينعكس ذلك على

قدرتهم في حل المشكلات في المواد الدراسية ، وبشكل أكثر تحديداً يمكن القول بأن الطلاب مرتفعي التحصيل الدراسي لديهم القدرة في فهم العلاقات والحقائق الغامضة التي تنطوي عليها المشكلة من خلال تحليل المشكلة إلى مشكلات أصغر ثم البدء من النقطة الأكثر وضوحاً والسير في معالجة المشكلة خطوة بخطوة ، وهو ما يعزز قدرتهم في انتقاء استراتيجيات أفضل تعتمد على المجال في الحل، الأمر الذي من شأنه يُكسب الطالب المرونة في الأداء، ويرفع كفاءة الأداء المعرفي للطالب وهو ما ينعكس بالضرورة على مستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة بالإيجاب كأحد أوجه الإفادة من الدراسة الحالية .

وبشكل عام تتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة كل من (علوان ، 2008)[98]؛ (التميمي ، 2010)[91]؛ (عليوه 2011)[90](Adeyemo &Udeani؛2011)[34].

د. اتجاه الفروق بين متفاوتي التحصيل الدراسي على السرعة الإدراكية :

يتضح من الجدولين (10، 11) الآتي:

1. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمرتفع على درجات اختبار السرعة الإدراكية لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

2. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمتوسط على درجات اختبار السرعة الإدراكية لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المتوسط.

3. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع على درجات اختبار السرعة الإدراكية لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

تشير النتائج السابق عرضها في الفقرات (1،2،3) إلى أن تباين المستوى التحصيلي لطالب المرحلة المتوسطة يعكس مدى سرعته على استيعاب وفهم ما يقدم له في الفصل الدراسي، التي تتضمن في طياتها بعض العوامل المعرفية الخاصة كالطلاقة الإدراكية والتهيؤ العقلي، وعامل سرعة اتخاذ القرار، وعامل التشابه والاختلاف بين أحجام المثيرات الصغيرة والكبيرة، وعامل الاستعداد على اختيار الاستجابة عندما تكون المدخلات الحسية غير محددة، بالإضافة إلى عامل التجهيز الفوري الخاص بتحديد العناصر الصغيرة والدقيقة للمثيرات البصرية المرتبطة بمحتويات التعلم المدرسي؛ فجميع تلك العوامل تعد من وجهة نظر الباحثين الحاليين بمثابة تأثيرات سببية مسئولة عن تباين مستوى السرعة الإدراكية، والتي من شأنها أن تشكل إطاراً ومنظومة معرفية للسرعة الإدراكية التي بدورها تعتبر محدداً معرفياً عاماً للنشاط المعرفي في حجرة الدراسة، فتباين مستوى السرعة الإدراكية لدى طلاب المرحلة المتوسطة من شأنه أن يؤثر في درجة وضوح الرسوم البيانية والخرائط الجغرافية والأشكال الهندسية و الأرقام الحسابية والمقاطع والجمل والكلمات سواءً المعروضة بشكل سمعي أم بصري في الكتاب المدرسي أو تلك المضمنة في شرح المعلم .

ويرى الباحثان أيضاً أن تباين المستوى التحصيلي لطلاب المرحلة المتوسطة يعكس أيضاً مدى قدرتهم على التعرف على النمط البصري للمعلومات المدرسية، فالحروف والكلمات والرسوم البيانية والأشكال الهندسية ذات الأحجام الصغيرة لا يستطيع طالب المرحلة المتوسطة ذو المستوى المنخفض من التحصيل الدراسي أن يعطيها معنى من مسافات بعيدة بالمقارنة بالحروف والكلمات ذات الأحجام الكبيرة، كما أن هذا التباين من شأنه أن يؤثر على درجة دقة طلاب المرحلة المتوسطة في تحديد الفروق بين المعارف و الشروحات والتطبيقات والواجبات المدرسية سواءً داخل الموضوع المدرسي الواحد، أم المقرر الدراسي، أم حتى بين المقررات الدراسية المتشابهة كالرياضيات والعلوم أو الحديث والفقه والتفسير، بالرغم من أن تصميم تلك المقررات الدراسية يأخذ في الحسبان وجود فروق دلالية واضحة بين الموضوعات الدراسية، والتي في نهاية المطاف تعكس درجة عالية من التضارب

المعرفي بين المعارف الدراسية نتيجة تباين مستوى التحصيل الدراسي على نحو يزيد من العبء المعرفي في الذاكرة العاملة والذي بدوره يؤثر بشكل نهائي على فهم واستيعاب طلاب المرحلة المتوسطة .ويمكن القول أن هذه النتيجة تتفق مع ما أشارت إليه دراسة كل من : (Germanol et al.2013)[51] (المعافى،2012)[57] (الشربيني،2011)[16]؛(محمد والشحات ،2006)[14].

هـ. اتجاه الفروق بين متفاوتي التحصيل الدراسي على الأسلوب المعرفي :

يتضح من الجدولين (10، 11) الآتي:

1. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمرتفع على درجات اختبار الأسلوب المعرفي (الاعتماد / الاستقلال) لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

2. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمتوسط على درجات اختبار الأسلوب المعرفي (الاعتماد / الاستقلال) لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المتوسط.

3. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع على درجات اختبار الأسلوب المعرفي (الاعتماد / الاستقلال) لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

تشير النتائج السابق عرضها في الفقرات (1،2،3) إلى أن تباين المستوى التحصيلي لطالب المرحلة المتوسطة قد يعكس بشكل عام نمط معالجة وإدراك طلاب المرحلة المتوسطة للمعلومات سواءً كأجزاء يستطيعون معالجتها بشكل منفرد وبنظرة تحليلية ، أم كمعالجة كلية للمعلومات التي تعرض عليهم وفق منظور شامل على أنها وحدة واحدة. ويرى الباحثان أن الطالب ذو المستوى التحصيلي المنخفض قد يلجأ إلى نمط المعالجة المعتمدة على المجال الإدراكي والذي يتضمن تقديم صورة جشطالتية (كلية) للمجموعة المهارات والمعارف الدراسية المضمنة في مقررات المرحلة المتوسطة على نحو لا تساعده على تكوين معاني دلالية واضحة لمثيرات التعلم المستهدف إدراكها ومعالجتها سواء في حجرة الدراسة ، أم في الكتاب المدرسي مما يؤدي إلى تكوين صور معرفية غامضة لا يمكن استبقاءها أو تنشيطها في أنظمة معالجة المعلومات ، وبالتالي فإن الطلاب ذوو المستوى التحصيلي المنخفض بلجوئهم إلى نمط المعالجة المعتمدة على المجال الإدراكي يفتقدون للمعالجة العميقة للمعلومات للأشياء المدركة القائمة على إغفال العلاقات الداخلية بين جزيئات الموضوعات التي تعرض عليهم في ظل هيمنة النظرة الكلية، في حين أن الطلاب ذوو المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع يستند معالجتهم للمعلومات الدراسية على أسلوب الاستقلال عن المجال الإدراكي والذي يعمل بمثابة آليات ضبط وتحديد و تنظيم لعمليات التعلم، حيث يعتمدون على الأسلوب التحليلي العميق عند معالجتهم للمعلومات سواء في حجرة الدراسة ،أم في الكتاب المدرسي، وهو ما يعزز قدرتهم على إعادة وتنظيم المادة المقدمة إليهم ،وعلى التجريد والتحديد ، وتحليل عناصر الموقف التعليمي والتمييز بينها وإعادة بنائه، وبشكل أكثر تحديداً يمكن القول بأن الطلاب ذوو المستوى التحصيلي المرتفع لديهم القدرة على استخدام عمليات وسيطة مثل التحليل والتركيب أثناء عملية التذكر، واستخدام مهارات التفكير العلمي الذي يتمثل في القدرة على اختبار الفروض واستخدام البدائل في حل المشكلات، الأمر الذي يؤدي إلى توسيع ذاكراتهم وتنشيطها، و يضمن تحقيق أكبر قدر من الارتباطات الجوهرية بين المادة الجديدة موضوع التعلم ، والبنية المعرفية لدى طالب المرحلة المتوسطة،وكذلك القدرة على توليد واستخلاص علاقات بين المعلومات الجديدة والمعلومات السابق

اكتسابها، الأمر الذي من شأنه يعكس كفاءة مكونات البنية المعرفية لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

وبشكل عام تتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة كل من (عباس ، 2011)[61]، (عباس،2012)[62] ؛ (رمود، 2011)[99]؛ (Arisi 2011)[64]؛ (Adegoke 2011)[66]؛ (الشامي،2012)[60]؛ (Tinajero Lemos Araújo Ferraces and Páramo 2012)[21]، (Khodadady 2012)[67] ؛ (Ahmadzade and Shojae 2013)[22]؛ (أحمد ، 2013)[20] (Talatu 2014)[63]، (Fatemi et al. 2014)[69]

و. اتجاه الفروق بين متفاوتي التحصيل الدراسي على سعة الذاكرة العاملة:

يتضح من الجدولين (10، 11) الآتي:

1. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمرتفع على درجات اختبار سعة الذاكرة العاملة لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.
2. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمتوسط على درجات اختبار سعة الذاكرة العاملة لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المتوسط.
3. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع على درجات اختبار سعة الذاكرة العاملة لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

تشير النتائج السابق عرضها في الفقرات (1،2،3) إلى أن تباين المستوى التحصيلي لطلاب المرحلة المتوسطة قد يعكس بشكل عام مدى قدرتهم على الاستدعاء الكامل لسلسلة من العناصر أو الوحدات الدراسية خلال فترة زمنية معينة من الإدراك الفوري لها. ويرى الباحثان أن السبب في وجود فروق بين الطلاب مرتفعي التحصيل الدراسي وكل من الطلاب منخفضي ومتوسطي التحصيل على اختبار سعة الذاكرة العاملة قد يعود إلى دور ودرجة فعالية الأساليب والاستراتيجيات المعرفية التي يستخدمونها ، وبالتالي يمكن القول بأن النتيجة (و) تعتبر نتيجة منطقية و متسقة مع النتائج السابقة (أ،ب،ج،د) ، وعلى نحو أدق يمكن القول بأن الطلاب ذوو المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع مقارنة بالطلاب ذوي المستوى التحصيلي المنخفض يستخدمون استراتيجيات معرفية عُليا خاصة بتجهيز المعلومات مثل التنظيم والتخيل، مما تسهم في تنمية مهارات الحفظ والاستدعاء، والقدرة على ربط المعارف الجديدة بالسابقة، والبحث عن الارتباطات الداخلية لمثيرات التعلم، حيث تثبت فعاليتها في حجرة الدراسة بشكل خاص وفي الحياة الأكاديمية بشكل عام، الأمر الذي يؤثر إيجابياً على كم التجهيز للمعلومات المراد تعلمها من خلال تجميع وحدات صغيرة من المعلومات تشغل حيزاً صغيراً في الذاكرة العاملة، مما يساعد على تجهيز المزيد من تلك الوحدات المعرفية؛ الأمر الذي من شأنه تخفيف العبء المعرفي على الذاكرة العاملة ، في حين أن الطلاب منخفضي التحصيل يفتقدون لاستخدام المعينات والاستراتيجيات المعرفية عند تنظيم وتحويل المثيرات إلى رموز لها معنى في الذاكرة العاملة ومن ثم استدعاؤها، وهو ما يعكس ضعف كفاءة المنظومة الوظيفية لمكونات الذاكرة العاملة لديهم مقارنة بمتوسطي ومرتفعي التحصيل .

ي. اتجاه الفروق بين متفاوتي التحصيل الدراسي على ضبط مشتتات الانتباه:

يتضح من الجدولين (10، 11) الآتي:

1. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المنخفض والمرتفع على درجات اختبار ضبط مشتتات الانتباه لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.
2. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي

المنخفض والمتوسط على درجات اختبار ضبط مشتتات الانتباه لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المتوسط.

3. وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.01) بين متوسطات درجات مجموعتي المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع على درجات اختبار ضبط مشتتات الانتباه لصالح مجموعة المستوى التحصيلي المرتفع.

تشير النتائج السابق عرضها في الفقرات (1،2،3) إلى أن تباين المستوى التحصيلي لطلاب المرحلة المتوسطة قد يعكس بشكل عام مدى قدرتهم على تركيز انتباههم نحو مهام التعلم و مدى قدرتهم على مراقبة وتنظيم المشتتات الخارجية والداخلية، والعمل نحو الهدف المنشود أو النتيجة .

ويرى الباحثان أن تباين المستوى التحصيلي لطلاب المرحلة المتوسطة قد يعكس مدى قدرتهم على استبعاد الأفكار غير الصحيحة أو مثيرات التعلم غير المتعلقة بالمهمة الدراسية المتوفرة في حجرة الدراسة على نحو يضمن سلامة إدراك الدلالات والإشارات الموجودة في الموقف المعرفي أو المدرسي؛ بما يسهم وبشكل واضح في زيادة بأورة المتعلم لانتباهه وتركيزه نحو المثير الدراسي المراد التركيز عليه.

وبشكل أكثر تحديداً يمكن القول بأن الطلاب ذوو المستوى التحصيلي المتوسط والمرتفع مقارنة بالطلاب ذوي المستوى التحصيلي المنخفض يتميزون بقدرتهم على الاحتفاظ بحالة التوجه نحو الهدف، في ظل حدوث التوقف أو الانشغال بأهداف أخرى ، أو جديدة، وهو ما يعزز قدرتهم في البقاء على درجة مناسبة من التيقظ المعرفي والانفعالي لوقت كافي بما يسمح لهم في انتقاء مجموعة المثيرات المدرسية المتتابعة سواءً السمعية أم البصرية المتسقة مع طبيعة المحتوى المعرفي من بين مجموعة من المثيرات المتنافسة في الموقف التعلمي، الأمر الذي من شأنه أن يساعد على انتقاء أفضل استراتيجيات تجهيز المعلومات للتعامل مع مثيرات التعلم وفقاً لمتطلباتها وخصائصها المعرفية والفيزيقية، بما يضمن تحقيق أكبر قدر من مستويات التنشيط المعرفي Cognitive Activation لنظام معالجة المعلومات المدرسية سواءً السمعية أم البصرية الأمر الذي ينعكس على التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

وبشكل عام يمكن القول بأن النتائج السابق عرضها في الفقرات (1،2،3) تتفق مع ما أشارت إليه دراسة كل من : (Hallowell,2014)[45] (Darcy et al.2014)[44]

التوصيات

بناءً على ما أشارت إليه نتائج البحث الحالي؛ يعرض الباحثين توصياتهما كما يلي :

أولاً : توصيات متعلقة التحصيل الدراسي و ضبط مشتتات الانتباه لدى طلاب المرحلة المتوسطة :

1. ضرورة إعداد برامج تدريبية تهدف لزيادة قدرة المعلمين على تصميم بيئات تعلم محفزة للتيقظ الانتباهي للطلاب في حجرة الدراسة؛ لمساعدتهم على بؤرة انتباههم وانتقاءهم لمثيرات التعلم الصحيحة خاصة في ظل تعدد وتنافس المثيرات داخل حجرة الدراسة .

2. إعداد برامج تدريبية تهدف لزيادة قدرة المعلمين على تقليل المصادر الفيزيقية المتشتتة للانتباه في البيئة الفصلية، والتي قد تكون سبباً في ضعف مستويات التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

3. إعداد برامج تدريبية تهدف لزيادة قدرة المعلمين على تقديم مثيرات التعلم على نحو تبدو فيه تلك المثيرات أكثر اتساقاً مع أهداف التعلم لطلاب المرحلة المتوسطة.

4. إعداد برامج تدريبية تهدف إلى زيادة كفاءة المتعلمين على استخدام الاستراتيجيات المعرفية التي تهدف لضبط مشتتات الانتباه غير المتعلقة بالمهام الدراسية المطلوب إتقانها؛ بما يؤدي إلى زيادة مستوى تحصيلهم الدراسي.

ثانياً: توصيات متعلقة التحصيل الدراسي و بالسرعة الإدراكية لدى طلاب المرحلة المتوسطة

1. حث القائمين على العملية التربوية على ضرورة إعادة تصميم طرائق التدريس في المرحلة المتوسطة بما يساعد على تنمية قدرة الطلاب على التعلم المدرسي بجهد معرفي أقل؛ بما يساعد المتعلمين على زيادة مستوى تحصيلهم الدراسي.

2. ضرورة تنفيذ برامج صحية تتناول الفحص الطبي للطلاب ذوي المستوى التحصيلي المنخفض للتأكد من السلامة العصبية والوظيفية لحاسة البصر ؛لأهميتها في الإدراك البصري، ولدورها في تكوين المفهوم الكامل (الجشطالتي) عن مثيرات التعلم في حجرة الدراسة .

3. إعداد برامج تدريبية تهدف لزيادة قدرة المعلمين على إتقان مهارات التصميم الجرافيكي عند عرض مثيرات التعلم السمعية والبصرية ؛لمساعدة طلاب المرحلة المتوسطة على السرعة الإدراكية لمثيرات التعلم وإعطاءها المعاني الصحيحة.

4. إعداد برامج تدريبية تهدف لزيادة كفاءة المتعلمين على استخدام الاستراتيجيات المعرفية؛ لتنمية سرعة تكوين المفاهيم الجشطالتية لمثيرات التعلم في حجرة الدراسة؛ بما ينعكس إيجاباً على مستوى التحصيل الدراسي لطلاب المرحلة المتوسطة.

ثالثاً: توصيات متعلقة بالتحصيل الدراسي و سعة الذاكرة العاملة لدى طلاب المرحلة المتوسطة:

1. إعداد برامج تدريبية تهدف لزيادة قدرة المعلمين على تحفيز المتعلمين على استخدام استراتيجيات تجهيز المعلومات الفعالة في تنظيم المعلومات في أبنية الذاكرة العاملة ،والتي بدورها تقلل من حجم العبء المعرفي، وبما يسهم في زيادة سعة الذاكرة العاملة.

2. إعداد برامج تدريبية لزيادة قدرة المعلمين على ممارسة دوره كمنشط معرفي بدلاً من كونه ناقل للمعرفة، بما يكفل تفعيل استخدام المتعلمين لاستراتيجيات تجهيز المعلومات الخاصة بزيادة شبكة الترابطات المعرفية بين المثيرات في الذاكرة العاملة .

3. إعداد برامج تدريبية تهدف لزيادة كفاءة المتعلمين على استخدام استراتيجيات :التجميع، و التصور، و التسميع اللفظي التي من شأنها تخفض الجهد المعرفي المبذول في التعلم، بما يسهم في زيادة كفاءة التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة .

رابعاً: توصيات متعلقة بالتحصيل الدراسي و الأسلوب المعرفي الاعتماد / الاستقلال عن المجال الإدراكي لدى طلاب المرحلة المتوسطة:

1. إعداد برامج تدريبية تهدف إلى زيادة وعي المعلمين بضرورة بناء أساليب التعلم والتدريس بما يتناسب مع الأسلوب المعرفي للمتعلمين، مما يؤثر إيجابياً في نهاية المطاف على مخرجات المعالجة المعرفية لدى طلاب المرحلة المتوسطة .

2. إعداد برامج تدريبية تهدف إلى تدريب طلاب المرحلة المتوسطة على اختيار نمط الأسلوب المعرفي المناسب والمتسق مع موقف التعلم داخل الفصل أو داخل الكتاب المدرسي ؛ وهو ما يعزز قدرة الطلاب على إعادة تنظيم المادة المقدمة إليهم، والتجريد أو اختيار الدلالات المناسبة، وتحليل العناصر أو المعالجة الكلية (الجشطالتية) لموقف أو موضوع التعلم، مما ينعكس إيجابياً في تحسين مخرجات الأداء التحصيلي لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

خامساً: توصيات متعلقة بالتحصيل الدراسي واستراتيجيات تجهيز المعلومات لدى طلاب المرحلة المتوسطة:

1. إعداد برامج تدريبية تهدف إلى زيادة وعي المعلمين بضرورة تصميم و تهيئة بيئات التعلم بما يضمن عرض المثيرات والمفردات بما يتلاءم مع تنوع استراتيجيات تجهيز المعلومات لطلاب المرحلة المتوسطة .

2. إعداد برامج تدريبية تهدف إلى زيادة كفاءة المتعلمين على تنظيم وتجهيز المعلومات الدراسية المراد استدخالها إلى أنظمة الذاكرة العاملة على نحو متكامل.

سادساً: توصيات متعلقة بالتحصيل الدراسي والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة المتوسطة:

إعداد برامج تدريبية تهدف إلى تدريب الطلاب في المرحلة المتوسطة على حل المشكلات من خلال تحليل المشكلة إلى مشكلات أصغر ثم البدء من النقطة الأكثر وضوحاً والسير في معالجة المشكلة خطوة بخطوة ، وهو ما يعزز أداءهم المعرفي وبالتالي تحسين مستوى التحصيل الدراسي.

المراجع

1. عبدالفتاح، صبري محمود. نمذجة العلاقات السببية بين قلق الاختبار و الذاكرة العاملة و التحصيل الدراسي لطلبة المرحلة الابتدائية في سلطنة عمان في ضوء نظرية كفاءة المعالجة. مجلة الدراسات التربوية والنفسية ، مج 7، ع 2، سلطنة عمان، (2013).
2. بدوي، حنان فوزي، وعبد الجليل، بدر محمد سيد.العوامل المؤثرة على دافعية الإنجاز للتحصيل الدراسي ، دراسة مطبقة على طالبات جامعة عفت بجدة .مجلة الطفولة والتربية ، مج 4، ع 9 ، مصر (كلية رياض الأطفال – جامعة الإسكندرية) ، (2012).
3. Hahn، S.، Kim، T.، & Seo، B. Effects of Public and Private Schools on Academic Achievement، Seoul Journal of Economics، 27 (2)، 137-147 ، (2014).
4. Pickhardt، C. E. How Adolescence Becomes the Enemy of School Achievement، Psychology Today. surviving your child's adolescence (wiley)، Information at: www.carlpickhardt.com ، (2012).
5. Serbin، L.، Stack، D.، & Kingdon، D. Academic Success Across the Transition from Primary to Secondary Schooling Among Lower-Income Adolescents: Understanding the Effects of Family Resources and Gender. Journal Of Youth & Adolescence، 42(9)، 1331-1347 ،(2013).
6. Abbott، K. P. The Influence of the Family on Adolescent Academic Achievement، Master Thesis، Iowa State University، (2012).
7. Roosa، M. W.، O'Donnell، M.، Cham، H.، Gonzales، N. A.، Zeiders، K. H.، Tein، J.، & Umaña-Taylor، A. A prospective study of Mexican American

adolescents' academic success: considering family and individual factors. Journal Of Youth And Adolescence، 41(3)، 307-319 ، (2012).

8. يوسف، سليمان عبد الواحد. المرجع في علم النفس المعرفي: العقل البشري وتجهيز ومعالجة المعلومات، دار الكتاب الحديث ، ط1، القاهرة ، (2011).

9. Huang، T-R. and Watanabe، T. Task Attention Facilitates Learning of Task-Irrelevant Stimuli. PLoS ONE 7(4)، pp 1-5 ، (2012).

10. Best، C. A.، Yim، H.، & Sloutsky، V. M. The cost of selective attention in category learning: Developmental differences between adults and infants. Journal of Experimental Child Psychology، 116(2)، 105-119 ، (2013).

11. Reinholdt-Dunne، M. L.، Mogg، K.، & Bradley، B. P. Attention control: Relationships between self-report and behavioural measures، and symptoms of anxiety and depression. Cognition & Emotion، 27(3)، 430-440 ،(2013).

12. Wass، S. V، Scerif، G.، & Johnson، M. H. Training attentional control and working memory – Is younger، better?، Developmental Review 32(4) ، 360-387 ، (2012).

13. Rose A.، Feldmana d، Jankowskia J. and Van Rossemc R. Basic information processing abilities at 11 years account for deficits in IQ associated with preterm birth، Intelligence، 39 (4) ، pp. 198-209 ، (2011).

14. محمد، حسانين محمد والشحات، مجدي محمد. دراسة لبعض المتغيرات العقلية (السرعة الإدراكية – الغلق اللفظي) والانفعالية (مستوى الطموح – تحمل الغموض) الفارقة بين الطلاب العاديين وبطيئ التعلم في المرحلة الإعدادية. مجلة كلية التربية، مج 16، ع 68 ، (جامعة بنها) – مصر، (2006).

15. Myers، D.G. Exploring Psychology، Worth Publishers، Macmillan Higher Education، 4 th Edition، New York ، (2014).

16. الشربيني، هانم أبو الخير. السرعة الإدراكية و مدى الذاكرة العاملة لدى أطفال الروضة العاديين و ذوي صعوبات تعلم المهارات قبل الأكاديمية. مجلة كلية التربية بالمنصورة ،ع 77، ج 2 ، مصر، (2011).

17. نجم، ندى نضال. السرعة الإدراكية وعلاقتها بالانتباه المنقسم لدى طلبة الجامعة، رسالة ماجستير، جامعة واسط –العراق ، (2014)

18. الحربي، مروان بن علي. الفروق في مستوى تجهيز المعلومات لدى مرتفعي و منخفضي سعة الذاكرة في ضوء اختلاف استراتيجيات التجهيز و السرعة الإدراكية لدى طلاب الجامعة. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – العلوم الإنسانية والاجتماعية ع 24 ، السعودية، (2012).

19. Danili، E.، & Reid، N. Cognitive factors that can potentially affect pupils' test performance. Chemistry Education Research and Practice، 7(2)، 64. (2006).

20. أحمد ، محمود أحمد عبدالكريم أثر العلاقة بين تتابع المثيرات والأسلوب المعرفي على التحصيل المعرفي في برامج التعليم النقال، دراسات عربية في التربية وعلم النفس ع43 ، ج 2 ، السعودية (2013).

21. Tinajero، C.، Lemos، S. M.، Araújo، M.، Ferraces، M. J.، & Páramo، M. F. Cognitive style and learning strategies as factors which affect academic achievement of brazilian university students. Psicologia: Reflexão E Crítica، 25(1)، 105–113. (2012).

22. Ahmadzade، L.، & Shojae، M. Investigating the Relationship between Cognitive Style (Filed Dependence/Independence) and Academic Achievement in Male and Female Students of Behbahan Islamic Azad University. JLSB Life Science and Biomedicine 3(3)، 245–249. (2013).

23. Pugin، F.، Metz، A. J.، Stauffer، M.، Wolf، M.، Jenni، O. G.، & Huber، R. Working memory training shows immediate and long-term effects on cognitive performance in children and adolescents. F1000Research، 3(82)، 1–16. (2015).

24. Tariq ،S. & Noor، S. Impact of Working Memory on Academic Achievement of University Science Students in Punjab، Pakista. Journal of Education and Practice، Vol. 3، No. 2، 72-77 ،(2012).

25. Van Snellenberg، J. X.، Conway، A. R. a، Spicer، J.، Read، C.، & Smith، E. E. Capacity estimates in working memory: Reliability and interrelationships among tasks. Cognitive، Affective & Behavioral Neuroscience، 14(1)، 106–116. (2014).

26. Troche، S. J.، & Rammsayer، T. H. Temporal and non-temporal sensory discrimination and their predictions of capacity- and speed-related aspects

of psychometric intelligence. Personality and Individual Differences، 47(1)، 52–57. (2009).

27. بكيري، نجيبة.استراتيجية معالجة المعلومات في الذاكرة العاملة وعلاقتها بصعوبات التعلم. مجلة علوم الإنسان والمجتمع ع 10، الجزائر ، (2014).

28. Naglieri، J. A.، Das، J. P.، & Goldstein، S. Cognitive Assessment System–Second Edition (2nd ed.)، Journal of Psychoeducational Assessment ، 33، 37. (2014).

29. Filičková، M.(2014). the role of cognitive processing in efl (english as a foreign language) reading skills acquisition. Journal of International Scientific Publications، Language، Individual & Society. Volume 8، 301–312.

30. Keat، O. & Ismail، H. Pass Cognitive Processing : Comparison between Normal Children with Reading Difficulties، International Journal of Vol. 1 Humanities and Social Science، 1(2)، 53–60. (2011).

31. العدل، عادل محمد. فعالية استخدام التعليم الالكتروني في تنمية التفكير الناقد والقدرة على حل المشكلات ، مؤتمر التحديات التكنولوجية وتطوير منظومة التعليم، كلية التربية. جامعة الزقازيق، (2010)

32. Ates، S.، & Cataloglu، E. The effects of students' cognitive styles on conceptual understandings and problem-solving skills in introductory mechanics. Research in Science & Technological Education، 25(2)، 167–178. (2007).

33. Jeotee، k. Reasoning skills، problem solving ability and academic ability: implications for study programme and career choice in the context of higher education in Thailand. Durham theses، Durham University. Available at Durham E–Theses Online . (2012)

34. Adeyemo، s . &Udeani ، u. The relationship among teachers' problem solving abilities، students' learning styles and students' academic achievement in Biology. International Journal of Educational Research and Technology، (1) ،82–87. (2011).

35. Nizoloman، o. Relationship between Mathematical Ability and Achievement in Mathematics among Female Secondary School Students in Bayelsa State

Nigeria. Procedia-Social and Behavioral Sciences ، Procedia - Social and Behavioral Sciences 2230-2240. (2013).

36. الحربي، مروان بن علي (أ) ،الانهماك بالتعلم في ضوء اختلاف مصدر العبء المعرفي ومستوى العجز المتعلم ورتبة السيطرة المعرفية لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة العلوم التربوية ، مج 27، ع 3 ، الرياض ، (2015).

37. عبد الهادي، فخري. علم النفس المعرفي، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط1، عمان، الأردن ، (2010).

38. العدل، عادل محمد. العمليات المعرفية وتجهيز المعلومات، دار الكتاب الحديث ، القاهرة، (2015).

39. Mangal، S.K. Advanced Educational Psychology، 2nd،delhi، PHI Learning Private Limited.(2014).

40. الحربي، مروان بن علي (ب) ، بعض القدرات العقلية الأولية وضبط مشتتات الانتباه وسعة الذاكرة العاملة كعوامل منبئة بالفشل المعرفي لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم التربوية ، ع 25 ، السعودية، (2015).

41. صبح، جمال خليل ، كتاب الانتباه: فصول في سيكولوجية الانتباه الإنساني النفسي – العصبي الحيث، ثقافة للنشر والتوزيع ، ط1، أبو ظبي، (2014).

42. Petersen، S.، & Posner، M. The Attention System of the Human Brain: 20 Years After، Annual Review of Neuroscience، 21(35)، 73–89 ،(2012).

43. النجار، منى محمد. تقييم النمط الغذائي للأطفال ذوي اضطراب فرط الحركة وتشتت الانتباه في بعض المدارس الابتدائية في الرياض. مجلة التربية الخاصة والتأهيل – مؤسسة التربية الخاصة والتأهيل ، مج2، ع5 ، مصر،(2014)

44. .Darcy I.، Mora C. & Daidone D. Attention Control and Inhibition Influence Phonological Development in a Second Language، Proceedings of the International Symposium on the Acquisition of Second Language Speech Concordia Working، Papers in Applied Linguistics،5 ، pp 115- 129 ،(2014).

45. Hallowell، N. Students with Attention-Related Learning Challenges Significantly Increase Academic Performance Using Digital Learning Tool in Atentiv School-Based Study، Health & Medicine Week، NewsRX. Retrieved from http://www.highbeam.com/doc/1G1-360835520.html. (2014).

46. Yoshida، H.، Tran، D.، Benitez، V. and Kuwabara، M. Attentional Control and Early Word Learning Attentional Shifting and Word Learning، Learning. (2009).

47. الزغلول، رافع النصير والزغلول، عماد عبدالرحيم. علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط5 ، عمان، الأردن ، (2014).
48. الكبيسي، عبدالواحد حميد والخطيب، حيدر حامد. السرعة الإدراكية والبديهية ومستويات التفكير ، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، ط1 ، عمان، الأردن. (2015)
49. احمد، السيد علي سيد، وبدر، فائقة محمد. الإدراك الحسي البصري والسمعي، مكتبة النهضة المصرية ، ط1، القاهرة ، (2001).
50. رسلان، شاهين. العمليات المعرفية للعاديين وغير العاديين، ، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (2010).
51. Germanol G.، Pinheiro F.، Okuda P. and Capellini S. Visual-motor perception in students with attention deficit with hyperactivity disorder، Journal da Sociedade Brasilia de Fonoaudiologia، 25(4)،337-41. (2013).
52. Dhingra، R.، Manhas، S. and Kohli، N. Relationship of Perceptual Abilities with Academic Performance of Children، Journal of Social Science، 23(2)، 143-147. (2010).
53. Kosnin A. M. and Daud M. F. Relationship between accuracy in Ability perception، Academic performance، and Metacognitive Skills among Engineering Undergraduates: Implications for higher education practice، Outcome-Based Science، Technology، Engineering، and Mathematics Education: Innovative Practices، United States of America by an imprint of IGI Global. (2012).
54. Baluoti A.، Bayat M. and Alimoradi M. Relationship between visual perception and reading disability in primary students (first، second، third، grade) of Ahwaz city، International Research Journal of Applied and Basic Sciences، Vol. 3 (10)، 2091-2096. (2012).
55. العتوم، عدنان يوسف. علم النفس المعرفي: النظرية والتطبيق، ط4، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة, عمان ، (2014).
56. التميمي، محمود كاظم . علم النفس المعرفي، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع،، عمان، الأردن ، (2014).
57. المعافى، محمد بن أحمد. السرعة الإدراكية وعلاقتها بالأسلوب المعرفي(الاعتماد – الاستقلال) لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة الليث، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى . (2012).

58. Sealetsa، O.، & Moalosi، R. Cognitive and learning styles of the Faculty of Engineering and Technology students : University of Botswana. World Transactions On Engineering and Technology Education، 10(2)، 138-143. (2012).

59. المزيرعي، عبدالله بن فهد.أثر الأسلوب المعرفي الاعتماد / الاستقلال عن المجال الإدراكي في كل من أنماط التفكير في حل المشكلات و التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة الثانوية و طالباتها في بريدة بالمملكة العربية السعودية. المجلة التربوية ، مج25، ع97 ، الكويت ، (2010) .

60. الشامي، جمال الدين محمد محمد. الخيال الإبداعي وعلاقته بحب الاستطلاع والاعتماد – الاستقلال عن المجال الإدراكي لدى المتفوقين والمنخفضين تحصيلياً من تلاميذ المرحلة الابتدائية. مجلة كلية التربية بالمنصورة ، ع 81 ، مصر، (2012).

61. عباس، أميرة إبراهيم. أثر نمطي الملخصات والأسلوب المعرفي وتفاعلهما في التحصيل. مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية صفي الدين الحلي جامعة بابل ،ع 7 ، العراق ، (2011).

62. عباس، هناء عبده علي . اثر التفاعل بين استراتيجيات التدريس والتعليم المنظم ذاتيا والأسلوب. (2012).

63. Talatu، R. Relationship between Influence of Cognitive Styles and Study Strategies on Academic Performance of Business Education Students in Financial Accounting in Federal Universities in Nigeria. International Conference on Business، Sociology and Applied Sciences 16-21. (2014).

64. Arisi، Regina. Effect of Cognitive Style and Gender on JSS Students' Academic Achievement in Social Studies. Lwati: A Journal of Contemporary Research ، 8(1)، 35-47.(2011).

65. Okoronka، u ، and Wada ،b. Effects of Analogy Instructional Strategy، Cognitive Style and Gender on Senior Secondary School Students Achievement in Some Physics Concepts in Mubi Metropolis، Nigeria. American Journal of Educational Research 2.9 ; 788-792 . (2014).

66. Adegoke، B. Effect of Indirect Teacher Influence on Dependent-prone Students' Learning Outcomes in Secondary School Mathematics. Electronic Journal of Research in Educational Psychology، 9(23)، 283-308. (2011).

67. Khodadady، E.، & Zeynali، S. Field-Dependence/Independence Cognitive Style and Performance on the IELTS Listening Comprehension. International Journal of Linguistics، 4(3). 622-635. (2012).

68. Ramlah، H.، & Jantan، B. Relationship b etween Students ' Co gnitive Style (Field- Dependent and Field – Independent Cognitive Styles) with their Mathematic Achievement in Primary School. International Journal of Humanities Social Sciences and Education (IJHSSE) 1(10)، 88-93. (2014).

69. Fatemi، A.، Vahedi، V.، & Seyyedrezaie، Z. The Effects of Top-down/Bottom-up Processing and Field-dependent/Field-independent Cognitive Style on Iranian EFL Learners' Reading Comprehension. Theory and Practice in Language Studies، 4(4)، 686-693. (2014).

70. أبو الديار، مسعد نجاح ، الذاكرة العاملة وصعوبات التعلم، مركز تقويم وتعليم الطفل، الكويت، (2015).

71. Redick، T. S. Cognitive control in context: Working memory capacity and proactive control. Acta Psychologica، 145(1)، 1-9 .(2014).

72. عامر، طارق محمد. الذاكرة العاملة في إطار الفهم اللغوي بين النظرية والتطبيق ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، (2011).

73. سليمان، عبدربه مغازي. دور الذاكرة العاملة اللفظية والبصرية – المكانية في التحصيل الدراسي لدى تلاميذ التعليم الأساسي. مجلة العلوم الاجتماعية ، مج 38، ع 4 ، الكويت، (2010).

74. آدم، بسماء. الذاكرة العاملة، مجلة التربية ، س 39، ع 172، قطر، (2010).

75. Gropper، R. J.، Tannock، RA pilot study of Working Memory and Academic Achievement in college students with ADHD. Journal of Attention Disorders 12(6): 574 – 581 .(2009).

76. Smedt، B.، Janssen، R.، Bouwens، K.، Verschaffel، L.، Boets، B. and Ghesquière P. Working memory and individual differences in mathematics achievement: A longitudinal study from first grade to second grade، Journal of Experimental Child Psychology، 103(2) ، 186-201 .(2009).

77. Nalliah، S. The influence of working memory capacity on academic achievement of final year medical students، International e-Journal of Science، Medicine & Education، 6 (Suppl 1):p.p78-102 .(2012).

78. Ishak ،I.، Jufri، N.، Lubis ،S.، Saat، N.، Omar، B.، Arlin، R.، Hazdi ،K. and Mohamed ،N. The Study Of Working Memory And Academic Performance Of Faculty Health Science Student، Procedia - Social and Behavioral Sciences، 60(1956)، 596–601 .(2011).

79. المحمدي، مروان علي. علاقة الأسلوب المعرفي ومستوى تجهيز المعلومات والتخصص الدراسي بالقدرة على حل المشكلات لدى طلاب جامعة الملك عبد العزيز.(رسالة دكتوراه غير منشورة) ، جامعة طيبة، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية. (2010).

80. إبراهيم، سليمان عبد الواحد . قراءات في علم النفس المعرفي، ط1 ، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة (2011).

81. Das، J.، Georgiou، G.، & Janzen، T. Influence of Distal and Proximal Cognitive Processes on Word Reading. Reading Psychology، 29(4)، 366–393. (2008).

82. Joseph، L. M.، McCachran، M. E.، & Naglieri، J. a. PASS cognitive processes، phonological processes، and basic reading performance for a sample of referred primary-grade children. Journal of Research in Reading، 26(3)، 304–314. (2003).

83. James ، J.، & Watters، L. D. Children's application of simultaneous and successive processing in inductive and deductive reasoning problems: Implications for developing scientific reasoning skills. Journal of Research in Science Teaching، 32(7)، 699–714. (1995).

84. الصافي، عبدالله بن طه ، الفروق في استراتيجيات معالجة المعلومات في ضوء متغيري التخصص والتحصيل الدراسي دراسة على عينة من طلاب الجامعة. المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل ، العلوم الإنسانية والإدارية، مج 1، ع 1 ، (2000).

85. سولسو، روبرت ، علم النفس المعرفي، (ترجمة) محمد نجيب الصبوة وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (2000).

86. عرايس، محمد أحمد. التفاعل بين بعض الأساليب المعرفية ومستويات تجهيز المعلومات وعلاقتها بحل المشكلات لدى طلاب الصف الأول الثانوي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، قسم علم النفس التربوي ، جامعة المنصورة ، المنصورة . (1999).

87. الزيات، فتحي. الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات، ط2، دار النشر للجامعات ، القاهرة، (2009) .

88. Stanly، S. A Study on Achievement Motivation and Problem Solving Ability In Mathematics of Ix Standard Students in Relation to Their Sex and Type of School. Indian Journal of Applied Research ، 4(12). 186-188. (2014).

89. Smith، H. & Burton، L. The Impact of Online Peer Mentoring on First Year Student Transition ، Problem Solving Skills ، and Academic Success. Refereed Paper، University of Southern Queensland، Toowoomba، Australia. (2013).

90. عليوة، رائد محمد. تأثير ثلاثة نماذج من طرق التدريس في القدرة على حل المشكلات وفق الأسلوب المعرفي لدى طالبات المرحلة الأساسية العليا في الأردن .المجلة التربوية ، مج 25، ع99 ،الكويت، (2011) .

91. التميمي، يوسف فاضل علوان. تدريس مفاهيم الفيزياء الحديثة باتخاذ القرار وأثره في قدرة الطلبة على حل المشكلات .مجلة كلية التربية الأساسية. ع 63، (2010).

92. أبو المعاطي، وليد محمد، علاقة استراتيجيات حل المشكلات و سرعة تجهيز المعلومات بالقدرة على الحل الإبداعي للمشكلات الرياضية لدى طلاب المرحلة الثانوية. المجلة التربوية، مج 27، ع 108 ، بالكويت ، (2013).

93. طلافحة، فؤاد طه.أثر الذكاء العاطفي و القدرة على حل المشكلات في التحصيل الأكاديمي لدى طلبة السنة الجامعية الأولى في جامعة مؤتة . مجلة العلوم التربوية والنفسية ، مج 14، ع 4 ، البحرين ، (2013) .

94. Harrison، Tyler; Shipstead، Zach & Engle، Randall Why is working memory capacity related to matrix reasoning tasks?، Memory & Cognition، 43(3):389-397. (2015).

95. Wachs, Cowart & Harris, Steve (1988). Multi-Trait-Multi-Method Investigation of the Simultaneous-Successive-Planning Model, journal of Psycho educational Assessment, 6(1), 55-66.

96. Wachs، Cowart & Harris، Steve .Simultaneous and Successive Processing in University Students: Contribution to Academic Performance، Journal of Psycho educational Assessment،4(2)، 103-112. (1986).

97. McCallum، Steve and Merritt، Frank .Simultaneous-Successive Processing among College Students، Journal of Psycho educational Assessment، 1(1)، 85-93. (1989).

98. علوان، مصعب محمد. تجهيز المعلومات وعلاقتها بالقدرة على حل المشكلات لدى طلبة المرحلة الثانوية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، الجامعة الإسلامية غزة ، فلسطين. (2008).

99. رمود، ربيع عبدالعظيم . أثر اختلاف نمطين لتصميم المقررات الالكترونية والأسلوب المعرفي على زيادة التحصيل لدى الطلاب المعلمين بكلية التربية، مجلة كلية التربية ، ع 36 ، ج 1 ، عين شمس ، مصر ,(2012).

مدى فعالية معيار كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة في خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في مملكة البحرين

Effectiveness of setting vehicle fuel economy standards in reducing transport CO_2 emissions in the Kingdom of Bahrain

*د. مها محمود الصباغ

*Dr. Maha Alsabbagh

ملخص

تعد قضية تغيّر المناخ إحدى أبرز القضايا البيئية في وقتنا الحاضر والتي تتطلب تكاتف الجهود من قبل جميع دول العالم لمواجهتها. اتفقت دول العالم، ومن بينها دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، على خفض انبعاثاتها من غازات الدفيئة وذلك وفق مبادرات وطنية قدمتها في باريس 2015. ويبدو خفض الانبعاثات من قطاع المواصلات أحد الخيارات الواعدة للدول النامية. يهدف هذا البحث إلى تحديد مدى فعالية معيار كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة في خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في مملكة البحرين وذلك في ظل عدد من المتغيرات المستجدة. ولتحقيق هذا الهدف، تم استخدام برنامج تخطيط بدائل الطاقة على المدى البعيد (LEAP) لإعداد السيناريو المرجعي والسيناريوهات المختلفة لمعايير كفاءة الطاقة للفترة 2019–2030. كما وتمت أيضاً المقارنة بين المعايير المختلفة وفق فعاليتها باستخدام مصفوفة تقييم وصفية. وتشير نتائج البحث إلى فعالية فرض معيار كفاءة طاقة مرتفع في خفض الانبعاثات، إذ تبلغ أعلى نسبة يحققها نحو 17% مقارنة بالسيناريو المرجعي، كما أنه الأكثر فعالية عند المقارنة بناء على عدد من المؤشرات. إلا أن تبني معيار كفاءة طاقة متوسط للمركبات يبدو أكثر واقعية وأقرب إلى التطبيق ذلك أنه يسهم في خفض الانبعاثات بالإضافة إلى تقبل صنّاع القرار، الخبراء والجمهور له. ويوصي هذا البحث بتضمين معيار كفاءة الطاقة للمركبات ضمن المواصفات البيئية للمركبات الخفيفة في مملكة البحرين، بالإضافة إلى تضمينه أيضاً في المواصفات الموحدة للمركبات الخفيفة الصادرة عن هيئة المواصفات والتقييس لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وذلك للإسهام في تخفيض انبعاثاتها ومن ثم الإيفاء بالتزاماتها التي تقدمت بها في باريس عام 2015.

الكلمات المرجعية: البحرين، المواصلات، برنامج LEAP، ثاني أكسيد الكربون، معيار كفاءة الطاقة

Abstract

Climate change has become a key environmental issue that requires global collaboration to mitigate. The world countries, including the Gulf Cooperation Council (GCC) countries, have agreed in Paris 2015 to reduce carbon dioxide(CO_2) emissions. Potentials for reducing CO_2 emissions from transport sector in developing countries seem promising. This research aims to investigate the emission reduction potential for setting vehicle fuel economy standards in Bahrain. Accordingly, a number of future scenarios are developed using the Long Range Energy Alternatives Planning System (LEAP) for the period 2019-2030. A descriptive matrix is also produced to compare the effectiveness of setting three different fuel economy standards: high, medium and low. The modelling results show that setting high fuel economy standards can reduce transport CO_2 emissions by 17%. These standards have also the best performance according to the descriptive matrix results. However, setting medium vehicle fuel economy standards seems more realistic: it is effective and is accepted by stakeholders groups. This research recommends incorporating fuel economy standards into the environmental specifications for new light duty vehicles in Bahrain. These standards may also be incorporated into the unified specifications set by the GCC's Standardization Organization. This is to help the GCC countries in meeting their CO_2 emission reduction commitments agreed in Paris 2015.

Keywords: Bahrain, transport, LEAP, CO_2 emissions, fuel economy standards

---

[البحث الفائز بالمركز الثاني في مجال علوم البيئة بالمسابقة 33 لجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم]

* أستاذ مساعد – برنامج الإدارة البيئية – جامعة الخليج العربي – البحرين

* Environmental Management Programme, Arabian Gulf University- Bahrain

المقدمة

أصبحت قضية تغير المناخ واقعاً ملموساً لا سيما في السنوات الأخيرة، إذ صار جلياً للجميع الارتفاع الملحوظ في درجات الحرارة بالإضافة إلى ذوبان الجليد وغيرهما من المظاهر المؤكدة على حدوثه. ولعل هذا ما دفع بدول العالم أجمع إلى إعلان التزامها بخفض انبعاث الغازات المتسببة في ظاهرة تغير المناخ وتحديداً ثاني أكسيد الكربون. فقد أبدت الدول المتقدمة والنامية رغبتها في مؤتمر الأطراف الحادي والعشرين المنعقد في باريس في عام 2015 في خفض انبعاثاتها وذلك بتقديم المبادرات الوطنية متضمنة السياسات والإجراءات المزمع تنفيذها.

وتبدو إمكانية خفض الانبعاثات من قطاع المواصلات واعدة لا سيما للدول النامية. إذ يستهلك قطاع المواصلات نحو 27% من إجمالي الطاقة على مستوى العالم وينتج عنه نحو 14.5% من إجمالي انبعاثات ثاني أكسيد الكربون (IEA, 2011;)[1] (IPCC, 2014)[3] (IEA, 2012)[2]. وتشير الدراسات إلى أن نسبة تملك المركبات الخاصة سيتضاعف في العالم خلال العقدين القادمين (Sterling and Jordon, 2009)[4] وبخاصة في الدول النامية، الأمر الذي يدعو هذه الدول التركيز على خفض الانبعاثات من هذا القطاع على وجه التحديد.

وتوجد العديد من الخيارات التقنية، التنظيمية والاقتصادية لخفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من قطاع المواصلات البرية. ومن أبرز أمثلة هذه الخيارات هو استخدام المركبات الكهربائية والهجينة، استخدام المواصلات العامة، فرض الضرائب على المركبات الأكثر تلويثاً للبيئة بالإضافة إلى ضريبة الوقود، السياقة البيئية، ومعايير كفاءة الطاقة للمركبات

(Callaway et al., 1999)[5] (Wright and Fulton, 2005)[6] (EEA, 2008)[7] (Erickson et al., 2009)[8]; (IPCC, 2014)[3] (Annema, 2013)[11] (Santos et al., 2010)[10] (ESCWA, 2009)[9] وبالرغم من أن تطبيق العديد من هذه الخيارات قد تم بنجاح في عدد من دول العالم، إلا أن تبني مثل هذه السياسات في الدول النامية يتطلب مراعاة الظروف الخاصة بكل دولة على حدة. ويرجع ذلك إلى اختلاف أنواع المركبات وخصائصها، أسعار الوقود، ونمط الاستهلاك بشكل عام بين الدول.

وبالنظر إلى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، يظهر جلياً من الإحصائيات المنشورة ارتفاع نصيب الفرد من كمية انبعاثات ثاني أكسيد الكربون ناهيك عن ارتفاع مؤشر كثافة الكربون، الذي يقاس بكمية الانبعاثات للوحدة الواحدة من الناتج القومي الإجمالي، مقارنة بباقي الدول (IEA, 2014)[12]. وهذا ما يعني وجود فرصة لخفض الانبعاثات من القطاعات

المختلفة المستهلكة للطاقة عن طريق رفع كفاءة استخدام الطاقة. ولعل المؤشرات الخاصة بمملكة البحرين هي الأعلى بين دول المجلس وخاصة فيما يتعلق بمؤشر كثافة الكربون، ناهيك عن أن عمر المخزون النفطي هو الأقل، مما يعني أهمية التوفير في استهلاك الطاقة. وهذا ما دفع إلى دراسة مدى خفض الانبعاثات واستهلاك الطاقة في مملكة البحرين تحديداً، لتكون أنموذجاً يمكن تطبيقه في الدول الأخرى ذات الخصائص المماثلة.

يهدف هذا البحث إلى تقييم مدى فعالية إحدى السياسات المتبعة في عدد من دول العالم، ألا وهي فرض معايير كفاءة الطاقة على المركبات الخفيفة، في خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في البحرين، وذلك على النحو التالي:

- تحديد مدى تأثر فعالية هذه المعايير بعدد من المتغيرات
- الوقوف على المنافع الثانوية التي يمكن تحقيقها عند تطبيق هذه المعايير
- بيان أكثر المعايير ملائمة للوضع في البحرين
- اقتراح آلية لتطبيق معايير كفاءة الطاقة للمركبات في البحرين خاصة، وفي دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي عامة

وتكمن أهمية هذا البحث في تحديده للخطوات العملية لتنفيذ المعايير على أرض الواقع، بالإضافة إلى توفيره البيانات اللازمة لاتخاذ القرار المتعلق بتحديد المعيار وذلك بحسب كمية الخفض في الانبعاثات المرجوة. وهذا ما يساعد على الإيفاء بالتزامات البحرين تجاه اتفاقية باريس، لا سيما وأن المبادرة الوطنية قد اشتملت على بند تحسين كفاءة استهلاك المركبات للطاقة. كما، ويساعد تقييم مدى فعالية هذه السياسة وفق المتغيرات المختلفة ومن ثم تبنيها على تحقيق الهدف المتعلق بخفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون والمتضمن في خطة عمل الحكومة للفترة 2015 – 2018.

يتألف هذا البحث من خمسة أجزاء، بحيث يتناول الجزء الثاني منه الأدبيات المتعلقة بمعايير كفاءة الطاقة من حيث المفهوم، آليات التطبيق المختلفة، بالإضافة إلى نماذج مختارة من دول العالم. أما الجزء الثالث فيبين المنهجية التي تم إتباعها في حين يتم عرض نتائج البحث في الجزء الرابع. وأخيراً، يوضح الجزء الخامس أكثر الخيارات ملاءمة للوضع في البحرين بالإضافة إلى عرض كيفية التطبيق.

1. الدراسات السابقة

يعني مفهوم كفاءة الطاقة للمركبات كمية الوقود اللازمة لقطع مسافة معينة باستخدام المركبة. ويتم التعبير عن كفاءة الطاقة باستخدام وحدات مختلفة، فمثلاً يتم استخدام مؤشر عدد الكيلومترات المقطوعة باستخدام لتر واحد من الوقود (كم / لتر)، مؤشر عدد لترات الوقود المستخدمة لقطع مسافة 100 كيلومتر (لتر / 100 كم)، بالإضافة إلى مؤشر عدد الأميال المقطوعة باستخدام غالون واحد من الوقود (ميل / غالون).

وتقوم سياسة معايير كفاءة الطاقة على أساس احتساب متوسط الكفاءة لجميع المركبات الخفيفة الجديدة المباعة في بلد ما عوضاً عن كفاءة استهلاك الوقود للمركبة الواحدة فقط. وهناك طرق عدة تستخدم لقياس كفاءة الطاقة ومن بينها دورة القيادة الأوروبية الجديدة، دورة القيادة الأميركية بالإضافة إلى دورة القيادة اليابانية. ويكمن الاختلاف بين دورات القيادة هذه في طريقة قياس الانبعاثات وذلك خلال مراحل مختلفة من القيادة، السرعة والوقت، وذلك بحسب الظروف الخاصة بكل بلد على حدة (GFEI, [no date])[13].

وتعتبر معايير كفاءة الطاقة إحدى الخيارات منخفضة الكلفة وسهلة التطبيق لخفض الانبعاثات من المركبات. إذ تشير الدراسات إلى أن تطبيق هذه المعايير في الاتحاد الأوروبي قد مكنها من تحسين كفاءة المركبات بنسبة 15% وذلك عند بداية تطبيقها (IEA, 2009)[14]. الجدير بالذكر أن بداية تطبيق معايير كفاءة الطاقة أو مقاييس انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في الاتحاد الأوروبي كان بشكل طوعي وذلك في عام 1994. إلا أنه وبسبب عدم تحقيق الأهداف المرجوة بعد مرور وقت على الالتزام الطوعي للشركات المصنعة للمركبات، تم جعل تطبيق هذه المقاييس إلزامياً في عام 2009، وكذا الحال بالنسبة لليابان، كوريا وكندا التي تحولت جميعها من النظام الطوعي في فرض المعايير إلى النظام الإلزامي. أما بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية، فقد كان بداية تطبيق معايير كفاءة الطاقة فيها إلزامياً منذ عام 1975، وكذا الأمر بالنسبة للصين التي سارت على خطى الولايات المتحدة الأميركية.

ولعل الأهداف التي تكمن وراء فرض مثل هذه المعايير تختلف من بلد إلى آخر، فقد كان تحقيق أمن الطاقة وتقليل الاعتماد على الوقود المستورد وتقلبات أسعاره في السوق العالمية هو الدافع بالنسبة إلى الصين (Amin, 2009)[15] (He et al., 2005)[17] (Oliver et al.,2009)[16]. أما بالنسبة إلى دول الاتحاد الأوروبي، فقد كانت حريصة على الإيفاء بمتطلبات بروتوكول كيوتو ولذلك اتجهت نحو فرض مثل هذه المعايير (IEA, 2008)[18].

وقد قامت ست منظمات* بإطلاق مبادرة عالمية لتحسين كفاءة طاقة المركبات الخفيفة في العالم في عام 2009. وتهدف هذه المبادرة إلى تحسين كفاءة استهلاك الطاقة بنسبة 50% بحلول عام 2050 وذلك مقارنة بعام 2005. وتتمثل أنشطة المبادرة العالمية في بناء القدرات، توفير البيانات والمساعدة في إعداد السياسات ذات العلاقة. وقد قامت المبادرة بإعداد منهجية واضحة لكيفية حساب متوسط كفاءة استهلاك المركبات للطاقة بالإضافة إلى تطبيقها في عدد من الدول وخاصة الدول النامية التي تعاني من مشاكل تتعلق بتوفر البيانات (GFEI, [no date])[13].

وتشير الدراسات المعنية بتحسين كفاءة استهلاك المركبات للطاقة إلى ضرورة تبني سياسات محددة مصاحبة لفرض المعايير، ومن أبرزها توفير ملصق تعريفي للمركبات بالإضافة إلى رفع أسعار الوقود (Onoda, 2008)[19]. وفيما يتعلق بالملصق التعريفي، فضرورته تتمثل في توعية المستهلك بالآثار المترتبة على اختياره ناهيك عن تعريفه بمدى كفاءة المركبة التي يرغب في شرائها مقارنة بالخيارات المتاحة في السوق (de Visser and Blok, 2011)[20]. وأما بخصوص رفع أسعار الوقود، فقد رأى بعض الباحثين أن مثل هذا الإجراء يضمن عدم زيادة استهلاك الوقود أو زيادة استخدام المركبة. إذ توصل الباحثون إلى حدوث ما يعرف بظاهرة الارتداد (rebound effect) وذلك عند تطبيق معايير كفاءة الطاقة؛ الأمر الذي يعني أن الوفر الذي يحققه المستهلك جراء استخدامه لمركبة عالية الكفاءة في استهلاك الوقود يدفعه إلى زيادة استخدام المركبة وبالتالي استهلاك المزيد من الوقود، مما يتسبب في النهاية بعدم جدوى تحسين كفاءة استهلاك الطاقة في المركبات

(Barrett and Scott, 2012)[21] (Wang et al., 2012a)[22] (Wang et al., 2012b)[23]

(Whitehead et al., 2015)[25](Solaymani et al., 2015)[24] .

---

*وكالة الطاقة الدولية International Energy Agency، برنامج الأمم المتحدة للبيئة United Nations Environment Programme، منتدى المواصلات العالمي التابع لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية International Transport Forum of the OECD، المجلس الدولي للمواصلات النظيفة International Council on Clean Transportation، مركز دراسات المواصلات بجامعة كاليفورنيا – ديفيس Institute for Transportation Studies at UC Davis، منظمة فيا FIA Foundation.

وأما بخصوص تطبيق معيار كفاءة الطاقة للمركبات في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، فلعل المملكة العربية السعودية هي أولى دول المنطقة التي أخذت بزمام المبادرة. إذ فرضت السعودية تنفيذ هذا المعيار في مطلع العام 2016 محددة هدف الوصول إلى متوسط كفاءة طاقة للمركبات قدره 19 كم / لتر بحلول عام 2025 وذلك بمقدار نمو سنوي يبلغ 4%. هذا، وقد تم تضمين معيار كفاءة الطاقة للمركبات في المبادرة الوطنية التي قدمتها السعودية إلى مؤتمر الأطراف الحادي والعشرين في باريس، ومن المتوقع أن يساهم تطبيق هذا المعيار في تحقيق وفر في الطاقة بمقدار 300 ألف برميل يومياً من الجازولين والديزل بحلول عام 2030 (SASO, 2013)[26].

وفيما يختص بمملكة البحرين، فتوجد مجموعة من الدراسات التي قامت باحتساب كفاءة استهلاك الطاقة في المركبات بالإضافة إلى احتساب كمية الخفض في الانبعاثات والطاقة المستهلكة (Alsabbagh, 2016)[27]

(Alsabbagh et al., 2015b)[29] (Alsabbagh et al.,2015a)[28] كما واستعرضت دراسات أخرى آراء صناع القرار، الخبراء والجمهور بخصوص فرض مثل هذه المعايير (Alsabbagh, 2016)[30] (Alsabbagh et al., 2015b)[29].

وبالرغم من تغطية هذه الدراسات لجوانب عدة تتعلق بمعايير كفاءة الطاقة، إلا أنه ينقصها بيان مدى تأثر كمية الخفض المتوقعة في الانبعاثات والطاقة المستهلكة بمجموعة من المتغيرات التي طرأت اليوم ومن بينها: تغير أسعار الوقود، تغير حجم النمو في أعداد المركبات وتطوير نظام النقل العام وما ينتج عنه من انخفاض استخدام المركبات الخاصة، ومن هنا يأتي هذا البحث ليغطي هذه الجوانب.

2. المنهجية

استخدمت النمذجة وبناء السيناريوهات المستقبلية لتحقيق أهداف البحث وذلك على النحو التالي:

أولاً: بناء السيناريو المرجعي

قبل الشروع في توضيح المنهجية، ينبغي الإشارة إلى أن هذا البحث يتبنى مفهوم المركبات الخفيفة كما حددته المبادرة العالمية لتحسين كفاءة المركبات (GFEI, [no date])[13] بحيث يشمل المركبات المخصصة لنقل الركاب والمركبات الرياضية متعددة الأغراض، في حين تم استبعاد كل من الشاحنات، الباصات والدراجات النارية.

ولمعرفة مدى فعالية فرض معايير كفاءة الطاقة للمركبات في خفض الانبعاثات، كان لابد من بناء سيناريو مرجعي يبين الوضع في المستقبل إذا ما استمر الوضع الحالي على ما هو عليه وذلك على النحو التالي (جدول 1):

- تم اختيار سنة 2012 لتكون سنة الأساس وذلك كونها أحدث سنة تتوافر فيها البيانات وقت إجراء الدراسة، في حين تم اختيار سنة 2030 لتكون سنة النهاية وذلك لتتماشى مع رؤية البحرين 2030.
- تم تحديد نسبة نمو المركبات بالاستعانة بنسب النمو للفترة 2000 – 2012 وذلك بحساب المتوسط الحسابي.
- تمت الاستعانة بالبيانات المنشورة من قبل الإدارة العامة للمرور وذلك فيما يتعلق بالعدد الإجمالي للمركبات الخاصة وأعداد المركبات الخاصة الجديدة.
- تمت الاستعانة بالدراسات السابقة وذلك لتحديد متوسط كفاءة الطاقة للمركبات الخاصة الجديدة بالإضافة إلى متوسط المسافة المقطوعة سنوياً للمركبة.
- تم بناء السيناريو المرجعي باستخدام برنامج تخطيط بدائل الطاقة على المدى البعيد (LEAP). هذا البرنامج يقوم على بناء السيناريوهات المستقبلية باستخدام عدد محدد من المتغيرات، الأمر الذي يجعله مناسباً للدول النامية التي تعاني من محدودية البيانات المتوافرة (Heaps, 2008)[31].
- للتأكد من جودة التوقعات المستقبلية المتعلقة بأعداد المركبات، تم استخدام المعادلتين رقم 1 و2 وذلك على النحو التالي (Pongthanaisawan and Sorapipatana, 2013)[32]:

معادلة 1: متوسط الخطأ = (1/متوسط القيم المشاهدة) * [(القيمة المحسوبة – القيمة المشاهدة)/عدد القيم) *100]

معادلة 2: جذر متوسط مربع الخطأ = (1/متوسط القيم المشاهدة) *[(القيمة المحسوبة – القيمة المشاهدة)^2 /عدد القيم) $^{2/1}$[100*

جدول 1: الفرضيات المستخدمة في بناء السيناريو المرجعي

المتغير	الفرضية (نسبة النمو السنوي %)	المرجع	السبب
سنة الأساس	2012	–	وذلك لتوافر متوسط كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة في البحرين (Alsabbagh, 2015)
سنة النهاية	2030	–	لتتماشى مع رؤية البحرين 2030
كفاءة الطاقة	10.4 (0.7)	Alsabbagh, 2015; Alsabbagh et al., 2015b	بالاستناد إلى الدراسات السابقة
عدد المركبات الخاصة الإجمالي	406,656	General Directorate of Traffic, 2013	بالاستناد إلى أعداد المركبات المنشورة
عدد المركبات الخاصة الجديدة	35,720 (6.7)	General Directorate of Traffic, 2013	بالاستناد إلى أعداد المركبات المنشورة
متوسط المسافة المقطوعة سنوياً بالكيلومتر	17,222 (−1.5)	Alsabbagh et al., 2015a; Alsabbagh et al., 2015b	بالاستناد إلى الدراسات السابقة

ملاحظة: تمثل الأرقام داخل الأقواس نسبة النمو السنوي (%) والتي تم استخدامها في بناء السيناريو المرجعي

ثانياً: بناء سيناريوهات فرض معايير كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة

بين الجزء الخاص بالأدبيات المتعلقة بهذا المعيار غياب الدراسات المتعلقة بمدى تأثر كمية الخفض المتوقعة من الانبعاثات بمجموعة من العوامل المتغيرة. وبغية الإسهام في توفير البيانات المتعلقة بهذا الجزء، تم إتباع الخطوات التالية (جدول 2)

- تم افتراض بدء تطبيق معيار كفاءة الطاقة للمركبات في عام 2019 وذلك كي يتسنى الإعداد المسبق له.
- تم البحث عن المعايير المختلفة التي تبنتها الدول بغية معرفة مدى تأثير كل منها على نسبة الخفض المتوقعة في الانبعاثات. وعليه، فقد تم تحديد ثلاثة معايير لهذا البحث: معيار كفاءة طاقة منخفض، متوسط، ومرتفع.
- تم بحث تأثير نسب النمو المختلفة لأعداد المركبات على نسبة الخفض في الانبعاثات وذلك بالاعتماد على أعلى وأقل ومتوسط نمو المركبات الجديدة خلال الفترة 2000 – 2012.
- نظراً لغياب الإحصائيات المتعلقة بمدى تأثير ارتفاع أسعار الوقود في البحرين في يناير 2016 على الطلب على الوقود، ونظراً لغياب البيانات التي توضح تأثير التطور في خدمات المواصلات العامة في عام 2015 على أنماط

المواصلات البرية المستخدمة، تم افتراض انخفاض متوسط المسافة المقطوعة للمركبة بنسب متفاوتة كما هو مبين في جدول 2. حيث تبين الدراسات السابقة أن ارتفاع أسعار الوقود يؤدي إلى انخفاض متوسط المسافة المقطوعة للمركبة في السنة، كما وأن التحول من استخدام المركبات الخاصة إلى استخدام المواصلات العامة من شأنه خفض نصيب الفرد من الطاقة المستهلكة وذلك للمسافة المقطوعة (Litman, 2017)[33]

(DE Andrade and D'Agosto, 2016) [34]

- لحساب مدى تأثير التغير في نسب نمو المركبات ومتوسط المسافة المقطوعة للمركبة سنوياً على نسبة الخفض في الانبعاثات وذلك لمعايير كفاءة الطاقة المختلفة، تم استخدام المعادلة التالية (Pannell, 1997)[35]:

نسبة التغير = (نسبة الخفض في الانبعاثات وذلك قبل التغير – نسبة الخفض في الانبعاثات بعد التغير) / مقدار التغير معادلة (3)

جدول 2: الفرضيات المستخدمة في بناء سيناريوهات فرض معايير كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة

المتغير	الفرضية (نسبة النمو السنوي %)	السبب
بدء تطبيق معيار كفاءة الطاقة	2019	وذلك بافتراض الحاجة إلى عامين لدراسة الموضوع، إعلام وكلاء بيع السيارات والإعداد للتنفيذ
نسبة نمو المركبات الخفيفة الجديدة سنوياً	(%5) (%6.7) (%8)	أقل نسبة نمو للمركبات خلال الفترة 2000 – 2012 متوسط نمو المركبات خلال الفترة ذاتها أعلى نسبة نمو للمركبات خلال الفترة ذاتها (باستثناء نسبة 12% التي تم اعتبارها قيمة شاذة وبالتالي تم استبعادها)
معيار كفاءة الطاقة	منخفض (4%) متوسط (5%) مرتفع (7.5%)	وذلك على غرار متوسط التحسن في كفاءة المركبات وفق المعيار السعودي بافتراض نسبة تحسن في كفاءة المركبات توازي مثيلتها الأميركية بافتراض تحقيق الهدف الأميركي لعام 2025
متوسط المسافة المقطوعة للمركبة سنوياً	(-1.5%) (-2%) (-2.5%)	بافتراض عدم تغير نمط المواصلات الحالي بافتراض انخفاض استخدام المركبات الخاصة بسبب ارتفاع أسعار الوقود والتحول نحو استخدام المواصلات العامة

ملاحظة: تمثل الأرقام داخل الأقواس نسبة النمو السنوي (%) والتي تم استخدامها في بناء السيناريو المرجعي

ثالثاً: تقدير المنافع الثانوية

يصاحب خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من المركبات عدد من المنافع، وتم تقدير بعضها في هذا البحث وذلك على النحو الآتي:

- تم حساب نسبة الخفض في انبعاث أول أكسيد الكربون وأكاسيد النيتروجين وذلك باستخدام برنامج LEAP وذلك للفترة 2019 – 2030.
- تم حساب العمر الزمني المضاف إلى المخزون النفطي في البحرين وذلك بالاستعانة بكمية الخفض المتوقعة في استهلاك الجازولين ومعلومية كميات الاستهلاك المتوقعة.

رابعاً: المفاضلة بين المعايير المختلفة لكفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة

تم في هذا البحث التعرف على كمية الخفض في الانبعاثات المتحققة عند تطبيق معايير مختلفة لكفاءة الطاقة للمركبات. وبغية المفاضلة بين المعايير المختلفة، تم إتباع الخطوات التالية:

- تمت المقارنة بين المعايير حسب المنافع الرئيسية (خفض الانبعاثات وخفض الطاقة المستهلكة) والمنافع الثانوية (خفض ملوثات الهواء وإطالة عمر المخزون النفطي) وذلك في شكل مصفوفة وصفية.
- تمت الاستعانة بالدراسات السابقة لتحديد مدى تقبل صناع القرار، الخبراء، والجمهور لكل من هذه المعايير.
- تم إعداد التوصيات واقتراح خطوات التنفيذ وذلك بالاستعانة بنتائج هذه الدراسة بالإضافة إلى الدراسات السابقة ذات العلاقة. كما وتم اقتراح آلية التنفيذ لدول مجلس التعاون – فيما عدا السعودية كون هذا المعيار مطبق لديها – بحيث يأخذ التنفيذ طابعاً إقليمياً.

3. النتائج

باتباع خطوات المنهجية آنفة الذكر، تم التوصل إلى النتائج التالية:

أولاً: بناء السيناريو المرجعي

أسفرت نتائج بناء السيناريو المرجعي عن أن العدد الإجمالي للمركبات الخفيفة في البحرين سيتضاعف بحلول عام 2030 وسيبلغ نحو 1.2 مليون مركبة. كما وبينت النتائج أن متوسط كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة الجديدة سيبلغ11.8 كم / لتر، الأمر الذي سيساهم في ارتفاع كمية انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من هذه المركبات وذلك بنسبة 120% كما وسيزيد أيضاً من

مقدار استهلاك الطاقة الذي سيرتفع من 0.7 مليون طن نفطي مكافئ في عام 2019 إلى نحو 1.1 مليون طن نفطي مكافئ بحلول عام 2030.

هذا وقد تم التحقق من جودة التوقعات التي تتعلق بنسبة نمو المركبات باستخدام المعادلتين رقم 1 و 2، حيث كانت نتيجة متوسط الخطأ وجذر متوسط مربع الخطأ تبلغ 1.9% و 1.6% على التوالي. وتعتبر هذه النتائج مناسبة لبناء السيناريوهات، إذ أن نطاق نسبة الخطأ المقبول يتراوح ما بين −10% و +10% (Khalil and Shaffie, 2013)[36].

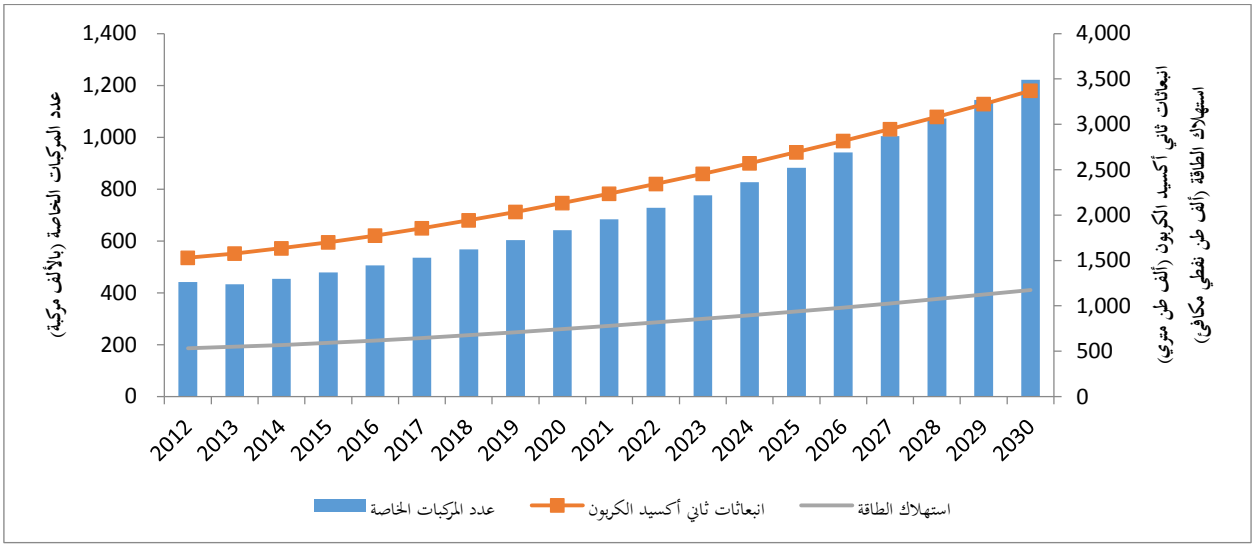

شكل 1: عدد المركبات الخفيفة، انبعاثات ثاني أكسيد الكربون واستهلاك الطاقة في الفترة 2012 – 2030 بحسب السيناريو المرجعي

ثانياً: بناء سيناريوهات فرض معايير كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة

تم توقع مدى إسهام ثلاثة معايير مختلفة لكفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة في خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في البحرين، وافترض المعيار الأول مقدار تحسن منخفض في كفاءة الطاقة قدره 4% سنوياً خلال الفترة 2019 – 2030، في حين كانت النسبة 5% لمعيار الكفاءة المتوسط، أما معيار الكفاءة المرتفع فقد افترض نسبة تحسن في كفاءة الطاقة تبلغ 7.5% في السنة. وعليه، فقد تم بناء ثلاثين سيناريو مستقبلياً وذلك للتعرف على مدى تأثير عدد من المتغيرات (نسبة نمو المركبات ونسبة التغير في المسافة المقطوعة) (جدول 2) على كمية الانخفاض المتوقعة في الانبعاثات وذلك عند تطبيق كل معيار من معايير كفاءة الطاقة الثلاثة السابقة الذكر

وبينت نتائج التحليل أن فرض معايير كفاءة طاقة مرتفعة هو الأفضل في خفض انبعاث ثاني أكسيد الكربون للمركبات الخفيفة، إذ بلغت إمكانية إسهامه نحو 16% وذلك بافتراض كون المعايير هي المتغير الوحيد في السيناريوهات. وفي المقابل فإن أقل نسبة خفض في الانبعاثات كانت من نصيب فرض معايير كفاءة طاقة منخفضة إذ بلغت 7.5% من إجمالي انبعاثات ثاني أكسيد الكربون للمركبات الخفيفة في البحرين وذلك للفترة 2019 – 2030 (شكل 2).

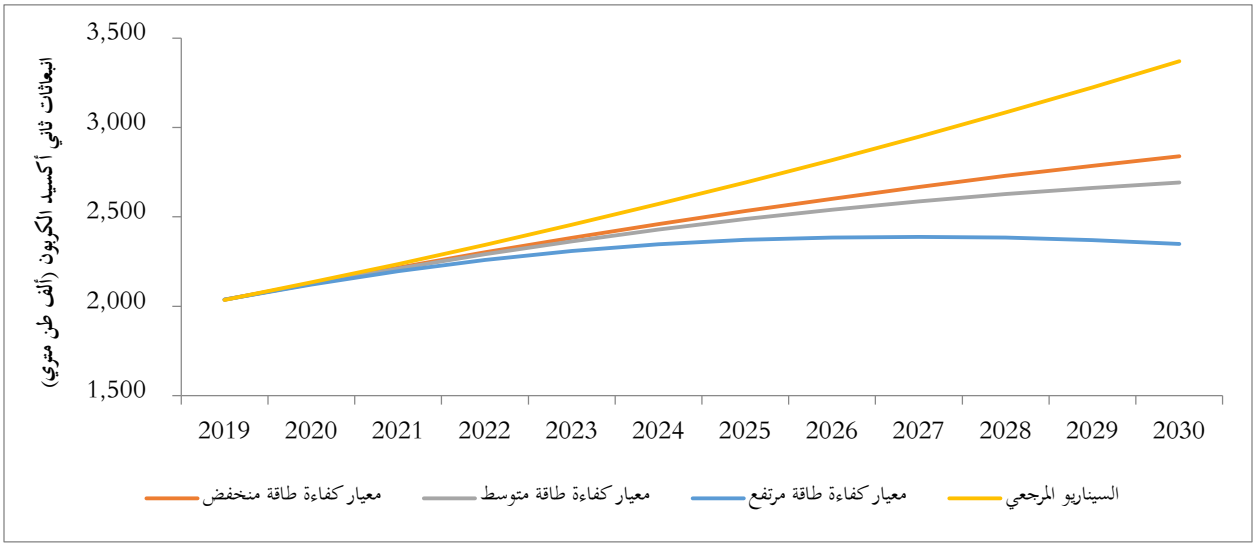

شكل 2: كمية انبعاثات ثاني أكسيد الكربون لسيناريوهات معايير كفاءة الطاقة للمركبات مقارنة بالسيناريو المرجعي

أما فيما يتعلق بمدى تأثر نسبة الخفض في الانبعاثات بالتغير في نسبة نمو المركبات ومتوسط المسافة المقطوعة، فقد بينت نتائج تطبيق المعادلة (3) أن فرض معيار طاقة منخفض نسبياً هو الأقل تأثراً بالتغير في هذين العاملَين، إذ بلغت أعلى نسبة خفض متوقعة له 8.1% في حين أن أدنى نسبة خفض هي 6.3% (شكل 3). أما بالنسبة لمعيار كفاءة الطاقة المرتفع، فقد بينت النتائج أنه الأكثر تأثراً بالتغير الحاصل في هذين العاملَين وذلك بمدى يبلغ 3.9%.

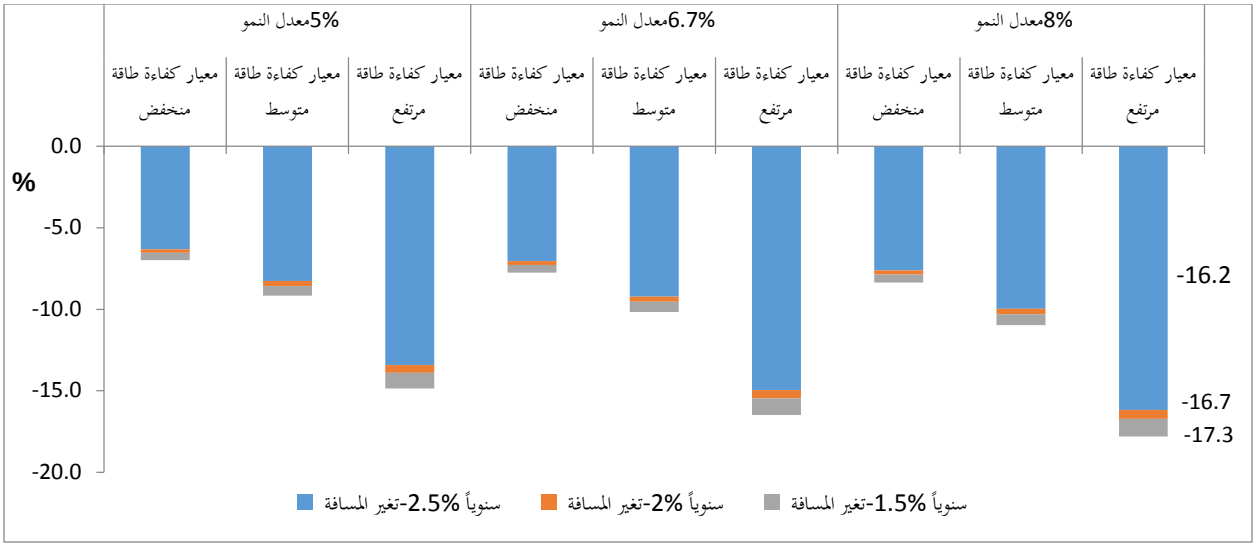

شكل 3: مدى تأثير التغير في المسافة المقطوعة ونسبة نمو المركبات على كمية الخفض في انبعاثات ثاني أكسيد الكربون لسيناريوهات معايير كفاءة الطاقة للمركبات مقارنة بالسيناريو المرجعي

وبشكل عام، فقد خلصت نتائج التحليل إلى وجود علاقة عكسية بين نسبة الخفض في متوسط المسافة المقطوعة سنوياً للمركبة ومقدار الخفض في كمية الانبعاثات، وعلاقة طردية بين زيادة نسبة النمو في عدد المركبات الخفيفة ومقدار الخفض في الانبعاثات، ذلك أن فعالية فرض معيار كفاءة طاقة للمركبات تزداد بزيادة استخدام المركبات وعددها.

ثالثاً: تقدير المنافع الثانوية

تُصاحب عملية تحسين كفاءة استهلاك الطاقة في المركبات الخفيفة تحقيق عدد من المنافع الثانوية وذلك إلى جانب خفض كمية انبعاثات ثاني أكسيد الكربون واستهلاك الطاقة. وتشمل المنافع الثانوية التي تم تقديرها في هذا البحث كمية الخفض في انبعاث ملوثات الهواء وإطالة عمر المخزون النفطي.

أما بالنسبة لتقليل ملوثات الهواء، فقد بينت النتائج أن نسبة إجمالي الخفض في انبعاثات كل من أول أكسيد الكربون وأكاسيد النيتروجين تتراوح بين 6.3% وذلك كحد أدنى و17.3% كحد أقصى وذلك مقارنة بالسيناريو المرجعي. وفيما يتعلق بإطالة عمر المخزون النفطي، فقد بينت نتائج التحليل أن فرض معيار كفاءة لاستهلاك الطاقة في المركبات الخفيفة في البحرين من شأنه أن يضيف ما بين 0.4 و 1.3 سنة للمخزون النفطي وذلك حسب الفرضيات المستخدمة في بناء السيناريوهات.

رابعاً: المفاضلة بين المعايير المختلفة لكفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة

تمت الاستعانة بنتائج النمذجة بالإضافة إلى الدراسات السابقة في المفاضلة بين المعايير الثلاثة لكفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة في البحرين. وتمت المفاضلة على أساس المعايير التالية: الفعالية في خفض ثاني أكسيد الكربون وملوثات الهواء

الأخرى، مدى التأثر بالتغيير في المسافة المقطوعة ونمو المركبات، إطالة عمر المخزون النفطي، تكلفة الفرصة البديلة*، بالإضافة إلى تفضيلات صناع القرار، الخبراء والجمهور (Alsabbagh et al., 2015b;)[29]

(Alsabbagh et al., 2016)[30] (جدول 3).

جدول 3: مقارنة كيفية بين السيناريوهات المختلفة لفرض معيار كفاءة الطاقة للمركبات وذلك وفق عدد من المعايير

وجه المقارنة	معيار كفاءة طاقة منخفض	معيار كفاءة طاقة متوسط	معيار كفاءة طاقة مرتفع
خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون			
خفض الملوثات الأخرى			
مدى التأثر بعدد من المتغيرات			
إطالة عمر المخزون النفطي			
تكلفة الفرصة البديلة			
تفضيل صناع القرار والخبراء			
تفضيل الجمهور			

ملاحظة: يشير اللون الأخضر إلى معيار كفاءة الطاقة الأكثر فعالية، في حين يشير اللون الأحمر إلى المعيار الأقل فعالية. أما اللون الأصفر فيعني أن فعالية المعيار متوسطة مقارنة بالمعيارين الآخرين.

ويتضح من هذه المفاضلة فعالية فرض معيار كفاءة طاقة مرتفع نسبياً، رغم أنه الأقل قبولاً بين الجمهور، كما أن فعاليته أكثر تأثراً بالعوامل المتغيرة. وبالرغم من ذلك، فإنه وبحسب نتائج التحليل (شكل 3)، فإن أدنى نسبة خفض في انبعاثات ثاني أكسيد الكربون (13.4%) هي أعلى من القيمة القصوى لفعالية معيار كفاءة الطاقة المنخفض والمتوسط (−8.1%و −10.6% على التوالي). ومن ناحية أخرى، تشير نتائج المصفوفة إلى أنه وبالرغم من أن معيار كفاءة الطاقة المنخفض هو الأقل فعالية، إلا أنه الأقل تأثراً بالعوامل المتغيرة والأكثر قبولاً لدى الجمهور. ولعل السبب في تفضيل الجمهور للمعيار المنخفض هو رغبتهم في التدرج في تطبيق معيار كفاءة الطاقة للمركبات وذلك بغية إتاحة الفرصة لتقييمه، في حين يرى صناع القرار والخبراء أهمية البدء بفرض معيار مرتفع نسبياً وذلك لزيادة خفض كمية الانبعاثات وتوفير الطاقة المستهلكة.

(Alsabbagh et al., 2016)[30](Alsabbagh et al., 2015b)[29]

تأتي هذه المفاضلة لتساعد متخذ القرار على اتخاذ الخطوة القادمة. إذ يتطلب فرض معيار كفاءة طاقة مرتفع الحصول على دعم الجمهور وذلك لانعكاساته الاقتصادية عليهم (Alsabbagh et al., 2016)[30]، في حين أن نتائج فرض معيار كفاءة

* هي التكلفة المترتبة على اختيار خيار معين. وفي هذه الحالة نعني بها خيار بيع الوقود الذي تم توفيره من خلال تطبيق معيار كفاءة الطاقة في السوق العالمية بدل استهلاكه محلياً وبسعر مدعوم.

طاقة منخفض (16.8 كم/ لتر) قد لا تكون في مستوى التطلعات المرجوة، وبالرغم من ذلك، يبقى فرض هذا المعيار أكثر فعالية من عدم فرض معيار كفاءة طاقة على الإطلاق إذ لا يتجاوز متوسط كفاءة الطاقة حينها 11.8 كم / لتر.

خاتمة

أبدت دول العالم التزامها بخفض انبعاثاتها من غازات الدفيئة خلال مؤتمر الأطراف الحادي والعشرين، ومن بينها مملكة البحرين التي وقعت مؤخراً على اتفاقية باريس في أبريل 2016. كما وتضمنت المبادرة الوطنية للبحرين سياسة تحسين كفاءة استهلاك المركبات للطاقة ضمن خطتها المزمعة لخفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون. وبالرغم من أن الدراسات السابقة ذات العلاقة قد أوصت بتبني البحرين لمثل هذه المعايير، إلا أن تحديد معيار الكفاءة الملائم وخاصة في ظل تغير أسعار الوقود وتطوير شبكة المواصلات يبقى ضرورة ملحة.

كان الهدف من إجراء هذا البحث هو دراسة مدى تأثر كمية الخفض في الانبعاثات الناتجة عن تطبيق معايير كفاءة طاقة مختلفة بعدد من المتغيرات، بالإضافة إلى بيان المنافع الثانوية والمفاضلة بين المعايير المختلفة. وتكمن أهمية هذا البحث في تقديم خيار واقعي التنفيذ مع اقتراح سبل تنفيذه.

وخلص البحث إلى أن فرض معيار كفاءة طاقة مرتفع هو الأكثر فعالية في خفض الانبعاثات، إلا أنه وفي الوقت ذاته، الأكثر تأثراً بالتغير في العوامل المختلفة، كما أنه الأقل قبولاً بين الجمهور. وعليه، فإنه وبحسب نتائج المفاضلة الوصفية، يبدو فرض معيار كفاءة طاقة متوسط هو الأكثر واقعية ناهيك عن كونه يتيح تطبيق هذا المعيار على أرض الواقع ومن ثم إمكانية مراجعته بعد التطبيق. وأما بخصوص تنفيذ معيار كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة في البحرين، فإنه يمكن إضافة هذا المعيار ضمن المتطلبات البيئية للمركبات والتي يضطلع بإعدادها المجلس الأعلى للبيئة في مملكة البحرين. ولعل وزارة الطاقة تتبنى هذا المعيار ومن ثم يتم تضمينه في المواصفات والمقاييس الخاصة بالمركبات والتي تضطلع بها وزارة التجارة والصناعة والسياحة البحرينية.

ولتطبيق معيار كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، يوصي هذا البحث بتضمين معيار كفاءة الطاقة في المواصفات الموحدة للمركبات الصادرة عن هيئة التقييس لدول مجلس التعاون، لا سيما وأن هذه المواصفات تشتمل على عدد من المواصفات البيئية ومن بينها تحديد عدد من ملوثات الهواء. كما ويوصي البحث أيضاً بإعداد مختبر قياس مركزي يعمل على خدمة دول المجلس وذلك لقياس كفاءة الطاقة والانبعاثات بغية توفير الموارد المالية لا سيما وأن تكلفة

تجهيز المختبر الواحد مرتفعة نسبياً. هذا، وبالإمكان أيضاً إعداد قاعدة بيانات موحدة للمركبات المستوردة وذلك توفيراً للوقت والجهد المبذول في تجميع البيانات وقياس الانبعاثات. غير أنه ينبغي أولاً التعرف على مدى كفاءة استهلاك الطاقة في المركبات الخفيفة في دول مجلس التعاون – فيما عدا السعودية– وذلك لتكون مؤشراً يحدد المعيار الملائم. وبالرغم من أن نسبة الخفض في الانبعاثات واستهلاك الطاقة قد لا تكون كبيرة، إلا أن عملية تطبيق هذا المعيار يسيرة ويمكن تنفيذها بنجاح وذلك بالاستعانة بخبرات الدول التي دخل فيها هذا المعيار حيز التنفيذ منذ أكثر من عشرين عاماً. كما ويتيح معيار كفاءة الطاقة للمركبات الخفيفة فرصة التخلص من المركبات منخفضة الكفاءة على المدى البعيد واستبدالها بأخرى أكثر كفاءة، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في أن تفي دول مجلس التعاون بالتزاماتها في خفض الانبعاثات من ثاني أكسيد الكربون.

المراجع

1. IEA 2011. Key world energy statistics. Paris: IEA.
2. IEA 2012. Key world energy statistics. Paris: IEA.
3. IPCC 2014. Climate change 2014: Mitigation of climate change. Contribution of working group III to the Fifth Assessment Report of the Intergovernmental Panel on Climate Change. *In:* EDENHOFER, O., PICHS-MADRUGA, R., SOKONA, Y., FARAHANI, E., KADNER, S., SEYBOTH, K., ADLER, A., BAUM, I., BRUNNER,
4. SPERLING, D. & GORDON, D. 2009.Two Billion Cars.Driving toward sustainability. New York: Oxford University Press.
5. CALLAWAY, J., FENHAM, J., GORHAM, R., MAKUNDI, W. & SATHAYE, J. 1999. Economics of greenhouse gas limitations. Denmark: UNEP Collaborating Centre on Energy and Environment.
6. WRIGHT, L. & FULTON, L. 2005. Climate Change Mitigation and Transportation in Developing Nations. *Transport Reviews,* 25, 691-717.
7. EEA 2008. Success stories within the road transport sector on reducing greenhouse gas emission and producing ancillary benefits. Copenhagen: EEA.
8. ERICKSON, P., HEAPS, C. & LAZARUS, M. 2009. Greenhouse gas mitigation in developing countries [Online]. Available: http://www.energycommunity.org/documents/WorkingPaperUS09-03.pdf [Accessed 28April 2016].

9. ESCWA 2009. Transport for sustainable development in the Arab region: Measures, progress achieved, challenges and policy framework[Online]. Available: https://www.unescwa.org/sites/www.unescwa.org/files/publications/files/sdpd-09-wp-1.pdf[Accessed 28 April 2016].

10. SANTOS, G., BEHRENDT, H., MACONI, L., SHIRVANI, T. & TEYTELBOYM, A. 2010. Part I: Externalities and economic policies in road transport. *Research in Transportation Economics,* 28, 2-45.

11. ANNEMA, J. A. 2013. Transport policy. *In:* VAN WEE, B., ANNEMA, J. A. & BANISTER, D. (eds.) *The Transport System and Transport Policy: An Introduction.* Cheltenham: Edward Elgar.

12. IEA 2014. Key world energy statistics. Paris: IEA.

13. GFEI [no date]. Developing a baselin [Online]. Available: https://www.globalfueleconomy.org/transport/gfei/autotool/about.asp [Accessed 3 August 2017].

14. IEA 2009. Towards a more energy efficient future. France: OECD/IEA.

15. AMIN, A. 2009.Reducing emissions from private cars: incentives measures for behavioral change. Prepared for Economics and Trade Branch, Division of Technology, Industry and Economics, United Nations Environment Program.

16. OLIVER, H., GALLAGHER, K., TIAN, D. & ZHANG, J. 2009. China's fuel economy standards for passenger vehicles: Rational, policy process, and impacts. *Energy Policy*, 37, 4720-4729.

17. HE, K., HUO, H., ZHANG, Q., HE, D., AN, F., WANG, M. & WALSH M. 2005.Oil consumption and CO_2 emissions in China's road transport: Current status, future trends, and policy implications. *Energy Policy*, 33, 1499-1507.

18. IEA2008. IEA energy policies review: The European Union. France: OECD/IEA.

19. ONODA, T. 2008. Review of international policies for vehicle fuel efficiency France: IEA.

20. DE VISSER, E. & BLOK, K. 2011. Mitigation theme report: Energy efficiency. The Netherlands: Ecofys.

21. BARRETT, J. & SCOTT, K. 2012. Link between climate change mitigation and resource efficiency: A UK case study. *Global Environmental Change,* 22, 299-307.

22. WANG, H., ZHOU, D. Q., ZHOU, P. & ZHA, D. L. 2012a. Direct rebound effect for passenger transport: Empirical evidence from Hong Kong. *Applied Energy,* 92, 162-167.

23. WANG, H., ZHOU, P. & ZHOU, D. Q. 2012b. An empirical study of direct rebound effect for passenger transport in urban China. *Energy Economics,* 34, 452-460.

24. SOLAYMANI, S., KARDOONI, R., YUSOFF, S. B. & KARI, F. 2015. The impacts of climate change policies on the transportation sector. *Energy,* 81, 719-728.

25. WHITEHEAD, J., FRANKLIN, J. P. & WASHINGTON, S. 2015. Transitioning to energy efficient vehicles: An analysis of the potential rebound effects and subsequent impact upon emissions. *Transportation Research Part A: Policy and Practice,* 74, 250-267.

26. SASO 2013. In the presence of high-level formal diplomats: SASO signs a memorandum of understanding with 66 global automotive companies for the

implementation of the Saudi energy efficiency standard for light vehicles [Online]. Available: http://saso.gov.sa/en/m/Pages/viewcontent.aspx?pageurl=/en/mediacenter/news/Pages/saso_news_5115.aspx [Accessed 28 April 2016].

27. ALSABBAGH, M. 2015. Fuel economy and CO_2 emissions of light-duty vehicles in Bahrain[Online]. Available: http://www3.cedare.int/images/gfei_bahrain_report_150303_final__english.pdf [Accessed 28April 2016].

28. ALSABBAGH, M., SIU, Y. L., BARRETT, J. & ABDEL GELIL, I. 2015a. Energy use and CO_2 emissions of passenger vehicles in Bahrain – A case study. *International Proceedings of Chemical, Biological and Environmental Engineering,* 87, 95-101.

29. ALSABBAGH, M., SIU, Y. L., GUEHNEMANN, A. & BARRETT, J. 2015b. Mitigation of CO_2 emissions from the road passenger transport sector in Bahrain. *Mitigation and Adaptation Strategies for Global Change.* DOI: 10.1007/s11027-015-9666-8

30. ALSABBAGH, M. 2016. CO_2 mitigation measures for the road passenger transport sector in the Kingdom of Bahrain. PhD (unpublished), University of Leeds.

31. HEAPS, C. 2008. An introduction to LEAP[Online]. Available: http://www.energycommunity.org/documents/LEAPIntro.pdf [Accessed 28 April 2016].

32. PONGTHANAISAWAN, J. & SORAPIPATANA, C. 2013. Greenhouse gas emissions from Thailand's transport sector: Trends and mitigation options. *Applied Energy,* 101, 288-298.

33. LITMAN, T. 2017. Evaluating Public Transit Benefits and Costs [Online]. Available: http://www.vtpi.org/tranben.pdf [Accessed 3 August 2017].

34. DE ANDRADE, C. & D'AGOSTO, M. 2016. The Role of Rail Transit Systems in Reducing Energy and Carbon Dioxide Emissions: The Case of The City of Rio de Janeiro. *Sustainability*, 8, DOI:10.3390/su8020150

35. PANNELL, D. 1997. Sensitivity analysis: strategies, methods, concepts, examples [Online]. Available: http://dpannell.fnas.uwa.edu.au/dpap971f.htm [Accessed 28 April 2016].

36. KHALIL, S. & SHAFFIE, A. 2013. Performance of Statistical Comparison Models of Solar Energy on Horizontal and Inclined Surface. *International Journal of Energy and Power,* 2 (1), 8-25.

خطاب الاستعارة في السرد القصصي دراسة في مجموعة "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" لجمال الغيطاني.

Metaphor's speech in the narrative Study group "young leaves since he lived a thousand years" to the beauty of Ghitany

*د.أحمد يحيى علي

*DR.Ahmed Yahia Ali

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تناول قضية الاستعارة في النص الأدبي وبيان دورها في صياغة رؤية مميزة للعالم المحيط بالذات وفي الكشف عن خصوصية التجربة المتصلة بصاحب النص، وبيان الأثر الفاعل لسياق الخارج المحيط بعالم الفن في شحنة الخيال التي تظهر أمام القراء محملاً بها، وكان المجال التطبيقي لهذه الدراسة مجموعة "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" لجمال الغيطاني(ت2015) التي ترصد موقفا مأزوما هو انكسار الجماعة المصرية والعربية في يونيو من العام 67 من القرن الماضي وكيف تم تحويل هذا الموقف إلى بنية جمالية كان للاستعارة دور في تجليها، وخلف هذه الصياغة الجمالية يتبين الخيط الواصل بين الغيطاني والتاريخ المصري متمثلاً في إفادته من المؤرخ المصري ابن إياس (ت 1523م) ، وكتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور" ، وقد حاولت الدراسة الوقوف على أنماط لاستعارة من خلال المعالجة التطبيقية لهذه المجموعة القصصية في إطار ثنائية أثيرة هي (داخل النص وخارجه) وبيان ما للاستعارة من دور في تماسك أجزاء الخطاب الأدبي. **كلمات الدراسة المفتاحية: الاستعارة، القصة، الخطاب، السرد، التراث** .

Abstract

This study aims to address the issue of metaphor in literary text and the showing of its role in the formulation of a distinctive vision of the human world. It also deals with and the disclosure of the experience related to the text owner. The impact of the text on the surroundings has also been addressed. The domain that was applied for this study was a group of Jamal Algaitani (dies 2015) "a young man notes he lived since a thousand years". It monitored the crisis of defeat in the Arabic world in June of the year 67 of the last century. This becames a metaphor structure with the art of Al ghitani. Jamal Al ghitani was able to make a strong relationship between the Egyptian history and his art by the reading of Ibn Iyyas(died 1523). Al ghitani also read the book (Badaea alzohoor fee Waqaaea Aldohoor). This study tried to show the species of metaphor by the application in this short story group and with using this binary (the inside text and the outside text) this study tries to show the role of metaphor for linking the parts of the literature discourse. **The key words of the study: the metaphor, story, discourse, narrative and the heritage**

* كلية الألسن ، جامعة عين شمس ، مصر

* Ain-Shams University- Egypt

مقدمة

تعتمد عملية الإنجاز اللغوي المتصلة بهذه الثنائية الأثيرة (الذات والعالم) على آليتين هما التجسيد والتشخيص – في الغالب – فالمجرد الفكري والعاطفي الذي يتكون نتيجة علاقة هذه الذات بعالمها يُعاد إنتاجه بكيفيات كثيرة، منها اللغة التي تتحرك وفقًا لعمل الذات على أكثر من مسار، منها المعتمد على لغة يمكن نعتها بالمباشرة أوالصريحة (لغة حقل التاريخ أنموذجًا)، ومسار ثان يرتقي في معالجاته لهذا المجرد من عتبة المباشرة إلى عتبة جمالية رمزية، كما هو الشأن بالنسبة إلى صنعة الأدباء في منجزهم شعرًا ونثرًا، وفي هذه المنطقة تبدو عملية التجسيد والتشخيص معانقة لمفردات شديدة الارتباط بعالم الأدب، مثل: الرمز، الغموض، التخييل، الإغراب، التي تمتزج تمامًا بالبنية السطحية اللفظية للعمل[1،2]*، يأتي ذلك في إطار سلطة يتحرك فاعل النص في فضائها، وتتجلى هذه السلطة في أشكال عدة، سلطة المرجع: التي تلقي بظلال مؤثرة في وعي هذه الذات فتدفعها إلى اتخاذ رؤى إزاءها، وهذه الرؤى تستحيل هي الثانية إلى سلطة يخضع لها هذا الفاعل الفنان فيصير إرضاؤها – يعني خروجها في ثوب جديد تتدثر به لتعبر مرحلة الداخل الذهني والنفسي إلى الخارج حيث فضاء التداول – غاية مرجوة، والحديث عن هذا الثوب يأخذ الفنان إلى سلطة ثالثة هي سلطة الشكل/النوع الذي تلتحم به هذه الرؤية، وإذا كان الأدب هو هذا الشكل فإن السلطة هاهنا تضحى سلطتين: قانون اللغة الذي يعتمد عليه الأديب في نشاطه البنائي، ومن هذا القانون يشرع هذا الأديب في الوفاء بمتطلبات الشكل الأدبي الذي ينسج أفكاره تبعًا له، إن كان – على سبيل المثال – شعراً أو قصةً أو روايةً...أو غير ذلك.

هنا يحد حركة المبدع محوران، الأول: محور المرجع اللغوي (محور العلاقات الاستبدالية وفقاً لطرح اللغوي دي سوسير) الذي يستقي منه الكاتب مفرداته وتراكيبه بالنظر إلى سلطة الوعاء الذي يأوي إليه بفكره وبقلمه، وعند اكتمال الصياغة الشكلية نجدنا معه أمام محور ثان هو محور العلاقات السياقية الذي نقف معه أمام النسق اللفظي وفي منظومة الخيال التي تسكنه يبدو جلياً هذا الطابع الرحلي لنشاط الأديب في استخدامه الجمالي لعناصر اللغة[3] ؛ ومن ثم يتبين الحضور اللغوي لمفردة (استعارة) الكاشفة لعملية النقل الشكلي هذه من محور العلاقات الاستبدالية (معجم اللغة) إلى فضاء الفن[3،4]** ؛ وهو ما يجعل من كل أداء لغوي بمنزلة إقامة مؤقتة تأتي بإزاء موضع ثابت يعبر عنه المحور الأول في منطوق دي سوسير. ومع هذا الحضور اللغوي لمفردة (الاستعارة) يمكن الوقوف عند البعد المعجمي للفظة خطاب فنحن بصدد حوار/اتصال تعقده هذه الذات مستخدمة اللغة مع مرجعها (لغتها) لتقرر ما إذا كانت سترتدي في مسارها التعبيري عن أحوالها الذهنية والنفسية لباس المؤرخ أو الصحفي أو ستبتعد عن الاثنين معًا لترتدي ثيابًا آخر؛ لذا فإن لعبة الأدب عمومًا بكل ألوانها تنطوي على محذوف في مقابل موجود، أو على نفي في مقابل إثبات؛ وهو ما يقيم نوعاً من الترابط بين هذا التناول وقضية الاستعارة على المستوى البلاغي (الحضور الاصطلاحي للكلمة) التي تتأسس هي الأخرى على مسألة الحذف؛ وإن كان عمل الأديب في التحامه بمعجم اللغة يعني انتصاراً أو تغليباً لمفردات مثل: الرمز والتخييل والغموض، بينما تعتمد الاستعارة في انطلاقها من موضوع الحذف أحد الطرفين لحساب الآخر وتوسيع فكرة الجوار القائمة بينهما وتطويرها كي يصير الإثنان شيئًا واحدًا[5]***.

---

* يقترب هذا التناول من لفظة (البيان) التي تشير في دلالتها إلى أشكال التعبير المختلفة التي تعكس الحالة الإدراكية للذات في اتصالها بالعالم، وفي الجذر المتصل بهذه اللفظة (بين) تبدو جلية فكرة المسافة الفاصلة بين هذه الذات والعالم مناط الرؤية التي تنشط في علاقتها به وما يترتب عليها من معنى تتم عملية التعبير عنه بطرق عديدة، وبالنظر إلى جانب اللغة تتخذ هذه العملية مسارين يمكن وضع عنوان عام لكل واحد منهما: الحقيقة، والخيال/المجاز.

** وفي ظل هذا التصور يتبين ما للصلة التي تربط بين البيان والمجاز من أثر في كشف هذه المسافة التي تفصل بين الملفوظ والمراد على مستوى الدلالة بالنظر إلى المتكلم/المرسل ومقتضيات المقام؛ بما يجعل للمقول منطوقا كان أو مكتوبا بمنزلة غطاء يحجب خروج المعنى المقصود من قبل باث الرسالة بشكل مباشر صريح وتصدير أو لنقل تقديم معاني أخرى يتم اقتناصها للوهلة الأولى عند التعرض لرسالت

*** تقود هذه الرؤية إلى ما أورده عبد القاهر الجرجاني بخصوص الاستعارة عندما قال "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر وغير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية".

ويشجع هذا التناول لموضوع الحذف وصلته بمفردتي الخطاب والاستعارة على محاولة صياغة علاقة بين سياقي الواقع والفن تجعل من حالة الجهر التي تسم هذا الأول مدعاة لحالة صامتة ذات صبغة مخصوصة تسم هذا الثاني وتتأول جمالياً بلفظة الرمز التي تعد بمنزلة غلاف يخبئ نظرة الفن إزاء هذا الواقع؛ لذا فإن صنيع المتلقي مع منتجات هذا الفن يأتي منضوياً تحت هذه المفردة (الاستنطاق) بهدف إعادة إنتاج ما يمكن أن يمثل قيماً فكرية تسكن هذا البناء الفني الظاهر، في جدلية دائرية تبدأ من العالم وتنتهي إليه، وتبدو لعبة التأويل/الاستكشاف التي يقوم بها هذا المستقبل في نشاطه مع عالم الفن متصلة أو مرادفة لما يمكن تسميته العودة إلى الحقيقة من جديد بعد حالة العبور أو الجواز التي أنجزها الفنان منتقلاً برؤاه من شاطئ إلى شاطئ؛ وهو ما يأخذ الذهنية القارئة إلى الحضور المعجمي للفظة (مجاز) وما تنطوي عليه من طابع رحلي يعكس هذه الحركة بين طرفي ثنائية (الواقع والفن) و(الحقيقة والخيال)[4]*.

ولا شك في أن هذه النزعة الاستكشافية من قبل المتلقي وما يصاحبها من حالة تساؤلية تتولى إحالة الغموض – وما يعلق به من مصطلحات مثل: خيال، رمز، استعارة، كناية – المهيمن على طقس العمل الفني إلى حقيقة تتصل بما هو كائن في عالم الواقع تضعنا أمام ثنائية (السؤال والجواب)، هذه الثنائية التي تقيم جسورًا للصلة بين كل عمل فني من جانب وما عرف في ثقافتنا العربية منذ القدم باللغز الذي تتأسس بنيته الدرامية المعتمدة على الحوار على طرفي هذه الثنائية؛ وهو ما يفتح الباب أمام الوقوف على مقومات الشبه القائمة بين الاثنين؛ فالجواب في فن اللغز يمثل لحظة التنوير في حكايته، ووصول المتلقي إلى قيم دلالية تكشف له المعتم في بنية الفن الذي يتصدى له عمومًا يعد بمنزلة فك لعقدة ومحطة ختام تستحيل معها شفرات النص إلى دلالات مبينة تعيد حالة الالتحام بين العالمين من جديد: عالم الفن وعالم الحقيقة[6]** ؛ فإذا كانت البنية اللفظية الظاهرة للإبداع تنطوي على خيال يقتضي حزمة تساؤلات بغرض الفهم فإن فضاء الدلالة الذي ينجزه القارئ من خلال تناوله له يمثل نقطة التقاء قوية قد تصل إلى درجة التماهي التام بين ما هو متخيل وما هو واقعي؛ ومن ثم يمكن القول: إن الخيال ومتعلقاته المصطلحية قرين الصيغة الشكلية الظاهرة، أما الحقيقة فقرينة المعنى الذي ينتجه القارئ بحكم سعيه التأويلي الساعي إلى التفسير. والحديث عن هذه الحقيقة لا يعني تماماً ما يقصده المرسل من وراء رسالته الفنية بقدر ما يعني ما يطرحه المرسل إليه/المتلقي من رؤى وتصورات ذات صلة بسياق المرجع المتصل بصاحب العمل، وبالواقع الخاص به – أي القارئ – وحضوره فيه وما يترتب عليه من تجارب[7].

وتكتسب هذه الرسالة الفنية هويتها الجمالية من خلال خصوصية تشكيلها؛ إذ يمكن النظر إلى كل بنية فنية؛ بوصفها تخضع لقانون خاص في مسارها البنائي، وجوده يعود إلى عوامل تتعلق بتجربة صاحبها وقراءاته لبني جلدته في الفن نفسه الذي يأوي إليه إبداعه ولغيره؛ ومن ثم فإن متابعة هذه الرسالة الواصلة بينه وبين متلقيه لابد لها أن تؤمن بقناعة مفادها أن تشكيل العمل الفني يقوم على ما يمكن تسميته بوصل وانقطاع؛ أما الوصل فيعتمد على إفادة الفاعل/الفنان من منتجات غيره ومن السابق الذي أنتجه هو ومن سلطة الفكرة التي تؤدي دوراً مؤثراً في توجيه العالم الفني الكاشف لها في مسار محدد لا تكون إلا به، وأما الانقطاع فمرده إلى هذه الصبغة

---

* تشير هذه المعالجة إلى عوامل حاكمة لعملية التأويل هذه، تخضع لما يحظى به المتلقي من قدرات على الفهم والاستيعاب وتجاوز الظاهر/القريب المأخذ من المعاني إلى ما ورائها، وإلى الجو العام للنص وبنائه التركيبي؛ إذ للسياق أهمية كبيرة في إنتاج المعنى وتوجيهه، ومعظم الكلمات من حيث المفهوم المعجمي دالة على غير معناها ؛ ومن ثم فإن السياق يؤدي دوراً مؤثراً في تحديد المعنى

** تعد الأسطورة الأم الحاضنة لأشكال الخيال الإنساني التي تم توظيفها من قبل العنصر البشري في إنجاز حضارته فوق هذه الأرض وفقا لمسلمة الاختلاف العرقي واللغوي والثقافي، ومن هذه الأسطورة انتقلت الذات الإنسانية نقلة نوعية في مسيرها الزماني والمكاني وفي منطلقات الفكر التي تتعامل بها مع العالم المحيط، ويعد اللغز بمنزلة انعكاس لهذا الطور المتقدم في حياة الجماعة؛ فمن مرحلة العجز عن تقديم تاويلات منطقية لما يقع في العالم من ظواهر تتطابق وقوانين العلم تحركت الجماعة بشكل واع باتجاه البناء الواعي

المخصوصة التي تمنح لكل بنية فنية حضوراً مميزاً عن غيرها بالنسبة إلى النوع الفني الذي تنتمي إليه من جانب.جانب ثان، وفي كلتا الحالتين تبدو فكرة الحذف المؤسسة على انتقاء واختيار حاضرة في مجمل هذه العملية التي تنتهي بالشكل الذي تبثه ذات المبدع إلى فضاء التداول[8]*.

وتحاول هذه الدراسة من خلال المجال التطبيقي الذي ترتكز عليه الوقوف على حضور مصطلح الاستعارة وصياغته الفنية؛ بوصفه سلطة ومحركاً لقلم الكاتب في لعبة أدبية تتخذ من أحد أشكالها هدفاً لها بالنظر إلى إحدى التجارب الجمالية الكاشفة؛ ألا وهي تجربة الأديب المصري جمال الغيطاني[9]** في مجموعته القصصية "أوراق شاب عاش ألف عام". وتسعى هذه الأوراق إلى معالجة الأثر الفاعل لهذه السلطة الجمالية في طرفي ثنائية (الشكل والمضمون) وتضع في مرمى رؤيتها تبعًا لذلك صيغًا تساؤلية تسعى تطبيقيًا إلى تحصيل أجوبة لها:

- ما العلاقة بين مفردة الاستعارة والمرجع الخارجي المتصل بتجربة الكاتب؟
- ما قدرة الكاتب على التوظيف البلاغي لهذه المفردة في تشكيل عوالم فنية ترضي متطلبات النوع الأدبي الذي يلجأ إليه في لعبة الإبداع؟
- ما الصلة التي تربط بين مفردتي الاستعارة والتناص في تجربة جمال الغيطاني هذه؟
- ما مدى قدرة المبدع على الإفادة من حقل اللغة في معالجته الجمالية لقضية الاستعارة؟
- ما قدرة الكاتب على توظيف الاستعارة في إيجاد روابط بين ما يبدو متنافراً في سياق عالمه المعيش؟
- ما نشاط المتلقي في عملية استنطاق النص وفك شفرة الرمز المغلف لبنية هذا الشكل الفني؟

وتسعى هذه الدراسة إلى الاعتماد على منهجية تفيد فيها من مقولات الدرس البلاغي حول مصطلح الاستعارة ومن بعض مصطلحات علم السرد الحديث بالنظر إلى المجال التطبيقي لها متمثلاً في أحد منتجات فن القصة العربي، ومن مصطلح التناص، ومن بعض مقولات نظرية التلقي وعلم لغة النص فيما يتصل بقضية الإحالة على وجه التحديد.

يقوم البحث على محاور عدة:

- الاستعارة: المصطلح والأداء
- صيغة العنوان وبنية الحذف
- استعارة الحدث ويتضمن:
  - ابن إياس من سياق التاريخ إلى سياق الفن
  - التماسك النصي والاستعارة
- النص والخارج وتمدد الخطاب الاستعاري
- ختام

---

* إن النص الأدبي ليس بنية مغلقة وليس شكلاً فنياً فحسب بل هو شبكة من شكال معرفية ولكنها ليست معطاة مباشرة بل يحب ان تنتزع من النص بدوره ليس له وجود ثابت ونهائي فهو لا يتحقق بالفعل الا علاقاته مع نصوص أخرى وفي توالده المستمر عبر قراءات متعددة

** جمال الغيطاني من مواليد العام 1945، في قرية جهينة بمحافظة سوهاج، نشأ في القاهرة القديمة، حيث عاش في منطقة الجمالية وأمضى فيها ثلاثين عاما، التحق بمدرسة العباسية الثانوية الفنية وتخرج فيها في 1962، ثم عمل بعدها رساما بالمؤسسة العامة للتعاون الإنتاجي، عرض عليه محمود أمين العالم المفكر الماركسي أن يعمل معه في مجال الصحافة، وكان في ستينيات القرن الماضي رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم الصحفية، بعد أن عمل في الصحافة بدأ يتردد على جبهة القتال بين مصر وإسرائيل وكتب في ذلك تحقيقات صحفية عدة، عمل محررا أدبيا لجريدة الأخبار، ثم رئيسا لتحرير أخبار الأدب مع صدورها في العام 1993م، نشرت أول قصة له في يوليو عام 1963، بعنوان "زيارة" صدرت مجموعته القصصية "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" عام 1969، من أعماله: "أرض أرض" (مجموعة قصصية)، و"الزويل" (رواية) و"الزيني بركات" (رواية) و"حكايات الغريب" مجموعة قصصية 2015

الاستعارة: المصطلح والأداء

الاستعارة فعل حركي يعتمد في إنجازه على رؤية تحظى بسمات تتعلق بالإدراك والقدرة على الرصد العبقري لما في العالم، وإنجاز حكم تبعاً لذلك، والإدراك والرصد صنوان لا يفترقان يليهما ربط بين ما يبدو في العالم متباعداً متنافراً يحقق على مستوى الفعل الفني الإنجازي تماثلاً بين الاثنين يرتفع في هيئته ليصل إلى درجة التوحد التام؛ بفضل عملية الحذف التي ترتقي بعملية الإدراك من منطقة رصد مواطن التقاطع والالتقاء بين شيئين إلى طور أكثر عمقاً يختزل المتعدد ويقلل من مساحة حضوره على المستوى الكمي/الأفقي، عندما تجعل من طرفي عملية التشبيه كياناً واحدًا يراه المتلقي بعدسة الفن(5)* ؛ ومن ثم تبدو غاية الجمال الساكنة خلف الصورة عموماً والاستعارة على وجه الخصوص مرهونة بهذه المسافة التي ينشئها الفن إنشاء بينه وبين مسلمات الواقع وما يبدو بديهياً فيه؛ فتبدو متعلقات مثل: التجسيد والتشخيص والتجريد على سبيل المثال(10،11) **حاضرة في هذا الفن.

إذًا العالم الفيزيقي الذي يضعه المبدع موضع إدراكه ورصده يستحيل عبر أدوات الفنان وطرائقه الجمالية التي يلجأ إليها في التشكيل – وتعد الصورة بأشكالها في القلب منها – إلى عالم ميتافيزيقي بالنسبة إلى مستقبله في فضاء التداول؛ فإزالة ما يبدو غامضاً فيه يعني محاولة إعادة له إلى سيرته الأولى، وفي ضوء هذا فإن منظومة الصورة المؤسسة على مرسل ومستقبل وملفوظ ومحتوى ذهني متولد في وعي هذا المتلقي وعالم خارجي يعد أصل هذه الصورة، وما بين الفيزيقي والميتافيزيقي بالنسبة إلى حضور هذا العالم تبدو جلية ثنائية (الذات والموضوع) بالنسبة إلى كلا الطرفين: المبدع والمتلقي، مع ملاحظة أن هذا الموضوع/العالم الذي يصير على يد المرسل رمزاً بحاجة إلى تأويل لن تعود بهيئة واحدة ثابتة كما كانت قبل عملية الإنتاج الفني لها(11)*** ؛ ففي منظومة الصورة تأتي الهيئات الذهنية التي تتولد في خاطر المستقبل تبعاً لما يبثه المرسل الفنان عاكسة لحالة التشظي أو الانشطار أو التعدد الذي لا يقف عند سقف؛ فيصير المفرد جمعاً والثابت متعدداً (5)**** ؛ بفعل خصوصية التجربة وتفرد الحالة الجامعة بين هذه الذات المؤولة والمرجع الذي تشير إليه صورة المبدع الكائنة في فنه؛ فاللغة بوصفها أحد أشكال التعبير الفني تعد كائناً حياً، هي كالإنسان المستخدم لها، تكتسب حضورها الذهني والعاطفي من حضوره؛ لذا فإن قدر هذا المرجع أن يسافر راحلاً بين فضاءات ذهنية تمنحه وجوداً خاصاً وفقاً لرؤيتها.

ب.صيغة العنوان وبنية الحذف(5،12)*****

تعد الصيغة اللغوية المختصرة التي يمثلها عنوان عالم المبدع المشكل لغة بمنزلة عتبة/مفتاح من مفاتيح الولوج الواعي إلى عالمه من الداخل، في ظل علاقة تجمعه؛ بوصفه مجملاً مع تفصيل يجليه جسد هذا العالم، وتعد هذه الصيغة تعبيراً زمنياً عن لحظة تلتحم بها ذات هذا المبدع تحظى بأقصى درجات التكثيف اللغوي، في ظل ثنائية (المنطوق شكلاً ولفظاً والمسكوت عنه دلالة).

---

* المنطلق التراثي لهذه الرؤية يقترب من هذا العرض المازج بين التنظير والتطبيق لدى عبد القاهر في الدلائل، وفيه حديث إلى أحد أنواعها (التصريحية) عندما قال: " فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء،فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه؛ تريد أن تقول: رأيت رجلا في شجاعته وقوة بطشه سواء؛ فتدع ذلك وتقول: رأيت أسدا"

** والحديث عن ربط بين شيئين يبدوان في الواقع متنافرين متباعدين من شأنه أن يفتح العيون على واجهة أخرى وملامح غير معهودة لهذا الواقع، ليس من الميسور الوقوف عندها بطرق نمطية تميل إلى وسائل العلم المبنية على المشاهدة والتجريب، هذا الخلق الجديد للعالم الذي يتم إدراكه عبر وسائل استعارية يعد مجرد حالة للعالم وليس حالة وحيدة ونهائية له كما يدعي الخطاب العلمي.

*** يرتبط ذلك بحديث لو ريكور في كتابه "الاستعارة الحية" عن السمة المميزة لها، عندما قال: " الاستعارة أداة ذهنية نتمكن بواسطتها من الإحاطة بما هو أبعد من كفاءتنا الإدراكية؛ فبواسطة ما هو أقرب وما نسيطر عليه نتمكن من الاتصال الذهني بما هو بعيد".

**** يتأسس هذا التناول على رؤية تراثية لمصطلح الاستعارة عبر عنها الجرجاني في الأسرار بقوله: " ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر".

***** الحذف باب من أبواب علم المعاني في بلاغتنا العربية ، وفي حديث عبد القاهر عنه في الأسرار الذي يدخل ضمن نظريته للنظم يقول: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"

فالملفوظ الكائن في العنوان على وجازته يقدم دعوة غير مباشرة لبحث وتنقيب في ما يحمله من معان، لإدراكها طريقان، الأول: التعامل مع هذه الصيغة تعاملاً حراً بمنأى عن جسد العالم الذي تعد هي رأسه؛ بوصفها بنية لغوية معلقة في فضاء دلالي متسع، الثاني: النظر إليها بوصفها بنية مقيدة بعالم له أركان بنائية محددة، لهذا العالم فاعل مرجعي وقف على إنجازه، لهذا العالم بنية شكلية تعد هذه الصيغة جزءا منها، ويمكن أن نطلق على هذا الأخير مصطلح (القراءة السياقية للعنوان) التي تأخذ في حسبانها – إن كانت قراءة منفتحة غير مغلقة على بنية النص– عوامل تتعلق بالظرف الزماني والمكاني لمنجز النص وقناعاته الفكرية وسمات تميز قلمه عند الإبداع، في خطٍ موازٍ مع اهتمامها بالهوية الشكلية لعالمه الفني من داخله[13،14].

يمكن القول في ظل هذا التناول: إننا بصدد معالجتين عند الوقوف على هذه العتبة النصية: معالجة معجمية، ومعالجة سياقية ثقافية تراعي إلمامًا بما في داخل النص وما هو كائن خارجه، وكلا الاثنين يقف وراءه لحظة زمنية تخص المؤلف، فيها يبدو لسانه الناطق الكاتب إما سابقاً على تجربة إنجازه لعمله الذي يعد هذا العنوان رأسه، وإما أن يأتي تالياً بعد تشكيله له؛ لتكون هذه الصيغة/العتبة في الحالتين بمنزلة حالة إشارية تأخذ بوعي المتلقي إلى غرفات هذا المنجز، وتتأسس هذه الحالة على لحظة اختيار من قبل صاحبها مسكونة بقراءته هو لفكره ولتجربته واقعاً التي يسطرها فناً، ولهذه اللحظة هيئتان، إما أن تكون من المسكوت عنه الذي لم تشأ ذات المبدع الإفصاح عن ملابساته في مقدمة تصدر بها عملها مثلا، وإما أن تكون الثانية، هي في الحالتين المفعول به الأول الذي يجاور هذا الأديب ويلتقيه المتلقي بداية عند تعامله الحسي مع العمل[15].

ويمكن القول إن عملية الاختيار المتصلة بصيغة العنوان تبدو قرينة عملية أخرى هي الحذف؛ فاعتماد هذا الملفوظ دون غيره يحيل إلى افتراض مفاده أن وعي الكاتب كان بصدد صياغات متعددة، كان عليه أن يرجح من بينها ما يراه متماهيا تمامًا مع منطلقه الذهني والعاطفي الذي خرج من رحمه إبداعه، وفي الرأس منه عنوانه؛ ومن ثم فإن بنية العمل في حضورها الكلي هي مرآة عاكسة وتمثيل باللغة يحاكي حالة إنسانية بسمات محددة في ظرف زماني ومكاني محدد احتضنها، تتوارى هذه الحالة أو تبتعد لحساب هذا الملموس اللغوي الذي ترى فيه نائباً عنها يقوم مقامها؛ الأمر الذي يدفع معه إلى النظر إلى كل تجربة في الإنجاز الإبداعي عمومًا بوصفها حالة استعارية يستحيل معها طرفاً عملية التشبيه ألى موجود واحد يجليه الشكل المختار بمكوناته التي يتصدى لها المتلقي بالمتابعة[16]*.

إذًا فإن لعبة الخيال الظاهرة التي يقوم عليها عالم الفنان تبدو بمنزلة جواب شرط لفعل شرط سابق عليه يتمثل في مرحلة ما قبل الإبداع وأثنائه (تجربة الإنجاز) التي تقوم على عملية الاختيار سابقة الذكر وفيها تتجلى بوضوح (الاستعارة التمثيلية) التي تؤدي فيها وسيلة الفنان (اللغة على سبيل المثال) دورها في تشكيل صورة لصاحبها في مرحلة ما من رحلتها الحياتية في إطار هذه الثنائية الأثيرة التي يعيشها كل أبناء الجماعة الإنسانية (الذات والعالم).

وفي عنوان الغيطاني "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" حذف على المستوى اللغوي؛ إننا بصدد ما يمكن تسميته نصف جملة بحاجة إلى إكمال؛ ومن ثم فإن محذوف الكاتب ينشد موجوداً يسطره قلم المتلقي في جدلية تعتمد على تفاعل نشط بين الطرفين، غير أن هذا الموجود الذي سيملأ به هذا الأخير فراغ نص الكاتب لن يكون بهيئة لغوية ثابتة بل سيختلف باختلاف أذواق القراء وتجاربهم والأثر الناجم عن هذا الالتحام بينهم وبين رسالة الكاتب بمكوناتها.

---

* مع ملاحظة أن عمل المتلقي لن يتجمد نشاطه عند هذا الحد وحده، إظهار صورة مبدعه، بل سيسعى إلى تجاوزها انطلاقا من قناعة مفادها أن النصوص بصفة عامة تكتسب حضورا مستقلا خاصا بها بعيدًا عن نفسية أصحابها، ومن ثم فإن الأنشطة المتصلة بإنتاج المعاني من هذه الأبنية الشكلية تبدو متسعة أفقيا ورأسيا بالنظر إلى المتعاملين معها، وبالنظر إلى ما يمكن إدراكه من دلالات خلال عملية التحليل والحكم.

وفي عنوان الغيطاني الناقص تركيب إضافي يفيد الملكية "أوراق شاب" وفيه صيغة للجمع متصلة بنكرة، وفيه صيغة للماضي تأخذ الوعي في سفر ذهني إلى فائت، هذا الفائت تم تحديده بألف عام؛

إذًا في صيغة الكاتب، جمع ونكرة وماض ورقم متصل بزمن، هي نزعة تاريخية واضحة تبدو أماراتها بداية من خلال هذا المركب المختصر، يدلل عليها هذا الماضي وعلاماته "عاش منذ ألف عام"، والجنوح إلى هذه النزعة يبدو مرتبطاً بسلطة غادرت أثرها في قلم الأديب الغيطاني، وكان استلهامها نهجاً انطلق منه في جل ما قدمه للمكتبة الإبداعية، ولا شك في أن خلط ما هو تاريخي متصل بالتراث عموماً وما هو فني أدبي يتأسس على مقصدية تبرر هذا الانفتاح على سياق معرفي آخر يرى المبدع في بعض أبوابه ما يخدم منطلقه الفكري الذي أراد إسكانه في فنه، وإقامة وصل بين كلمة سمتها الخيال قد خرجت من حاضر معيش من قبل الكاتب مع أخرى سمتها الحقيقة سكنت في ماض ينطوي على رغبة في توسيع مسطح القراءة أفقياً ليشمل طرفين، المطلوب الوقوف الواعي أمامهما بغية إنتاج الدلالة المترتبة عليهما؛ فعلى القارئ أن يصافح هذا الماضي الذي أحاله إليه الكاتب ومعه يقف بعمق مع كلمته ذاتها ومن حاصل الاثنين يفك شفرة الرمز المسكون في عمله، وصيغة العنوان بهذا الشكل وما يترتب عليه من تصورات تمهد لحالة جمعية يبدو عليها نص الغيطاني تعتمد في علاقتها بالمرجع الواقعي رؤية تقوم على توسيع رقعة الزمن الكائن في مرمى معالجتها الفنية لتتجاوز به حدود اللحظة الضيقة إلى ما وراءها موظفة في هذه العملية مخزوناً ثقافياً لدى مبدع النص، وسواء أكان إكمال الناقص في العنوان بصيغة مثل: (هذه)؛ الأمر الذي يجعل منه مركباً إسمياً (هذه أوراق شاب عاش ألف عام) مما يعطي إيحاء بقدر من الموضوعية يحظى به الكاتب وكأنه عين رصدت دون تدخل أم كانت فعلية بصيغ مثل (أرصد أو وجدت أو أقرأ أو سمعت عن) تعطي الإيحاء نفسه فإن عملية القراءة تبدو منفتحة على احتمالات صياغية أخرى من نوع (أستلهم، أو أعيد قراءة أو أحكي عن..) كل هذا يأخذ الكاتب وعمله إلى شاطئ الخيال بشكل صريح، وعند هذه الثانية ينتقل الحذف الكائن في بنية العنوان من باب علم المعاني إلى باب البيان وتحديداً (الاستعارة)؛ إذ تنشط عملية المحاكاة لتحيل المترابطين (الذي يحمل صبغة تاريخية وهذا الفن الداعي له المستلهم لما فيه ونموذجه مجموعة الغيطاني محل الدراسة) إلى موجود واحد يتماهيان فيه؛ ليكون عالم المبدع في نهاية المطاف شكلاً وما يطرحه من رؤى دلالةً تعبيرًا كاشفاً عن هذه البنية الاستعارية وما تتأسس عليه، وكلا الاثنين يعكس روح الخبر القصصي التراثي وسمته التأليفية المؤسسة على حالة المزج بين الحقيقة والخيال، عندما يوشي واضعه بأنه قد أخذه عن مصادر ورواة سبقوه، ووفق هذا التناول فإن عالم الفن في حضوره عبر هذه المجموعة القصصية وعنوانها بداية يسعى إلى مصافحة ماض ليس فقط من خلال أحد متونه الحكائية الافتراضية كما هو مثبت من خلال العنوان، ولكن أيضاً من خلال مبنى حكائي له مكانه في مكتبتنا الثقافية العربية؛ ألا وهو الخبر القصصي، الذي كان يقف به المصنف العربي على قدمين، أحدهما في التاريخ، والثانية في الأدب[17].

ويمكن القول: إن كل موجود خبري يبدو قرينة لحالة تساؤلية دفعت إليه، تنطوي على صيغ استفهامية عديدة، من بينها على سبيل المثال: ما هذه الأوراق التي لشاب عاش منذ ألف عام؟ ما حكايتها؟ وكيف كانت؟ وما الذي دفع هذا الكاتب إلى الحديث عنها فنياً؟ وما وجه الحقيقة في وجودها أصلاً من عدمه؟ كل هذه الأسئلة وغيرها يفضي في نهاية المطاف إلى عنوان بينه وبين مجموعته من الداخل حالة انسجام تبدو أماراتها للوهلة الأولى، عبر هذا الحضور لصيغة الجمع "أوراق" في العنوان التي تستحيل إلى جمع يبدو في قصص المجموعة الخمسة. والعادة الفنية في المجموعات القصصية – عمومًا – أن يقوم الكاتب بانتقاء عنوان من مجموع العناوين الموجودة في مجموعته من الداخل؛ ليكون هذا المُختار – على مستوى الصياغة – عاكساً لكلٍ وجزءٍ متضمن فيه، ويكون في الوقت ذاته خادماً لمقاصد دلالية ينشدها هذا الكاتب من وراء عمله، تمثل بالنسبة إلى قارئ النص غيباً

يسعى إلى اكتشافه، وتبقى تأويلاته المنسجمة مع سعيه هذا محض افتراضات قد يقع حافر بعضها أو كلها على حافر ما يرمي إليه الكاتب من معنى وقد لا يقع، وتقترب هذه العادة أو لنقل الآلية المعتمدة في وضع عناوين المجموعات القصصية من نهج يجده المتلقي في النص القرآني عندما يأتي اسم السورة من خلال موقف يسكن داخلها يعد بمنزلة البذرة الدلالية التي يقوم على أساسها بنيان نصها في مجمله؛ وهو ما يزيد من فرص التماسك بين أجزاء النص(19،18،20)*.

ويبدو أن صيغة النكرة "شاب" على الرغم من كونها واقعة مضافاً إليه، المفترض أن يؤدي دوراً في تحديد المضاف "أوراق" وتعيينه وبيان وجهته، لكنها معه تشجع على قراءة تتخذ لنفسها مسارين، الأول: بعيدًا عن نص عالم الغيطاني، في محاولة يستنهض من خلالها المتلقي محصولاً معرفياً يمتلكه لبيان هوية هذا الشاب إذا كان له حضور بالفعل في مكتبة التاريخ؛ هنا يصير التنكير بحاجة إلى تعيين – من خلال عمل القارئ – يأتي عبر سؤال مفاده: من هذا الشاب؟ أو ما هوية هذا الشاب؟ فإن لم يجد هذا الأخير إجابة عن سؤاله خارج فضاء نص المبدع يصبح الولوج إلى داخل نصه الفني بمنزلة المسار الثاني الذي عليه أن يلجه، ومن حاصل تفاعله معه يتجلى المكون الدرامي لـ(ال) التعريف الذي سيلصقه بهذا المنكر في بنية العنوان، وبناءً عليه تتحرك الآلة القارئة في رحلة منطلقها ملفوظ الكاتب "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" ومنتهاها صيغة تتشكل عبر فضاء الاستقبال مفادها (هذه حكاية أوراق الشاب الذي عاش ألف عام)، وبين الملفوظين تسكن مفردات هذا العالم الفني.

إذًا فإن قضية الحذف المتصلة بالعنوان ترتبط بما هو عام يشترك فيه الغيطاني مع غيره من محترفي الكتابة، وبما هو خاص يتعلق بتجربة الغيطاني هذه محل اهتمام هذه الدراسة؛ أما العام فيتمثل في مسألة الاختيار التي تتيح للكاتب أن يثبت ما تراه العين في نصه في شكله الأخير – كما يظهر من ملفوظ العنوان بدايةً – وينفي ما سواه، وأما الخاص فيشير إلى (ال) التعريف المحذوفة التي تجعل من هذه النكرة دافعا للبحث عما يمنحها وضوحاً في وعي المستقبلين؛ ومن ثم فإن استحضارها يتطلب نشاطاً رحلياً من النوع الذهني بغية إدراك الدلالة التي تعد بمنزلة مرآة عاسكة لها، وساعتها ستكون هذه الدلالة عبارة عن استعارة تمثيلية موضحة لهذه الأداة التعريفية؛ بحكم تلبسها بها.

وتأتي السطور الأولى في القصة الأولى من قصص المجموعة التي يحمل عنوانها عنوان المجموعة نفسه لتكشف عبر منطوق الراوي جانباً من المعتم في هذا النص " عثر علماؤنا على هذه الأوراق في أثناء عمليات تنقيب في المنطقة الواقعة شمال مصنع المرئيات رقم ستين، حيث قامت منذ ألف عام مدينة كبيرة يحتمل أن يكون اسمها المنيا أو أسيوط، وتخص تلك الأوراق أحد سكان هذه المدينة، وقد كتبها في أثناء الحرب التي نشبت في تلك الأحقاب البعيدة بين أجدادنا على ضفاف النيل ودويلة صغيرة لم يصلنا غير معلومات ضئيلة عنها وكانت تسمى إسرائيل...

---

* يحيل هذا التناول إلى مدار المعنى ودوره الذي يترك أثرًا في عملية الترابط بين الأجزاء التي يتكون منها النص شكلا. وقضايا التماسك النصي على مستوى الصياغات اللفظية وعلى مستوى الدلالة تشكل المحور الرئيس لعلم ظهر حديثا هو علم لغة النص؛ ففي إطار حركة ذات مسارين متعاكسين تنطلق مما هو ملفوظ تشرع الفكرة الكلية للنص في التكون، وفقا لمنطلق استقرائي يجنح إلى الحكم والاستنتاج من خلال التفاصيل الشكلية الظاهرة. وتتجلى فكرة النص بداية من خلال هذه الصيغة المختارة من قبل الكاتب المرسل التي تمنح المتلقي وعيا أوليا يساعده في الحركة داخل هذه التفاصيل بحثا عن أماراتها. وسياق الخارج المحيط بهذا النص على مستوى الإنتاج (سياق الكاتب) وعلى مستوى التداول (سياق التلقي) ليس ببعيد في عمل هذه الحركة التي لا تتوقف بين طرفين: شكل (له مركبات يتكون منها) ومعنى (منه ما هو قريب ظاهر من هذا الملفوظ ومنه ما هو أبعد وأعمق، وكلا الاثنين يقع في علاقة قرب أو بعد من مرامي الأديب وغاياته الدلالية. ويحد هذه النظرة مصطلحان ارتبطا في معالجتهما بعلم لغة النص، هما (الحبك) و(السبك)

ونرى هنا مشاعر أجدادنا في هذا العصر البعيد، حيث يبدو أن وطنه كان يتعرض لبعض الأخطار، كما نلمس أيضاً إحساسات أبناء هذه الفترة بالتناقض قبل انتصار الاشتراكية في كوكب الأرض كله...، وقدمنا هذه الأوراق كما هي، فيما عدا توضيحات بسيطة راعينا أن تكون في أضيق الحدود، إننا لا نعرف تفصيلات كثيرة عن كاتب هذه الأوراق، لكننا لا نملك إلا الإحساس بالاحترام لأحد المكافحين الأوائل المجهولين لنا والذين مهدوا لحياتنا هذه"[21].

إن صوت الراوي الذي يميل إلى استخدام ضمير المتكلمين "نا" في إشارته إلى ملابسات هذه الأوراق يأخذنا إلى علامات مرجعية يبدو أنها مقصودة بغرض توكيد صبغة واقعية تاريخية يريد لها أن تترسخ في ذهن المتلقي إزاء هذه الشخصية "شاب".

كما يظهر في مفردات مكانية مثل: "المنيا، أسيوط، إسرائيل" وغير مكانية "الاشتراكية" تحيل إلى مرجع مكاني محتضن لها يتجلى في دول الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الاشتراكية سابقاً والأحزاب التي تجعل من هذه الفكرة المرجع الأيديولوجي لها في نشاطها؛ ومن ثم فنحن بصدد حالة محلية وعالمية يحيل إليها منطوق الراوي خارج النص، الذي يأخذنا إلى زمن مرجعي يتعلق بظهور هذا العالم الفني إلى النور؛ ألا وهو الثلث الأخير من ستينيات القرن الماضي بعد هزيمة مصر في 1967م؛ إن مركبات مثل "علماؤنا، أجدادنا، يصلنا، نملك، لنا، لحياتنا" تضع المستقبل أمام حالة جمعية يشترك فيها باث الرسالة مع من يتلقاها عنه، وتذيب أية فواصل قد تكون موجودة بين الإثنين، وكأننا بصدد وعي جمعي تغيب معه نزعات فردية قد تمنح الذات حضوراً مستقلاً بمعزل عن مجموع تعد أحد أبنائه المسهمين في وجوده؛ الأمر الذي يعني أن لسلطة السياق الخارجي المتصل بزمن خروج النص إلى فضاء التداول يداً طولى في مسألة الاختيار والتشكيل المتعلقة بكل من عنوان المجموعة والمجموعة من الداخل، كما يوشي بذلك منطوق الراوي في أسطر القصة الأولى فيها، ينضاف إليها سلطة أخرى كان لها أثرها في عدد من كتابات الغيطاني؛ألا وهي سلطة التراث، التي جعل منها رمزاً تاريخياً يخبئ خلفه موقفاً فكرياً يعبر عما هو كائن في سياق واقعي معيش[22]* ؛ إن منطوق الراوي الذي يعالج فيه ظرفاً واقعياً بطريقة فنية تبدو مصطبغة بصبغة تاريخية يأخذنا في النص السابق من قوله " تلك الأحقاب البعيدة" إلى قوله في خاتمته " حياتنا هذه" في جدلية تجعل من الحالة الواقعية وجهاً استعارياً لما كان في الماضي، وتجعل من هذا الماضي في أحد الأحداث التي مرت على أهله وجهاً استعارياً لمحطة مضارعة وصلتها الجماعة في مسيرها؛ إن الراوي صنيعة المؤلف، المتحدث نيابة عنه في عالمه الفني يحاول من خلال هذا التمهيد أن يقدم ما يمكن تسميته مبرراً دراماياً لصيغة العنوان التي تسبقه، وفي الوقت ذاته يقوم بعملية توجيه أولي لوعي المتلقي خلال رحلته المعرفية التي سيواصلها داخل هذا العالم[20]** وتعد سلطة التراث الحاكمة لقلم الغيطاني المبدع في جوهرها أداة ربط بين كيانات عدة: التاريخ، الفن، الزمن بوجهيه: المضارع (زمن عملية التأليف وزمن القارئ المستقبل أيضاً) والماضي سواء أكان حقيقياً أم اعتبارياً افتراضياً يؤدي خيال المبدع دوراً في حضوره[19]***.

---

* إن فكرة السلطة التي يدخل المبدع في علاقة معها وتجعل منها بمنزلة الموجه لفعل الإبداع الذي ينجزه هي فكرة رمزية تتجاوز النظرة التقليدية التي ترى فيها شكلا ذا مسحة سياسية لتصير في موقع ما يمكن تسميته الداعي أو الآمر الذي يستجيب لرسالته فاعل النص، ويضحى عمله إزاءها نوعا من الترادف الفني وتجسيدا جماليا لحضور واقعي لها يغادر أثره في وعي هذا الفاعل وينتقل منه إلى مصنوعه المقدم إلى فضاء التداول.

** يحيل هذ التنازل التحليلي نظريا إلى مصطلحات مكانها في علم لغة النص؛ كمصطلح (الإحالة المقامية) الذي يقيم ربطا بين النص وسياق الخارج المحيط به، ومصطلح (الإحالة النصية) الذي يتوجه إلى داخل النص عبر نوعين: الإحالة القبلية إلى سابق، والإحالة البعدية إلى علامة لغوية سيتم ذكرها لاحقا.

*** بموازاة هذا التصور يأتي ابتداء النص (استهلاله) ليثير قضايا تتعلق باختيار ألفاظه، ووضوح معناه وارتباطه بما بعده في داخل النص ودلالته عليه، مع أمور تتصل بالمقام؛ أي الموقف الخارجي المحيط بالنص عمومًا، ويشتمل على الكاتب وتجربته والعالم الذي يستقي منه مادته وتأثره بالمعطى الفكري السائد فيه.

استعارة الحدث

إن الأديب – عمومًا – يقع بوعيه بين سياقين: سياق غير لغوي يمثله العالم الذي يحيا فيه ويبني مواقفه الفكرية ويستقي تجاربه من خلال حضوره فيه وعلاقته به تأثراً وتأثيراً، هذا السياق الأول يستحيل إلى سياق لغوي يعد بمنزلة المرادف الجمالي والامتداد الفني له، وجمال الغيطاني قد جعل من تجربة الهزيمة التي مرت على الجماعة المصرية في العام 1967م وما لحقها من تبعات محركاً له ودافعاً إلى نشاط إبداعي يعبر عنها. موظفاً في ذلك رصيداً من المقروء في التراث[21،23]* هو له بمنزلة الوسيلة إلى غاية فنية تستقر في ما خرج إلى فضاء التداول؛ إن "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" تقوم في البنية الزمنية لبعض قصصها على فترة شديدة الدقة في تاريخ الجماعة المصرية هي مرحلة ما قبل سقوط الدولة المملوكية (نهاية دولة) وشروق شمس دولة جديدة أضحت مصر فيها ولاية تابعة لسلطنة عثمانية مترامية الأطراف (بداية عصر جديد)، إن هذا المكون الزمني قد غادر أثره بلا شك في نسيج الحدث داخل هذه القصص وشخوصها؛ إننا بصدد واقع مأزوم/سياق غير لغوي (زمن التأليف) قد تجلى فناً بوجه جديد (البنية الاستعارية للعمل الفني) من خلال لجوء المبدع إلى هذه الحيلة في عملية الرصد الممزوج بأبعاد ذهنية ونفسية لما هو كائن في سياق اللحظة، ويبدو أن هذه الحال الفنية تتجاور مع تجربة إبداعية أخرى عند الغيطاني؛ ألا وهي روايته الأثيرة "الزيني بركات" التي خرجت إلى فضاء القراءة بعد هزيمة العام السابع والستين ويؤدي التاريخ فيها دور الرمز الذي يحمل في عمق دلالته إشارات إلى سلبية الزمن المضارع المحيط بعملية التأليف وما حصل فيها؛ إن سياق الواقع إذًا قد استحال فناً إلى وجهين جماليين، الأول في ثوب روائي والثاني في ثوب قصصي تمثله المجموعة مجال اهتمام هذه الدراسة[21،24]** ؛ كلاهما جعل من التماس مع موجود في الماضي أداة لصناعة البنية الدرامية، وهو ما يدعم مقومات التماسك بين العملين.

إن الراوي الذي يقدم الحدث بواسطة الفواعل الممثلة له (الشخصيات) يحاول أن يقيم من خلاله عالماً موازياً يجمع في تكوينه عناصر ثلاثة تشبه ما في الواقع: الزمان، والمكان، والشخصيات؛ بوصفه نقطة التقاء تجتمع وتُرى عندها هذه الثلاثة، ومحاكاة الواقع بالتاريخ التي اعتمد عليها الغيطاني تكشف عن مشبه محذوف هو واقع التأليف، ومشبه به يجليه الحدث الفني الظاهر والتحامه بما هو تاريخي من خلال قرائن ذات صبغة مرجعية؛

إذًا نحن بصدد حدثين إطاريين، الأول يتصل بحاضر المؤلف (هزيمة 67) والثاني الذي يشكل الوجه الاستعاري المعبر عنه فناً (ما يتصل بعهد الدولة المملوكية في مصر)؛ وهو ما يعطي لبناء الاستعارة عموماً قدرة على توسيع دائرة الرؤية والارتقاء بعملية الإدراك من دائرة المساواة اللغوية بين ما في العالم واللغة المعبرة عنه إلى

---

* إن ثنائية المضارع والماضي في توجه الغيطاني يشجع عليها جو الأزمة الذي يغلف طقس تجربته على المستوى الواقعي؛ بوصفه شخصية مصرية عربية عاشت زمن انكسار الحلم وتراجع مشروع ثورة يوليو 1952، فحاول توظيف مناطق الالتقاء بين هذه الحال السلبية وأخرى مماثلة لها في تجربة الجماعة المصرية أواخر العهد المملوكي وقبيل دخول القوات العثمانية إلى مصر وتحويلها من دور القائد إلى دور التابع المقود، هذه الحالة التاريخية هي بمنزلة الموقف الأدبي الذي يشكل نقطة الانطلاق إلى ما هو فني يعيد إنتاجه وفق معطيات النوع وخصوصية العمل المبدع نفسه، هذا السبب الواقعي والتحامه بانحيازات الغيطاني الفكرية وميوله ناحية التراث يعد عامل ربط بين هذين العملين الفنيين للغيطاني: "أوراق شاب عاش منذ ألف عام"، و"الزيني بركات".

** لوعي الكاتب محددات فكرية تسهم في توجيهه على نحو معين، والغيطاني قد تأثر بدرجة كبيرة بابن إياس (ت 1523) ومؤلفه التاريخي الشهير" بدائع الزهور في وقائع الدهور" الذي يحكي تاريخ مصر منذ زمن بعيد حتى العام 1523، في الكتاب وصف لأحوال مصر السياسية والعسكرية والاجتماعية والقانونية والثقافية وإشارات مفصلة عن أعياد المصريين وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقدهم، وفيه تناول لهذه الحقبة المهمة التي يبدو أن الغيطاني قد تشرب بها واندمج معها ذهنيا، وانعكس ذلك على نشاطه الفني؛ ألا وهي الحقبة المملوكية ونهاية أيامها ودخول العثمانيين إلى مصر في العام 1517 ، وما أحاط بهذه الحقبة من أحداث أفضت إلى هذا المصير في النهاية، وفي روايته " الزيني بركات" اقتراب من هذا الحدث، الذي يتصدى له القارئ وفي حسبانه أن هناك عينين يقفان وراءه، الأولى القريبة: عين الراوي المقدم له في داخل الرواية، والثانية أعمق تسكن في خلفيته: عين ابن إياس في كتابه سابق الذكر.

دائرة أكثر جمالية تصير فيها مساحة التعبير عنه أكثر اتساعاً، وأكثر عمقاً بالنظر إلى المعنى الساكن خلف التشكيل اللغوي، الذي يصير أرضاً متعددة الطبقات.

وإذا كانت الاستعارة تقوم على إدراك ما في العالم من روابط بين عناصره فإن الأداء اللغوي التطبيقي لهذا الإجراء النظري يحاول التماهي معه، بالإفادة من منظور رؤية الكاتب وسلطة المرحلة التي تفرض نفسها على وعيه وقلمه، ومحاولة إدراك مساحات الاتفاق بين المشبه المتصل بحاضر التأليف والمشبه به المتصل بماض تتم إعادة معالجة له فناً، وتبدو المفردات الثلاثة: (الدافع، الوسيلة، الغاية) بمنزلة أبجدية تتأسس عليها كل تجربة في الإبداع عموماً؛ فعلاقة الرغبة المتكونة من ثنائية (الذات والعالم) وما ينشأ عنها من حالات ذهنية ووجدانية.

تسكن منطقة الدافع تتحرك إلى علاقة رغبة أخرى تسكن منطقة الوسيلة (الذات وإبداعها)، وفيها يبدو جلياً الخيال بأنواعه المجسدة له في داخل عالم الفن، ومن بينها بالطبع الاستعارة[25]*، وكلتا الرغبتين يتحرك باتجاه غاية تسكن واقع الأديب ومتلقي منجزه، وكنه هذه الغاية يتعلق بوظيفة الفن التي يخدمها المبدع بعمله.

إن الغيطاني في مجموعة "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" يميط اللثام عن تأثره بابن إياس بالوقوف على عوالم قصصية ثلاث داخل مجموعته: "المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا"، و"هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة" و"كشف اللثام عن أخبار ابن سلام"، تترابط جميعها بخيط درامي واحد يبدو في وحدة الزمن الذي يحيل ذهن القارئ إلى خارج النص، إلى الحقبة المملوكية في تاريخ الجماعة المصرية والعربية، وكان لها مكان في مصنف "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، وقد لجأ الراوي في القصة الأولى من هذه الثلاثة إلى حيلة فنية تتجلى في استدعاء ابن إياس إلى زمن آت لم يعشه، زمن مستقبل هو بالنسبة إلى حياته في سياق الحقيقة (غيب)، عندما أحاله السارد المسئول عن منظومة الحكي إلى شخصية تقوم بدورين معًا: التمثيل والرواية عن نفسها[26،27]**:

- **ابن إياس من سياق التاريخ إلى سياق الفن**

" ارتعبتُ فالدنيا غير الدنيا، والمدينة ليست بالمدينة، حتى الناس خلاف الناس، لا أهلي لقيتهم، لا كبير أو صغير، عظيم أو حقير من أيامي التي أجهل مصيرها، ولم أعرف ما يفصلني عنها شهور أو سنين...لو تملكت مني الرهبة وافترسني الخوف لضعت في هذا الزمان، الذي تحرك وطار فيه الجماد، فلأرقب وأستمع ما يدور حولي"[21].

إن رصد الشخصية وهي في قلب موقف تنشئ حدثا ومحاولة اقتناص ما يلازمها من حالات نفسية يعكس – بدرجة كبيرة – طبيعة عمل الراوي في السرد القصصي[28] ، وتقاطع المتخيل مع ما يشغل مكاناً له في حقل الماضي/التاريخ بتوظيف سمة فنية سائدة ولها مسماها في علم السرد الحديث (الاسترجاع)[26]***

---

* وينطلق هذا التاريخ في عملية الصياغة الفنية له من ثنائية (المرجع والرؤية الذهنية له المتعلقة بذات المبدع)؛ فالتاريخ يشكل علامة مرجعية تحظى بحضور ذي صبغة جمعية، لكن الرؤية المعتمدة على تصوره تبدو نسبية ذات حضور متعدد؛ بحكم الذوات الفردية المتعاملة معه، هذا التعدد بلا شك ينعكس على الممارسات اللغوية التي تجعل منه موضوعا لها في أدائها، وفي ظل هذه الثنائية الأثيرة (الواقع والفن) يدخل ما سكن حقل التاريخ من أحداث هذه اللعبة المعتمدة على الخيال بأشكاله المختلفة؛ ومن ثم فإن عملية نقل ما فيه إلى عالم الفن لن تكون بالطبع بشكل حرفي ولكن ستخضع لهذا التصور المتصل بذات المبدع وما ويترتب عليها من نتائج ستتجلى فوق صفحات إبداعه.

** في عالم السرد تتنوع أشكال الراوي بحكم الهيئة التي يبدو بها عند قيامه بذاك الدور، وفي مصطلحات علم السرد الحديث تفرقة مهمة بين المؤلف صاحب الكيان الحقيقي الموجود في الواقع وهذه الشخصية الاعتبارية، أو الأداة المصنوعة (الراوي) الذي يبدو في أثواب متنوعة، منها عندما يقص باستخدام ضمير المتكلم (أنا) فيصير أقرب إلى راوي السيرة الذاتية، ومنها عندما يبدو في هيئة العليم الذي يملك إحاطة بما يجري في داخل هذا العالم الفني ويصبح الضمير المصاحب لعمله هو ضمير الغياب بأشكاله، وقد يبدو مسرحيا في عمله عندما يلجأ إلى آلية الحوار بين شخصيات الحكاية.

***عندما يرحل الحاكي ذهنياً من لحظتة المضارعة إلى ماض يقوم باستدعائه عن طريق التذكر

تم من قبل الراوي في هذا العالم القصصي بطريقة يبدو أن لها فرادتها وجدتها؛ فابن إياس المتوفى (1523م) صاحب "بدائع الزهور في وقائع الدهور" يستحيل إلى شخصية خيالية مصنوعة، عندما أراد لها ذاك الراوي أن تغادر زمنها المعلوم لها بالضرورة تاريخياً لتأتي زمناً مستقبلاً، وقد حُدد لهذه العملية منذ العنوان صيغة "عودة" في تركيب لغوي يحتضنها "المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا"؛ إن العودة تشير إلى رحيل/خروج، ثم رجوع ثان إلى الحالة أو المكان الذي فارقته الذات، وذلك ينسجم مع ابن إياس مصري المولد والمقام؛ فرحيله بالموت يقابلها إعادة بعث فني له في بيئة تحاكي بيئته الحقيقية، وفي هذا العالم القصصي من مجموعة الغيطاني تتولى هذه الشخصية دور التمثيل والرواية معاً كاشفة عن ردود فعلها الذهنية والنفسية إزاء زمن لم تعشه واقعاً لكنها تحيا فيه فناً:

" تعاظم الزحام حتى خلته يوم الحشر...رجال يزعقون وصبية يتصايحون، ونساءً يتهامسن ويتغامزن، وتمنيت لو أقعد في مكان بعيد أرقب كل هذا، غير أني لا أعرف الطريق، وكنت تعباً قد بلغت في زماني الأول سبعاً وسبعين سنة، لكنني لم أستطع إلا المشي...ما الذي جرى للناس فجأة؟! لم أعرف ما يحدث...كادت ضلوعي تنخلع من الخوف، قال رجل: الضرب جامد ناحية العباسية، رد آخر: أوقعنا لهم طائرتين، لم أرهم غير أن ما قالاه أحسسته...منادي قلعة الجبل يقرع طبلته، يتوجه بالنداء إلى أهل المدينة، أهالي القاهرة، سيخرج الملك المعظم سيف الدين قطز بعد أيام قليلة لمجاهدة الكفار ونصرة الدين؛ فجند التتار يهددون الديار...يا فتيان مرجوش وبولاق والربوع..الجهاد الجهاد، وما النصر إلا من عند الله...

منذ أن قابلت بوابة زويلة وكأني قابلت جزءاً من نفسي..لم أر رقاباً مقطوعة تتدلى منه، أو أجساداً مخوزقة أو موسطة أو معلقة به، أما المئذنتان فالوقفة نفسها لم تتغير، صارت سلوتي الرواح والمجيئ، كأني أستظل به، وأدثر روحي بأحجاره..وأمام دكان صغير استقر صندوق صغير يطلق الأصوات..قلت لنفسي فلأسمع بعض ما نطق به الحديد..صوت رجل غليظ يقول: إن العدو فتح نيرانه صباح اليوم..سكت الصوت لحظة، آذان الجميع مصغية، كأنهم ينتظرون أمراً عظيماً أو شيئاً خفياً عنهم، ثم قال: إن شخصاً من زعماء الإفرنج قابل زعيماً آخر، وأصدر بياناً وقال: إن مئة رجل من الفيتنامية هاجموا ألفاً من عسكر الأمريكان وأبادوهم عن آخرهم، فقامت الطائرات وضربت البيوت بقنابل الحريق..وعجبت، كيف وجدت نفسي في عصر غير عصري وزمان غير زماني؟!..لعنت ألف مرة الذين تمنوا أن يعيشوا ألف عام"[21]. في ضوء هذا التناول القصصي تبدو ملامح بناء استعاري متعدد الأبعاد، فيه:

- استعارة شخصية لها وجود تاريخي مؤكد وإحالتها إلى مصنوع خيالي تظهر من خلاله في ثوب البطل الراصد وقائع حدث تقف منه موقف المتجول السائر الذي يوظف بعض حواسه من سمع وبصر في سبيل التقاطه والتعليق عليه.
- في وعي الغيطاني إدراك لأوجه شبه قائمة بين حاضر معيش (زمن تأليف مجموعته القصصية) وماض قرأ عنه من خلال مصنف ابن إياس "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، لكن عالمه الفني هذا يرتقي من طور المشابهة إلى طور الاندماج والتماهي؛ فها هو ذا ابن إياس يأتي إلى لحظة حاضرة مأزومة ويصير واحداً من أبنائها، ويستفز ذلك الأمر مخيلته لينطلق في حالة من تدفق الخواطر على وعيه من الإشارة إلى ملابسات المعركة بين مصر وإسرائيل عبر إلى حالة تعبئة عاشتها الجماعة المصرية في ماضيها، عندما بدأ يحكي بعض ما جرى متعلقاً بمعركة فاصلة بين المسلمين والتتار زمن سيف الإسلام قطز[29]* .

* إن البنية الدرامية لهذه الشخصية تترابط بطابع مونولوجي يقوم على أحادية الصوت الناطق بما يتدفق على وعيه من خواطر، وتتصل هذه الهيئة في عالم السرد بما عرف حديثا بتيار الوعي في الكتابة الحكائية، وله رواد في الأدب العالمي، أمثال: مارسيل بروست، وفيرجينيا وولف، وجيمس جويس .

- محاولة التوسع بالفضاء التاريخي الذي يتضمنه مصنف ابن إياس ليتجاوز حدود زمن صاحبه الذي انتهى به العمر عند العام (1523م) وصولاً إلى زمن آخر لم يعشه حقيقة، يقوم برصد ما فيه بواسطة أدوات الحركة والسمع والبصر، ثم اللسان؛ لذا يمكن النظر إلى مجموعة "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" من هذه الزاوية؛ بوصفها امتداداً جمالياً لكتاب " بدائع الزهور في وقائع الدهور"، أو على أنها – وهذه القصة نموذجاً – طبعة ثانية مزيدة له، تكشف مسلمة مفادها أن تجارب الأسرة البشرية في الماضي والحاضر قد لا تتشابه حرفياً، لكنها تحمل مقومات للالتقاء تسمح بتجاورها على مستوى المعنى.
- آلية ابن إياس في القص تحمل ضمناً وجهاً جمالياً لموجود في العالم الخارجي؛ ألا وهو أسلوب عمل المحقق الصحفي، الذي يلجأ إلى الوسائل نفسها التي استخدمها ابن إياس المتخيل بطل قصة "المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا"، ويحيل هذا التناول إلى الغيطاني نفسه الذي عمل محققاً صحفياً لسنوات، وقد خرجت هذه المجموعة القصصية تحديداً إلى النور في أثناء عمله هذا.
- لغة ابن إياس التي أجراها الراوي على لسانه داخل هذه القصة تقترب – بدرجة كبيرة – من لغة ذاك الزمن الذي انقضى، يمكن الاستشهاد على ذلك – على سبيل المثال لا الحصر – بصيغ مثل: ارتعبت، الفرنج، الفيتنامية، عسكر، والسياق اللغوي المفصل الذي تناول فيه قطز ومعركة التتار. وقد ظهرت أمارات هذه الحالة بداية بالنظر إلى صيغة عنوان القصة "المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا".

إن بنية الاستعارة إذًا تحمل مكونات تعبر عن: الشخصية، الزمان، المكان، الحدث، اللغة، وتتم من خلالها عملية إنشاء معجم يضفي على كل عنصر معنى جديداً ليس له في الأصل؛ فعلى سبيل المثال:

- ابن إياس: يعبر بفضل عالم الفن عن شخصية عاشت زماناً غير زمانها، وفي الدلالة العميقة التي يحملها داخل هذا العالم إشارة إلى عمل المحقق الصحفي الذي اشتغل به الغيطاني حيناً من الدهر.
- مصنف "بدائع الزهور في وقائع الدهور" نتيجة هذه الحالة لمؤلفه يحمل حوادث ليست موجودة في متنه المعلوم في المكتبة التراثية العربية.

بناءً على هذا التناول يمكن القول: إننا بصدد مرآة فنية نستطيع أن نرى فيها مصطلح الاستعارة في مظهره اللغوي، وفي الممارسة التطبيقية المبينة لمعناه الاصطلاحي.

التماسك النصي والاستعارة

وفي منطوق ابن إياس إحالة إلى سابق وإلى لاحق؛ فقوله " كيف وجدت نفسي في عصر غير عصري وزمان غير زماني؟!..لعنت ألف مرة الذين تمنوا أن يعيشوا ألف عام" يؤدي دوراً في ربط بنيات الخطاب القصصي؛ فالإحالة القبلية تأخذنا إلى القصة الأولى الحاملة عنوان "أوراق شاب عاش منذ ألف عام"، وفيها نجد أن الحضور الدرامي لهذا العدد المتصل بزمن يكشف عن بطلها:

" عثر علماؤنا على هذه الأوراق في أثناء عملية تنقيب في المنطقة الواقعة شمال مصنع المرئيات رقم ستين، حيث قامت منذ ألف عام مدينة كبيرة ، يُحتمل أن يكون اسمها المنيا أو أسيوط، وتخص تلك الأوراق أحد سكان هذه المدينة، وقد كتبها في أثناء الحرب التي نشبت في تلك الأحقاب البعيدة بين أجدادنا على ضفاف النيل ودويلة صغيرة لم يصلنا غير معلومات ضئيلة عنها وكانت تسمى إسرائيل...

كانت مدينتي مظلمة تماماً، المباني الكبيرة أشباح هائلة لا تفصح عن تفاصيلها..لا انفجارات، لا صوت مدافع، عدت أصغي إلى الراديو، الموسيقى عسكرية...لمح أحد الزملاء شعلة ضوء في نافذة علوية، عندئذ صحنا كلنا

طفوا النور طفوا النور..عدت أصغي إلى الراديو..قال المذيع: وخاضت قواتنا معارك رهيبة فوق الأرض المصرية..عاد المذيع يكرر البيان..إحساس غامض بأن ثمة أشياء هائلة تحدث، صحيح المسافة بعيدة، أين سيناء من مدينتنا؟ كانت المسافة من منطقة سيناء التي كانت في هذا الوقت صحراء تماماً إلى أقصى نقطة في الوادي تعتبر بعيدة بمقاييس هذا العصر...بلادي بلادي، لك حبي وفؤادي، هنا القاهرة، لحظة صمت، موسيقى عسكرية، مصر التي في خاطري وفي دمي... الإذاعة في صباح باكر من الأيام الأولى ليونية...في العصر لم أستطع النوم، كنت مرهقا منهكا، قال ساكن الطابق العلوي: ضربونا الأمريكان...همس أحد الواقفين انسحبت قواتنا إلى الضفة الغربية"[(21)].

إن الصوت المنفرد ذا الصبغة المنولوجية الذي تلبس به ابن إياس يظهر في القصة الأولى من خلال هذه الشخصية التي تسلط الضوء عبر الفن على هذا الحدث المرجعي، بعملية تخييل له[(27)*] تعتمد على إعادة معالجته جمالياً، ومن الأدوات المهمة التي تم توظيفها من قبل الراوي في ذلك كان الماضي الذي يتخذ مسارين في حركته:

- الأول: حركة إلى الأمام من خلال شخصية ابن إياس ذات الحضور التاريخي المعلوم التي تخطت حقبتها الزمنية المعروفة لها في الواقع واصلة إلى زمن تال بالنسبة إليها.
- الثاني: حركة إلى الخلف – كما يبدو في القصة الأولى من قصص المجموعة – من خلال هذا الرحيل بالحدث المرجعي (حرب يونيو 67) إلى ماضٍ افتراضي، يجلي ذلك شخصية البطل في القصة الأولى.

وتنطلق عملية إعادة تصنيع هذا المرجعي على مستوى الفن من آلية ثابتة في القصتين، هي هذا الصوت المتكلم بضمير المتكلم (أنا) الذي يوظف مدخلات الحواس (الحركة بالأقدام والسمع والبصر) في حضوره الراصد المعلق، وفي ظل هذه الآلية يتداخل ما هو فردي مع ما هو جمعي؛ فتجربة البطل الفرد المتكلم بضمير الأنا يمكن رؤيتها من خلال هذا الحال العام الذي يشكل موضوعاً يلقي بظلاله على المجموع؛ إن مقياس القيمة في مواقف الأزمة يجري عمليات تقديم وتأخير؛ فيتوارى فيها الخاص – بدرجة كبيرة – لصالح العام الذي يؤثر في الجماعة بكل أفرادها فكراً وحساً وسلوكاً؛ ففي قصة ابن إياس وهذه القصة توشك خصوصية التجربة الفردية أن تذوب في تجربة أكبر جمعية الطابع ليست بحدثها وتوابعه والنتائج المترتبة عليه ملكاً أو حكراً على فرد أو شريحة محددة.

إن كلا البطلين إذًا يجمعهما هذا الحدث/الأزمة، الذي يعد بالنسبة إلى ابن إياس مستقبلاً، وبالنسبة إلى بطل القصة الأولى يظهر هذا الحدث مع حركته في ثوب ماض مفترض وقوعه؛ إن وقائع يونيو 67 إذًا قد توسعت فناً ومُنحت زمناً مضافاً ؛ وخطاب السرد في القصتين يضعنا أمام قناعة مفادها:

- الصوت الناطق بضمير المتكلم أنا يتناوبه شخصيتان، الشاب في الأولى، والنسخة المتخيلة من ابن إياس في الثانية.
- الحدث الذي يلقي بظلاله على وعيهما والمحيطين بهما واحد
- كلا الاثنين يعتمد في منطوقه على آلية تداعي الخواطر المسئول عنها فعل الرحلة القائم على الانتقال من مكان إلى آخر، يصاحبه نشاط حاستي السمع والبصر.

---

* لمصطلح التخييل مرادفات عدة، مثل: التغريب ونزع الألفة (defamiliarization) الذي ارتبط في ظهوره بمدرسة الشكليين الروس وأحد روادها فيكتور شكلوفسكي، ويرى أرباب هذه المدرسة أن وظيفة الاستعارة ليست مقتصرة – كما تقضي بذلك النظرة الكلاسيكية إليها – على تقريب الشيء إلى أذهان القراء؛ إن هدفها في الفنون الأدبية أن تقدم المألوف في سياق جديد وغير متوقع؛ فتجعله يبدو غريبا أو غير مألوف.

- خطاب الحكاية في القصتين بفضل وحدة الحدث – إلى حد كبير – وتشابه هيئة الراوي يجعلهما بمنزلة بنية سردية واحدة، يشغل فيها موقع البطولة اثنان، يُرى الحدث ذو الصبغة المرجعية عبر وعييهما.

وتحيل الصيغة المتخيلة لابن إياس إلى لاحق في داخل المجموعة؛ فاتصال هذه الشخصية بحكم موقعها في التاريخ بالحقبة المملوكية يتيح لها في فن الغيطاني أن تكون أداة ربط مهمة، نلحظ ذلك من خلال حضور هذه الحقبة في هذا العالم السردي، في القصة الرابعة "هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة"، والقصة الخامسة الأخيرة في المجموعة " كشف اللثام عن أخبار ابن سلام"؛ ففي القصة الرابعة يستهل السارد نشاطه بهذه المقدمة:

" اطلعت على هذا المخطوط منذ شهور في خزانة كتب أحد الجوامع القديمة بالجمالية..تضم هذه الصفحات ذكريات آمر السجن، الذي عرف في عصور المماليك الغابرة باسم المقشرة، وكثير من صفحات المخطوط مفقودة، غير أني آثرت نشر ما وجدته لندرة مادته وغرابتها، ولم أتدخل إلا نادراً، كذا لاحظت أن المؤلف لم يحدد عصر السلطان الذي تولى فيه أمرة المقشرة، غير أني أرجح أنه كان زمن السلطان الأشرف قايتباي، أو الأشرف قنصوة الغوري"[21].

إن هذا التمهيد الحكائي الذي قُصِد به إضفاء صبغة تاريخية على المعروض يعد حيلة جمالية، الغرض منها ليس الانتقال بوعي القارئ إلى زمن له مكانه في التاريخ فحسب، بل محاولة توجيه وعي المتلقي للسير في اتجاه ليس ببعيد عن حاضر المبدع وتجربته التي خرج من وحيها إبداعه؛ إن ارتداء الراوي ثوب المؤرخ بالنظر إلى السطور الأولى من المجموعة القصصية*هذه القصة تحديداً يعد بمنزلة توكيد درامي وسعي إلى تقوية دلالة يبدو أنها تقبع خلف هذا البناء السردي، وها هو ذا بطل القصة الرابعة يؤدي دور الراوي بالطريقة نفسها التي اتبعها من سبق في القصة الأولى والثانية:

"فلما كنت قد توليت إحدى الوظائف الغريبة في زماني التي أخدم بها مولاي السلطان..ولما كنت أقضي جل وقتي في المقشرة، قلت فلأخط شيئاً مما أراه وما أسمعه، وفي بعض الليالي التي أقضيها هنا أضيق بوجودي وبنفسي..أقوم متجولاً حول السور الذي يعلو البناء..وأسأل نفسي، ما الذي يفكر فيه شيخ قضى هنا ما يزيد على سبعين عاماً، أو شاب مضى عليه عامان، أتأمل وجوههم، أداعبهم، وربما ضربتهم فجأة، وصرخت فيهم، إنه لا أمل لهم يرجى..وإذا أردت أن تجعل رجلاً من المحابيس الجدد يبكي كالنساء، ويقول: أنا امرأة، فأخبره أن عياله مات منهم اثنان، وأن زوجته طلبت الطلاق منه وتزوجت...جاءني سجان كبير وأخبرني أن الأمير طبقطباي مقدم ألف أرسل جملة محابيس لإيداعهم عندنا..إنني لا أعرف من يجيئ إلى المقشرة إلا بعد تسلمي له، من يدري ربما كان أحد الأمراء..لا يعلو إنسان في بر مصر والعجم والعرب على المقشرة..وقبل شكه في الزناجير (الحديد) أضربه مرة واثنتين وثلاثا وأجلعه يقاسي من البهدلة والمشاق ما لا خير فيه..وكلما علا إنسان في مقامه زدنا في إيلامه، هكذا يقول مولانا.. قمت متجولاً فوق السور..ضربت الحجارة بيدي وناديت سجاناً كبيراً، سألته متى يصل الوارد الجديد؟..ألم تعرف بعد من هم؟ قال: إنهم فلاحون، كل منهم كالعود البوص أو عصا الخيزران..كلهم مثيرون للقرف، سألت واحداً منهم، ماذا فعلت يا ابن معيكة؟..والله لم أجن ذنباً، لم ينكسر علي درهم واحد من مال السلطان، صفعت آخر على قفاه..ثم قال: إنهم كانوا في الغيط يرمون البذار، ولا يدرون إلا الفرسان يكسبونهم وينتقون أربعين رجلاً منهم ويشكونهم في الحديد، سكت رجل وصاح فلاح عجوز، جاءوا بنا على أننا عربان يا سيدنا، ما قدروا يمسكوا عربياً واحداً من أهل الجبل، أمسكونا نحن، حتى يقولوا للسلطان، انظر أحضرنا لك أربعين عاصياً ونحن لم نعص ولم.."[21].

---

*يراجع الهامش في ص8

إن سياق الزمن المحيط بالكاتب ويتصل بخروج عالمه القصصي هذا إلى النور يكتسب من خلال الفن تمدداً وتجذراً في الماضي بفضل علاقة الإحالة البعدية التي تربط القصتين: الثانية والرابعة، بالوقوف عند هذه الثنائيات (الغيطاني وهزيمة 67) و(الغيطاني وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس) و(ابن إياس والحقبة المملوكية)؛ إننا بصدد اشتقاق درامي؛ فمن النسخة المتخيلة لابن إياس ولدت فنيا شخصية آمر السجن في القصة الرابعة؛ كلتاهما تحيل إلى زمن مرجعي (عهد المماليك)، لكن الأولى تتفوق على الثانية بأنها في نسختها الحقيقية قد أرخت لهذه المرحلة؛ مما يتيح لها في الفن هذه المكانة يضاف إلى ذلك أسبقية البناء القصصي الحاضن لها؛ ألا وهو القصة الثانية "المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا".

إن شخصية آمر السجن الذي يحكي عن نفسه بالآلية نفسها التي تم انتهاجها في القصة الأولى والثانية، تتولد خلال منطوقه قناعات مفادها:

- الحاضر الذي تحياه الذات وما يحصل فيه من ملابسات ليس وليد صدفة، وليس ابن لحظته وحدها، بل تدفع إليه عوامل تمهد له وتتسبب في خروجه، بعضها يتصل بالزمن الماضي.
- لتجربة 67 في حياة الجماعة المصرية والعربية أسباب في سياق الواقع أدت إليها، بينها وبين ما في ماضي هذه الجماعة مواضع شبه؛ ففي ستينيات القرن الماضي كان يجري ما نطق به الفن من خلال شخصية آمر السجن التي تصطبغ بصبغة مرجعية بانتمائها إلى الحقبة المملوكية.
- بناء على التناول السابق تحديدا تصير القصة الرابعة بمنزلة سبب جمالي للحدث الذي صيغ فناً في القصتين الأولى والرابعة.
- إن علاقة الغيطاني بلحظته وبما قرأ عن الماضي في التاريخ من خلال صلته بابن إياس وكتابه بدائع الزهور قد استحال إلى فن قصصي بعنوان إطار جامع "مذكرات شاب عاش منذ ألف عام"، وبعض وحداته السردية تؤكد هذه الحال، كالقصة الأولى "مذكرات شاب عاش منذ ألف عام"، والثانية "المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا" والرابعة "هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة" والخامسة "كشف اللثام عن أخبار ابن سلام"، هذه جميعها تمثل الوجه الاستعاري المرادف والمعبر عن هذا الموجود الواقعي؛ فثنائية (الغيطاني وابن إياس) تتحول إلى مركب جمالي جمعي، عناصره: الشاب في القصة الأولى، والصيغة الخيالية لابن إياس في الثانية، وآمر السجن في الرابعة، وابن سلام في الخامسة.
- في العلاقة الجدلية بين الواقع والفن يكتسب المضارع المتصل بتجربة الكاتب وظهور عمله الفني إلى فضاء التداول هيئة زمنية مغايرة إذ يبدو في زمن ماض يحمل صبغة مرجعية؛ فتجربة يونيو 67 في حياة الكاتب والجماعة قد استحالت في الفن إلى ماض له طرفان يعبران عنه: السبب تبدو ملامحه في قصة آمر السجن ومفردات القهر والخوف والظلم وما تفضي إليه من تبعات سلبية، فشخصية آمر السجن ليست إلا نموذجاً يعكس كائناً في واقع الجماعة الإنسانية عموماً ويمكن تصنيفه تحت هذا العنوان (أداة السلطان في التخويف والقمع)، أما النتيجة فتبدو في حدث الأزمة نفسه الذي يسكن في القصة الأولى والثانية من خلال بطلين متجولين يحيلان المسموع والمرئي إلى منطوق يرصد ويعلق.
- إن استعارة الماضي للتعبير عن مضارع يعطي الفرصة لعناصر تبدو في عالم الحقيقة بعيدة الصلة فيما بينها كي تتقارب وتتجاور ، يؤكد هذا التصور هذه المتوالية التي تنطلق من الواقع بثنائية الغيطاني وابن إياس وإفادته منها في معالجة فنية لموقف من مواقف العالم الذي يحياه،

وفي هذه المعالجة يتشكل مركب سردي قصصي يتناوب دور البطولة فيه شخوص خيالية يحمل بعضها إيحاء – مرده عمل الراوي – أن لها مكاناً في زمن قد مضى، وبناءً على ذلك فإن الدال "أوراق" في بناء عنوان المجموعة يحمل في معناه على مستوى الفن أكثر من مدلول، الأول: قصص، والثاني: مترتب على الأول (أبطال)، وتصير هذه العلامة اللغوية "أوراق" بصيغتها اللفظية ومدلولها بمنزلة وجه استعاري يسكن وراءه الكاتب ورؤيته للعالم في ظرف زماني ومكاني محدد، ويقوي في الوقت نفسه هذه الطبيعة المزدوجة للخطاب عموماً، الذي ينقسم قسمين: خطاب الوضوح والمباشرة المميز للغة التاريخ على سبيل المثال، وخطاب التلميح المعتمد على الإيحاء والرمز الذي تنضوي تحته أشكال التعبير الفني جميعها، والغيطاني نموذج لمن قام بممارسة الخطاب بوجهيه هذين بحكم عمله الصحفي وما قدمه إلى مكتبة الأدب العربي من أعمال.

- إن تجربة آمر السجن في القصة الرابعة تمثل الرؤية المضادة لتجربة الغيطاني في واقعه؛ فقد تعرض للسجن مدة ستة أشهر في ستينيات القرن الماضي بتهمة انتمائه لتنظيم يساري ماركسي[9] ومن ثم فإن منطوق آمر السجن يشغل الطرف الآخر في ثنائية ضدية تتكون من (سجان ومسجون) أو (جلاد وضحية)؛ وهو ما يعني أننا بصدد جانب من السيرة الذاتية للمؤلف تمت صياغته جمالياً بطريقة لها تفردها؛ فلم يصنع الغيطاني شخصية خيالية (تؤدي دور المسجون) يحاكي بها تجربته المأساوية هذه في واقعه، لكنه قام بصياغتها بهذه الكيفية العبقرية، مانحاً بذلك لتجربته مساحة حضور أكبر بفضل هذا التمدد الفني لها؛ إذًا فإن ستينيات القرن العشرين لم تتجمد في وعي الغيطاني الذي استحال فنا عند هذا الحدث الأزمة الذي تجلى في الهزيمة فحسب، بل كانت أيضا مشتركا زمنياً يجمع أيضاً ما هو فردي ذاتي يمس الكاتب من طريق قريب مباشر، وكلا الاثنين (الجمعي والذاتي) كان في مرمى الرصد الفني.
- وفق هذا التناول يمكن القول: إننا بصدد ما يمكن تسميته الاستعارة والاستعارة المضادة، فالأولى تعبير جمالي ينسجم ومشار إليه في العالم، كما هو الحال بالنسبة إلى حال الشخصيتين: الشاب وابن إياس في القصتين الأولى والثانية والحدث الملازم لحركتهما وارتباطه بما هو كائن في واقع الكاتب، أما الاستعارة المضادة فتبدو بجلاء في شخصية آمر السجن الذي يبدو في وجه استعاري مضاد لحال الغيطاني في مدة زمنية بعينها شهدها مسار حياته، كان للسجن فيها نصيب منه.

إن الفن الذي يصنع لنفسه عالماً موازياً له قوانينه التي تحكمه ينشئ معجماً خاصاً به، بعض ملفوظاته تحمل معاني ليست لها في الأصل؛ وهو ما يسمح للقارئ الباحث عن المعرفة برؤية موسعة للعالم، رؤية لا تعبأ بفكرة الشرح والتأويل المباشر؛ فالفن يحيل الحالة الذهنية والنفسية المصاحبة للذات في تفاعلها مع سياقها الخارجي – والأديب نموذج لها – إلى وجهة نظر مشبعة بتراكم خبرات وبزاد ثقافي تملكه الذات؛ لذا فإن العبور فوق الطريقة التي تشكلت بها وجهة النظر هذه في الفن والوصول إلى طوابق الدلالة التي يفترض وجودها خلفها يفضي إلى قناعة مفادها أن سطوة الموقف الواقعي على وعي الكاتب وأثره الفاعل الذي كان سبباً في إنجاز فني ليس وحده الشيء الذي يخيم على طقس ما قدمه من إبداع، بل يأتي إلى جواره قيم فكرية أخرى، هي بمنزلة مظاهر لتجارب وحالات قد التحمت بالبنيان المعرفي لهذا الفنان؛ فحدث الأزمة المتمثل في هزيمة الجماعة المصرية والعربية في يونيو 67 المرتبط بزمن حاضر عاشه الكاتب وأنتج عمله من خلاله قد كشف من خلال الرصد الجمالي له عن امتداد مع ماض افتراضي حرص الراوي على إلباسه لباسا تاريخياً .

سبب وجوده يعود بالدرجة الأولى إلى محصول فكري يمتلكه صانع هذا العالم المتخيل[30]* إن هذه المجموعة مثال يعكس هذه الطبيعة الانفتاحية للفن عموما على معان وسياقات تمنحه دور النافذة أو العين التي يمكن أن نرى من خلالها ما غاب عنا إدراكه، أو ما عسى أن نكون قد وقفنا عليه في داخل حقول معرفية أخرى[31]** إن شخصية ابن إياس في تجليها المزدوج الجامع بين ما هو تاريخي وما هو متخيل يعد دليلاً على انفتاح الرؤية هذا؛ فحضورها يبقى مؤثراً وفارضاً سطوته على جل عوالم هذه المجموعة القصصية.

وها هي ذي القصة الخامسة الأخيرة الحاملة عنوان "كشف اللثام عن أخبار بن سلام" تؤكد هذا الحضور وتقويه؛ فلا يزال للعصر المملوكي الذي يعد من لوازم ذكر ابن إياس ومؤلفه وجود واضح في فن الغيطاني حتى النهايات:

"ذكر أصله ونسبه:

هو الفقير إلى ربه يوسف بن إبراهيم بن سلام..يقول: إنه سمع أمه تقرن تاريخ مولده بمجيئ الوباء العظيم الذي مات فيه أبوه..وأشاع عساكر العثمانية بين العامة أنه غريب عن بر مصر..وإلا فأين كان وقت أن علق طومانباي على باب زويلة؟..عندما ثارت فتنة بن عثمان، وجاءت الرسل من الشام بما جرى لم يعد الرجال يغلقون أبوابهم في حارة درب الرصاص، كما أن ابن سلام لم يعد يغلق بوابتها بعد المغيب..وفي هذه الليلة التي جاء فيها رجل نفذ بجلده من الشرقية، وراح يحكي ما جرى اقترب منه ابن سلام، وبدا أن ظهره الهرم قد زاد انحناء: بن عثمان يعطي الأمان ويدخل بلبيس..ورجاله يطيحون بالسيف في أهلها..أما الأحياء منهم فخطفهم العثمانية، وباعوهم بأبخس الأثمان..واستعاذ ابن سلام بربه، سمعه الرجال يقول: والله لم يجر هذا لمصر من قديم الزمان إلا زمن البختنصر البابلي..

فصل فيما كان يفعله ويقوله:

افترش ابن سلام الطريق الكبير في السوق..وتساءل التجار والناس والعيال عما ينويه ابن سلام..زعق ابن سلام زعقة عظيمة..انزل يا زيني من فوق سرجك وكلمني..يا زيني ألم تكن أنت الرجل المقرب عند السلطان الشهيد قنصوة الغوري؟!..ما الذي فعلته وقمت به حتى نراك اليوم الحبيب المقرب لابن عثمان؟! ألم تدع أنت على الخنكار قبل خروج الغوري إلى الشام؟!..

ذكر أخباره الأخيرة وكيف انتهى أمره:

طاف المشاعلية ثلاثة أيام..ينادون بأن الكاذب اللئيم مدعي الزهد والعبادة سوف تدق رأسه بالطبر عند باب زويلة ظهر يوم الجمعة، ولمدة أيام ثلاثة علا النواح من البيوت..طلع ابن سلام فوق المصطبة، رأسه محلوق تماما..صاح فجأة، اقرءوا الفاتحة..وقيل إنه التفت إلى المشاعلي وقال: اعمل شغلك، وجلس القرفصاء، بينما رفع المشاعلي الطبر الثقيل وأهوى به فوق عظام الرأس..وظل جسده معلقاً فوق باب زويلة ثلاثة أيام"[21].

إن عمل المبدع الذي يمكن القول إنه ينطوي عموماً على عملية التفات من الواقع بقوانينه إلى الفن يأخذنا هاهنا إلى حالة تساؤلية، يبدو أن الراوي يرمي إليها ويسعى بعمله إلى تقديم جواب هو بمنزلة مقارنة تبين نقاط الالتقاء بما حاصل في حاضر معيش من قبل الكاتب ولا تزال له تبعات سلبية تلقي بظلال لها على واقع الجماعة وما هو مسكون في زمن فائت؛ فأزمة يونيو 67 تتطور فناً فتتجلى في حدث ذي طابقين:

---

* تطرح هذه الرؤية تصورا مفاده أن الخيال ليس فقط مجرد إشارات إلى غائب وفق مقياس المنطق والمقبول في سياق الواقع، بل يعبر أيضا عن كيفية إدراك الذات لما في هذا العالم، هذه الكيفية التي تخضع لقدرة وأداوت، قدرة على صياغة روابط بين موجودات متعذر التقاؤها في هذا السياق وصناعة علاقات بين عناصر بعضها يحظى بوجود خيالي محض وبثها عبر الفن إلى هذا السياق الفيزيقي الملموس ؛ لذا فإن ما هو فلسفي يبدو في هذه الثنائية الأثيرة (الفيزيقي والميتافيزيقي) يلتقي بما هو بلاغي بالنظر إلى هذه الحالة المتطورة من الإدراك التي يكشف عنها مصطلح (الاستعارة) ويجتمع حاصل الاثنين معا في فضاء الفن بطرائقه التعبيرية المتنوعة.

** هذه الطبيعة غير المنغلقة تتضوي تحت مصطلح له مكانه في الدرس النقدي هو التناص أو التناصية (Intertextuality) الذي يعني تجاوز النص حدوده الذاتية بانفتاحه على غيره من النصوص، الوقوف على هذه الحالة عملية يشترك فيها كل من صانع الفن ومتلقي عمله معا.

الأول: ظهر فيه بدرجة كبيرة بهيئة صريحة قريبة مما هو واقعي، كما هو الحال في تجوال البطل في القصة الأولى والثانية في المجموعة.

الثاني: يمنح هذا الواقعي امتدادات ويضيف إليه متعلقات، عندما أسبغ عليه مما هو تاريخي؛ كما هو الشأن بالنسبة إلى قصة آمر السجن وما يأوي إليها من دلالات، وقصة ابن سلام التي تضعنا في موضع نتيجة أفضى إليها مصير الجماعة المصرية في الماضي؛ فدخول بني عثمان يشكل لحظة أزمة ولحظة نهاية لدولة استمرت قروناً، هذه اللحظة لها بالطبع عوامل دفعت إليها وساعدت على وقوعها، وتأتي قصة ابن سلام لتسلط الضوء على بعضه؛ إن استعارة الفن للتاريخ وما يصاحبها من استعارة زمن مضى للتعبير عن حاضر قائم بآثاره الناجمة عنه يشكل علامة فنية تنوب عن حكاية واقعية حقيقية، عناصرها أربعة:

- بطل: ذات المؤلف (نموذجها الغيطاني).
- زمان: عقد الستينيات من القرن العشرين وما جرى في نصفه الثاني.
- مكان: البيئة المصرية.
- حدث: هزيمة يونيو وبعض العوامل التي أدت إليها.

إن منطوق الراوي في قصة ابن سلام يفتح الحدث في طبقته الثانية على سياق فني آخر ؛ فحديثه عن الزيني بركات بن موسى، الذي يعد نموذجاً للشخصية المتحولة النفعية التي تتحرك في خدمة مصالح فردية ضيقة بعيداً عن أي وازع أخلاقي يحيل إلى شاطئ أدبي آخر هو شاطئ الرواية، وفيه يستقر القارئ أمام رواية الغيطاني "الزيني بركات"[21] .

إن المحدد واقعاً على مستوى الفكرة والزمان والمكان يبدو إذًا على مستوى الفن على موعد مع توسعة له تعكس هذه الفضيلة التي يحظى بها هذا الأخير عموماً؛ ألا وهي فضيلة العمق في التناول؛ فالإحالة داخل النص بشقيها القبلي والبعدي التي تضفي على الخطاب القصصي تماسكه وتبدأ من شخصية الشاب في القصة الأولى، ثم ابن إياس في القصة الثانية وتمر بآمر السجن في القصة الرابعة، ثم ابن سلام في الخامسة، تتجاوز حدود هذا العالم واصلة إلى عالم فني مجاور من صنع المؤلف نفسه، ويعد هو الآخر معمولاً/مفعولاً لفاعل واحد أسهم في صناعته، يتجلى في علاقة الغيطاني بلحظته المأزومة في ستينيات القرن الماضي وفي إفادته من "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، ولأجل ذلك يمكن القول: إن البنية الاستعارية العاكسة لهذه الحال الواقعية تتجاوز هي الأخرى حدود هذا العالم القصصي لتشمل عالما سرديا ثانيا من إنتاجه.

النص والخارج وتمدد الخطاب الاستعاري

إن الفن الذي يحاول إدراك ما في العالم على طريقته، يحاول عبر الآلية التي ينتقيها لرصده تقديم حكم عليه، وفي ظل الثنائية الأثيرة (الذات والعالم) يتخذ هذا الحكم في تجليه مظاهر عديدة، تبعاً للصيغة المستخدمة في ظهوره.

في القصة الثالثة في مجموعة الغيطاني "أيام الرعب"، قد يظن القارئ للوهلة الأولى قبل الالتحام بالتفاصيل أن هذا المركب الإضافي للعنوان امتداد لسابق أو مرتبط دلالياً بلاحق؛ فقد يكون إشارة إلى هذه النكسة التي اصطُلح على تسميتها بحرب الأيام الستة، لكن بالمتابعة يأتي هذا التركيب الإضافي عاكساً لحالة واقعية تشغل مكاناً في داخل السياق الاجتماعي المصري، متمثلاً في مجتمع الصعيد، وظاهرة الأخذ بالثأر وما يحيط بها؛ إن المؤلف ذا المنشأ الصعيدي يتناول عبر الراوي في هذه القصة تجربة يقف الغيطاني على مسافة منها قرباً أو بعداً، عمل هذا الراوي فيها وفق ما يطلق عليه (الصدق الفني) يقوم على تقديم حدث قابل للوقوع، وقابل للتصديق ومن ثم الاقتناع به؛ لذا تضيق الفجوة كثيراً بين المشبه المذكور (البناء القصصي) والمشبه به المحذوف (ما في العالم ويشغل موضوعاً لمعالجة الفنية)؛ وهو ما يجعل للاستعارة بوصفها عملية يقوم الفن

بتوظيفها في تدشين نظراته إلى ما هو موجود خارجه درجات تعلو أو تهبط تقترب أو تبتعد من هذا الخارج المحيط به:

"أيام الرعب:

الاسم بالكامل: محروس فياض سلامة.

تاريخ الميلاد: 1945/5/9م.

الديانة: مسلم

الوظيفة: رسام في المؤسسة العامة

محل الإقامة: الجمالية..

رقم البطاقة: 8166

تجددت هذه البطاقة في 68/11/18

..."ولدنا الغالي محروس فياض/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعد السؤال عن صحتكم نعرفكم بأننا طيبون، لا ينقصنا سوى رؤياكم، أما بعد، فما كنا نحب إزعاجكم، ولكنك ولدنا ونخاف عليك كما نخاف على أرواحنا بالتمام، فنعرفك يا محروس أن عويضة طلع من السجن، وجمع عليه مهران واد مخلوف وبالمثل الدقل ولد الحويج، وعلمنا انهم سهروا مع بعض كام يوم، وقال عويضه أنه مادام أبوك مات ميتة ربنا يرحمه الله ويرحمنا أجمعين، يبقى لازم ياخد تاره منك أنت، أيوه منك انت يا محروس، وحلف على مصحف أنه لابد يدور عليك ولو كنت في آخر الدنيا، وقام طلق دقنه وقلب شال عمامته، وحلف ما يحلق ولا يعدل الشال إلا بعد ما يشرب من دمك..."

من نافذة الحلزونة الخلفية المتسخة رأى أباه يقف فوق الجسر وحيداً..طالبك ليه يا بوي؟ أنا طلعت من صغري يا محروس يا ولدي ولقيت الناس بتشاور علي وتقول إني مطلوب لعيلة عويضة، أبوي قتل خاله من أربعين سنة، قبل ما اتولد وقبل ما هو ييجي على وش الدنيا..حتى الشيخ صالح لما رحت له، قال لي وانا حعمل لك إيه دي شريعة البلد يا فياض..عويضة لغاية دلوقتي ما هوبش ناحيتك، أنا قلت في عقلي يا بني أبعتك سوهاج تتعلم هناك وبعدين تروح مصر، أنا هنا عارف ديتها، لكن ذنبك انت إيه.."[21].

إن منطوق الجد والأب في هذه القصة الذي ينسجم والمستوى الثقافي والبيئة الاجتماعية لمثل هذه الشخصيات يستدعي بالتوازي معه اللغة الغالبة على السرد في القصة الثانية "المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا" والرابعة "هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة" والخامسة " كشف اللثام عن أخبار ابن سلام"؛ ففي هذه القصص يظهر – إلى حد كبير – التحام الراوي بأداء لغوي يحيل إلى الماضي وإلى البيئة التي كان يعيش فيها ابن إياس المؤرخ وطبيعة الأداء اللغوي السائد حينها، يبدو أن أثر هذا الأداء قد انتقل منه إلى الغيطاني ومن الأخير إلى الراوي وممارسته اللغوية الغالبة على جل قصص المجموعة.

خاتمة

إذًا نحن بصدد نمط استعاري يمكن أن يُسمى بالاستعارة اللفظية التي تقيم ربطاً بين النص الفني وما هو كائن خارجه، وينقسم هذا النمط في " أوراق شاب عاش منذ ألف عام" إلى قسمين:

الأول: يشير إلى لغة عصر ابن إياس التي يبدو أنها تركت صدى لها في عالم الفن، ظهر بداية من خلال عناوين بعض قصص المجموعة، كالقصة الثانية "المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا"، والرابعة "هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة"، والخامسة "كشف اللثام عن أخبار ابن سلام"، ثم انتقل إلى لغة الراوي في داخلها.

الثاني: يتعلق باللهجة المصرية وظهورها على لسان عدد من الشخصيات، كما هو الحال في القصة الثالثة "أيام الرعب".

تعالج هذه الرؤية التحليلية – أيضًا – نوعين من الاستعارة، يشجع على ظهورهما تجربة الغيطاني الواقعية مع المعيش (ستينيات القرن الماضي وما جرى فيها) والمقروء (علاقته بالتاريخ على وجه العموم بمراحله المتعاقبة وبابن إياس في بدائع الزهور على وجه الخصوص):

النوع الأول: يمكن أن يطلق عليه **الاستعارة المقامية**، من خلال تحول الحدث الواقعي (تجربة يونيو 67 وتجربة السجن بالنسبة إلى الغيطاني) من سياق الواقع إلى سياق الفن؛ ففي إطار معالجة الحدث عبر ثنائية السبب والنتيجة تم تناول هذا الواقعي في ثوب متخيل عبر أنساق قصصية أربعة؛ فالحدث بوصفه نتيجة يأتي فناً في القصة الأولى والثانية (وقائع المعركة وتداخلها مع تجربتي كل من الشاب والنسخة المتخيلة من ابن إياس على الترتيب)، أما السبب فقد قام الفن بمعالجته من خلال قصة آمر السجن في الرابعة وابن سلام في القصة الخامسة وإشارات الراوي فيها إلى موجود في حياة الجماعة الإنسانية عموماً؛ ألا وهي الشخصية المتحولة التي تتحرك في سبيل غايات فردية محضة بغض النظر عن أية قيمة أخلاقية، كما هو الحال بالنسبة للزيني بركات، التي تعد أداة ربط فني بين هذه المجموعة ورواية بعنوان يحمل اسم هذه الشخصية للكاتب نفسه؛ إن فكرة الاستعارة المقامية إذًا تتبنى على تجربة المبدع في محيطه وما تفرزه من نتائج يعاد تشكيلها في ثوب مغاير يتيح له حضوراً أكبر، مزدوجاً يجمع بين الحقيقي والمتخيل. وفي الاستعارة المقامية ينكشف على مستوى السرد جانب من السيرة الذاتية للمبدع نفسه في فترة من حياته[32]* ، وتفي بذلك شخصية آمر السجن التي تخاطب الفردي والجمعي معا في سياق الواقع خارج النص.

النوع الثاني: **الاستعارة النصية، أو الاستعارة داخل الفن**؛ في هذه المجموعة عنصران يسهمان في تماسك أجزائها، شخصية ابن إياس المتخيلة، والحدث الذي يتكون من شقين جمعي (تجربة يونيو 67) وفردي (تجربة السجن بالنسبة إلى الكاتب)؛ إن هذا الحضور لابن إياس كان بمنزلة رحم حاضن لمصنوع خيالي آخر يمت له بصلة ويمثل امتدادا جماليا له، كشخصية آمر السجن وشخصية ابن سلام، مرد ذلك وحدة الزمن المرجعي (العهد المملوكي) الذي يحيل إليه.

إن هناك فعلاً للخروج ملازماً لابن إياس يتخذ لنفسه وجوها عدة:

الأول: خروج من سياق الحقيقة إلى سياق الخيال.

الثاني: مترتب على الأول، خروج من إطاره الزماني إلى إطار زماني مغاير.

الثالث: الإحالة الناجمة عن حضوره الفني؛ فاتصال هذه الشخصية بحقبة زمنية تاريخية محددة قد أتاح للصيغة المتخيلة لها في سرد الغيطاني أن تدخل في علاقة إحالة بعدية تربطها بمصنوعات فنية أخرى، كشخصية آمر السجن وشخصية ابن سلام، فكأنهما بذلك بمنزلة مشتقين دراميين لها؛ لذا يمكن النظر إليها بوصفها شخصية إطاراً (شخصية رئيسة) تؤدي دور المتبوع الجمالي الذي له توابع تمت له بصلة. ويتجاوز حدود هذا النوع من الاستعارة (الاستعارة النصية أو الاستعارة داخل الفن) سياق عالم فني إلى غيره، عندما نجد أن قصة ابن سلام هي مفتاح سردي يلج به القارئ عالماً حكائياً آخر هو الزيني بركات؛ ومن ثم يمكن القول: إن هناك متوالية استعارية ذات حلقات متعاقبة تبدأ بابن إياس ثم آمر السجن، ثم ابن سلام، ثم الزيني بركات. وكلا العملين: "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" و"الزيني بركات" يُنظر إليه بوصفه مفعولاً جمالياً لفاعل أنتجته التجربة الواقعية ذاتها التي أحاطت بحياة الغيطاني في ستينيات القرن المنصرم.

---

* إن الإشارة إلى السيرة الخاصة بالكاتب بالنظر إلى هذه المجموعة يدفع إليها عالمان قصصيان داخلها، الأول: "هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة" والثاني "أيام الرعب" وتناولها لمسألة الثأر وفيها يبدو هذا الاقتراب الشديد بين ما في الواقع وما هو معتمد على الخيال؛ فبطل القصة محروس فياض في ولادته ومقامه وعمله يحيل إلى جانب كبير من حياة الغيطاني نفسه في الواقع. والحديث عن سيرة الشخصية عموما والصياغة الأدبية لها يقود إلى مسألة الإجراء المتصل بهذه الصياغة وشحنة الخيال المتصلة بهذه الصياغة التي قد تزيد وقد تنقص، فتقترب حينا من درجة التطابق مع ما في الواقع وتبتعد حينا آخر عنه

ويتمدد هذا النوع من الاستعارة بفضل الطابع التكراري للحدث ذي الصبغة المرجعية (نكسة يونيو 67) الذي لم يكن بآثاره حكراً على ذات أو شريحة بعينها من المهمومين بقضية التعبير، كلٌ بالطريقة التي يراها؛ فها هو ذا – على سبيل المثال لا الحصر – إبراهيم عبد المجيد يرصده في عمله الروائي "في الصيف السابع والستين"[33] وأمل دنقل في ديوانه الشعري "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"[34].

إن مسار البناء الاستعاري بوجهيه: المقامي، والنصي داخل الفن، يجعل من الفن بأشكاله المختلفة بمنزلة مشتق ذي صيغ عدة لواقع قد خرج منه وتشكل من وحيه، وبالنظر إلى الغيطاني في "أوراق شاب عاش منذ ألف عام" و"الزيني بركات" نجد أن هناك مفردات ثلاثة تحكم تجربته فيهما: التاريخ الذي قرأ، والواقع الذي مر عليه، والمنتج الفني الذي خطه القلم.

إن هذه المنظومة ثلاثية العناصر التي يتركب منها خطاب الاستعارة تدفع إلى اتساعه أفقياً – بناءً على ما سبق – ليصافح هذه المفردات الثلاثة، ويحمل معه مقومات تماسكه، ومنها يتولد سؤال/قضية تخاطب عاماً: هل يعد الفن الذي أنجزته يد الإنسان قديماً وحديثاً بطرائقه التعبيرية المتنوعة استعارة أو مرادفاً خيالياً للتاريخ الراصد والمسجل لوقائع حياة الأسرة الإنسانية على هذه الأرض؟

المراجع

1. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، الموسوعة الشعرية الإلكترونية، ركن المعاجم، إصدار المجمع الثقافي العربي، الإمارات العربية المتحدة، 2003.
2. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة بيروت، لبنان، 1984.
3. فرديناند دي سوسير، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة: د.عز الدين إسماعيل، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000.
4. د.يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط1، الأهلية للنشر، الأردن، 1997.
5. الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، ط1، 1411، 1991، دار الجيل، بيروت– دلائل الإعجاز، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.
6. د.نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، دار غريب بالقاهرة، دون تاريخ.
7. محمد مفتاح، دينامية النص: تنظير وإنجاز، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006.
8. بيار ماشيري، بم يفكر الأدب، ترجمة: د.جوزيف ميشال شريم، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009.
9. الموقع الرسمي للكاتب جمال الغيطاني على الشبكة الدولية، www.Alghitany.shrouk.com
10. د. محمد عبد المطلب البلاغة العربية: قراءة أخرى، ط1، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، 1997.
11. بول ريكور، الاستعارة الحية، ترجمه وقدم له: د. محمد الولي، ط1، دار الكتاب الجديد، ليبيا، 2016.
12. د.محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط1، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، 1994.
13. د.محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
14. عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2001
15. عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص: البنية والدلالة، ط1، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، 1996.
16. د.صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2005.
17. يوسف الشاروني، القصة تطورا وتمردا، ط2، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001.
18. فان دايك، النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، طبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000.
19. د.محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ط1، المكتبة الأكاديمية الحديثة، القاهرة، 1426، 2005.
20. محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991.

21. جمال الغيطاني، مجموعة "أوراق شاب عاش منذ ألف عام"، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998– رواية الزيني بركات، ط8، دار الشروق، القاهرة، 1994م.
22. عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، ط2، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1994.
23. د.محمود محمد عيسى، تيار الزمن في الرواية المعاصرة، طبعة مكتبة الزهراء، القاهرة، 1991.
24. ابن إياس (زين العابدين محمد بن أحمد)، المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبعة سلسلة كتاب الشعب، القاهرة، 1960.
25. جيرارد ستين، فهم الاستعارة في الأدب: مقاربة تجريبية تطبيقية، ترجمة: محمد أحمد حمد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
26. جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.
27. د.محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم، ط1، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، 1996.
28. د.عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، ط3، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005.
29. روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: محمود الربيعي، طبعة مكتبة غريب، القاهرة، 2000.
30. روبين جوروج كولنجوود، مبادئ الفن، ترجمة: د.أحمد حمدي محمود، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001.
31. د.عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002.
32. إحسان عباس، فن السيرة، طبعة دار صادر، بيروت، 1996.
33. إبراهيم عبد المجيد، في الصيف السابع والستين، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989.
34. أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1407، 1987.

آليات تطوير الأداء الوظيفي في المنشآت الخدمية

(دراسة حالة على احدى الجامعات السعودية)

The Development Mechanisms Of The Stuff Performance In The Service Organizations (Case Study On One Of Saudi Universities)

*** د. حسام سعد سليم**

ملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة الآليات التي يمكنها تطوير الأداء الوظيفي في المنشآت الخدمية ؟ وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، تم توزيع (150) استبانة على الموظفين ، وتم استرداد (130) استبانة ، أي بنسبة 86 % وتم اجراء عدد من الاختبارات الاحصائية للتحقق من صدق الاستبانة وثباتها ، وكذا التوزيع الطبيعي للبيانات الواردة بها ثم إجراء اختبار تحليل الانحدار المتدرج لاختبار فروض الدراسة . وقد أظهرت نتائج الدراسة أن بعض آليات الأداء المادية تؤثر على رفع مستوى أداء الموظفين دون آليات أخرى ، ورغم التأثير الإيجابي لآليات الأداء المعنوية و نظام الترقيات على رفع مستوى أداء الموظفين إلا أنه لا يتم استخدامها وتفعيلها بكفاءة في نظام آليات الأداء المتبع بالجامعات ، كما تؤثر بيئة العمل الجيدة تاثيراً إيجابياً على مستوى أداء الموظفين. وأخيراً فإن مستوى رضا الموظفين عن النظام المتبع يؤثر على مستوى أدائهم الوظيفي .

[البحث الفائز بالمركز الأول في مجال الدراسات الإدارية بالمسابقة 33 لجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم]

***أستاذ مشارك بكلية التربية– جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية**

***DR.Hossam Saad Selim**

Abstract

The study aimed to determine the mechanisms that can develop the job performance in service organizations. The researcher used the descriptive analytical method, 150 questionnaires were distributed to the employees, and 130 questions were retrieved, ie 86%. A number of statistical tests were conducted to verify the veracity of the questionnaire and its normal distribution, stepwise regression to test study hypotheses. The results of the study showed that some mechanisms of physical performance affect the performance of the employees without other mechanisms. Despite the positive effect of the mechanisms of moral performance and promotion system to enhance the performance level of the employees, but it is not used and activated efficiently in universities as performance mechanisms, Good work environment has a positive impact on employee performance. Finally, the level of employee satisfaction with the system affects their professional performance.

* Assistant Professor - King Faisal University –K.S.A

مقدمة

شهد العالم خلال السنوات الماضية متغيرات أساسية عديدة طالت مختلف جوانب الحياة المعاصرة وأثرت على كافة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بدول العالم على اختلاف درجات تقدمها ونموّها، فأثّرت تلك المتغيرات على هيكل القيم ونسق العلاقات المجتمعية في كثير من دول العالم .

كما إن التقدم العلمي الذي يشهده العالم يفرض على المؤسسات أن تتبنى المفاهيم الإدارية الحديثة إذا أرادت تحقيق أهدافها بكفاءة وفاعلية من خلال اتباع الأساليب العلمية الحديثة فى الإدارة بهدف الاستمرار ومواجهة التغيرات والتحديات المختلفة ، و المؤسسات التعليمية هي جزء من المؤسسات العامة التى يجب أن تنهج نفس المنهج العلمى لمواجهة التحديات والتغيرات العالمية ، وهذا بالتالي يتطلب الاهتمام بالكوادر البشرية وتدريبها بحيث تكون لديها المعرفة والمهارات المختلفة لمواجهة هذه التغيرات السريعة في كافة الجوانب.

ويذكر الغامدى (2014)[1] إن من الجوانب الهامة في الاهتمام بالكوادر البشرية كيفية تطوير الأداء الوظيفي حيث له دور هام في تغيير الممارسات المرتبطة بإدارة الكوادر البشرية وبالتالي التأثير على أداء المؤسسة بشكل عام ، بحيث يجب أن تعمل استراتيجية المنشآت الخدمية في إطار أكبر يشمل مستوى المؤسسة أو المنشأة ككل و هي عبارة عن تصور مبدئي للرؤى المستقبلية للمؤسسة ورسم سياستها وتحديد غايتها على المدى البعيد وبيان نقاط القوة والضعف وذلك بهدف اتخاذ القرارات الاستراتيجية الصحيحة.

ويشير العطوي(2007)[2] أن عملية تطوير الأداء الوظيفي أصبحت في الوقت الحاضر من أهم السبل الأساسية لإعداد كوادر بشرية مناسبة لكونه يعمل على تزويد الأفراد بالمعلومات والمهارات الإدارية والفنية اللازمة لأداء أعمالهم بكفاءة وفاعلية وهذا بالتالي ينعكس بشكل إيجابي على عمل وأداء المؤسسات بشكل عام.

ومن ضمن المؤسسات الحكومية الهامه هي المؤسسات التعليمية وخاصة الجامعات حيث تسعى دائماً خلف التوجه الشامل والمتكامل من خلال التنسيق بين جميع مواردها بما فيها الكوادر البشرية وذلك لضمان أن جميع ما تفعله سيؤدي إلى تنفيذ استراتيجيتها الرئيسية ، خاصاً أن شمل ذلك التكامل موظفيها قد يؤدى بالنهاية إلى نشوء قيمة إضافية أخرى لا يستطيع أي من هذه الكوادر تكوينها بمفرده ، وهذا هو أحد الفوائد الأساسية الناجمة لآلية تطوير الأداء الوظيفي في المؤسسات التعليمية والمنشآت الخدمية .

فلا يكفي أن تقوم الإدارة باستقطاب وتوظيف الموظفين فقط ، وإنما من الضروري أن يعقب عملية الاختيار والتعيين إعداد برامج تطويرية تساعد على زيادة مهاراتهم وتحسين قدراتهم على أداء الأعمال المسندة إليهم ، ذلك لأن الإنسان شأنه في ذلك شأن عناصر الإنتاج الأخرى كالأدوات والأجهزة يحتاج إلى الرعاية والتطوير وفقاً لخطط وبرامج محددة .

لذا فإن المؤسسات التي تتبنى تطبيق المفاهيم الحديثة تحتاج إلى إحداث تغيير في سلوك واتجاهات وقيم وقناعات وآداءات الموظفين من خلال غرس المهارات الحديثة المختلفة ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال التهيئة بصورة سليمة فلا معنى أن

نتوقع من أداء أعمالهم بمهارة عالية دون أن يتم تطوير تلك الاساليب التقليدية وإحلال بدلا منها طرق وأساليب جديدة تمثل الجانب الاهم في منظومة المؤسسة .

ومما لا شك فيه مهما تطورت إمكانيات وقدرات الآلة في العملية الإنتاجية إلا أنها لا يمكن أن تحلّ محل العنصر البشري الذي يعود له الفضل في تصنيعها واختراعها (ابتكارها)، وسيظل هذا العنصر عاملاً هاماً وأساسياً.

لذلك تحرص كافة المؤسسات على القيام بإعمالها ونشاطاتها المختلفة بمستوى عالٍ من الكفاءة والفعالية ، ويمثل الموظف الذي يخضع لتقويم الأداء الوظيفي، أحد أهم المتغيرات الأساسية المؤثرة على هذه الكفاءة، كما تعد عملية تطوير الأداء الوظيفي هي عملية هامة ومعقدة، وتعد من أهم العمليات الإدارية التي يتعدى تأثيرها نطاق الأفراد موضع التقييم لتشمل جميع أعمال المؤسسة.
وبناءاً عليه يمكن أن نستخلص مدى أهمية هذا العنصر, إذ لا يمكن أن يستغني عن وجود هذا العنصر المؤثر في المؤسسة رغم وجود الأجهزة التكنولوجية الحديثة.

كما أن المؤسسة الناجحة هي تلك المؤسسة التي تعرف كيف تستثمر كفاءة وفعالية موظفيها وهى التى تستطيع القيام بوضع آليات لتطوير الأداء الوظيفي الفعّال القادر على التأثير بالإيجاب على أداء الموظفين بالشكل الذي يزيد من ولائهم للمؤسسة ومساعدتها على التقدم والارتقاء بقدراتهم.

ويعد العنصر البشري من العناصر الهامة التي تحيا بها أي مؤسسة وخاصة إذا كانت مؤسسة تعليمية (خدمية) ، كما يعد المحرّك الأساسي لجميع نشاطات المؤسسه ومصدر من مصادرها المهمة لتفاعله مع المتغيرات الداخلية والخارجية ، وذلك لما يمتلكه من ميزة تنافسية ناتجة عن الطاقة الكامنة التي تزخر بها دواخله، الأمر الذي يمكن معه القول أن قدرة المؤسسه على تحقيق أهدافها يتوقف إلى حد كبير على نجاح الإدارة في توفير القدر الكافي من الدافعية، وعلى هذه المؤسسه العمل على استنهاض هذه الطاقة وتأهيلها بواسطة نظام فعال وتحسين البيئة الداخلية ، أو ما يسمى بالمثيرات الإيجابية التي تعتبر كقوة يمكنها تحريك وإستثارة الطاقات الكامنة، لتحقيق درجة عالية من الأداء الوظيفى. ويشكل الأداء الوظيفي أهمية أساسية لأي مؤسسة من خلال الاستغلال الأمثل لقواها ومواردها البشرية، وأنها ليست مجرد أداة للسيطرة، بل أداة للتشخيص المحكم والموضوعي لأداء جميع الموظفين ، وكذلك تقديم المعلومات اللازمة إلى إدارة المؤسسة من أجل اتخاذ القرار المناسب بكفاءة واقتدار ، ويتم ذلك من خلال تحسين وتنظيم واستغلال الموارد المتاحة، لتصبح المؤسسة قادرة على التطور والتعامل الجيد مع كل المتغيرات التي تطرأ خلال إنجاز الأعمال.

مشكلة الدراسة

يتضح جلياً أهمية التطوير في مجال العمل وانعكاسه الإيجابي على رفع مستوى الأداء الوظيفي مما ينعكس على نتاجهم وانتمائهم لمؤسساتهم ، فالإدارة الناجحة هي التي تحسن استغلال كفاءة وفعالية موظفيها بما يحقق أهدافها ، بحيث تقوم بوضع نظام أو (آليات لتطوير الأداء الوظيفي) الفعال القادر على التأثير الإيجابي بالشكل الذي يزيد من مستوى الأداء الوظيفى لديهم .

ويذكر أبو العز (2002)[3] أنه لا يمكن أن تحقق الأهداف إلا من خلال وجود آلية عمل ونظام محدد لأدائها بالشكل الأمثل مع توافر عنصر في غاية الأهمية ألا وهو المصدّاقية في التطبيق والتنفيذ ، بحيث يشعر الموظف بالعدالة وتكافؤ الفرص والحماس للعمل ، لذا يعد آليات تطوير الأداء من أهم الوسائل التي تجعل الموظفين يقدمون أفضل مالديهم لتحقيق الاهداف المرجوة.

كما يؤكد العكش (2007)[4] أن إعادة تقييم نظام آليات تطوير الأداء بشكل يتناسب وتوقعات الموظف، وأن تمنح للموظف وفقًا للضوابط والمعايير التي حددها القانون من الامور الهامة التي يجب الاعتناء بها.

وقد لاحظ الباحث من خلال عمله كعضو هيئة تدريس بالجامعات العربية في مصر والمملكة العربية السعودية واستطلاع آراء بعض الموظفين بالجامعات بأن هناك عدم وضوح أو تفعيل لبعض الآليات في نظام تطوير الأداء المتبع داخل الجامعات مما قد يؤثر على الأداء الوظيفي ، وبالتالى قد يؤثر على تحقيق الأهداف التي وضعت من أجلها.

ومن خلال عملي ومعايشتى لواقع العمل لموظفي جامعة الملك فيصل ، تلاحظ وجود عدد من المؤشرات التي قد نستنتج منها وجود بعض أوجه القصور وعدم الوضوح في نظم وأساليب الأداء المطبقة على الموظفين ، فيما يمكن أن ينعكس سلباً على الأداء الوظيفي ومن هنا جاءت فكرة هذة الدراسة لبحث آليات لتطوير الأداء الوظيفي والتعرف على تأثيرها على رفع مستوى الأداء لموظفي جامعة الملك فيصل وواقع هذا التأثير لتحديد السلبيات والإيجابيات وكيفية تطوير نظام آليات الأداء الوظيفي بحيث تتكامل مع مركبات العمليات الإدارية الأخرى في جعل الأفراد يقدمون أفضل ما لديهم لتحقيق الاهداف العامة. وبناءً على ما تقدم يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي:

ما هي الآليات التي يمكنها تطوير الاداء الوظيفي في المنشآت الخدمية ؟

(دراسة حالة على جامعة الملك فيصل)

أهمية الدراسة

أ.الأهمية النظرية

- تتعرف الدراسة الحالية على الآليات التي يمكنها تطوير الأداء الوظيفي في المنشآت الخدمية –خاصة الجامعات– و تأثيرها على مستوى الأداء لموظفى وترمي إلى نموذج مفاهيمي جديد حول آليات تطوير الأداء الوظيفي .
- قد تقدم هذه الدراسة آفاقاً للباحثين الذين لهم علاقة في التعمق لدراسة الأداء الوظيفي وعلاقته بإدارة الموارد البشرية، والقيام ببحوث جديدة أكثر تخصصاً و قد تفتح المجال للمساهمة في إيجاد الحلول لبعض المشاكل المتعلقة بالموظفين.

ب.الأهمية التطبيقية (العملية)

تأتي الأهمية العملية لهذه الدراسة بما سوف تقدمة لمتخذي القرار الإداري في القدرة على اتخاذ قرارات للمؤسسات الخدمية (التعليمية) بشكل عام ، وبشكل خاص فى تحسين سياسات الأداء من أجل تطبيقها داخل الجامعات لزيادة مستوى وقدرات الموظفين، حيث يأمل الباحث أن تزود الدراسة متخذي القرار بمعلومات عن نوعية آليات الأداء المتبعة في الوقت الحالي، مما قد تساعدهم على الارتقاء وتطوير مستوى آليات الاداء الوظيفي لموظفى جامعة الملك فيصل.

لعل هذه الدراسة تسهم في توفير عدد من التوصيات والمقترحات لتفعيل و الارتقاء بمستويات الأداء الوظيفي.

فروض و تساؤلات الدراسة

الفرضية الأولى: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آليات تطوير الأداء المادية وبين مستوى أداء موظفى جامعة الملك فيصل.

الفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آليات تطوير الأداء المعنوية وبين مستوى أداء موظفى جامعة الملك فيصل.

الفرضية الثالثة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آليات تطوير الأداء للترقيات وبين مستوى أداء موظفى جامعة الملك فيصل.

الفرضيةالرابعة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آليات تطوير الأداء في مدى مناسبة بيئة العمل وبين مستوى أداء موظفى جامعة الملك فيصل.

الفرضية الخامسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آليات تطوير الاداء الجديد على مستوى رضا الموظفين وبين نظام آليات الأداء المتبع لأدائهم الوظيفى.

أهداف الدراسة من واقع مشكلة الدراسة وتساؤلاتها يمكن تحديد الأهداف التالية:

1. تقييم نظام آليات الأداء المتبع فى جامعة الملك فيصل من وجهة نظر موظفى الجامعة.
2. تحديد أثر نظام آليات الأداء التي يتلقاها موظفى جامعة الملك فيصل على مستوى الأداء الوظيفي.
3. تحليل أثر آليات الأداء بانواعها المختلفة على الأداء الوظيفي لتحديد نقاط القوة والضعف لتطويرها ومن ثم تحسين مستوي الاداء الوظيفي.

خطة الدراسة

سوف يتم تناول الدراسة من خلال المباحث التالية :

- المبحث الأول: ماهية وأنواع آليات الأداء .
- المبحث الثانى: قياس وتقييم الأداء الوظيفى.
- المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية لقياس أثر آليات الأداء على مستوى الأداء الوظيفى لموظفى جامعة الملك فيصل.
- النتائج والتوصيات.
- المراجع.

تعـــــريف الأداء

من حيث الاصطلاح فقد تعددت وتنوعت التعريفات المتعلقة بآليات الاداء حيث عرفت بأنها مجموعة من العوامل التي تعمل على إثارة القوى الحركية والذهنية في الإنسان والتي تؤثر على سلوكه وتصرفاته.

ويُقصد بالأداء ما تقوم به الجهة الحكومية من إجراءات لقياس مستوى أداء الموظف لواجبات وظيفته وفقاً لعناصر ومعايير معينة خلال فترة زمنية محددة بما يُمكنها من اتخاذ القرارات المناسبة عن الموظف. (وزارة الخدمة المدنية لائحة تقويم الأداء الوظيفي،1405هـ.)[5]

ويعرف أدامس Adams(2007)[6] الأداء بأنه تحويل المدخلات التنظيمية كالمواد الأولية والمواد نصف المصنعة والآلات إلى مخرجات تتكون من سلع وخدمات بمواصفات فنية، ومعدلات محددة.

وإجرائياً يقصد به في هذا البحث هو تطوير الآليات للأداء بمفهومها واختصاصاتها لتكون عامل فعال في تطور الأداء الوظيفي و تؤدي إلى رفع مستوى أداء الموظفين وتعمل على إشباع حاجاتهم.

مما سبق نلاحظ أن مجموعة التعريفات تصب في مجرىً واحد في مجملها تشير إلى أن آليات تطوير الأداء هي عبارة عن مجموعة من العوامل والمؤثرات الخارجية التى تتبعها الإدارة الناجحة بهدف التأثير على سلوك الموظفين لديها من أجل رفع كفائتهم و إنتاجيتهم .

مفهوم الأداء الوظيفي

يشير الأداء الوظيفي إلى درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد، وهو يعكس الكيفية التي يتحقق بها، أو يشبع الفرد بها متطلبات الوظيفة، وغالباً مايحدث تداخل بين الأداء والجهد، فالجهد يشير إلى الطاقة المبذولة، أما الأداء فيقاس على أساس النتائج

يعتبر الأداء أحد وأهم محاور العمل المهني في أي مجال وظيفي، فإذا كان هذا الأداء مميزاً في ظل بيئة عمل يسودها العدل والمساواة ، فإنه من المنطقي أن يأخذ هذا الأداء صاحبه إلى مكانة مرموقة في المنظمة التي يعمل فيها، و في ظل عالم يسوده التغيير المتسارع والمنافسة الشديدة ، ولن تستطيع المنظمة الدخول للمنافسة إلا إذا كان الأداء العالي أحد أهم خصائصها ، وهذا الأداء ينبع من حصيلة أداء الأفراد في المنظمة ككل.

ويعرف سلطان(2004)[7] مفهوم الأداء الوظيفي بأنه الأثر الصافي لجهود الفرد التي تبدأ بالقدرات وإدراك الدورأو المهام الذي يشير إلى درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد .

ويشير الدروبي(2006)[8] أن هناك أنواع متعددة من آليات تطوير الأداء مثل:

1. **آليات الأداء الإيجابية** : هي التي تنمي روح الإبداع والتجديد وتشتمل على:

- آليات الأداء المادية: وتتمثل فى الأجور والعلاوات السنوية، والزيادات في الأجر ، والمكافآت ، إضافة لزيادات بالدفع على أساس الأداء، والمزايا مثل التأمين الصحي والتعويضات، والمزايا العينية ذات القيمة المادية.
- آليات الأداء المعنوية: وتشمل الترقية ، وإشراك الموظفين في الإدارة وتفويض الصلاحيات.

2. **آليات الأداء السلبية:** يقصد بها عقوبات مختلفة يتم إيقاعها على المرؤوسين، قد تؤدي في النتيجة إلى تغيير الموظف للسلوك الذي عوقب عليه، وتحسين الصورة المأخوذة عنه، وبالتالي تكون دافعاً يعمل على تحفيز الموظف لتحسين أدائه.

وتقسم إلى (آليات أداء مادية – آليات أداء معنوية – آليات أداء فردية – آليات أداء جماعية– آليات أداء التميز)

يرى الباحث من خلال العرض السابق أنه لابد أن يوضع نظام لآليات تطوير الأداء ضمن خطة مبرمجة تكفل إنصاف كل من الموظفين فى الجامعة ، وتشجع على استمرار الجهود المتناسقة من جانب الموظفين والمديرين ، وأن تتناسب مع كفاية الموظف وما يبذله من جهد متميز في عمله.

قياس وتقييم الاداء الوظيفى

تشير ماجدة العطية (2003)[9] بأن أي منظمة ترتبط فاعليتها بكفاءة العنصر البشري وقدرته على العمل ورغبته فيه باعتباره العنصر المؤثر والفعال في استخدام الموارد المادية المتاحة وتعتمد الإدارة في تعظيم النتائج، وترشيد استخدام الموارد المادية والبشرية المتاحة، وقد يصعب ترشيد استخدام العنصر البشري، لدرجة تزيد من صعوبة قدرة الإدارة على ترشيد استخدام هذا العنصر، وهو الأمر الذي جعل المشكلة الرئيسية التي تواجه الإدارة في أي منظمة هي التعرف على المتغيرات المحددة لهذا العنصر، والتي تنعكس على سلوك هؤلاء الأفراد الذين يمثلون قدرة العمل في المنظمة.

كما تعتبر عملية تقييم الأداء من الوظائف الرئيسية لإدارة الموارد البشرية وأطلقت عليها مسميات عديدة مثل : تقييم الكفاءة ، قياس الكفاءة ، تقييم الأداء ، . . .

وظهرت مفاهيم عديدة لعملية تقييم الأداء من حيث كونها عملية إدارية دورية هدفها قياس نقاط الضعف والقوة في الجهود التي يبذلها الفرد والسلوكيات التي يمارسها في موقف معين وفي تحقيق هدف معين خططت له المنظمة له مسبقاً ، وايضاً كونها نظام رسمي لقياس وتقييم أداء الموظفين والتأثير في خصائصهم الأدائية والسلوكية ومحاولة التعرف على احتمالية تكرار نفس الأداء والسلوك في المستقبل لإفادة الفرد والمنظمة والمجتمع.

كما يتضح من خصائص قياس وتقييم الأداء بأنها عملية مستمرة تلازم الفرد طوال حياته الوظيفية حيث تتطلب عملية القياس المراقبة والملاحظة للأداء بشكل مستمر ليكون القياس موضوعياً وسليماً ، وتتطلب أيضاً وجود معايير للأداء ليتم مقارنة أداء الموظف بها والحكم على كفاءته من حيث الصدق والثبات والتمييز في أداء المهام الموكلة له .

وتعرف معايير الأداء بأنها المستويات التي يُعتبر عندها الأداء جيداً وتُستخدم كمقاييس للتقييم ومن أمثلتها المعرفة بالعمل والتعاون والقيادة والقدرة على اتخاذ القرارات و الإبداع و القدرة على حل المشكلات ونوعية الأداء والقدرة على الاتصال و القدرة على التخطيط والقدرة على التنظيم و الاتجاهات نحو العمل .

- وسوف نعرض فيما يلي بإيجاز لأهم الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة حيث قام الباحث بتقسيمها إلى دراسات عربية وأخري أجنبية:

الدراسات العربية

1. **دراسة الجساسي (2010)**[10] : وهدفت هذه الدراسة على اتجاهات أفراد الدراسة حول جميع أنواع آليات الأداء وتعرض أشكالها وتبين مدى تأثيرها على أداء العاملين، وكانت من أهم النتائج موافقة أفراد العينة على وجود آليات في الوزارة، وموافقتهم بشدة على فاعلية آليات الأداء المادية في تحسين أداء العاملين، إلا أنها لم تقدم معلومات كافية عن نوع نظام إدارة الأداء في الوزارة .

2. **دراسة شراب (2007)**[11] : هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين الحوافز وأداء الموظفين ، ويضم مجتمع الدراسة حوالي (283) شخص، بينما كانت عينة الدراسة (228) شخص. وتوصلت الدراسة الى إنة لا توجد أنظمة للحوافز

مرتبطة بأهداف، أو مستويات أداء مقررة مسبقاً، وأن الحوافز المتوفرة لا تشجع الموظفين على التنافس في تحسين الأداء حيث بلغ المعدل النسبي على 57%، وإنهم يستخدمون قدراتهم بنسبة متوسطة في تأدية وظائفهم.

4. دراسة عواد (2005)[12] : هدفت الدراسة إلى تحليل نظام تقييم الأداء والتعرف على واقع ممارسات نظم تقييم الأداء المطبقة ، شمل البحث على بيانات أولية عن طريق استطلاع الآراء من خلال استبانة تم توزيعها على عينة عشوائية بحجم **520** موظف، أظهرت نتائج البحث وجود ضعف عام في النظام، وعدم الجدية والالتزام من قبل الجهات الإشرافية العليا في السلطة لتطبيق نظام فعال، ومن ثم تحليل نتائجه للاستفادة منها في إصلاح وتطوير النظم الإدارية، والمهنية المختلفة، ووجد الموظفين لديهم انطباع سلبي حول النظام نتيجة لعدم وجود تخطيط وظيفي واضح، ووجد أن هناك خلل في وضع وتوصيف المعايير التي تستند إليها التقييم.

دراسات أجنبية :

1. دراسة Emily Tumwet(2013)[13] ،هدفت هذة الدراسة إلى أن آليات الأداء الوظيفي لها تأثير كبير وتتمثل فى: الراتب، والتمويل والتأمين، ومعاشات التقاعد والمكافآت على أساس الأداء، الفرصة لوضع أهداف الأداء، الفرصة لقيادة والتدريب والتطوير والسياسات المرنة. وشملت أهم النتائج: الحاجة إلى الإدارة العليا للمنظمات لتصميم الخطط الفعالة التي تشكل مزيجاً من الآليات المختلفة في المؤسسات بشكل عام و الجامعات بشكل خاص.

2.Calista Lai (2009)[14]: وقد هدفت هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية، ماذا يعني مصطلح حوافز للموظفين؟، وماهي أكثر العوامل تأثيراً على استيعاب الموظفين لبذل جهد أكبر في وظائفهم، وما مدى تأثير أنواع الحوافز المتعلقة بدوافع العمل وخلص الباحث نتائج بحثه تتمثل في أن العمل الممتع والأجور الجيدة يعتبران من أهم عوامل التحفيز ، بالإضافة إلى أهمية عنصر الأمن الوظيفي.

3 . Gibbs, & others .(2004)[15] :تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى قياس الأداء على نظام الحوافز المصمم للدوائر التجارية، وذلك من خلال استخدام بيانات عن عقود واتفاقيات لبعض الحوافز للمدراء ذوي العلاقة التجارية. و من أهم النتائج أن خصائص مقاييس الأداء لها دور هام عند استخدام المؤسسة للحوافز الضمنية ومن خلال علاوات الموظفين لتحقيق التوازن.

التعليق على الدراسات السابقة:

1. أعتمد الباحث على الدراسات السابقة فى اختيار منهج الدراسة وكيفية إعداد الاستبانة لجمع البيانات والاطلاع علي العديد من المراجع والادابيات في مجال البحث .
2. اعتبرت الدراسات السابقة أن على جميع المؤسسات القيام بعملية تطوير آليات الأداء بأنواعها المتنوعة.
3. الدراسة الحالية تدرس نظام تطوير آليات الأداء ومدى تطبيقه للموظفين بشكل كاف حيث تبحث الدراسة الحالية في فاعلية النظام من التطبيق.
4. الدراسة الحالية هي الأولى لعملية تطوير آليات الأداء في جامعة الملك فيصل ، وستكون نقطة انطلاق لدراسات مستقبلية في نفس المجال.

منهجية البحث واجراءاته :

في ضوء طبيعة الدراسة والأهداف التي تسعى لتحقيقها تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي والذي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما هي في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعبيراً كيفياً بوصفها وتوضيح خصائصها ، وتعبيراً كمياً بوصفها رقميا بما يوضح حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى ، وبذلك تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لهذه الدراسة والذي ركز على وصف وتحليل البيانات المعروضة.

إجـــراءات البحث :

مجتمع الدراسة

تم تطبيق الدراسة خلال العام الاكاديمى 2016 ـ وتكون مجتمع الدراسة الأصلي من موظفي جامعة الملك فيصل حيث يتألف الهيكل التنظيمى الادارى على عدد (12)عمادة وعدد (30) إدارة وعدد(17) كلية وعدد(14) مركز علمى وبحثى.

عينة الدراسة

قام الباحث باستخدام طريقة العينة العشوائية ، وتم توزيع عينة استطلاعية حجمها (20) استبانة لإختبار الاتساق الداخلي وثبات الاستبانة ، وبعد التأكد من صدق وسلامة الاستبانة للاختبار تم توزيع (150) استبانة على عينة الدراسة وتم تجميع (130) استبانة فقط بنسبة استرداد (86%) من إجمالي عدد العينة الموزع عليها الاستمارة.

جدول 1: تصنيف أفراد العينة

التصنيف	فئات العينة وفقا لكل تصنيف	عدد افراد العينة	النسبة المئوية%
الهيكل التنظيمي الإداري	العمادات	54	57.5
	الادارات	33	18.18
	الكليات	33	18.18
	المراكز العلمية والبحثية	10	6.14
سنوات الخبرة	اقل من 3 سنوات	10	6,7
	من 3 إلى اقل من 6 سنوات	25	12,4
	من 6 إلى اقل من 10 سنوات	15	9.5
	10 سنوات فاكثر	80	71.4
المؤهل العلمي	ثانوية فاقل	15	13.9
	دبلوم	40	25.2
	بكالوريوس	65	48.6
	دراسات عليا	10	12.3
العمر	اقل من 30 سنة	15	19.0
	من 30 إلى اقل من 35 سنة	30	20.5
	من 35 إلى اقل من 40 سنة	35	23.3
	40 سنة فما فوق	50	37.1

المستوى الإداري	إدارة عليا (رئيس/مدير إدارة)	10	1.9
	إدارة وسطى (رئيس قسم)	35	10
	إدارة دنيا (مشرف – مراقب – موظف)	85	88.1

يوضح جدول (1) أن ما نسبتة 20% يمثلون عدد أفراد العينة من إجمالى موظفي الجامعة ممثلة فى 57.5% من العمادات ،18.18% من الإدارات ، 18.18% من الكليات ،6.14% من المراكز العلمية والبحثية ، وأن ما نسبتة 71.4% من عينة الدراسة عدد سنوات الخدمة لهم 10 سنوات فأكثر وهذا يعنى أن أغلبية العينة لديهم سنوات خبرة طويلة في مجال أعمالهم ، ويمكن أن يكون لديهم القدرة على الإدلاء بآرائهم حول النظام المتبع ، وأن ما نسبتة 48.6 % يمثل معظم عينة الدراسة من حملة البكالوريوس وهذا يدل على أن الجامعة تسعى لاجتذاب خريجي المؤهلات الجامعية ذات التخصصات المتنوعة، والمستوى الأكاديمى الجيد للموظفين، وأن ما نسبتة 19.0%،23.3%،20.5%،37.1% توضح النسب أعلاه إلى تقارب وتنوع بين الأعمار الصغيرة، والمتوسطة، الكبيرة ، وهذا يدل على أن الجامعة لا تحتكر فئة عمرية عن الأخرى. وأن ما نسبتة 1.9% من أفراد العينة هم بدرجة إدارة عليا (رئيس/مدير إدارة) ، وأن ما نسبتة 10% من أفراد العينة هم بدرجة إدارة وسطى (رئيس قسم)، وأن ما نسبته 88.1% هم بدرجة (مشرف–مراقب –موظف)، وهي النسبة الكبيرة من العينة حيث يتطلب التعامل مع عدد كبير من منسوبى الجامعة، ولوجود هيكلية تتطلب أن يكون عدد المديرين ورؤساء الأقسام أقل وعدد المشرفين والموظفين في الإدارة الدنيا أعلى.

ثالثاً :أداة البحث (أداة جمع البيانات)

بناءً على طبيعة البيانات التي يراد جمعها ، وعلى المنهج المستخدم في البحث ، والوقت المسموح له ، والإمكانات المادية المتاحة ، وجد الباحث أن الأداة الأكثر ملاءمة لتحقيق أهداف هذه الدراسة هي (الإستبانة) وقام الباحث بتصميم الاستبانة اعتماداً على مراجعة الدراسات السابقة بتقسيم الاستبانة إلى قسمين :**القسم الأول**:يهدف إلى تشخيص وتقييم نظم آليات الأداء المقدمة لموظفى جامعة الملك فيصل **والقسم الثانى:** يهدف إلى قياس وتقويم الأداء الوظيفى ، وتتكون الاستبانة من **(57)** فقرة موزعة على (6) **محاور كالأتى:**

1. : آليات الاداء المادية ويتكون من **(11)** فقرة
2. : آليات الاداء المعنوية ويتكون من **(8)** فقرات
3. : آليات الاداء الترقيات ويتكون من **(7)** فقرات
4. : آليات الاداء لمناسبة بيئة العمل ويتكون من**(8)** فقرات
5. : آليات الاداء لرضا الموظفين عن النظام المتبع بالجامعة ويتكون من**(13)** فقرة
6. : آليات الاداء لتقييم مستوى الأداء الوظيفي ويتكون من **(10)** فقرات.

ولبناء الاستبانة قام الباحث بالخطوات التالية:

خطوات بناء الاستبانة:

قام الباحث بتصميم أداة الدراسة لمعرفة أثر آليات تطوير الاداء على مستوى الأداء الوظيفي من وجهة نظرموظفي جامعة الملك فيصل ، واتبع الباحث الخطوات التالية لبناء الاستبانة:

1. اطلع الباحث على الدراسات السابقة والأدب الإدارى المتعلق، ومشكلة الدراسة، والذي له صلة بموضوع الدراسة .

2. استشار الباحث عدداً من أساتذة الجامعة والمشرفين الإداريين ومتخصصي الإدارة في تحديد أبعاد الاستبانة وفقراتها .

3. أجرى الباحث عدداً من المقابلات مع بعض المسئولين والموظفين في الجامعة ذوي الخبرة في مجال الإدارة لتحديد فقرات الاستبانة.

4. تم تحديد المحاور الرئيسية التي شملتها الاستبانة في صورتها الأولية ثم صياغة فقراتها التي تقع تحت كل محور.

صدق الاستبانة

يقصد بصدق الاستبانة أن تقيس أسئلة الاستبانة ما وضعت لقياسه، وقام الباحث بالتأكد من صدق الاستبانة عن طريق صدق الاتساق الداخلي لعدد ست محاور،كما في جدول (2).

جدول 2: عدد فقرات الاستبانة حسب كل محور من محاورها

المحاور	عدد الفقرات
المحورالأول: آليات الاداء المادية	11
المحور الثاني: آليات الاداء المعنوية	8
المحور الثالث: آليات الاداء الترقيات	7
المحور الرابع: آليات الاداء لبيئة العمل	8
المحور الخامس: آليات الاداء لرضا الموظفين عن نظام الحوافز المتبع	13
المحور السادس: آليات الاداء لتقيم مستوى الأداء الوظيفي	10
مجموع فقرات الاستبانة ككل	57

حيث أعطى الباحث لكل فقرة وزن مدرج وفق سلم متدرج خماسي للتعرف على تقييم أثر آليات تطوير الاداء على مستوى الأداء الوظيفي من وجهة نظر موظفى الجامعة.

صدق المقياس

- **الاتساق الداخلي** Internal Validity

يقصد بصدق الاتساق الداخلي مدى اتساق كل فقرة من فقرات الاستبانة مع المحور الذي تنتمي إليه هذه الفقرة، وقد قام الباحث بحساب الاتساق الداخلي للاستبانة وذلك من خلال حساب معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات محاور الاستبانة والدرجة الكلية للمحور نفسه.

قام الباحث بالتحقق من صدق الاتساق الداخلي للاستبانة بتطبيق الاستبانة على عينة استطلاعية مكونة من (20) فرداً، وتم حساب معامل ارتباط بيرسون بين كل فقرة من فقرات الاستبانة والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه، وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS). كما يتضح من جدول (3).

أ. معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور آليات الاداء المادية والدرجة الكلية للمحور، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$ وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

جدول 3: معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور آليات الأداء المادية والدرجة الكلية للمحور

م	الفقرات	R	Sig.
1	**مناسبة الأجــر لمتطلبات الوظيفة**	363.0	*0.006
2	**المكافــآت**	044.0	*0.009
3	**التأمــين الصحي**	546.0	*0.000
4	**الإسكـــان**	545.0	*0.006
5	**العلاوات الدورية**	366.0	*0.000
6	**العلاوات الاستثنائية**	047.0	*0.000
7	**الجوائز العينية**	713.0	*0.046
8	**بدل انتقال**	369.0	*0.006
9	**القروض للموظفين**	547.0	*0.006
10	**مكافآت العمل الاضافي**	368.0	*0.005
11	**منح فى مناسبات خاصة**	757.0	0*0.00

* الارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة 05 .0= α.

ب. معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور آليات الاداء المعنوية والدرجة الكلية للمحور ، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى معنوية 0.05 =α وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

جدول 4: معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور آليات الاداء المعنوية والدرجة الكلية للمحور

م	الفقرات	R	Sig.
1	**شهادات التقدير**	185.0	*0.021
2	**الترقية الشرفية (بدون زيادة فى الراتب)**	496.0	*0.000
3	**تكريم الموظفين المتميزين**	353.0	*0.031
4	**ترشيح المتميزين لدورات تدريبية**	497.0	*0.000
5	**الحد من الرقابة المباشرة وتنمية الرقابة الذاتية**	535.0	*0.001
6	**انواط الجدارة**	626.0	*0.000
7	**إشراك المرؤوسين فى إتخاذ القرارات**	534.0	*0.001
8	**إمتيازات إعارة الموظف لجهة أفضل**	628.0	*0.000

* الارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة 05 .0= α.

ج. معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور آليات الاداء الترقيات والدرجة الكلية للمحور ، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى معنوية 0.05 =α وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

جدول 5: معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور الترقيات والدرجة الكلية للمحور

م	الفقرات	R	Sig.
1	**تسعى الجامعة إلى تحسين آليات الترقية لتحسين نظام الحوافز**	0.734	*0.000
2	**تمنح الجامعة الدرجات والترقيات لذوى الاداء المتميز**	0.584	*0.000
3	**هل ترى أن منح الترقيات الوظيفية يؤثر إيجابياً على الاداء الوظيفي**	0.674	*0.000
4	**تسعى الجامعة إلى تحقيق توافق بين المؤهل العلمي والخبرات والدرجة الوظيفية**	0.242	*0.000
5	**تعتقد أن معظم الترقيات تمنح بناء على الجدارة والمثابرة في العمل**	0.635	*0.000
6	**ترى أن المسابقات والاختبارات لها دور في نظام الترقيات المطبق في الجامعة**	0.592	*0.000
7	**تقيم الجامعة إعداد وتنفيذ البرامج والخطط حسب الكفاءة والدقة العالية**	0.645	*0.000
8	**أشعر بالرضا تجاه نظام الترقيات المطبق بالجامعة**	0.622	*0.000

* الارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة 05 .0= α.

د. معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور آليات الاداء لبيئة العمل الوظيفية والدرجة الكلية للمحور ، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى معنوية 0.05 =α وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

جدول 6: معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور بيئة العمل الوظيفية والدرجة الكلية للمحور

م	الفقرات	R	Sig.
1	**يبدى الموظفين الآراء والمقترحات بكل سهولة**	0.607	*0.000
2	**تشجع إدارة الجامعة النشاطات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية بين الموظفين**	0.858	*0.000
3	**يقوم الرؤساء بتفويض السلطة للموظفين بما يساعدهم على القيام بالأعمال الموكلة لهم اسلوب الإشراف والقيادة**	0.789	*0.000
4	**سياسات ولوائح العمل**	0.477	*0.006
5	**طبيعة ومتطلبات العمل**	0.609	*0.000
6	**ساعات العمل**	0.788	*0.000
7	**توافر خدمات مكتبية مناسبة**	0.788	*0.000
8	**توفر خدمات مساعدة (الضيافة والتصوير والطباعة الخ**	0.786	*0.000

* الارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة 05 .0= α.

و. معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور فاعلية محور رضا الموظفين عن نظام آليات الاداء المتبع والدرجة الكلية للمحور، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى معنوية 0.05 =α وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

جدول 7: معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور رضا الموظفين عن نظام آليات الاداء المتبع والدرجة الكلية للمحور

م	الفقرات	R	Sig.
1	**يسود الجامعة نوع من العدالة في نظام الحوافز والمكافآت الإضافية**	0.677	*0.000
2	**تتبع الجامعة آليات وطرق لمنح الحوافز والمكافآت بماياناسب الأداء الوظيفي**	119.0	*0.000
3	**لدي معرفة كافية بنظام المكافآت والعلاوات**	247.0	*0.000
4	**المكافآت والعلاوات تتناسب مع الجهد المبذول**	256.0	*0.000
5	**تعتبر مكافئة نهاية الخدمة الموجودة حاليا عاملاً أساسياً لدعم رغبة الموظفين في الاستمرار في العمل**	259.0	*0.000
6	**هناك اهتمام من ادارة الجامعة بظروف العمل المادية للموظفين داخل الجامعة**	985.0	*0.000
7	**يشعر الموظفين بالاستقرار والامن الوظيفي بالجامعة**	0.488	*0.004
8	**توجد مزايا معنوية إضافية للموظفين لتحفيزهم على العمل**	253.0	*0.000
9	**يهتم الموظفين بالحصول على الحوافر المعنوية مثل (الشكر، الثناء، التقدير، والاحترام).**	0.480	*0.004
10	**تعمل الجامعة على تنمية روح التقدير والاحترام بين الموظفين لتحفيزهم**	257.0	*0.000
11	**يسود بين زملائي روح الفريق في العمل**	0.671	*0.000
12	**يقدر مديري المباشر جهودي ومثابرتي في العمل**	255.0	*0.000
13	**المشاركة في الدورات التدريبية**	259.0	*0.000

* الارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة 05 .0= α.

ز. معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور تقييم الاداء الوظيفى والدرجة الكلية للمحور ، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى معنوية 0.05 =α وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

جدول 8: معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات محور الاداء الوظيفى والدرجة الكلية للمحور

م	الفقرات	R	Sig.
1	يقوم الموظفين بتأدية الأعمال بالكفاءة والفاعلية المطلوبة	0.502	*0.003
2	ينجز الموظفين المهام الوظيفية طبقاً لمعايير الجودة المطلوبة	0.626	*0.000
3	تتوافر لدى الموظفين الجاهزية والاستعداد والرغبة للعمل خارج أوقات الدوام الرسمي من أجل سرعة الإنجاز	0.622	*0.000
4	يحدد نظام تقييم الأداء الوظيفي بشكل فعال نقاط القوة والضعف لدى العامل	0.394	*0.018
5	تعمل إدارة الجامعة باستمرار من أجل تحديث وتطوير نظام الأداء السنوي للإسهام في تحفيز الموظفين على أسس علمية ومعايير واضحة	0.688	*0.000
6	يتمتع الموظفين بالقدرة على حل مشاكل العمل	0.530	*0.002
7	يتوفر لدى الموظفين الاستعداد الكافي لتحمل المسؤولية	0.505	*0.004
8	يمتاز الموظفين بسرعة الملاحظة والفهم	0.692	*0.000
9	يطور الموظفين أداءهم ومهاراتهم بشكل مستمر	0.587	*0.004
10	يتمتع الموظفين بمهارة التواصل الجيدة مع الآخرين	0.495	*0.000

* الارتباط دال إحصائياً عند مستوى دلالة 05 .0= α.

ثبات أداة البحث

معامل الثباتReliability Coefficient

استخدم الباحث (معادلة ألفا كرونباخ) للتأكد من ثبات أداة البحث حيث طبقت المعادلة على العينة الاستطلاعية لقياس الصدق البنائي والتي تكونت من (20) فرداً من موظفى جامعة الملك فيصل.

معامل ثبات الفا كرونباخ Cronbach's Alpha Coefficient

يتم حساب الفا كرونباخ باستخدام برنامج SPSS والذي من خلاله نحسب معامل التمييز لكل عبارة حيث يتم حذف العبارة التي معامل تمييزها يكون ضعيفاً او سالباً . ويوضح جدول (9) ثبات أداة الدراسة.

جدول 9: معامل الفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة

م	المحور	معامل ألفا كرونباخ	الثبات*
1	آليات الاداء المادية	0.630	0.794
2	آليات الاداء المعنوية	0.757	0.870
3	الترقيات	0.775	0.880
4	بيئة العمل	0.854	0.924
5	رضا الموظفين عن النظام المتبع	0.852	0.923
6	مستوى الأداء الوظيفي	0.922	0.960
7	جميع مجالات الاستبانة	0.919	0.959

* الثبات = الجذر التربيعي الموجب لمعامل ألفا كرونباخ

يتضح من النتائج الموضحة في جدول (9) أن قيمة معامل ألفا كرونباخ كانت مرتفعة لكل مجال وتتراوح بين (0.630، 0.922) لكل مجال من مجالات الاستبانة. كذلك كانت قيمة معامل ألفا لجميع فقرات الاستبانة (0.919)، وكذلك قيمة الثبات كانت مرتفعة لكل مجال وتتراوح بين (0.794،0.960) لكل مجال من مجالات الاستبانة. كذلك كانت قيمة الثبات لجميع فقرات الاستبانة (0.959) وهذا يعني أن معامل الثبات مرتفع، وبذلك يكون الباحث قد تأكد من صدق وثبات إستبانة الدراسة مما يجعله على ثقة تامة بصحة الاستبانة وصلاحيتها لتحليل النتائج والإجابة على أسئلة الدراسة واختبار فرضياتها.

تحليل البيانات (المعالجة الإحصائية للبيانات):

أولاً : الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث:

- قام الباحث بتفريغ وتحليل الاستبانة من خلال برنامج التحليل الإحصائيSPSS
- بعد توزيع الاستبانة على عينة الدراسة طلب من أفراد العينة الإجابة عن كل فقرة من فقرات الاستبانة، وذلك باختيار إحدى الإجابات التالية (غير موافق بشدة، غير موافق، محايد، موافق، موافق بشدة)، وذلك حسب درجات مقياس ليكرت.
- تم ترميز استجابات أفراد العينة، وذلك بإعطاء الإجابات الواردة في التدرج أمام كل عبارة (1-2-3-4-5) على التوالي.

جدول 10: مقياس (ليكرت) لقياس استجابات المبحوثين لفقرات الاستبيان

الاستجابة	غير موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	موافق بشدة
الدرجة	1	2	3	4	5

- اختار الباحث الدرجة (1) غير موافق، وبذلك يكون الوزن النسبي هو 20% وهو متناسب في هذه الحالة.

وقد تم استخدام الأدوات الإحصائية التالية:

1. اختبار التوزيع الطبيعي للبيانات الاولية لاختيار اسلوب التحليل المناسب.
2. حساب المتوسط الحسابي والمتوسط الحسابي النسبي لتحديد مستوي الأداء الوظيفي بجامعة الملك فيصل.
3. تحليل الانحدار المتدرج stepwise regression لاختبار فروض الدراسة.

الوصف الإحصائي لعينة الدراسة

فيما يلي عرض لعينة الدراسة.

1.اختبار التوزيع الطبيعي Normality Distribution Test :

استخدم الباحث اختبار كولموجوروف-سمرنوف Kolmogorove-Smirnov لاختبار ما إذا كانت البيانات تتبع التوزيع الطبيعي من عدمه، و النتائج كما هي مبينة في جدول (11).

جدول11: نتائج اختبار التوزيع الطبيعي

م	المحور	القيمةالاحتمالية (.Sig)
1	آليات الاداء المادية	*0.000
2	آليات الاداء المعنوية	*0.000
3	الترقيات	*0.003
4	بيئة العمل	*0.004
5	رضا الموظفين عن النظام المتبع	*0.001
6	مستوى الأداء الوظيفي	*0.000

* البيانات تخضع للتوزيع الطبيعي عند مستوى دلالة 05 .0= α.

يتضح من النتائج الموضحة في جدول رقم (11) أن القيمة الاحتمالية (.Sig) لجميع محاور الدراسة كانت أقل من مستوى الدلالة 05 .0= α وبذلك فإن توزيع البيانات لهذة المحاور يتبع التوزيع الطبيعي وبذلك سيتم استخدام الاختبارات المعلمية لاختبار فرضيات الدراسة.

2. حساب المتوسط الحسابي والمتوسط الحسابي النسبي لاجابات افراد العينة علي المتغير الخاص بالأداء الوظيفي لتحديد الوزن النسبي(مستوى) للأداء الوظيفي لموظفي جامعة الملك فيصل باستخدام التحليل الوصفي descriptive analysis ، موضح في جدول (12)

جدول 12: قياس المتوسط الحسابى الكلى لمحور تقييم الاداء الوظيفى

م	الفقـــرة	mean	m. relative	Sig,
1	يقوم الموظفين بتأدية الأعمال بالكفاءة والفاعلية المطلوبة	3.99	79.71	*0.000
2	ينجز الموظفين المهام الوظيفية طبقاً لمعايير الجودة المطلوبة	4.01	80.19	*0.000
3	تتوافر لدى الموظفين الجاهزية والاستعداد والرغبة للعمل خارج أوقات الدوام الرسمي من أجل سرعة الإنجاز	3.99	79.81	*0.000
4	يحدد نظام تقييم الأداء الوظيفي بشكل فعال نقاط القوة والضعف لدى العامل	3.40	68.10	*0.000
5	تعمل إدارة الجامعة باستمرار من أجل تحديث وتطوير نظام الأداء السنوي للإسهام في تحفيز الموظفين على أسس علمية ومعايير واضحة	3.95	78.94	*0.000
6	يتمتع الموظفين بالقدرة على حل مشاكل العمل	4.04	80.87	*0.000
7	يتوفر لدى الموظفين الاستعداد الكافي لتحمل المسؤولية	3.90	78.10	*0.000
8	يمتاز الموظفين بسرعة الملاحظة والفهم	3.83	76.54	*0.000
9	يطور الموظفين أداءهم ومهاراتهم بشكل مستمر	3.97	79.33	*0.000

10	يتمتع الموظفين بمهارة التواصل الجيدة مع الآخرين	4.09	81.71	*0.000
جميع فقرات المجال معا		**3.82**	**76.46**	***0.000**

من نتائج الجدول السابق اتضح ان المتوسط الحسابي لمحور الأداء الوظيفي هو 3.82 وهو مايمثل نسبة 76.46 % ، أي أن مستوى الأداء الوظيفي لموظفي جامعة الملك فيصل يقع بين الجيد 60 % والجيد جداً 80 % ، مع ملاحظة تحقق هذا المستوى من الأداء في ظل النظام المفعل في الجامعة ، وهو ما يمثل نقطة الانطلاق لاختبار فروض البحث من حيث دراسة أوجه القوة والضعف في النظام القائم ومن ثم وضع مقترح لنظام فعال يمكنه تطوير مستوى الأداء الوظيفي.

3. اختبار فرضيات الدراسة باستخدام تحليل الانحدار المتدرج :

الفرضية الأولى " تؤثر آليات تطوير الأداء على مستوى الأداء الوظيفي لموظفي جامعة الملك فيصل"

استبعد التحليل العناصر غير المؤثرة على الأداء الوظيفي ، واقتصرت النتائج على البنود التي ثبت تأثيرها على الأداء الوظيفي علي النحو التالي :

جدول 13: نتائج اختبار الانحدار المتدرج لاثر آليات الاداء المادية علي الاداء الوظيفي

م	الفقرات	Sig.	R	R^2	F	B	Beta
1	**مناسبة الأجــر لمتطلبات الوظيفة**	**.00****	**.90**	**.79**	**30.80**	**−1.57**	**−.43**
2	**المكافــآت**	**.00****	**.89**	**.66**	**26.14**	**.63**	**.44**
3	**التأمــين الصحي**	**.00****	**.79**	**.60**	**25.07**	**.72**	**.62**
4	**الإسكـــان**	**.001****	**.78**	**.55**	**10.92**	**.60**	**.42**
5	**العلاوات الدورية**	**.002****	**.70**	**.45**	**14.33**	**.97**	**.68**
6	**العلاوات الاستثنائية**	**.001****	**.79**	**.56**	**11.30**	**−.72**	**−.46**
7	**الجوائز العينية**	**.000****	**.87**	**.63**	**13.10**	**−1.85**	**−.39**
8	**مكافآت العمل الاضافي**	**.00****	**.81**	**.64**	**28.83**	**1.02**	**.65**

. Sig = دلالة علي وجود علاقات مؤثرة بين المتغيرات المستقلة والتابعة

** (sig. < .01) علاقة مؤثرة قوية جداً

* (sig. < .05) علاقة مؤثرة قوية

R^2 = العلاقة الارتباطية التي توضح درجة تأثير المتغيرات المستقلة على المتغيرات التابعة

F = معنوية الدالية والتي توضح قدرة المتغيرات المستقلة علي تفسير التغير في المتغيرات التابعة

B = معامل الانحدار الذي يوضح نوع العلاقة التي تربط بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع (طردية أم عكسية)

Beta = تشير إلى ترتيب الأهمية النسبية للمتغيرات المستقلة في تأثيرها على المتغير التابع.

وقد أظهرت نتائج تحليل الانحدار لقياس أثر آليات تطوير الأداء المادية المختلفة على مستوى الأداء الوظيفي لموظفي جامعة

الملك فيصل الذي تم قياسه عند مستوى 3.8 من 5 ،أن هناك تفاوتاً كبيراً في علاقات الارتباط وأشكاله (طردي أو عكسي) بين أنواع آليات تطوير الأداء المادية والأداء الوظيفي رغم اشتراكها جميعا في ثبوت تأثيرها عليه.

الفرضية الثانية:" تؤثر آليات تطوير الأداء المعنوية على مستوى الأداء الوظيفى لموظفي جامعة الملك فيصل "

جدول 14: نتائج تحليل الانحدار لاثر آليات تطوير الاداء المعنوية علي الاداء الوظيفي

م	الفقرات	Sig.	R	R^2	F	B	Beta
1	تكريم الموظفين المتميزين	.00**	.89	.76	36.10	−1.63	−.44
2	ترشيح المتميزين لدورات تدريبية	.00**	.79	.60	25.07	.72	.62
3	الحد من الرقابة المباشرة وتنمية الرقابة الذاتية	.001**	.78	.75	19.96	−1.60	−.42
4	إشراك المرؤوسين فى إتخاذ القرارات	.001**	.79	.66	11.30	−.72	−.46
5	إمتيازات إعارة الموظف لجهة أفضل	.000**	.87	.57	13.10	.85	.39

أشارت نتائج تحليل الانحدار لقياس أثر أنواع آليات تطوير الأداء المعنوية المختلفة على مستوى الأداء الوظيفي أيضاً إلى أن هناك اختلافاً كبيراً في علاقات الارتباط واشكاله (طردي أو عكسي) بين أنواع آليات تطوير الأداء المعنوية والأداء الوظيفي رغم اشتراكها جميعاً في ثبوت تأثيرها عليه ، بما يعكس نقاط قوة وضعف في النظام المتبع .

الفرضية الثالثة:" يؤثر نظام الترقيات على مستوى الأداء الوظيفى لموظفي جامعة الملك فيصل "

جدول 15: نتائج تحليل الانحدار لاثر نظام الترقيات على الأداء الوظيفي

م	الفقرات	Sig.	R	R^2	F	B	Beta
1	**تسعى الجامعة إلى تحسين آليات الترقية لتحسين نظام الحوافز**	.00**	.89	.76	36.10	.63	.44
2	**تمنح الجامعة الدرجات والترقيات لذوى الاداء المتميز**	.00**	.80	.84	25.07	.72	.72
3	**تسعى الجامعة إلى تحقيق توافق بين المؤهل العلمي والخبرات والدرجة الوظيفية**	.001**	.78	.75	41.22	−1.35	−.55
4	**تعتقد أن معظم الترقيات تمنح بناء على الجدارة والمثابرة في العمل**	.001**	.79	.66	11.30	−.72	−.46
5	**ترى أن المسابقات والاختبارات لها دور في نظام الترقيات المطبق في الجامعة**	.000**	.87	.57	13.10	−.85	−.39

أشارت الملاحظات على نتائج تحليل الانحدار لقياس أثر نظام الترقيات المتبع على مستوى الأداء الوظيفي أيضاً إلى أن هناك اختلافاً كبيراً في علاقات الارتباط وأشكاله (طردي أو عكسي) بين آليات نظام الترقيات المتبع – الآليات التي لها

تأثير فقط – و الأداء الوظيفي ، وقد اظهرت النتائج أن علاقات الارتباط العكسية اكثر من الطردية بما يعني أن أوجه القصور أو التأثير السلبي في نظام الترقيات على الأداء الوظيفي أكثر من التأثير الإيجابي لنظام الترقيات المتبع.

الفرضية الرابعة:" تؤثر مدي مناسبة بيئة العمل علي مستوى الاداء الوظيفي لموظفى جامعة الملك فيصل "

جدول 16 : نتائج الانحدار لأثر بيئة العمل على الأداء الوظيفي

م	الفقرات	Sig.	R	R^2	F	B	Beta
1	**يبدى الموظفين الآراء والمقترحات بكل سهولة**	.00**	.90	.68	36.80	-1.57	-.43
2	**تشجع إدارة الجامعة النشاطات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية بين الموظفين**	.00**	.89	.66	33.14	.63	.44
3	**علاقات العمل جيدة علي كل المستويات**	.00**	.79	.60	28.03	.72	.62
4	**سياسات ولوائح العمل**	.001**	.66	.55	16.92	-.90	-.42
5	**ساعات العمل**	.002**	.70	.69	10.33	.97	.68
6	**توافر خدمات مكتبية مناسبة**	.001**	.76	.79	14.30	.72	.46
7	**توفر خدمات مساعدة (الضيافة والتصوير والطباعة الخ .)**	.000**	.87	.73	12.10	.85	.39

أوضحت نتائج تحليل الانحدار لقياس أثر بيئة العمل – والذي تم اعتباره أحد الآليات الهامة المؤثرة على مستوى الأداء الوظيفي– إلى أن وجود علاقات الارتباط وأشكاله (طردي أو عكسي) بين مدى مناسبة بيئة العمل والأداء الوظيفي ، وقد أظهرت النتائج أن علاقات الارتباط الطردية أكثر من العكسية بما يعكس التأثير الإيجابي لمعظم عناصر بيئة العمل في جامعة الملك فيصل على أداء موظفيها .

الفرضية الخامسة: يؤثر مستوي رضا الموظفين عن النظام المتبع على أدائهم الوظيفي.

جدول 17 : نتائج الانحدار لاثر مستوى رضا الموظفين عن النظام المتبع على الأداء الوظيفي

م	الفقرات	Sig.	R	R^2	F	B	Beta
1	**تتبع الجامعة آليات وطرق عادلة لمنح الحوافز والمكافآت بمايناسب الأداء الوظيفي**	.00**	.90	.79	30.80	.57	.43
2	**لدي معرفة كافية بنظام المكافآت والعلاوات**	.00**	.79	.76	26.14	.63	.44
3	**المكافآت والعلاوات تتناسب مع الجهد المبذول**	.00**	.69	.60	25.07	-1.72	-.62
4	**تعتبر مكافئة نهاية الخدمة الموجودة حاليا عاملاً أساسياً لدعم رغبة الموظفين في الاستمرار في العمل**	.001**	.78	.65	10.92	.60	.42
5	**اشعر بالرضا عن نظام الترقيات المعمول به في**	.002**	.70	.45	14.33	.97	.68

	الجامعة						
6	**هناك اهتمام من ادارة الجامعة بظروف العمل المادية للموظفين داخل الجامعة**	**.001****	**.79**	**.78**	**17.30**	**.72**	**.46**
7	**يشعر الموظفين بالاستقرار والامن الوظيفي بالجامعة**	**.000****	**.87**	**.83**	**13.10**	**.85**	**.39**
8	**يهتم الموظفين بالحصول على الحوافز المعنوية مثل (الشكر، الثناء، التقدير، والاحترام).**	**.00****	**.81**	**.74**	**28.83**	**-1.02**	**-.65**
9	**يقدر مديري المباشر جهودي ومثابرتي في العمل**	**.001****	**.79**	**.56**	**14.30**	**.72**	**.46**

أظهرت نتائج تحليل الانحدار لاستكشاف نوع التأثير وطبيعة علاقات الارتباط بين مستوي رضا الموظفين واتجاهاتهم في تقييم النظام المتبع على أدائهم الوظيفي أن هناك اختلافاً كبيراً في علاقات الارتباط واشكاله (طردي أو عكسي) بين درجات تقييم كفاء النظام المتبع من وجهة نظر الموظفين وأدائهم الوظيفي

تفسير النتائج

- **تفسير الفرض الأول:** تؤثر آليات تطوير الأداء المادية على مستوى أداء موظفي جامعة الملك فيصل :

أظهرت النتائج أن آليات تطوير الأداء المادية المؤثرة على الأداء الوظيفي هي : مناسبة الأجر لمتطلبات الوظيفة ، المكافآت ، العلاوات الدورية ، العلاوات الاستثنائية ، مكافآت العمل الاضافي ، التأمين الصحي ، الإسكان ، بدل النقل ، والجوائز العينية . والحوافز المادية التي سجلت أعلى ارتباط أو تأثير على الأداء الوظيفي هي : الأجر المناسب بنسبة 79% يليه عنصر المكافآت بنسبة 66% ثم مكافآت العمل الاضافي 64% ثم الجوائز العينية 63% ثم التأمين الصحي بنسبة 60 % ويلاحظ أن عنصر الأجر المناسب رغم تسجيلها على تأثير على الأداء الوظيفي الا أن نوع الارتباط عكسي بما يدل علي عدم مناسبة الأجر لمتطلبات الوظيفة من وجهة نظر الموظفين بما يؤثر سلباً علي الأداء الوظيفي لهم ، وتنطبق هذه الملاحظة ايضاً على عنصري العلاوات الاستثنائية والجوائز العينية فرغم أهمية هذين العنصرين – من وجهة نظر الموظفين – كآليات مؤثرة في رفع الأداء الوظيفي إلا أنه لا يوجد اهتمام بهما في النظام الحالي المتبع في جامعة الملك فيصل .

- **تفسير الفرض الثانى:** تؤثر آليات تطوير الأداء المعنويه علي مستوى أداء موظفى جامعة الملك فيصل:

اتضح من نتائج التحليل أن آليات تطوير الأداء المعنويه المؤثرة على الأداء الوظيفي اقتصرت على تكريم الموظفين المتميزين ، ترشيح المتميزين لدورات تدريبية ، الحد من الرقابة المباشرة وتنمية الرقابة الذاتية ، إشراك المرؤوسين في اتخاذ القرارات ، وإعارة الموظف لجهة أفضل ، وجاء تكريم الموظفين المتميزين على رأس الحوافز المعنوية من حيث تأثيرها على الأداء الوظيفي بنسبة 76% يليه عنصر الحد من الرقابة المباشرة وتنمية الرقابة الذاتية بنسبة 75% ثم عنصر إشراك المرؤوسين في اتخاذ القرارات بنسبة 66% . والملاحظ أن آليات تطوير الأداء المعنوية ذات التأثير الأعلى على الأداء الوظيفي ارتبطت ارتباطاً عكسياً مع مستوى الأداء الوظيفي ، بما يعني أن هناك قصوراً في نظام وآليات الأداء المعنوية المتبعة في جامعة الملك فيصل بما يؤثر سلباً علي مستوي الأداء الوظيفي بها .

- **تفسير الفرض الثالث:** تؤثر الترقيات علي مستوى أداء موظفى جامعة الملك فيصل :

أشارت نتائج التحليل إلى أن العوامل المؤثرة في نظام الترقيات على الأداء الوظيفي تتمثل فى الآتى: هل تسعى الجامعة إلى

تحسين آليات الترقية لتحسين النظام ،هل تمنح الجامعة الدرجات والترقيات لذوي الأداء المتميز ، هل تسعى الجامعة إلى تحقيق توافق بين المؤهل العلمي والخبرات والدرجة الوظيفية ،هل تمنح الترقيات بناءً على الجدارة والمثابرة في العمل ، هل المسابقات والاختبارات لها دور في نظام الترقيات المطبق في الجامعة، وقد أوضحت النتائج أن منح الترقيات لذوي الأداء المتميز يؤثر إيجابياً في رفع الأداء الوظيفي بنسبة 84% ، في حين سجلت عوامل أخرى مثل تحقيق توافق بين المؤهل العلمي والخبرات والدرجة الوظيفية ، ومنح الترقيات بناءً على الجدارة والمثابرة في العمل تأثيرات سلبية على الأداء الوظيفي والتي نتجت من علاقات ارتباط عكسية كما هو موضح في جدول رقم (15) ،بما يعني أن نظام الترقيات بجامعة الملك فيصل وإن كان مرتبطاً بالأداء المتميز إلا أنه قد يفتقر إلى وضوح المعايير القائمة على اساس المؤهل العلمي والخبرات أو المسابقات والاختبارات.

- **تفسير الفرض الرابع:** تؤثر بيئة العمل علي مستوى أداء موظفي جامعة الملك فيصل:

اتضح من نتائج التحليل أن العوامل المؤثرة في بيئة العمل على الأداء الوظيفي هي :إمكانية إبداء الموظفين آرائهم ومقترحاتهم بكل سهولة ، تشجيع إدارة الجامعة النشاطات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية بين الموظفين ، علاقات العمل جيدة على كل المستويات ، سياسات ولوائح العمل ، ساعات العمل ، توفر تجهيزات مكتبية مناسبة ، توفر خدمات مساعدة (الضيافة والتصوير والطباعة إلخ). وقد أظهرت معظم هذه العوامل ارتباطاً إيجابياً بمستوى الأداء الوظيفي فيما عدا عاملين اثنين هما : قدرة الموظفين على ابداء آرائهم ومقترحاتهم في العمل، وسياسات ولوائح العمل ، حيث أظهر التحليل تأثيراً عكسياً لهذين العاملين على الأداء الوظيفي ، فكلما قلت قدرة الموظفين على ابداء آرائهم ومقترحاتهم وقلت لوائح وسيسات العمل زاد الأداء الوظيفي والعكس صحيح وهي نتيجة تخالف المتوقع ، ويرجح الباحث أن السبب وراء هذه النتيجة إلى أن جامعة الملك فيصل بحاجة إلى تعزيز ثقافة العمل بروح الفريق واشراك الموظفين في اتخاذ القرارات وحل مشاكل العمل ، وغرس قيم العمل وقوانينه لدى الموظفين وحثهم على ضرورة الإلمام بها والعمل بمضامينها .

- **تفسير الفرض الخامس:** يؤثر مستوى رضا الموظفين عن النظام المتبع على أدائهم الوظيفي:

سجلت العديد من العوامل التي خضعت لتقييم أفراد العينة تأثيرًا على مستوى الأداء الوظيفي ، مع ملاحظة تباين نوع التأثير (سلبي أو إيجابي) من عامل لآخر ، ففي حين يرى معظم أفراد العينة أنهم يشعرون بالاستقرار والأمن الوظيفي بالجامعة بما يؤثر إيجابياً على الأداء الوظيفي بنسبة 83% (الأعلى تأثيراً بين العوامل) ، يرى آخرون أن نظام المكافآت والعلاوات لا تتفق والجهد المبذول بما يؤثر سلباً على الأداء الوظيفي بنسبة 62% ، وفي حين تعددت العوامل الأخرى ذات التاثير الإيجابي للنظام المتبع بالجامعة – من وجهة نظر الموظفين – مثل اعتبار مكافئة نهاية الخدمة الموجودة حالياً عاملاً أساسياً لدعم رغبة الموظفين في الاستمرار في العمل ، والاهتمام بالظروف المادية لبيئة العمل ، وتقدير بعض المديرين لجهود مرؤوسيهم ، إلا أن هناك عوامل أخرى لم يشعر تجاهها الموظفون بالرضا بما يؤثر سلباً على أدائهم الوظيفي مثل عدم الرضا عن نظام الترقيات ، وقصور آليات الأداء المعنوية من تكريم الموظفين وتقديرهم . ومن ثم يمكن القول ، أن نتائج هذا التحليل أظهرت أن النظام المتبع بالجامعة به نقاط قوة ممكن تطويرها لتنمية مستوى الأداء ، ونقاط ضعف تحتاج إلى دراسة وعلاج لتحويل أثرها السلبي على الأداء الوظيفي إلى تاثير إيجابي فعال .

بناءً على العرض والتحليل السابق لنتائج اختبار أثر آليات تطوير الأداء على مستوى الأداء الوظيفي ، يود الباحث التركيز على بعض النقاط الهامة فيما يلي :

اولاً : تم اختبار أثر آليات تطوير الأداء بأنواعها المختلفة على مستوى الأداء لموظفي جامعة الملك فيصل – والذي تم قياسه عند مستوى 3.8 من 5 وهو مستوى جيد ، أي أن نظام آليات تطوير الأداء المعمول به في جامعة الملك فيصل – كأحد أهم المؤثرات القوية في مستوى الأداء الوظيفي يمكن وصفه بأنه نظام متوسط الفعالية والكفاءة ، ومن ثم فإن نتائج هذه الدراسة تسهم في تقييم النظام المتبع بالجامعة وتحديد نقاط القوة والضعف به كخطوة أساسية في تطوير نقاط القوة ومعالجة القصور لإحداث تأثير اكثر ايجابية في رفع مستوي الأداء الوظيفي .

ثانياً : تجدر الإشارة إلى أنه تم تحليل عينة الدراسة وفقاً للعوامل الديموجرافية مثل العمر ، سنوات الخبرة ، المؤهل العلمي ، الدرجة الوظيفية ، موقع العمل في الهيكل التنظيمي ، وذلك لسببين : الأول ، ضمان التوزيع الطبيعي لأفراد العينة وضمان تمثيلها لكافة فئات مجتمع الدراسة تمثيلا وافيا ، والثاني ، لتحديد اثرها الضمني (كمتغيرات ضابطة) علي علاقات الارتباط والتأثير بين آليات تطوير الأداء الأداء الوظيفي .

ثالثاً : أوضحت نتائج قياس وتحديد أثر آليات تطوير الأداء المادية على الأداء الوظيفي أن أهم آلية مؤثرة على الأداء هي مدى مناسبة الأجر لمتطلبات الوظيفة – فرغم أن الأجر في حد ذاته لا يعد آلية من آليات تطوير الأداء بل هو مقابل الجهد المبذول في الوظيفة – الا أن مدي مناسبته لمتطلبات الوظيفة من حيث حجم وطبيعة العمل يعد من أهم آليات تطوير الأداء التي تؤثر على الأداء الوظيفي للموظفين كنتيجة مباشرة لمستوى رضاهم الوظيفي .

كما أوضحت النتائج عدداً من آليات تطوير الأداء المادية ذات التأثير الإيجابي لرفع الأداء الوظيفي مثل مكافآت العمل الإضافي ، التأمين الصحي ، العلاوات الدورية وغيرها من الآليات التي يمكن تطويرها باستمرار بما يتلائم مع ما يستجد من متغيرات مثل ارتفاع مستوى المعيشة ، تغير ظروف وحجم العمل . حيث يرى الباحث أن نظام آليات الأداء بشكل عام – آليات تطوير الأداء المادية بشكل خاص يجب أن يتسم بالمرونة والاستجابة السريعة للمتغيرات المحيطة بظروف العمل حتى يظل محافظاً على فاعليته وكفاءته في التأثير على الأداء الوظيفي . أما بالنسبة لبعض آليات تطوير الأداء المادية التي سجلت قصوراً في استخدامها بشكل مؤثر وفعال مثل العلاوات الاستثنائية (التشجيعية) ، الجوائز العينية وغيرها ، يري الباحث ضرورة الاهتمام بها واستخدامها بشكل أكثر فاعلية بربطها بالأداء الوظيفي المتميز .

رابعاً : أشارت إجابات أفراد العينة بعد تحليلها إلى أن هناك قصوراً ملحوظاً في كل من آليات تطوير الأداء المعنوية ونظام الترقيات المتبع بالجامعة ، فرغم الشعور العام بالأمن والاستقرار الوظيفي لدى موظفي الجامعة إلا أن قلة قليلة منهم تشعر بالتقدير تجاه أدائهم ويفتقر معظمهم إلى التأثير الإيجابي لآليات الأداء المعنوية من خلال التكريم والإشادة إلى غير ذلك من صور التقدير المعنوي ، لذا يري الباحث ضرورة الاهتمام بآليات تطوير الأداء المعنوية المختلفة واعتبارها جزءً لا غنى عنه من النظام الفعال لما لها من أثر عظيم في رفع الروح المعنوية للموظفين ومن ثم الأداء الوظيفي لهم ، رغم أنها لا تكلف الجامعة عبئاً مادياً كبيراً على نحو آليات الأداء المادية ، أما بالنسبة لنظام الترقيات يرى الباحث أنه يمكن علاج نواحي الضعف – التي أشارت إليها النتائج – عن طريق ربط الترقيات بتحقق شروط أو معايير معينة مؤهلة للدرجة الوظيفية الأعلى كسنوات الخبرة أو اجتياز اختبارات معينة أو الحصول علي دورات تدريبية معينة والالتزام الكامل بهذه المعايير دون استثناء لتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص وخلق روح التنافس بين الموظفين .

خامساً : جاءت نتائج التحليل فيما يتعلق بظروف بيئة العمل كآلية مؤثرة على الأداء الوظيفي في معظمها إيجابية ، حيث وافق أفراد العينة من الموظفين على أن الجامعة توفر لهم كافة التجهيزات والتسهيلات والخدمات المعاونة لهم في تسيير أعمالهم (كافة الظروف المادية بيئة العمل) ، وجاءت النتائج السلبية فقط فيما يتعلق باستراتيجيات العمل وعلاقات الاتصال

بين الموظفين ورؤسائهم أو مرؤوسيهم حيث لا تتاح لهم الفرصة الكافية لأبداء آرائهم ومقترحاتهم في العمل ولا يتم اشراكهم في اتخاذ القرارات وحل مشاكل العمل إلا في حدود معينة ، ومن ثم يرى الباحث ضرورة الاهتمام بعلاقات العمل وفتح قنوات الاتصال بين الموظفين في مواقعهم المختلفة وتكثيف غرس ثقافة العمل بروح الفريق بدلاً عن العمل الفردي وإقامة أنشطة لتعزيز العلاقات الاجتماعية بين الموظفين في المواقع المختلفة بالجامعة.

التوصيات

بناءاً علي التحليل السابق لنتائج الدراسة يوصي الباحث بالآتي :

1. نظراً لما أظهرته النتائج من ارتباط النظام المعمول به في جامعة الملك فيصل بمستوى أداء متوسط الجودة لموظفي الجامعة يوصي الباحث بإعادة دراسة النظام ومراجعته وتقييم لتحديد نواحي القوة والضعف لتطوير نظام آليات الأداء ومن ثم تحسين وتجويد الأداء الوظيفي لموظفي الجامعة .
2. كما يوصي الباحث بالمراجعة الدورية لنظم آليات الأداء لتعديلها وفقاً لما يستجد من متغيرات فى ظروف العمل أو مستوى المعيشة وغيرها لضمان أحداث أثرها الإيجابى فى رفع مستوى الأداء الوظيفى بشكل مستمر .
3. ضرورة الاهتمام بآليات تطوير الأداء المعنوية وتفعيلها ضمن المنظومة المتبعة فى الجامعة لما لها من أثر قوي في رفع مستوى رضا الموظفين ومن ثم رفع الأداء الوظيفي.
4. ربط الترقيات بتحقق شروط أو معايير معينة مؤهلة للدرجة الوظيفية الأعلى كسنوات الخبرة أو اجتياز اختبارات معينة أو الحصول على دورات تدريبية معينة والالتزام الكامل بهذه المعايير دون استثناء لتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص وخلق روح التنافس بين الموظفين.
5. إجراء المزيد من البحوث والدراسات التطبيقية لتحديد أشكال الارتباط بين آليات الأداء بأنواعها والأداء الوظيفي والعوامل المؤثرة عليهما .

المراجع

1. خالد عبد الله المربانى، الغامدي ، دور التدريب فى رفع كفاءة أداء موظفي القطاع العام "، رسالة ماجستير، جامعة الباحة ،المملكة العربية السعودية ، (2014).
2. صالح، العطوي أثر أساليب التدريب على فاعلية البرامج التدريبية في المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية)"،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤته ،الأردن ،الكرك (2007)
3. بو العز، محمد" ربط مؤشرات الأداء بنظم الحوافز بغرض إحباط التركيز الانتقائي للمديرين على جوانب الأداء تحليل نظري ودليل تجريبي"، مجلة البحوث التجارية، المجلد 24 ، العدد (2) ،(2002).
4. العكش، علاء "نظام الحوافز والمكافآت وأثره في تحسين الأداء الوظيفي في وزارات السلطة الفلسطينية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، (2007)
5. وزارة الخدمة الوطنية لائحة تقويم الآداء الوظيفي 1405هـ
6. Adams,j.2007: Managing people in Organizations:contemporary theory and practice .palgrave mocmillan.
7. سلطان، محمد سعيد أنور السلوك التنظيمي"، دار الجامعة الجديدة ،مصر، الإسكندرية، (2004)"
8. الدروبي، سليمان التحفيز عن طريق إدراك الذات " دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، (2006)
9. العطية، ماجده سلوك المنظمة سلوك الفرد والجماعة" ، دار النشر ط1، (2003)
10. الجساسي، عبدالله حمد أثر الحوافز المادية والمعنوية في تحسين أداء العاملين في وزارة التربية والتعليم بسلطنة عمان ،الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي،ماجستير،عمان. (2010)
11. شراب، باسم تقييم أثر نظام الحوافز على مستوى أداء الموظفين في بلديات قطاع غزة الكبرى"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، (2007)
12. عواد، طارق " نظام قياس الأداء الوظيفي للعاملين في السلطة الوطنية الفلسطينية– دراسة تطبيقية على قطاع غزة رسالة ماجستير ،الجامعة الإسلامية،غزة. (2005)
13. Emily Tumwet:Effects of employee incentives on employee performance in private university in Kenya :A case of kabarak university ,(2013)
14. Calista Lai,: " Motivating employees through incentive Programs" Singapore (2009)
15. Gibbs, John "Performance Measure Properties and Incentives–Institute for the Study of Labor, No.(1356). ,(2004)

المـملكة العربيـة السـعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك فيصل

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher
Education
King Faisal University

ملحق رقم (1)

استمارة الاستبيان

الأخ الفاضـل : ..... المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي أن اضع بين يديك هذه الاستبانة المصممة لأغراض البحث العلمي بهدف جمع المعلومات اللازمة للبحث كما أتوجه إليكم بفائق الاحترام والتقدير راجياً حسن تعاونكم لإنجاح هذه الدراسة الذى أقوم بإعدادها بعنوان

آليات تطوير الاداء الوظيفي في المنشآت الخدمية

وقد تم اختيار سعادتكم للإجابة على هذه الاستبانة لمركزكم الوظيفي وخبراتكم لذا نأمل من سعادتكم الدعم والتعاون من خلال المشاركة في استكمال تعبئة الاستبانة لتفي بالغرض الذي أُعدت من أجلة والتى تشكل رافداً مهماً في إتمام هذه الدراسة لما لذلك من أثر جوهري في الوصول إلى نتائج دقيقة وقاطعة يمكن الاعتماد عليها ويمكن تعميمها وتعبر عن مدى موافقتكم على العبارة الواردة في الإستبانة حسب الواقع الفعلى الذى تعيشونه في العمل، ونوجه عنايتكم أن جميع الإجابات سوف تكون موضع ثقة، وسوف تعامل بسرية تامة ، وأود من سعادتكم بعد قراءة كل عبارة بعناية وضع علامة (√) بالمكان المناسب ، ونوجه عنايتكم بأن هذه المعلومات التي تدلون بها لن تستخدم سوى لأغراض البحث العلمي.

ولكم جزيل الشكر والامتنان لما بذلتموه من وقت وجهد

وتفضلوا بقبول فائق الشكر والاحترام

الباحث

الاســـــتبانة

البيانات الاساسية:

يرجى وضع إشارة (√) داخل المربع الذى يمثل الاجابة الصحيحة :-

-المتغيرات الديمغرافية: الجنسية : *سعودي ( ) *غير سعودي ( ) .....

1- الجنس

***ذكر** ☐ *** أنثى** ☐

2- العمر

*** أقل من 30 س** ☐ *** 30 - أقل من 40 س** ☐ ☐ **40 سنه فأكثر**

3- المؤهل العلمي

***دبلوم متوسط فما دون** ☐ ***بكالوريوس** ☐ ***ماجستير** ☐ ***دكتورا** ☐

4- الرتبة الوظيفية:

***م** ☐ ***نائب مدير** ☐ ***رئيس قس** ☐ ***مراقب** ☐ *** موظف إداري** ☐

5- سنوات الخبرة

***أقل من 5 سنوا** ☐ *** من 5 سنوات – أقل من 10 سنوا** ☐

*** من 10 سنوات – أقل من 15 سن** ☐ *** أكثر من 15 سنه** ☐

6- الحالة الاجتماعية

***متزوج** ☐ *** أعزب** ☐ *** غير ذلك** ☐

7- الشهادات المهنية التى حصلت عليها:

8- عدد الدورات التدريبية التى التحقت بها في مجال العمل :.....

محاور الاستبانة

تنقسم أسئلة الاستبانة إلى قسمين :القسم الاول يهدف إلى تشخيص وتقييم النظم المقدمة لموظفى جامعة الملك فيصل والقسم الثانى يهدف إلى قياس وتقويم الاداء الوظيفى ،وذلك لقياس أثر آليات الاداء على مستوى الأداء الوظيفي لموظفي جامعة الملك فيصل.

القسم الأول : النظام المتبع فى جامعة الملك فيصل :

أولاً : تحديد درجة إستخدام النظام :

1- آليات الاداء المادية:-

يرجى وضع علامة (√) أمام الإجابة التي تعبر عن وجهة نظرك ؟

- **إلى أي مدى تستخدم آليات الاداء المادية التالية لتحفيز الموظفين ؟**

الرقم	آليات تطوير الاداء المادية		مـــدى الاستـخدام					
		دائما	غالبا	أحيانا	قليلا		لا تستخدم مطلقا	
1	مناسبة الأجـر لمتطلبات الوظيفة							
2	المكافـآت							
3	التأمـين الصحـي							
4	الإسكـــان							
5	العلاوات الدورية							
6	العلاوات الاستثنائية							
7	الجوائز العينية							
8	بدل انتقال							
9	القروض للموظفين							
10	مكافآت العمل الاضافي							
11	منح فى مناسبات خاصة							
12	حوافز مادية أخرى رجاء تحديدها							

2- **آليات الاداء المعنوية :**

- **ما مدى استخدام آليات الاداء المعنوية التالية لتحفيز الموظفين؟**

الرقم	آليات تطوير الاداء المعنوية	مـدى الإستخـدام				
		دائمـا	غالبـا	احيانا	قليلا	لا تستخدم اطلاقا
1	شهادات التقديـر					
2	الترقية الشرفية (بدون زيادة في الراتب)					
3	تكريم الموظفين المتميزين					
4	ترشيح المتميزين لدورات تدريبية					
5	الحد من الرقابة المباشرة وتنمية الرقابة الذاتية					
6	انواط الجـدارة					
7	إشراك المرؤوسين في إتخاذ القرارات					
8	امتيازات إعارة الموظف لجهة افضل					
9	حوافز معنوية اخرى رجاء تحديدها					

3- <u>الترقيات :</u>

الرقم	الفقرات	مـــدى الإستخـــدام				
		دائما	غالبا	أحيانا	قليلا	لا تستخدم مطلقا
1	**تسعى الجامعة إلى تحسين آليات الترقية لتحسين نظام الحوافز**					
2	**تمنح الجامعة الدرجات والترقيات لذوى الاداء المتميز**					
3	**تسعى الجامعة إلى تحقيق توافق بين المؤهل العلمي والخبرات والدرجة الوظيفية**					
4	**تعتقد أن معظم الترقيات تمنح بناء على الجدارة والمثابرة في العمل**					
5	**ترى أن المسابقات والاختبارات لها دور في نظام الترقيات المطبق في الجامعة**					

6	**تقيم الجامعة إعداد وتنفيذ البرامج والخطط حسب الكفاءة والدقة العالية**					
7	**أشعر بالرضا تجاه نظام الترقيات المطبق بالجامعة**					

5. مناسبة بيئة العمل :

الرقم	**عناصر بيئة العمل الوظيفي**	**مـــــدي الاستخـــــدام**				
		راضى جدا	**راضي**	**راضي الي حد ما**	**غير راضي**	**غير راضي على الاطلاق**
1	يبدى الموظفين الآراء والمقترحات بكل سهولة					
2	تشجع إدارة الجامعة النشاطات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية بين الموظفين					
3	يقوم الرؤساء بتفويض السلطة للموظفين بما يساعدهم على القيام بالأعمال الموكلة لهم اسلوب الإشراف والقيادة					
4	سياسات ولوائح العمل					
5	طبيعة ومتطلبات العمل					
6	ساعات العمل					
7	توافر خدمات مكتبية مناسبة					
8	توفر خدمات مساعدة (الضيافة والتصوير والطباعة الخ .)					
9	اخري :					

ثانياً :- مدى تقييمك للنظام المتبع:

الرقم	الفقرات	التقييم				
		موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
1	يسود الجامعة نوع من العدالة في نظام الحوافز والمكافآت الإضافية					
2	تتبع الجامعة آليات وطرق لمنح الحوافز والمكافآت بماياناسب الأداء					
3	لدي معرفة كافية بنظام المكافآت والعلاوات					
4	المكافآت والعلاوات تتناسب مع الجهد المبذول					
5	تعتبر مكافئة نهاية الخدمة الموجودة حاليا عاملاً أساسياً لدعم رغبة الموظفين في الاستمرار في العمل					
6	هناك اهتمام من ادارة الجامعة بظروف العمل المادية للموظفين داخل الجامعة					
7	يشعر الموظفين بالاستقرار والامن الوظيفي بالجامعة					
8	توجد مزايا معنوية إضافية للموظفين لتحفيزهم على العمل					
9	يهتم الموظفين بالحصول على الحوافر المعنوية مثل (الشكر، الثناء، التقدير، والاحترام).					
10	تعمل الجامعة على تنمية روح التقدير والاحترام بين الموظفين لتحفيزهم					
11	يسود بين زملائي روح الفريق في العمل					
12	يقدر مديري المباشر جهودي ومثابرتي في العمل					

13	من المزايا التي احصل عليها من خلال عملي المشاركة في الدورات التدريبية					
11	تقدم الجامعة الدعم والمساندة عند تعرض الموظف لظروف خاصة					
12	السلطة الممنوحة لي في عملي تساعدني على القيام بالأعمال الموكلة لي					
13	الاعتراف بإنجاز المرؤوسين يعني لهم الكثير					

القسم الثاني :- تقييم الاداء الوظيفي في ضوء النظام المتبع (يتم تعبئة هذا الجزء من قبل مديري ورؤساء الاقسام فقط)

الرقم	الفقرات	التقييم				
		موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
1	يقوم الموظفين بتأدية الأعمال بالكفاءة والفاعلية المطلوبة					
2	ينجز الموظفين المهام الوظيفية طبقاً لمعايير الجودة المطلوبة					
3	تتوافر لدى الموظفين الجاهزية والاستعداد والرغبة للعمل خارج أوقات الدوام الرسمي من أجل سرعة الإنجاز					
4	يحدد نظام تقييم الأداء الوظيفي بشكل فعال نقاط القوة والضعف لدى العامل					
5	تعمل إدارة الجامعة باستمرار من أجل تحديث وتطوير نظام الأداء السنوي للإسهام في تحفيز الموظفين على أسس علمية ومعايير واضحة					
6	يتمتع الموظفين بالقدرة على حل مشاكل العمل					
7	يتوفر لدى الموظفين الاستعداد الكافي لتحمل المسؤولية					
8	يمتاز الموظفين بسرعة الملاحظة والفهم					
9	يطور الموظفين أداءهم ومهاراتهم بشكل مستمر					
10	يتمتع الموظفين بمهارة التواصل الجيدة مع الآخرين					

تمت بحمد الله

شكرا لحسن تعاونكم

دور التدابير الوقائية في منع الجريمة و تحقيق الأمن في المجتمع الإسلامي.

in Islamic In achieving security and crime prevention The role of preventive measures society

د. منذر عبدالكريم أحمد القضاة

***Dr. Munther Abdul Karim Ahmed Al-Qudah**

ملخص

تبحث هذه الدارسة في :" دور التدابير الوقائية في منع الجريمة وتحقيق الأمن في المجتمع الإسلامي "

وعليه فقد ضمّت مقدمةدراستي هذه العناصر التالية: مشكلة الدراسة ، والأهمية، والأسئلة التي سَتُجيب عليها الدراسة، والأهداف المتوخاة منها ، وأخيراً المنهجية المستخدمة حتى يمكن فهم مشكلة الدراسة وموضوعها .

جاء الفصل الأول من هذه الدراسة للبحث في : " سياسة التجريم والعقاب في الفقه والقانون" من خلال طرح محورين خُصص المحور الأول لبحث :" مفهوم التجريم في التشريع الجنائي الإسلامي" الذي أرسى قواعد مهمة في إضفاء الحماية الجنائية على مجموعة المصالح ، والقيم والمبادئ التي تعمل الشريعة السمحة على حفظها باعتبار أهميتها في حفظ كيان المجتمع، وفي المحور الثاني عرضنا : طبيعة العقوبة في القانون " من خلال بيان مفهوم العقوبة و عناصرها وخصائصها.

عالج الفصل الثاني من هذه الدراسة : "دور التدابير الوقائية في حفظ الأمن " من خلال ثلاثة محاور رئيسة خُصص المحور الأول منها للحديث عن " **القواعد العامة للتدابير الوقائية"** وتطور الفكر العقابي في الوقت الحالي ، كما عالج المحور الثاني " طبيعة التدابير الوقائية" ، وناقش المحور الأخير من هذا الفصل " التدابير الوقائية في التشريع الجنائي الإسلامي" وبيان مفهومها ، وأنواع التدابير التي لجئت إليها الشريعة الإسلامية للحيلولة دون ارتِكاب الشَّخص للجريمة وأخيراً مع خاتمة هذه الدراسة التي بينت النتائج والتوصيات التي خلصت إليها.

Abstract

Praise be to God alone and prayers and peace be upon the Prophet Mohammad،

This study looking at: "The role of preventive measures in achieving security and crime prevention in the Muslim community". Accordingly، this study has included the introduction of these following elements: the problem of the study، the importance of the study، the questions that will answered by the study، the study objectives، and finally، the methodology used in order to understand the problem of the study and subject matter.

The first chapter of this study is looking in: the criminalization policy and punishment in jurisprudence and the law، by introducing two axes، first axis to discuss: the concept of criminality in the Islamic penal legislation which laid important rules in making the criminal protection on a range of interests، and the values and principles that Sharee'ais operating to save considering its importance in maintaining entity of society، and in the second axis showed the nature of the punishment in the law through the statement of the concept of punishment and its elements and characteristics.

Chapter II from this study dealt with، the role of preventive measures in maintaining security، crime prevention through a search of alternative punishment and preventive measures law، through three main axes . first axis talks about the general rules of preventive measures with the development of thought punitive at the current time، also the second axis addressed the nature of preventive measures، as for the last axis of this chapter، it discussed the preventive measures in the Islamic criminal legislation، and the statement of its concept، and the kinds of measures that that were used by the Islamic law in order to prevent the citizen from committing a crime، and finally with the conclusion of this study، which showed the findings and recommendations، which concluded it.

[البحث الفائز بالمركز الثاني في مجال الدراسات الشرعية القانونية بالمسابقة 33 لجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم]

*جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء.المملكة العربية السعودية

* Al imam Muhammad Ibn Saud Islamic University Saudi Arabia Al-Ahsa،College of Sharia and Islamic Studies-KSA

{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ}(آل عمران : 165). وهذه المِنَنُ لا تزالُ تَتَوالَى علينا تَتْرَى مِن لَدُن بِعْثَتِه صلى الله عليه وسلم. وإنَّ مِن أعْظَمِ المِنَنِ بعد الإيمان توفيق اللهُ العبدَ إلى الحُكْمِ بكتابِه وسنَّةِ نبيِّهِ والتَّحاكُمِ إليهما ؛ لِأَنَّ في ذلك سعادتَهُ وزكاتَهُ، ونجاتَهُ وفَلاحَهُ.

لما كان الهدف من إيقاع العقوبة بالشخص هو وسيلة لإصلاحه وعلاجه ؛ "ولما ظلت العقوبة لسنوات طويلة باختلاف أنواعها تُمثل السلاح الوحيد في يد المجتمع ضد مرتكب الجريمة. غير أن هذا السلاح قد أخفق في مواطن عدة عن تحقيق الهدف المنشود المتمثل في مكافحة الظواهر الإجرامية المختلفة ، الأمر الذي استوجب البحث عن بديل مناسب يحلّ محل العقوبة – أو يشاركها في بعض الأحيان – ويكون له من الفاعلية التي تمكن من تحقيق أغراض الجزاء الجنائي المتنوعة" [1،2]* ، وما هذا البحثُ الموسوم بدور التدابير الوقائية في منع الجريمة وتحقيق الأمن في المجتمع الإسلامي ، إلا محاولةٌ لإبرازِ الجُهُودِ المُتَضَافِرَةِ، والمَسَاعِي الحَثِيثَةِ المُتَتَالِيَةِ المُتَوَالِيَّةِ المتسقة، في الدفاع عن الإسلام ومقدساته وقضاياه ورموزه ، وإيماناً بأهمية وضرورة تكثيف الجهود ، وتشابك الأيدي في مواجهة ومعالجة المشكلات والقضايا الجنائية التي تواجه المسلمين في مجتمعاتهم ، خاصة في ظل الهجمة التي يتعرض لها الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر.

مشكلة الدراسة

إن النمط القضائي الجديد من التدابير الوقائية (الجزاءات البديلة) يثير في الواقع القانوني بعض التساؤلات المتعلقة ببيان ماهيته وطبيعته ، وكذلك أقسامه وأغراضه ثم بيان خصائصه وشروط تطبيقه ، وأخيراً إظهار الإشكاليات المتصلة بعلاقة التدابير الوقائية بالعقوبة الجنائية. استناداً إلى أحكام الشريعة الإسلامية ، وعليه تتجه هذه الدراسة إلى بيان الأدوار والمجالات التي يمكن للتدابير الوقائية أن تؤديها في خدمة الصالح العام للمجتمع الإسلامي ، وما تحققه من فائدة في الوقت الحاضر في تعزيز الأمن وتحقيق مكاسب حقيقية من العمل به كبديل مناسب عن بعض العقوبات الجنائية.

أهمية الدراسة

ظهرت فكرة اللجوء للتدابير الوقائية في بعض قوانين العقوبات العربية**كصورة جديدة من صور الجزاء الجنائي مستندة في أصولها إلى أحكام الشريعة الإسلامية في ضوء الحاجة إلى تنوع أساليب مكافحة الجريمة وتحقيق الأمن في المجتمع الإسلامي ، حيث تعمل جهات الفقه و القضاء والإصلاح الشرعي والقانوني والجهات، القائمة على حفظ الأمن والاستقرار على أن تكون هناك إجراءات احترازية جديدة تساهم في علاج المشكلات الأمنية والاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الإسلامي للحد من معدلات ارتفاع مستوى الجريمة ، وزعزعة الأمن وأنَّه لا بدَّ لهذا أولاً من تفعيل دور هذه الإجراءات الوقائية ؛ لخدمة قضايا المجتمع الإسلامي في مختلف المجالات الحيوية ومنها تعزيز منظومة الأمن والحماية، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها ستُسهم في إبراز صورة جديدة عن دور الإجراءات الوقائية في الوقت الحاضر بما يتلاءم مع متطلبات وحاجة المجتمع وأفراده إلى تحقيق الأمن ، ومنع الجريمة ، ومعالجة الانحراف في القيم والسلوك والأخلاق من بعض أفراده.

---

*حول التدابير الاحترازية بصفة عامة انظر :. مجدي عقلان ،محمود قرني(بتصرف يسير)

**الجزائر والمغرب من الدول العربية التي تلجأ إلى تدابير الوقائية في التعامل مع بعض الجناة

أسئلة الدراسة

الغرض من هذه الدراسة هو الإجابة عن التساؤلات الرئيسة التالية :

1. ما هي دواعي اللجوء للتدابير الوقائية في القوانين العربية الوقت الحاضر؟
2. هل تعتبر التدابير الوقائية نوع من أنواع العقوبة الجنائية؟
3. ما هي الشروط الواجب توافرها في العقوبات البديلة؟
4. ما هي الأسس التي تقوم عليها العقوبة القانونية؟
5. كيف تعالج التدابير الوقائية الإجراءات التي يرصدها المجتمع من أجل مواجهة الخطورة الإجرامية[3،4]*؟
6. ما هي العوامل التي تحدُّ من تنفيذ إجراءات التدابير الوقائية ، والحد من تأثيرها؟

أهداف الدراسة

عالجت هذه الدراسة العديد من الأهداف لعلَّ من أهمها :

1. تجديد فرص الاهتمام بالإجراءات الوقائية القانونية كنوع من الإجراءات القضائية ؛ للحد من تفاقم وتفشي الجريمة ، ومحاولة زعزعة الأمن في المجتمع المسلم.
2. تُقدم هذه الدراسة رؤية جديدة للمعنيين؛ حول سُبل تطوير الإجراءات الوقائية في كافة المجالات الشرعية والقانونية التي تعنى بحياة المجتمع وتطوره وتؤدي إلى تعزيز الأمن.
3. تُساعد على الاهتمام من جهة أخرى بالمؤسسات القضائية والاجتماعية ،والسلوكية ذات الفوائد الكبيرة التي لها دور في تنفيذ جزء مؤثر من التدابير الوقائية ، على الأفراد المطبق عليهم هذا النوع من التدابير والإجراءات الوقائية التي طغت على بعضها تسلط الإجراءات غير الملائمة ، وغلب عليها الاهتمام بالمؤسسات الاجتماعية التي يكون في إنشائها طابع المحاكاة والتقليد لأنظمة غير إسلامية.
4. العمل على إثراء المكتبة الشرعية والقضائية ، والقانونية بدراسة جديدة عن دور الإجراءات الوقائية ودورها الهام في الحد من الجريمة وتعزيز الأمن في المجتمع الإسلامي المعاصر.

- **محددات الدراسة**

نطاق هذه الدراسة يتمثل في بيان دور الإجراءات الوقائية في خدمة الصالح العام في المجتمعات العربية والإسلامية في الوقت الحالي، وأثرها في تحقيق الأمن تبعا للتحديات التي تواجه تنفيذها من قبل الجهات المسئولة ذات العلاقة .

الدراسات السابقة

لقد تعددت الدراسات، والأبحاث والكتب الشرعية القانونية التي تناولت موضوع العقوبات والقواعد المتعلقة بها ، إلا أنها ندرت – حسب ما وصل إليه الباحث– في استهدافها للأحكام المتعلقة بالعقوبات البديلة ، والإجراءات الوقائية التي قد تلجأ إليها الدولة في بعض الأحيان عند عدم فائدة العقوبة.

---

* حول تعريف الخطورة الإجرامية والتدابير راجع:

- يسر أنور علي ، الأمر الجنائي،مجلة العلوم القانونية
- محمود نجيب حسني،شرح قانون العقوبات

ولتكوين صورة أوضح حول موضوع هذه الدراسة ، فقد تمّ الاطلاع على الدراسات التالية ، في موضوع الإجراءات الوقائية ، واستخلاص الآتي منها:

1. دراسة حول الاتجاهات الحديثة في العقوبات البديلة ، وقد قدمت هذه الدراسة من قبل أ.د فؤاد عبد المنعم أحمد – مشروع الملك عبد الله بن عبد العزيز لتطوير مرفق القضاء –1432هـ

وهي دراسة مفيدة جداً ، استفدت منها في دراستي ، وهي تؤسس لنظام جديد للعقوبات البديلة ، والإجراءات الاحترازية التي يُلجأ إليها للحد من الجريمة .

2. بحث حول العقوبات البديلة المطبقة على الصغار ضمن خطة ورقة العمل المقدمة من الدكتور كامل السعيد في مؤتمر العقوبات البديلة ، وهذه الدراسة تتعلق بالصغار الذين يرتكبون جرائم ويعد تنفيذ العقوبات الاعتيادية عليهم طريق للانحراف وتطور الفكر الإجرامي .
3. دراسة عن دور التدابير الوقائية في مكافحة الظاهرة الإجرامية ، والبحث مقدم من مجموعة من الطلبة لنيل الإجازة في الحقوق – القانون المغربي ، وهو من البحوث المتميزة في هذا المجال

- **منهجية الدراسة**

التزم الباحث في دراسته بمناهج البحث العلمي القائمة على تتبع المعلومات والبيانات من مصادرها وتصنيفها وعمل المقارنة اللازمة للوصول إلى نتائج البحث المطلوبة والقيام بطرح الآراء والأقوال والوصول إلى الرأي الراجح ، وذلك من خلال عرض المسائل العلمية ، والاستدلال للأقوال العلمية وتوثيق المادة العلمية من مصادرها الأصلية ، وتخريج الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة وإيلاء هوامش البحث العناية الخاصة ، والاعتناء بالناحية الشكلية والتنظيمية وحسن الإخراج ، وفي سبيل ذلك سلك الباحث في دراسته طرق البحث العلمي الآتية:

المنهج الوصفي : فهو الأنسب للدراسات الشرعية والقانونية ؛ فنؤصِّل مبادئ العدالة الجنائية شرعًا من خلال نصوص القرآن الكريم ،وبيان السنَّة النبوية وشروحهما من كتب التفسير والحديث مع إعمال القواعد الفقهية الخاصة بالموضوع في ضوء روح الإسلام ومقاصد الشريعة الإسلامية.

منهج البحث الاستقرائي: باستقراء، وتتبع المعلومات، والبيانات من مصادرها الأصلية وأمهات الكتب في الفقه الإسلامي والقانون .

منهج البحث التحليلي: من خلال جمع المعلومات وتحليلها وتصنيفها، متتبعاً المسائل والأحكام ذات الصلة بموضوع الدراسة، واستخلاص الآراء، والأقوال ونسبتها إلى أصحابها.

منهج البحث المقارن : وذلك من خلال مقابلة الأحداث، والآراء، والقوانين، والنتائج مع بعضها البعض، وعمل المقارنات بين أطراف العلاقة البحثية موضوع الدراسة .

منهج البحث الاستنباطي: استخلاص الآراء الفقهية والقانونية، واستنباط الأحكام ومناقشتها بمنهجية علمية وتبنِّي الرأي الأقوى دليلاً.

خطة الدراسة

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وفصلين بمباحثهما وخاتمة وعلى النحو التالي :

- المقدمة وتضمنت أهمية الموضوع كما اشتملت على أهمية الدراسة ، ومشكلة الدراسة والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها الدراسة ، والدراسات السابقة .
- الفصل الأول : سياسة التجريم والعقاب في الفقه والقانون
- الفصل الثاني : التدابير الوقائية ودورها في حفظ الأمن
- الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

سياسة التجريم والعقاب في الفقه والقانون

نصَّ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أحكام كثيرة متعددة تبيّن الأفعال المحرّمة التي يُعاقب مرتكبها، وهذه الأحكام ، وما ينبني عليها ، أو ما يتفرّع منها أصبحت ما يمكن تسميته اليوم بنظام الجريمة والعقوبة في الإسلام .

الشريعة الإسلامية شريعة عالمية لا إقليمية، أراد الله جل جلاله تطبيقها على كافة الناس في جميع بقاع الأرض، وهم مخاطبون بأحكامها، مطالبون بتنفيذها، ولكن لعدم ولاية دار الإسلام على ما سوى إقليمها فقد تعذر تطبيقها في خارج إقليمها، وفي هذا المعنى يقول الإمام أبو يوسف "ولأن الشرائع هو العموم في حق الناس كافة إلا أنه تعذر تنفيذها في دار الحرب لعدم الولاية وأمكن في دار الإسلام فلزم التنفيذ فيها" [(5)] .

ومن خلال هذا الفصل الذي سنبحث في جزء منه سياسة التجريم والعقاب في الفقه الإسلامي والقواعد التي تحملها هذه السياسة ، والتي حققت معاني العدالة الجنائية للمسلمين وغير المسلمين على أراضيها ، وفي المبحث الثاني سنبحث مفهوم العقوبة في القانون ، والطبيعة القانونية لها .

المبحث الأول : سياسة التجريم والعقاب في التشريع الجنائي الإسلامي

مفهوم التجريم في التشريع الجنائي الإسلامي

حظيت السياسة الجنائية في التشريع الجنائي الإسلامي باهتمام من قبل الجهات والمؤسسات والأفراد المهتمين بالجريمة والوقاية منها؛ فقاعدة التجريم في الفقه الجنائي الإسلامي تقوم على إضفاء الحماية الجنائية للمجتمع والأفراد ورعاية المصالح والقيم والمبادئ التي تعمل الشريعة على حفظها باعتبار أهميتها في حفظ المجتمع.

" والشريعة الإسلامية تعتبر الأخلاق الفاضلة أولى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع، ولهذا فهي تحرص على حماية هذه الأخلاق ، وتتشدد في هذه الحماية بحيث تكاد تعاقب على كل الأفعال التي تمسّ الأخلاق " [(6)].

إن العلة في اهتمام الشريعة الإسلامية بالأخلاق على هذا الوجه، أن الشريعة تقوم على الدين الذي يأمر بمحاسن الأخلاق ، ويحثّ على الفضائل ويهدف إلى تكوين الجماعة الصالحة .

فالنظام الجنائي الإسلامي جزء من الشريعة الإسلامية التي تقوم على أساس الدين، والدين بما له من قدسية ، وحرمة يكفل للنظام الجنائي الإسلامي قوة وفاعلية لارتباطه بعقيدة المسلم ، ووجدانه الديني، حيث لا يخفى أن تكوين الفرد الصالح الذي يكون في مجموع تصرفاته نزاعاً إلى الخير عزوفاً عن الشر من أهم مقاصد الإسلام، وهو ما جعل الشريعة الإسلامية في تجريمها للعديد من التصرفات والأفعال تهتم بالجانب الديني والعقائدي" .[7]* وأحكام الجنايات تطبق على جميع الجرائم التي تقع في دار الإسلام بغض النظر عن جنسية مرتكبها أو ديانته، وهذه هي القاعدة العامة. إلا أن في بعض جزئياتها اختلافاً قليلاً بين الفقهاء بالنسبة للذميين، واختلافاً أكثر بالنسبة للمستأمنين [5،8]**.

وفي التشريع الإسلامي نجد أن مبدأ المساواة أمام القانون يقوم على مبدأ المساواة العامة التي أقرها الإسلام حين اعتبر كل الناس سواء في التعامل، فقد قال صلى الله عليه وسلم : "لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى" [9،10،11].

مفهوم العقوبة في التشريع الجنائي الإسلامي

العقوبة في الإسلام : جزاء وضعه الشارع للردع عن ارتكاب ما نهي عنه وترك ما أمر به ، والعقوبات في الشريعة الإسلامية تنقسم بالنظر إلى نوع العقوبة، وخطورة الجريمة إلى حدود وقصاص وتعازير.

ومن الأهمية التذكير هنا بأن مبدأ «لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص» من المبادئ الإسلامية الأساسية والشاملة، وليس فقط بما يتعلق بجرائم وعقوبات الحدود والقصاص والتعزير، وإنما نجد أن الإسلام لا يعاقب بعقوبة دنيوية أو أخروية إلا إذا سبق الإنذار والتبليغ والتجريم، يقول عز من قائل :﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِين حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء :15]، وقوله تعالى :﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:16] [12]

---

*HTTP://WWW.STARTIMES.COM/F.ASPX?T=32211897

**الذميون من رعايا الدولة الاسلامية، يحملون جنسيتها على أساس عقد الذمة وإن كانوا غير مسلمسن. أما المستأمنون فهم غير مسلمين دخلوا دار الاسلام بإذن منها ليقيمو فيها مدة ويغادروها.

المبحث الثاني: طبيعة العقوبة في القانون

مفهوم العقوبة في القانون*

تعددت التعريفات المبينة لمعنى العقوبة في القانون ومفهومها فمنها:

•العقوبة : جزاء يوقع باسم المجتمع تنفيذاً لحكم قضائي على من تثبت مسئوليته عن الجريمة [13]

•العقوبة :جزاء تقويمي، تنطوي على إيلام مقصود، تنزل بمرتكب جريمة ذي أهلية لتحملها، بناءً على حكم قضائي يستند إلى نص قانوني يحددها، ويترتب عليها إهدار حق لمرتكب الجريمة ، أو مصلحة له أو ينقصهما أو يعطل استعمالها [14].

•العقوبة : إيلام قسري مقصود، يحمل معنى اللوم الأخلاقي والاستهجان الاجتماعي، يستهدف نفعية محددة سلفا، بناء على قانون، تنزله السلطة العامة في مواجهة الجميع بحكم قضائي على من ثبتت مسئوليته عن الجريمة بالقدر الذي يتناسب مع هذه الأخيرة [14].

•العقوبة :هي الجزاء الذي يقرره القانون ويوقعه القاضي من أجل الجريمة ويتناسب معها [4].

والتعريف الراجح كما نراه " :العقوبة جزاء وعلاج يفرض على شخص مسئول جزائياً عن جريمة بناءً على حكم قضائي صادر من محكمة جزائية مختصة [15]

ولكن في ضوء هذه التعاريف ما هي الطبيعة المتعلقة بسند التنفيذ العقابي ؟

غالباً ما يكون سند التنفيذ العقابي هو الحكم الجنائي النهائي الذي يصدر من القاضي المختص بعد إحالة الدعوى إليه من السلطة المختصة بذلك وفق النظام ، وقد يكون سند التنفيذ العقابي أمراً جنائياً يصدره قاضي أو أحد أعضاء النيابة من درجة معينة وفي أحوال تعينها النصوص القانونية للدولة [3،16،17]

الخصائص العامة للعقوبة

للعقوبة خصائص ومنافع مهمة ، ومنها أن العقوبة جزاء وعلاج فالعقوبة جزاءً، وهذا الجزاء ينطوي على الإيلام إلا أن عذاب العقوبة وألمها لم يعد يهدف إلى الانتقام والثأر، وإنزال الأذى بمن اعتدى على أمن المجتمع ونظامه، بل أصبح وسيلة لإصلاحه وعلاجه

وتفرض العقوبة لحماية المجتمع ؛لأنها رد فعل اجتماعي لحماية أمن المجتمع وضمان استقراره، ولحماية الفرد من النوازع الإجرامية الموجودة في داخله ، ورد الفعل الاجتماعي لا يعطي الحق للأفراد لكي يقتصوا لأنفسهم من المجرمين؛ فالقصاص الفردي مرفوض في الشريعة الإسلامية.

كما لا يجوز فرض العقوبة إلا إذا ورد النص الشرعي عليها من القانون في وقت لاحق لارتكاب الجريمة ، وسلطات الدولة هي صاحبة الحق في النص عليها، وبيان جنسها ومقدارها، ومدى سلطة القاضي في تطبيقها.

ولا يتم فرض العقوبة إلا من قبل محكمة جزائية مختصة ، على أن لا تمتد العقوبة إلى غير الشخص المسئول عن الفعل الإجرامي، ولا يصح أن تنال أحد أفراد أسرته، أو أحد أصدقائه أو أقاربه.

ومن شروط فرض العقوبة :

1. المساواة :ذلك أن العقوبة جريمة معينة ، وهي واحدة بالنسبة لجميع الناس دون تفريق بينهم من حيث الجنس أو اللون أو الطائفة أو الطبقة أو الثروة.

2. العقوبة قابلة للرجوع فيها :فإذا تبين للقضاء خطأه ، وأن العقوبة فرضت على شخص غير مسئول عن الجريمة فمن الواجب إيقاف تنفيذ العقوبة فوراً ، والتعويض على المحكوم عليه ، أو ورثته
3. العقوبة تتناسب في طبيعتها ومقدارها مع شخصية الجاني : نظرية تفريد العقاب، ترى أن شخصية المجرم يجب أن يكون لها المكان الأول في القانون الجزائي، وأن العقوبة يجب أن تكون ملائمة لهذه الشخصية؛ فكل شخص يرتكب فعلاً إجرامياً لابد أن يكون في حقيقة الأمر مدفوعا بعوامل اجتماعية واقتصادية ونفسية متعددة؛ وهذه الحقيقة تتطلب أن تكون العقوبة من حيث نوعها ومقدارها ملائمة لحالته للتمكن من إصلاحه وإعادته إنسانا سويا إلى حظيرة المجتمع[13،14،4،15].

التدابير الوقائية ودورها في حفظ الأمن

" القصد من العقوبة هو إيلام وإيذاء من تُنزّل به العقوبة نتيجة ارتكابه مخالفة ، أو اعتدائه على حق لغيره ، ويتحقق هذا عن طريق المساس بحق من توقع عليه العقوبة ، وتتنوع الحقوق التي يمكن المساس بها، فقد يكون الحق الذي يتم المساس به عن طريق الإعدام وقد يكون الحق الذي يمكن المساس به الحرمان من الحرية، فتتخذ العقوبة صورة الأشغال أو الاعتقال ، أو بنوعيه أو السجن أو الحبس، وقد تمس العقوبة الحق في المال، فتتخذ صورة المصادرة أو الغرامة، ويمكن أن يكون المساس بالحرية عن طريق فرض قيود عليها ، كالمراقبة الأمنية ، أو الإقامة الجبرية. [*].

من خلال هذا الفصل سنبين البديل الوقائي عن العقوبات ، والتي قد تلجأ إليها الدولة في بعض الأحيان عندما تصبح العقوبة غير فعالة ، وغير قادرة على تحقيق المطلوب منها بسبب ظروف الجاني ، وطبيعة الجريمة .

ودور هذه التدابير الوقائية في حفظ الأمن وبيان التدابير الوقائية في التشريع الجنائي الإسلامي وبيان مفهومها والتدابير التي لجئت إليها الشريعة الإسلامية لمنع الشَّخص من ارتكاب الجريمة.

---

* العقوبات البديلة المطبقة على الصغار خطة ورقة العمل المقدمة من الدكتور كامل السعيد للمؤتمر منشور على الرابط

HTTP://WWW.MOJ.GOV.SA/AR-SA/DOCUMENTS/MULTAQ4

المبحث الأول: القواعد العامة للتدابير الوقائية

بقيت العقوبة بحق المخالف للقانون ولفترة طويلة من الوقت الصورة المعبرة عن الجزاء الجنائي ومع تطور فكرة العقوبة ثبت عجز العقوبة عن القيام بالدور المنوط بها في بعض الأحيان ، والذي يتجلى في الحد من الجريمة والقضاء عليها داخل المجتمع، مما أدى إلى ظهور ما يسمى بالتدابير الوقائية ، وبذلك لم يعد الهدف من الجزاء الجنائي هو إيلام المجرمين المحكوم عليهم والانتقام منهم، بل أصبح الهدف متمثلاً في فكرة إعادة تأهيل هؤلاء المحكوم عليهم وانخراطهم في المجتمع [18]*.

المطلب الأول : تعريف التدابير الوقائية [19]**

التدابير الوقائية لغة : قال ابن منظور :"التدبير في الأمر أن تنتظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبير أن يتدبر الرجل أمره، ويديره، أي أن ينظر فيعواقبه [20].

التدابير الوقائية اصطلاحاً [19]: كلمة التدبير ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم في عدد من الآيات منها قوله تعالى : {وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ } [يونس :31] ، وقوله سبحانه : {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29] ، كما ورد الاحتراز في القرآن الكريم بمعنى الحذر كقوله تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً} [النساء: 71]

أما التدبير والاحتراز في اصطلاح الفقهاء فقد قال الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه إغاثة اللهفان في معنى التدبير"والمقصود أن الله سبحانه وتعالى وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة، فهي تدبر أمر الله بإذنه ومشيئته وأمره، فلهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة لكونهم المباشرين للتدبير كقوله تعالى :فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا}

[النازعات :5] أو يضيف التدبير إليه سبحانه في قوله:

{ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [يونس :3] [21].

وقال الإمام ابن الجوزي في معنى الاحتراز "ينبغي الاحتراز من كل ما يجوز أن يكون ولا ينبغي ؛ أن يقال :الغالب السلامة ، فلنظر إلى العواقب وفيما يجوز أن يقع شأن العقلاء، فأما النظرفي الحالة الراهنة فحسب حالة الجهلة الحمقى"[22].

الفرع الثالث : التدابير الوقائية في القانون تعددت معاني التدابير في القوانين العربية فهناك من أطلق عليها التدابير الوقائية ، وهناك من أطلق عليها تدابير الأمن، وهناك من سماها التدابير الاحترازية ، وتاليا مجموعة من تعاريفها : [23]

- "هي إخضاع المحكوم عليه لطب جنائي أو نفساني، أو لتحفظفي سبيل الحيلولة دون عودته من جديد للجريمة " . [24]

---

* دور التدابير الوقائية في مكافحة الظاهرة الإجرامية " مقدم لنيل الإجازة في الحقوق/ كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية / شعبة القانون الخاص / متوفر على موقع 2009/ WWW.BLOG.SAEEED.COM //:HTTP بتصرف يسير

** استفدت في عدد من التعريفات المبينة في هذا المطلب من رسالة الماجستير بعنوان: دور التدابير الاحترازية في ردع المجرم وحماية المجتمع، للطالب نور الدين مناني 2011، ص:6 (بتصرف واسع يناسب منهجية البحث)

- مجموعة من الإجراءات القانونية تواجه خطورة إجرامية كامنة في شخصية مرتكب الجريمة تهدف إلى حماية المجتمع عن طريق منع المجرم من العودة إلى ارتكاب جريمة جديدة. [25].
- "التدابير معاملة فردية قسرية ينص عليها القانون لمواجهة الخطورة الإجرامية لدى الأشخاص منعاً من ارتكاب الجريمة والدفاع عن المجتمع ضد الاجرام" [26].
- "التدابير الاحترازية : هي إجراءات تتخذ حيال المجرم بهدف إزالة أسباب الإجرام لديه وتأهيله اجتماعيا".[27]
- "التدابير الاحترازي :هو نوع من الإجراءات يصدر به حكم قضائي لتجنيب المجتمع خطورة تكمن في شخصية مرتكب فعل غير مشروع "[28].
- "التدابير الاحترازي : مجموعة من الاجراءات تواجه خطورة إجرامية كامنة في شخصية مرتكب جريمة لتدرأها عن المجتمع [29].

ونتفق مع جميع هذه التعاريف في أنها بيت مفهوم وطبيعة التدابير الوقائية ، إلا أنها اختلفت في تحديد طبيعة التدابير القضائية .

أهمية التدابير الوقائية:

التدابير الوقائية من الوسائل التي تلجأ إليها الدولة في مكافحة الإجرام وذلك إلى جانب العقوبة " غير أن القصور في تطبيق العقوبة في مواضع متعددة عن أداء وظيفتها الاجتماعية، اقتضى البحث عن نظام بديل يحل مكانها في هذه المواضع، أو يقف إلى جانبها لكي يساندها ويضيف إليها ما تفتقده من فاعلية.

إن التبرير الحقيقي للجهات القضائية ؛ للجوء للتدابير الوقائية هو القصور في تطبيق العقوبة وهذا لا يعني الانتقاص من قيمة العقوبة التي تظل الأساس الأول في مواجهة ومكافحة الحالة الإجرامية" [18]

" وتكمن أهمية التدابير الوقائية في أنها تقوم على فلسفة واقعية تهدف إلى وقاية المجتمع بإعداد الفرد و تقويمه و تتجاوب مع النظريات العلمية تفسير ظاهرة الإجرام فهي تعتد بالأسباب الحقيقية للإجرام عند شخصية الفرد الخطر لتقدم العلاج المناسب له. و هي بذالك تلتقي مع النظريات العقابية الحديثة في تفريد الجزاء الجنائي[30]*".

وتظهر لنا أهمية التدابير الوقائية في حرصها على حماية حقوق الأفراد في المجتمع كون هذه التدابير لا مفر للمؤسسات المسئولة من اتخاذها، كونها العلاج الأفضل لوقايته من تداعيات الخطورة الإجرامية ؛ فالإجراء الذي يضع المريض النفسي في مستشفى للأمراض النفسية لا يقصد به معاقبة هذا المريض وذلك بإيلامه عن الجريمة التي قام بارتكابها ، وإنما هي وسيلة لحماية المجتمع من خطره وعلاجه.

* http://sciencesjuridiques.ahlamontada.net/t2318-topic

أنواع التدابير الوقائية

تقسّم التدابير الوقائية في القوانين الجزائية حسب خطورتها ، وتبعاً لخطورة الشخص الذي سيتخذ بحقه التدبير الوقائي .

1. تدابير وقائية تقوم على منع حرية المجرم

أ. الحجز في مأوى: حيث يتم حجز الشخص الذي تستدعي حالته النفسية الحجز في مستشفى ، أو مصح لعلاج الأمراض العقلية أو النفسية، وتقدم له العناية اللازمة التي تدعو إليها حالته، ولا ينفذ هذا النوع من التدابير إلا بناءً على قرار قضائي صادر عن المحكمة .

ب. العزلة: هي الوضع في مؤسسة للتشغيل، حسب مؤهلات المحكوم عليه أو نشأته ، ليعمل فيها ويتقاضى أجراً على عمله ، وتفرض العزلة على معتادي الإجرام الذين يثبت خطرهم على السلامة العامة.

2. الحجز في دار التشغيل: الوضع في دار تؤسس خصيصاً لتعويد المحكوم عليهم على العمل، وتعليمهم مهنة يكسبون منها عيشهم بعد عودتهم إلى الحياة الاجتماعية*.

تدابير وقائية تقوم على تقييد حرية المجرم

تتعدد هذه التدابير المقيدة للحرية ومنها :

أ. منع الإقامة : تدبير وقائي يقصد به الحظر على المحكوم عليه من التواجد بعد الإفراج عنه في الأمكنة التي عينها الحكم، وهي في الغالب المنطقة التي اقترفت فيها الجريمة، والمنطقة التي يسكن فيها المجني عليه .

ب. الحرية المراقبة : تدبير وقائي، القصد منه التأكد من قدرة المحكوم على الانخراط في المجتمع.

ج.الرعاية: الإرشادية: وهو تدبير وقائي تلجأ إليه الدولة لرعاية المحكومين بعد الإفراج عنهم .

د. الإخراج من البلاد : تدبير وقائي يفرض على الأجنبي الذي يرتكب جريمة في الدولة ، ويشكل خطورة على الأمن والنظام. **

3. تدابير وقائية تقوم على منع حقوق المجرم

يراد بهذا النوع من التدابير الوقائية حرمان المحكوم عليه من بعض الحقوق التي كان يتمتع بها ، لحماية المجتمع ، ومن ذلك :

أ. إسقاط حق الولاية أو الوصاية : من خلال حرمان المحكوم عليه من حقوقه على القاصر أو اليتيم الذي يتولى شؤونه، أو يدير أملاكه، وفقاً لقرار من القاضي.

ب. المنع من مزاولة أحد الأعمال: ويكون بمنع المحكوم عليه من ممارسة مهنة أو حرفة أو أي عمل متى كان سلوكه الجرمي خروجاً على أصول العمل أو انتهاكاً لواجبات العمل. ***

---

*التدابير الاحترازية منشورة على الرابط http://bouhoot.blogspot.com/2015/04/blog-post_924. html موسوعة البحث.

**التدابير الاحترازية المنشورة عبى الرابط 982673408439316 http://wwwfacebookcom/syrianslaw/posts/) (بتصرف واسع في النص)

***كالطبيب الذي يرتكب جريمة اجهاض غير منشروع

4. تدابير وقائية تقوم على الإجراءات الوقائية

هذا النوع من التدابير الوقائية تقع على الأشياء، وتصيب الأفراد المعنيين بها مثل :

أ. المصادرة العينية: تقوم الدولة كإجراء وقائي بمصادرة الأشياء المتعلقة بالجريمة التي تحظر القوانين التعامل بها ، وتصبح ملكاً لها وتتصرف بها حسب نوع الأشياء وتشمل: المخدرات والنقود المزيفة والأغذية الفاسدة والأسلحة النارية غير الحاصلة على الترخيص.

ب. الكفالة: يلزم المحكوم عليه بإيداع مبلغ من المال، أو تقديم ضمانات مالية محددة ، منها تقديم كفيل مليء، أو رهن قطعة أرض ، وهذه من الضمانات التي تمنعه من إعادة ارتكاب الجرائم .

ج. تشميع المحل: " لمنع المحكوم عليه من ممارسة العمل ذاته الذي كان يمارسه فيه قبل إنزال هذا التدبير كإقفال الفندق المعد لأعمال غير أخلاقية، وإغلاق المحل الذي يستعمل لشرب الخمر .

د. وقف هيئة اعتبارية عن العمل أو حلها: ويتناول هذا التدبير كل شركة أو جمعية وكل هيئة اعتبارية، ما خلا الإدارات العامة، تخضع، لمبدأ المسؤولية الجزائية، ويمكن الحكم به، إذا اقترف مديروها، أو أعضاء إدارتها، أوممثلوها، أو عمالها باسمها أو بإحدى وسائلها جناية أو جنحة مقصودة " (*).

4. بدائل العقوبات السالبة للحرية قصيرة المدة [31]**

التدابير الوقائية (البدائل العقابية) التي تحل محل العقوبة السالبة للحرية قصيرة المدة متى كانت ظروف الجريمة وشخصية المجرم توجب هذا ، ومن هذه البدائل :

- نظام إيقاف التنفيذ (تعليق تنفيذ الحكم على شرط)
- نظام الوضع تحت الاختبار (الاختبار القضائي)[32،33،34]

عدم الحكم على المتهم بعقوبة ما ، مع تقرير وضعه مدة معينة تحت إشراف ورقابة جهات معينة.

- نظام وقف التنفيذ المقترن بالوضع تحت الاختبار : يجوز للقاضي أن يحكم بالعقوبة الجنائية مع إيقاف تنفيذها مدة معينة في خلالها يخضع الموقوف للوضع تحت الاختبار [32].
- نظام الإعفاء من العقوبة وتأجيل النطق بها
- نظام شبه الحرية : يجوز للقاضي أن يأمر بإلحاق المحكوم عليه بعقوبة قصيرة المدة بعمل خارج المؤسسة العقابية دون إخضاعه لرقابة جهة الإدارة .
- نظام الوضع تحت المراقبة الإلكترونية
- نظام العمل للصالح العام : ويجري تنفيذ العمل للصالح العام تحت إشراف قاضي تنفيذ العقوبات، ويتقيد العمل للصالح العام بكافة القيود النظامية المنصوص عليها . [3].

---

* جزء من بحث بعنوان : "التدابير الاحترازية على موقعhttp://www.startimes.com / بتاريخ 2014/10/7 للباحثة سعاد الداودي .(بتصرف واسع)

**مقال بعنوان : التدابير الوقائية كتبه د. أحمد لطفي السيد مرعي، أستاذ بكلية الأنظمة والعلوم السياسية – جامعة الملك سعود – قسم القانون الجنائي ، وأرسل هذا المقال للجمعية الوطنية لحقوق الإنسان مع أ.د/ مفلح القحطاني وذلك لنشره ضمن إصدارات الجمعية والمقال منشور على عدد من مواقع البحث ومنها صفحة الأستاذ سعيد بواطاس

https://www.facebook.com/permalink.php?id=1561499334100157&story_fbid=1575258999390857 وقد تم التصرف في المقال ليناسب منهجية البحث في هذه الدراسة مع ذكر المصادر التي اعتمد عليها الدكتور المرعي في مقاله القيم.

- البديل الثامن : نظام تقسيط العقوبات : يجوز للمحكمة في مواد الجنح ولأسباب طبية أو عائلية أو مهنية أو اجتماعية ، أن تأمر بتنفيذ العقوبة بالتقسيط (*).

بالرجوع لهذه البدائل الوقائية نجد أنها مناسبة للعمل بها في القوانين العربية ، ولا يوجد ما يمنع شرعاً من تطبيقها شريطة أن تتم هذه البدائل وسط إجراءات تعتمد مبدأ العلاج لا العقوبة .

المبحث الثاني : طبيعة التدابير الوقائية

لا بد من تحديد طبيعة التدابير الوقائية، وذلك في ما إذا كانت ذات طبيعة جزائية أو قضائية أم ذات طبيعة إدارية ، لكي نتمكن من التعامل معها وفق الأساس المطلوب ، وهو ما سيكون مدار البحث تالياً.

التدابير الوقائية ذات طبيعة جزائية (18)

هناك من يرى أن طبيعة التدابير الوقائية يمكن اعتبارها جزاء جنائي ، وقد اختلف الفقه الجنائي في ذلك إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول : التدابير الوقائية ليس لها صفة الجزاء والعقوبة .وهي إجراءات مانعة تطبق على الجاني بعد ارتكاب الجريمة .

الاتجاه الثاني : التدابير الوقائية لها صفة جزائية تأسيسا على أن الوظيفة الوقائية للتدابير وإن كانت تختلف بالطبع عن وظيفة العقوبة التي يناط بها أساساً الردع ، إلا أنها لا تحول دون اعتبار التدابير من قبيل الجزاءات الجنائية . (35،36،37،38)**

التدابير الوقائية ذات طبيعة قضائية

ذهب جانب من الفقه الجنائي إلى أن التدابير الوقائية ذات طبيعة قضائية للمبررات التالية:

- طابع الشرعية الذي يسود التدابير الوقائية
- تطبيق التدابير الوقائية مخول للسلطة القضائية فقط.
- القوانين الجنائية تتبع مبدأ الشرعية في نطاق تنفيذ التدابير الوقائية .

التدابير الوقائية ذات طبيعة إدارية

ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن التدابير هي إجراءات ذات طبيعة إدارية وبرروا ذلك أن :

- التدابير الوقائية ليست عقوبة ، بل هي إجراء تقوم به هيئات رسمية بدون الرجوع للقضاء
- التدابير الوقائية تتصف بعموميتها
- التدابير الوقائية ما عدا المصادرة قابلة للإلغاء والتعديل والاستبدال، كما أن مبدأ حجية الشيء المقضى به لا تسري في مواجهة التدابير الوقائية (35،36،37،24)***

ومن خلال هذا العرض نجد أن التدابير الوقائية هي ذات طبيعة قضائية ، ولا بد من فرضها بموجب قرار قضائي ، أو حكم قضائي صادر عن المحكمة .

---

* بتصرف من موضوع نظام تقسيط العقوبة منشور على الرابط http://bohouti.blogspot.com/2015/04/blog-post_53.html

** انظر المزيد حول هذه الجزئية من البحث في المراجع التالية (35،36،37،38)

*** للمزيد حول هذه الجزئية من البحث انظر المراجع (39،38،40)

وهذا التصنيف أدعى إلى شرعيتها ، وعدم المبالغة في تطبيقها من قبل المؤسسات المشرفة على تنفيذ التدابير الاحترازية .

التدابير الوقائية في التشريع الجنائي الإسلامي

الطريق الأمثل والمنهج القويم للحماية من الوقوع في الجريمة هو تطبيق المنهج الوقائي الإسلامي وهو الوسيلة المثلى التي يتحقق بها الأمن والأمان للجميع.

وقد كان للشريعة الإسلامية قصب السبق في تقرير التدابير الوقائية، وأن السياسة الجنائية الإسلامية في مواجهتها للجريمة تقوم أولاً على المنهج الوقائي وأنها لا تلجأ لاستخدام العلاج إلا بعد أن تستنفد وسائل الوقاية".[41](1) *

مفهوم التَّدابير الوقائية في التشريع الجنائي الإسلامي

أدركتِ الشَّريعة الإسلاميَّة مفهوم الغرض الوقائي ففرقت بين الوضْع الذي يقدِم فيه الشخص على ارتِكاب الجريمة، فيخرج على القانون غيرَ عابئ بما يسبِّبُه خروجُه من أخطار، أو ما يُلْحِقه من أضْرار بالحقوق التي كفلتْها الشريعة، والوضْع الذي يكون فيه سلوك الفرْد أو ظروفه منطويًا على احتمالات انحرافِه عن الطريق القويم، وخروجه على أحكام الشريعة.

نتيجة لذلك جعلت الشريعة الإسلامية في الحالة الأولى العقوبة محدَّدة للشخص ، سواء كانت حدًّا أو تعزيرًا في حين جعلتْه تدبيرًا ليستْ له طبيعة الجزاء في الحالة الثانية؛ لأنَّها لا تواجه إجرامًا حقيقيًّا وإنَّما تُواجِه مظاهر إجراميَّة مبكِّرة، تهدف إلى الحيلولة دون نموِّها واكتمالها لتصبح إجرامًا كاملاً .**

الأساس الذي تقوم عليه التَّدابير في التَّشريع الجنائي الإسلامي

أساس التدابير الوقائية في الشريعة بوجه عام هي قاعدة سد الذرائع وسد الذرائع معناه الحيلولة دون الوصول إلى مفسدة إذا كانت النتيجة فساداً ؛لأن الفساد ممنوع [42] وهذا الحسم مادة وسائل الفساد، ومتى كان الفعل السالم في المفسدة وسيلة إلى المفسدة منعنا هذا الفعل، والإمام مالك هو فارس الميدا في العمل بسد الذرائع .[43]

1. صور للتدابير الوقائية العامة في الشريعة الإسلامية للحيلولة دون ارتِكاب الشَّخص للجريمة

- إتلاف المال الذي يؤدي للحرام : لذلك أمر الرَّسول – صلى الله عليه وسلم – بِكَسْر دِنان الخمر وشقِّ ظروفِها؛ حتى يحول دون ارتكاب المسلمين لجريمة شرب الخمر، وأمر عمرُ بن الخطاب وعلي بن أبي طالب بِحرق المكان الذي يُباع فيه الخمر لنفس السبب، والإجراءان من التَّدابير الوقائيَّة ذات الطَّبيعة الماليَّة التي تقوم على إتْلاف مالٍ للحيْلولة دون وقوع جرائم.

---

*جاء في الحديث (عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا .)رواه البخاري؛ كتاب الشركة؛ ج2؛ ص882.

** انظر بتصرف مقال : "التدابير الاحترازية والتشريع العقابي الإسلامي " من إعداد تامر عبدالفتاح متوفر على موقع http://www.alukah.net/ بتاريخ 2/2/200

- الوضْع تحت المراقبة : من التَّدابير الوقائية التي استحدثَها المسلمون: الوضْع تحت المراقبة.

2. صور للتدابير الوقائية الخاصة في الشريعة الإسلامية للحيلولة دون وقوع الجريمة

- المنع من الإقامة في البيت : من التدابير الوقائية إذا عرف عن شخص أنَّه فاسق يأوي إليه أهل الفِسْق والخمر، دون أن يكون قد أتى جرمًا يعاقب عليه، فإنَّه يُمنع من الإقامة في بيتِه كتدبير وقائي، وقد سُئِل مالك عن فاسق يأوي إليه أهلُ الفسق والخمر، ما يصنع به؟ قال: "يخرج من منزلِه وتكرى عليه الدار والبيوت، فلا تُباع لعلَّه يتوب فيرجع إلى منزله"، وقال ابن القاسم: "إنَّه ينصح مرَّة أو مرَّتين أو ثلاثًا، فإن لم ينتهِ أُخْرِج من الدار وأكريت عليه".

- منع اجتماع الصبيان بمن كان يتهم بالفاحشة : منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتماع الصبيان بمن كان يتهم بالفاحشة كتدبير احترازي شخصي قبل وقوع الجريمة وحرصا على مصلحة الصبيان ،لتوجيه جيل من النشئ نظيف، قوامه الأخلاق والفضائل. (44)

3. صور للتدابير الوقائية في الشريعة الإسلامية لحماية المجتمع المسلم

- الإبْعاد والمنع من الإقامة : من التدابير الوقائيَّة التي استحدثها الإسلام: الإبْعاد والمنع من الإقامة، فقد أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بنفْي بعض المخنَّثين من المدينة، كذلك نفى عمر بن الخطَّاب شابَّين بعد أن عرف أنَّ حُسْنَهما من شأنِه أن يُعَرِّضهما ويعرِّض النساء للوقوع في المحظور – أي: الجريمة – فقد رُوي أنَّه بينما كان عمر يقوم بجوْلَتِه الليليَّة، إذا به يسمعُ امرأةً تنشِد:

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا أَوْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ؟

فلمَّا أصبح، سأل عن المدعو نصر بن حجَّاج، فعرف أنَّه من بني سليم، فأرسل في طلبه، فجاء، فإذا شَعرُ رأسِه من أحسن ما رأى عمر، ووجهُه من أصبَح ما شاهد، فأمره أن يقصَّ شعرَه، ففعل، فخرجتْ جبهتُه، فإذا به يزدادُ حسْنًا، فأمره عمر أن يعتمَّ، ففعل فازدادَ حُسنًا، فقال عمر: "لا، والذي نفسي بيده، لا تجامعني بأرض أنا بِها"، وأمر له بِما يصلحه ونفاه إلى البصرة.

وقد قال الفتى لعمر: وما ذَنْبي يا أميرَ المؤمنين؟ فقال له: "لا ذنب لك، وإنَّما الذنب لي حيث لا أطهر دار الهجرة منك".*

---

* ورد خبر نفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصر بن الحجاج إلى البصرة لئلا تفتن به نساء أهل المدينة من طرق متعددة ، مختصرا ومطولا: فرواه ابن شبة في "تاريخ المدينة" (762/2) عن قتادة ، والخرائطي في "اعتلال القلوب" (2/ 392) ، وابن الجوزي في "ذم الهوى" (ص123) عن مُحَمَّد بْن الْجَهْمِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ , عَنْ أَبِيهِ , عَنْ جَدِّهِ به مطولا.

ورواه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (4/ 322) ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (62/ 21) عَنِ الشَّعْبِيِّ ، وابن سعد في "الطبقات" (216/3) عن عبد الله بن بريدة ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (62/ 23) عن محمد بن سيرين.

وملخص هذه القصة أن عُمَر بْن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَعُسُّ بِالْمَدِينَةِ فَسَمِعَ امْرَأَةً تَتَغَنَّى بِأَبْيَاتٍ تَقُولُ فِيهَا:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ** هل من سبيل إلى نصر بن حجاج فدَعَا بِهِ فَوَجَدَهُ شَابًّا حَسَنًا ، فَحَلَقَ رَأْسَهُ ، فَازْدَادَ جَمَالًا وملخص هذه القصة أن عُمَر بْن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَعُسُّ بِالْمَدِينَةِ فَسَمِعَ امْرَأَةً تَتَغَنَّى بِأَبْيَاتٍ تَقُولُ فِيهَا:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ** هل من سبيل إلى نصر بن حجاج فَدَعَا بِهِ فَوَجَدَهُ شَابًّا حَسَنًا ، فَحَلَقَ رَأْسَهُ ، فَازْدَادَ جَمَالًا فَنَفَاهُ إِلَى الْبَصْرَةِ لِئَلَّا تَفْتِنَ بِهِ النِّسَاءُ. ثمَّ إِنَّه بعث يطْلب الْقدوم إِلَى وَطنه ، وَيذكر ألا ذَنْب لَهُ فَأبى عَلَيْهِ ، وَقَالَ: أما وَأَنا حَيّ فَلَا. وذكر القصة غير واحد من أهل العلم ، منهم السمعاني في "الأنساب" (3/ 156) وشيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من "مجموع الفتاوى" : (552/11) ، (15/ 313) ، (109/28) ، (371/28) ، وابن القيم في "إعلام الموقعين" (4/ 284) ، والحافظ ابن حجر في "الإصابة" (6/ 382) ، وابن مفلح في "الآداب الشرعية" (3/ 132) ، وغيرهم من أهل العلم. وقال الدارقطني رحمه الله في "المؤتلف والمختلف" (4/ 2205):نَصْر بن الحَجَّاج يقال: هو ابن الحَجَّاج بن علاط السُّلَمِيّ , كان في أيام عُمَر بن الخَطَّاب , كان موصوفا بالجمال , وهو الذي يقال فيه: هل من سبيل إلى خمر فأشربها ** أم هل سبيل إلى نَصْر بن حَجَّاج انتهى. وذكر نحوه ابن عبد البر في "الاستيعاب" (326/1) ، وابن ماكولا في "الإكمال" (560/1) ، وابن الأثير في "أسد الغابة" (1/ 456) ، المصدر موقع الإسلام سؤال وجواب وينبغي الإشارة إلى أن في هذه القصة ما يشير لضعفها ومنها : هذا فيه إثبات أصل القصة دون ذكر نفي عمر لنصر بن حجاج ، وهذا منقطع وسحيم لا يعرف ، والبلاذري قد روى عظائم في أنساب الأشراف والله المستعان

وعليه فالقصة لا تصح فجميع طرقها واهية إلا طريق ابن بريدة وهو منقطع ، على اختلاف في متونها

كما أن هذه القصة مشهورة باستفاضة في كتب أهل العلم ، قد رويت من طرق متعددة ، ولكن لا يسلم طريق منها من مقال ، وأصح طرقها طريق عبد الله بن بريدة مرسلا ، ولكن انتشارها وذكرها في كتب أئمة المسلمين وحفاظهم العارفين بالتواريخ والسير ، مع ورودها من تلك الطرق المتعددة يدل على ثبوت أصلها.

وهكذا ترى أنَّ عمر بن الخطَّاب لم يعتبِر الفتى مذنبًا، وإنَّما اعتبره مصدرَ خطورةٍ على النساء وعلى نفسِه؛ لأنَّه بحسنه سوف يفسدهنَّ، وبإعجابهنَّ به سوف يفسدْنَه، فرأى أن يتَّخذ حياله تدبيرًا وقائيًّا أو احترازيًّا، يحول دون استفحال ضررِه وزيادة خطره.

وقد اتَّخذ عمر تدبيرًا مماثلاً ضدَّ ابنِ عمٍّ نصرٍ هذا، ويدعى "أبو ذئب" فنفاه إلى البصرة أيضًا. *، وممَّا يدل على أنَّ الفقهاء المسلمين أدْركوا طبيعة هذا التدبير وغيره، التي تَختلف بشكل واضح عن طبيعة العقوبة، سواء كانت حدًّا أم تعزيرًا – ما قاله السرخسي في "مبسوطه" أنَّ عمر فعل ذلك بطريقةِ المصلحة، لا بطريق الحدِّ أو العقاب، فالجمال لا يوجب النفْي، ولكن فعل ذلك للمصلحة. (45) ، وهو نفس الأساس الذي يقوم عليه نظام التَّدابير الوقائية في العصر الحديث، الذي يهدف إلى مصلحة الجماعة بوقايتِها من جرم محتمل وخطر متوقَّع، ومصلحة الفرد بالحيلولة دون صيرورته مجرمًا، وقد فعل عمر ما فعله ليحميَ المجتمع، وليحمي الشابَّين في آنٍ واحد ، كذلك فإنَّ ما فعله الشابَّان لا يُعَدُّ جريمة ولا يتضمَّن سلوكًا يعد جريمة، وإلاَّ لأوْقع عمرُ عليْهِما عقوبةً تتلاءم مع جُرْمِهما، كما فعل مع المدعو "جعدة" وهو من بني سليم أيضًا، واشتهر مثل قريبيْه بالحُسْن المفرِط، حين بلغه أنه ينتهز فرصةَ وجود الرِّجال في ميادين القتال، ويدخُل على النسوة اللائي غاب عنهنَّ أزواجُهُنَّ، فلمَّا جيء له به جلَده مائة جلدةٍ وهو مربوط، ونَهاه أن يدخل على امرأةٍ غاب عنها زوجُها، فكان عقابه في هذه الحالة على سبيل التعزير لا على سبيل التدبير؛ لأنَّه فعل ما يعد معصية، بعكس قريبيه اللَّذين سلف الحديث عنهما.

- **تدابير وقائيَّة واحترازية قال بها الفقهاء المسلمون**

منها إفساد ثياب المرأة بحبرٍ، ونحوه إذا كانت لا تستُر جسدها، كأن تكون قصيرة أو شفَّافة لا تخفي ما تحتَها؛ وذلك منعًا لها من إفساد الرجال من ناحية، ووقاية لها من أن تتعرَّض للغَواية بسبب سلوكها غير الصائب.

- التَّشهير : يلجأ لهذا التدبير في بعض الأحوال التي يوحي فيها مسلك الشخص باحتِمال إجرامه إذا كان التَّشهير لا يسيءُ إليه؛ وذلك كما فعل الرَّسول – صلى الله عليه وسلم – حين شكا له أحدُ صحابتِه ممَّا يلقاه من عدْوان جارِه عليه بِما يَخرج عمَّا أمرت به الشريعة، من التَّرابُط والتَّوادِّ والتَّراحم، فنصحه الرَّسول – صلى الله عليه وسلم – أن يُحاول إصلاحَ ما اعوجَّ من جارِه، وأن يُعالج نفس هذا الجار بالكلِمة الطيِّبة والموعظة الحسنة، ولكنَّ الجار الشرير مضى في غيِّه واستمرأَ عدوانَه، فعاد الصحابي يشكوه للرَّسول الذي أمره أن يعمِد إلى متاعِه، فيُخْرِجه من بيته ويضعه في الطَّريق العام، ونفَّذ الشاكي ما أشار به الرَّسول – صلى الله عليه وسلم – فلمَّا مرَّ النَّاس به وكانوا يعلمون عنْه كلَّ ما هو طيب وسار، سألوه عمَّا حلَّ به وجعله يترك بيتَه على هذه الصورة، أخبرهم بأمْرِ جاره السيئ واعتدائِه المستمرِّ عليه، فأخذوا يلعنونه، فلمَّا تناهت لعناتُهم إلى سمعه، خشي نبذَهم له وغضبَهم منه وضيقَهم به، فبادر إلى جارِه الطيِّب يسترْضيه ويرجوه أن يعود إلى دارِه، واعدًا إيَّاه ومتعهِّدًا له بألا يعود إلى سلوكه السيئ . *

---

* قال الحافظ رحمه الله : وَقَفْتُ فِي كِتَابِ الْمُغرِبِينَ لِأَبِي الْحسن الْمَدَائِنِي مِنْ طَرِيقِ الْوَلِيدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعَ عُمَرُ قَوْمًا يَقُولُونَ : أَبُو ذُؤَيْبٍ أَحْسَنُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَدَعَا بِهِ فَقَالَ : أَنْتَ لَعَمْرِي فَاخْرُجْ عَن الْمَدِينَة ، فَقَالَ إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنِي، فَإِلَى الْبَصْرَةِ حَيْثُ أَخْرَجْتَ يَا عُمَرُ نَصْرَ بْنَ حَجَّاجٍ . وَذَكَرَ قِصَّةَ نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ. " انتهى من" فتح الباري" (12/ 159-160)

** الحديث بصيغته رواه البخاري في الأدب المفرد والحاكم صححه وسكت عليه الذهبي وقال الألباني في تحقيقه الأدب المفرد حسن صحيح

هناك الكثير من التَّدابير الوقائية التي استحدثتْها الشريعة الإسلامية، ردا على من زعم أنَّ الشريعة الإسلامية لم تتضمَّن من النظام العقابي سوى بضْعِ عقوبات بدنيَّة قاسية، تطبَّق على مَن يرتكبون إحدى الجرائم المسمَّاة حدودًا، وأنَّ النظام الوقائي كما نعرفه الآن هو من ابتِكار الغرب وإبداعه ؟![25]

الخاتمة

يعتبر تعزيز منظومة الأمن في المجتمع ،ومكافحة الجريمة والحد منها من الأهداف التي تسعى إليها الدولة المهتمة ، ومؤسساتها المعنية بضبط السلوك الإجرامي عند الأفراد ، ومنها حق اللجوء إلى الإجراءات الوقائية كعقوبة بديلة عندما تكون العقوبات التقليدية غير قادرة على تحقيق الهدف المطلوب منها.

في ظل الحاجة للجوء لمثل هذه الأوضاع غير التقليدية ، والتي تعتبر استثناء ؛ فإن أحكام وقواعد الشريعة الإسلامية هي المرجعية العليا لجميع القوانين والتدابير في المجتمع الإسلامي، وفي ضوئها تَصدُر القوانين ، وتبعا لذلك فإن صدور العقوبات البديلة، ومنها الإجراءات الوقائية التي تصدر عن قضاة المحاكم تكون طبقًا لأحكام الشريعة الإسلامية ، المبنية في جزء منها على ظروف الجاني ، وطبيعة الجرائم ، وهذه جملة من النتائج والفوائد والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة أجملها في النقاط التالية:

النتائج

1. الالتزام بقواعد الشريعة الإسلامية في المجتمع الإسلامي يُحقِّق الأمن والأمان للبلاد والعباد.
2. التدابير الوقائية من الموضوعات المهمة في الفقه الجنائي الإسلامي ؛ نظراً لأهميتها في تحقيق العدالة الجنائية للأفراد .
3. التدابير الوقائية نوع من الإجراءات القضائية تتخذ في ظروف وأحوال خاصة .
4. تطبيق التدابير الوقائية لا يخالف مبادئ الشريعة الإسلامية ، ولا يخالف قواعد العدالة .

التوصيات

1. العمل على تفعيل تطبيق الإجراءات والتدابير الوقائية على مرتكبي الجرائم الصغيرة في الحالات التي يرجى لصاحبها العودة للطريق المستقيم .
2. العمل على تطبيق الإجراءات الوقائية كعقوبة بديلة في الحالات الجرمية التي يصبح تطبيق العقوبة على الأفراد المعنيين بها بدون فائدة.
3. جعل تطبيق التدابير والإجراءات الوقائية من خلال المحاكم المختصة منعاً للتوغل في تطبيقها من قبل الجهات الإدارية.
4. تقييم نوع الإجراءات الوقائية المطبقة على الأفراد أولاً بأول ، وذلك لاختلاف ظروف وأحوال الجناة .

المراجع

1. مجدي عقلان ، النظرية العامة للتدابير الوقائية ، رسالة دكتوراه ، عين شمس ، مصر 1983
2. محمود قرني ، النظرية العامة للتدابير الوقائية ، رسالة دكتوراه ، عين شمس ، مصر 1989
3. يسر أنور علي ، الأمر الجنائي ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، 1974
4. محمود نجيب حسني ، شرح قانون العقوبات؛ القسم العام ، ط5، دار النهضة العربية، القاهرة، 1982م
5. أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي علاء الدين ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج 2 دار الكتب العلمية 2003م
6. عبد القادر عودة ، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقوانين الوضعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2005م
7. سياسة التجريم في الشريعة الإسلامية والقانون المغربي منشور على الرابط http://www.startimes.com/f.aspx?t=32211897
8. محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله شرح مختصر خليل للخرشي دار الفكر للطباعة – بيروت
9. صحيح البخاري ، بيروت: دار الجيل(د.ت)
10. صحيح مسلم، بيروت، طبعة دار الكتب العلمية، ط1977م
11. سنن الترمذي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر 1975م
12. عوض الحسن النور، مبدأ الشرعية في الإسلام– القانون الجنائي الإسلامي السوداني– شرح القسم العام والحدود.
13. محمود محمود مصطفى ، شرح قانون العقوبات– القسم العام،ط10 ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م
14. عبد الفتاح مصطفى الصيفي ، الأحكام العامة للنظام الجزائي، مطبوعات جامعة الملك سعود الرياض 1415هـ
15. عبود سراج ، قانون العقوبات– القسم العام ، ط 10 منشورات جامعة دمشق، 2002م
16. عبد الرءوف مهدي ، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية ، دار النهضة العربية 2002 م
17. أحمد فتحي سرور ، الوسيط في قانون الإجراءات الجنائية ، ط7 ، دار النهضة العربية ، 1993
18. دور التدابير الوقائية في مكافحة الظاهرة الإجرامية ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية 2009م
19. رسالة ماجستير : دور التدابير الوقائية في ردع المجرم وحماية المجتمع ، للطالب نور الدين مناني 2011م
20. ابن منظور ، لسان العرب – دار صادر ، بيروت 2004م
21. ابن القيم الجوزية ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، دار الفكر ، بيروت ط1، 2003م
22. ابن الجوزي ، صيد الخاطر، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 2004م
23. سليمان عبد الله ، النظرية العامة للتدابير الاحترازية ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1996

24. بهنام رمسيس ، الكفاح ضد الإجرام، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1996
25. ماهية التدابير الاحترازية منشور على موقع http://www.startimes.com/?t=25494543
26. سليمان عبد الله ، شرح قانون العقوبات الجزائري(القسم العام)،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ت).
27. مأمون محمد سلامة ، قانون العقوبات(القسم العام)،دار الفكر العربي،القاهرة. 1985م
28. فوزية عبد الستار، مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب ،دار النهضة العربية، بيروت،1985
29. محمود نجيب حسني، علم الإجرام و علم العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة (د.ت)
30. التدابير الوقائية أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم إعداد الطالبة : تباني زواش ربيعة (د.ت)
31. التدابير الوقائية مقال كتبه د. أحمد لطفي السيد مرعي، أستاذ بكلية الأنظمة والعلوم السياسية – جامعة الملك سعود – قسم القانون الجنائي .
32. أحمد فتحي سرور ، الاختبار القضائي ، ط2 ، دار النهضة العربية ، 1969.
33. أحمد فتحي سرور نظام الاختبار القضائي في نظرية القانون وفي التشريع المصري ، مقدم لحلقة مكافحة الجريمة .
34. محمد المنجي ، الاختبار القضائي ، ط1، منشأة المعارف ، 1982.
35. السنتيسي المكي ، تدابير الوقاية في التشريع المغربي، دراسة تحليلية على ضوء أحكام القانون المقارن، بحث لنيل الدكتوراه في جامعة السويسي، كلية الحقوق، الرباط، 1968
36. مصطفى العوجي ، الاتجاهات الحديثة للوقاية من الجريمة، المركز العربي للدراسات والأبحاث الرياض، 1987.
37. ثروت جلال ، الظاهرة الإجرامية، دراسة في علم الإجرام، ، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية 1996
38. خليل أحمد ضياء الدين ، الجزاء الجنائي بين العقوبة والتدابير، دراسة تحليلية مقارنة للعقوبة والتدبير، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1993.
39. محمد سامي قرني، التدابير الوقائية في قوانين التشرد، الاشتباه، الأحداث، المكتبة القانونية، القاهرة (د.ت)
40. سالم عمر ، النظام القانوني للتدابير الوقائية، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995
41. أطروحة دكتوراة بعنوان التدابير الوقائية للحماية من الجريمة في الشريعة الإسلامية (دراسة مقارنة) أحمد صالح الطويلي (د.ت)
42. وهبة الزحيلي، ، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر– بيروت1986.
43. محمد أبو زهرة ، الإمام مالك حياته، عصره،دار الفكر العربي
44. ابن تيمية ، الحسبة ومسؤولية الحكومات الإسلامية، الطريق للنشر والتوزيع ، الجزائر
45. السرخسي، المبسوط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م

تمكين المرأة الإماراتية رؤية قيادة و استراتيجية دولة

Emirati women empowerment: Vision of State leadership and strategy of a State

***DR. Noura Nasir AlKarbi**
****Professor. Chiad Faisal**

*** أ. نورة ناصر الكربي**
**** أ.د.فيصل الشياد**

Abstract

The study highlights the efforts exerted to empower the Emirati women in all fields. It also tackled the current situation of Emirati women, highlighting the gains achieved and the available opportunities, also challenges and efforts to implement supportive policies for women's empowerment, assessing the implementation and determining the situation to keep pace with developments. In order to achieve these objects, a historical descriptive approach based on the study of reality has been applied through available data such as local and international official statistics on Emirati women under the reign of Sheikh Khalifa, The study was divided into several main axes, covering aspects of women's empowerment, the political, economic and educational empowerment, with the analysis of the gap between gender indicators according to the latest global report of the gender gap.
The most important results of the study:
In a parliamentary precedent that reflects the success of UAE women, Dr. Amal Al Qubaisi, First Vice President of the UAE Federal National Council, chaired the sixth session of the Council, she is considered as first elected woman, and that reflects the success of Emirati women and their active participation in decision-making and that comes in the context of the UAE government's keenness to advance and empower male and female citizens.
The experience of empowering women in the UAE is considered as a distinct experience compared to Arab countries and many foreign countries, according to national and cultural regulations. The UAE Constitution is considered as the primary reference and the main guarantor of women's rights.
The importance of educating women in supporting the empowerment process at all levels has been demonstrated. A strong relationship exists between the educational level of Emirati women and their participation in decision-making and participation in various activities
The study also reached several recommendations that would increase the Emirati women's political, economic and educational empowerment, meet the challenges ahead and chart the future of Emirati women.
Key words: Empowerment of Emirati women, (political, educational, health, economic) areas.

ملخص

جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على الجهود المبذولة في سبيل تمكين المرأة الإماراتية في كافة المجالات، وقد تناولت الوضع الراهن للمرأة الإماراتية، مع إظهار المكاسب والفرص المتاحة والتحديات والجهود المبذولة في إنفاذ السياسات الداعمة لتمكين المرأة، وصولاً لتقييم ما تم تنفيذه وبيان الموقف لتحديد المسار مواكبة للمستجدات وبلوغاً للأهداف المنشودة.. ولتحقيق هذه الأهداف تم تطبيق منهج وصفي تاريخي اعتمد على دراسة الواقع من خلال البيانات المتوفرة كالإحصائيات الرسمية المحلية والعالمية حول المرأة الإماراتية بعهد الشيخ خليفة رئيس الدولة – حفظه الله – وقد تم تقسيم الدراسة إلى عدة محاور أساسية، تغطي جوانب تمكين المرأة، وهي التمكين السياسي، الاقتصادي، التعليمي، مع تحليل مؤشرات الفجوة بين الجنسين وفق آخر تقرير عالمي للفجوة بين الجنسين.

ومن أهم نتائج الدراسة:

في سابقة برلمانية تعكس نجاح المرأة الإماراتية، ترأست الدكتورة أمل القبيسي النائبة الأولى لرئيس المجلس الوطني الاتحادي الإماراتي الجلسة السادسة للمجلس، وهي أول امرأة منتخبة، وهو ما يعكس نجاح المرأة الإماراتية ومشاركتها الفاعلة في صناعة القرار في إطار حرص الحكومة الإماراتية على التقدم والتمكين للمواطنين والمواطنات.

تعد تجربة تمكين المرأة في دولة الإمارات تجربة متميزة مقارنة بالدول العربية والكثير من الدول الأجنبية، وفق الضوابط الوطنية والثقافية. و يعد الدستور الإماراتي المرجعية الأساسية وأكبر ضامن لحقوق المرأة.

الأهمية البالغة لتعليم المرأة في دعم مسيرة التمكين على جميع المستويات، حيث تبين وجود علاقة قوية بين المستوى التعليمي للمرأة الإماراتية وبين مشاركتها في صياغة القرارات والمشاركة في مختلف الأنشطة.

كما توصلت الدراسة إلى عدة توصيات من شأنها زيادة تمكين المرأة الإماراتية سياسياً واقتصادياً وتعليمياً، ومواجهة التحديات القادمة، ورسم أفضل لمستقبل المرأة الإماراتية.

الكلمات الأساسية: تمكين المرأة الإماراتية، المجالات(السياسية، التعليمية، الصحية، الاقتصادية).

*PHD candidate, Faculty of Human, Social and Legal Sciences, University of Granada, Spain
**Assistant Professor, Faculty of Business Administration, University of Algiers, Algeria

[**البحث** الفائز بالمركز الأول في مجال الدراسات الاجتماعية بالمسابقة 33 لجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم]

*باحثة دكتوراه بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية بجامعة غرناطة– أسبانيا
** مساعد بكلية ادارة الأعمال بجامعة الجزائر– الجزائر

مقدمة

ازداد الاهتمام العالمي بالقضايا المتعلقة بالمرأة في جوانبها الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية، خلال الثلاثين سنة الماضية. ويرجع السبب إلى أن المرأة تمثل نصف سكان المجتمع في أغلب الدول، والاعتراف العالمي بالمساهمة الكبيرة التي تقدمها المرأة في المجتمع والسياسة والاقتصاد، ومن جانب آخر ارتفاع نسب ومعدلات تهميش المرأة وممارسة العنف ضدها والتمييز ضدها في مجالات الصحة والتعليم والعمل والمشاركة السياسية، وحرمان المرأة من كثير من حقوقها. أدت هذه الأسباب مجتمعة إلى وضع حقوق المرأة الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية، والثقافية في دائرة الاهتمام، فبعد أن كان يُنظر إلى تلك المواضيع على أنها مسائل هامشية في محيط اهتمامات حقوق الإنسان أصبح حضور كل حقوق المرأة (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية) أكثر وضوحاً.

إن قضية تمكين المرأة وتعزيز مشاركتها الفعالة في مختلف مجالات الحياة مازالت منقوصة بشكل ملحوظ في الدول العربية، ولم تحض باهتمام كبير على أجندة المسؤولين والحكومات بشكل عام، وذلك بسبب الواقع الاجتماعي والثقافي السائد ورسوخ النظرة الضيقة للمرأة. إلا أن قضايا تمكين المرأة متباينة من دولة عربية لأخرى.

وأما في الإمارات العربية المتحدة بقيادة حكامها جعل من تمكين المرأة وتفعيل دورها أحد أهدافه، لتكون قادرة على إحداث التغيير وإيجاد بيئة سياسية مواتية لتحقيق المساواة بين الجنسين في جميع نواحي التنمية الوطنية من خلال توقيع العديد من الاتفاقيات الدولية ومن بينها نجاح الاستراتيجية الوطنية لتقدم المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة التي تعتبر من أبرز المبادرات التي أطلقها الاتحاد النسائي العام لتقدم المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة عام 2002 ، ومع سباق التطوير الذي تشهده الدولة يعمل الاتحاد النسائي العام بقيادة رئيسته الشيخة فاطمة بنت مبارك على تقييم الاستراتيجية وتحديثها وتطويرها، ومتابعة تنفيذها بشكل دوري حتى يمكنهم من رفع سقف طموحات الدولة في مجال الارتقاء بوضع المرأة الإماراتية، وتلبية احتياجاتها بما يتناغم مع استراتيجية حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة والحكومات المحلية، وقد دشن سموها تزامناً مع الاحتفال بيوم المرأة العالمي، الاستراتيجية الوطنية لتمكين وريادة المرأة في دولة الإمارات 2015–2021 التي توفر إطاراً عاماً ومرجعياً وإرشادياً من أجل توفير حياة كريمة للمرأة لجعلها متمكنة، ريادية، مبادرة، تشارك في كل مجالات العملية التنموية المستدامة، بما يحقق جودة الحياة لها.

ولقد تعزز دور المرأة في الإمارات في الربع الأخير من القرن الماضي، واكتسب أبعاداً جديدة مع تطور دولة الإمارات، إذ حظيت المرأة بكل التشجيع والتأييد من قبل صاحب السمو رئيس الدولة، وإخوانه أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى حكام الإمارات، فقد قال سموه لحظة إعلان الاتحاد: "لا شيء يسعدني أكثر من رؤية المرأة الإماراتية تأخذ دورها في المجتمع وتحقق المكان اللائق بها.. يجب ألا يقف شيء في وجه مسيرة تقدمها، للنساء الحق مثل الرجال في أن يتبوأن أعلى المراكز، بما يتناسب مع قدراتهن ومؤهلاتهن".

وحدد الشيخ خليفة بن زايد، مرحلة التمكين بفتح المجالات كافة أمام المشاركة الشعبية لأبنائه المواطنين وبناته المواطنات بإعلان تفعيل دور المجلس الوطني الاتحادي، وتمكينه ليكون سلطة مساندة ومرشدة وداعمة للسلطة التنفيذية، وليكون أكبر قدرة وفاعلية والتصاقاً بقضايا الوطن وهموم المواطن لتترسخ قيم المشاركة الحقة ونهج الشورى من خلال مسار متدرج منظم يبدأ بتفعيل دوره عبر انتخاب نصف أعضائه.

كما ساهم الشيخ خليفة بدعم مختلف قضايا المرأة حيث دافع عن حقوقها وسعى في تحقيق المساواة بينها وبين الرجل، عبر تعزيز قوتها على الأرض، وأعطاها الحق بمنح أولادها الجنسيّة عند بلوغهم سن الرشد إذا كانت متزوجة من رجل من جنسيّة مختلفة، ودافع عن حقوقها وآمن بأنها جزء لا يتجزأ من المجتمع الإماراتي وأن مشاركتها في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أمر ضروري، كما شجع النساء على بلوغ مستويات تعليمية مرتفعة وغرس فيهم الطموح لأن المجتمع الإماراتي بحاجة إلى نساء مهندسات، محاميات، ونساء أعمال.

وبناءً على ما سبق، فإن الدراسة الحالية ستتناول واقع وإنجازات الشيخ خليفة لدعم مسيرة تمكين المرأة الإماراتية، من خلال استعراض المبادرات والقوانين والإنجازات المختلفة.

مسوغات الدراسة ومشكلتها

لا تزال جهود أكثر من عقد من السنين تتواصل لربط مفهوم التنمية البشرية بأبعاد أكثر تجسيداً للحقوق والحريات. وقد تم تطوير عدد من المقاييس والمؤشرات الهادفة لربط أي إنجاز تنموي بمقدار الحريات التي ينالها الإنسان، وبمدى أهليته وقدرته على التحرر من التمييز ومن القمع والتسلط السياسي والاقتصادي والتعليمي...

ومن بين أهم ما تم استهدافه في الآونة الأخيرة إدماج مؤشرات أكثر شمولاً وعمقاً لفئات لطالما كانت محل تهميش وإقصاء من طرف العديد من الدول. ولعل حقوق المرأة السياسية والاقتصادية والتعليمية من أهم تلك المؤشرات. وقد كان ذلك من أهم أسباب تركيز تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002 على البعد السياسي للتنمية البشرية، و مطالبته فتح الباب لتطوير أدلة قياس التنمية الإنسانية على المستوى العربي، وذلك بإدماج مقياس الحرية ومقياس تمكين النوع الاجتماعي ضمن المقاييس التي يجري تطويرها واستحداثها لهذا الغرض وقد أوضح ذلك التقرير ما أكدته أيضا التقارير الدولية للتنمية البشرية:أن عدم المساواة المرتبطة بنوع الجنس تصبح أمراً ممكن القياس كمياً، باستخدام أبعاد ثلاثة أساسية للتمكين، وهي:المشاركة في صنع القرار السياسي، والمشاركة في صنع القرار الاقتصادي ثم السيطرة على الموارد، وإدراج هذه الأبعاد سيجعلها أكثر مصداقية في التعبير عن خصوصيات وأبعاد التنمية البشرية الواقع العربي، الذي يعاني من عجز في الحريات وفي المعرفة وفي تمكين المرأة في بعض الدول العربية.

وفي الإمارات العربية المتحدة، لم تبق المرأة على هامش الاهتمامات الأولية والأساسية منذ قيام اتحاد الإمارات العربية المتحدة عام 1971، بل حظيت بعناية ودعم متصلين منذ تأسيس الدولة وقيام الاتحاد، إذ عزز الاتحاد بسياسات جديدة مكانة المرأة الإماراتية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وأسهم في الارتقاء بها لتتولى مناصب قيادية في الدولة تؤهلها لتكون شريكاً في مسيرة التنمية والتطور وبناء الدولة.

أدركت دولة الإمارات العربية المتحدة ضرورة توظيف كل عناصر المجتمع لتحقيق التطور والنهضة المرجوة من الاتحاد، كما أدركت في الآن ذاته أهمية الاستفادة من إمكانيات المرأة وقدراتها كعنصر اجتماعي فاعل قادر على تقديم الإضافة الايجابية في إطار بناء الدولة، لذلك أولت قيادة الدولة المرأة وقضاياها كل الرعاية والاهتمام كونها تشكل نصف المجتمع ووفّرت لها كل وسائل التعليم والتدريب والتأهيل لكي تكون شريكاً حقيقياً للرجل في المجتمع.

وأهمية الدراسة تكمن في دور المرأة المتزايد في جوانب الحياة السياسية والاقتصادية، وضرورة أن تؤدي دورها المنتظر، كأحد مقومات المجتمع المعاصر، وقد ازداد الاهتمام العالمي بقضايا حماية وتعزيز حقوق المرأة، والذي يتطلب حشد كافة الإمكانات المؤسساتية الحكومية وغير الحكومية للعمل على الارتقاء بحقوق المرأة وتمكينها في مختلف مجالات الحياة.

تنطلق الدراسة من أهمية دور المرأة في المجتمع، وسعي القيادات الإماراتية على دعمها وتمكينها، ولعل هذه الدراسة تسلط الضوء على أبرز الإنجازات التي تحققت في عهد الشيخ خليفة بن زايد، في الفترة 2005 إلى يومنا هذا. كما أن هناك حاجة ماسة للتوسع في الدراسات العلمية والشمولية عن تمكين المرأة الإماراتية، بهدف توفير نتائج تشكل دعماً لسياسات اتخاذ القرار ممثلة في السلطات التشريعية والتنفيذية، مما يصب في خدمة الأسرة على جميع المستويات.

أهداف الدراسة

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على الجهود المبذولة في سبيل تمكين المرأة الإماراتية في كافة المجالات، وذلك للفترة من العام 2005 إلى يومنا هذا، وتتناول هذه الدراسة الوضع الراهن للمرأة الإماراتية، مع إظهار المكاسب والفرص المتاحة والتحديات والجهود المبذولة في إنفاذ السياسات الداعمة لتمكين المرأة، وصولاً لتقييم ما تم تنفيذه وبيان الموقف لتحديد المسار مواكبة للمستجدات وبلوغاً للأهداف المنشودة.

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على جوانب ومظاهر التمكين في حياة المرأة الإماراتية في عهد الشيخ خليفة رئيس الدولة. ولتحقيق هذا الهدف تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية، تغطي جوانب تمكين المرأة، وهي التمكين السياسي، الاقتصادي، التعليمي، مع تحليل مؤشرات الفجوة بين الجنسين وفق آخر تقرير عالمي للفجوة بين الجنسين.

ومن بين **أهداف الدراسة الجزئية:**

- تحليل واقع مشاركة المرأة الإماراتية في الحياة السياسية، وتطورها عبر السنوات.
- تقييم دور المرأة الإماراتية في الجانب الاقتصادي،من حيث ريادة الأعمال و المقاولاتية.
- تحليل مؤشر الفجوة بين الجنسين وفقاً لتقرير المنتدى الاقتصادي العالمي في أبعاده الأربعة.
- إعطاء توصيات واقتراحات لتعزيز تمكين المرأة في الإمارات.

الأسئلة

يتمحور البحث حول موضوع أساسي هو تمكين المرأة الإماراتية، وعليه فستكون الإجابة على الأسئلة التالية محور عناصر الدراسة:

- ما هي البيئة التشريعية والقانونية التي خصتها دولة الإمارات للمرأة؟
- ما هو واقع مشاركة المرأة الإماراتية في الحياة السياسية ؟
- هل تشارك النساء الإماراتيات في الأعمال الاقتصادية والتجارية؟
- هل نالت المرأة الإماراتية نصيبا مساويا للرجل في التعليم والتعليم العالي؟
- كيف يمكن تعزيز واقع المرأة الإماراتية إلى الأفضل؟

مفهوم تمكين المرأة

يعد تناول موضوع المرأة ومكانتها ودورها في المجتمع، أحد أهم المسائل المطروحة قديماً وحديثاً، ومن بين أهم تلك الموضوعات التي تخص المرأة، قضية تمكينها في المجتمع حتى تؤدي دورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع، فماذا نقصد بتمكين المرأة في المجتمع؟

يمثل التمكين بناء القدرات الذاتية للأفراد ليصبحوا أكثر قدرة في حل مشكلاتهم وإشباع احتياجاتهم بالاعتماد على أنفسهم، وبالتالي فمفهوم التمكين يشير إلى استراتيجية تنمية قدرات الناس وبناء الوعي لديهم ليشاركوا في عمليات اتخاذ القرار.[1]

بما أن الإنسان يمثل محور العملية التنموية، ومنه فعملية التمكين تسعى إلى مساعدة الأفراد على اكتشاف ذاتهم ومهاراتهم من أجل تحسين نوعية حياتهم، بامتلاكهم القدرة، كأفراد، على اتخاذ قرارات استراتيجية تتعلق بحياتهم. ويرتبط مفهوم التمكين بعلاقات القوة مابين الرجال والنساء، وقدرة كل منهم على الوصول إلى المصادر والتحكم بها، أما أصل المصطلح في الإنجليزية Empowerment، فيرجع إلى كلمة power التي تعني القوة والسيطرة.[2]

والتمكين يعني حق المرأة في الاختيار واتخاذ القرارات في حياتها، والتأثير في محيطها بما يناسب ظروفها الخاصة وظروف مجتمعها المحلي، حيث يهدف منهج التمكين إلى تعزيز اعتماد النساء على أنفسهن.[3]

و يمكن توضيح مفهوم التمكين انطلاقاً من ارتباطه بالعملية التنموية بحسب الشكل التالي:

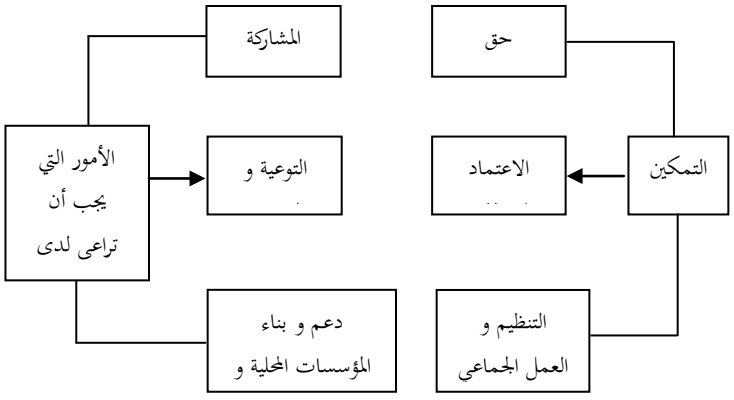

***المصدر**: الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، مبادئ توجيهية من أجل تعميم قضايا النوع الاجتماعي و تعزيز فعالية آليات النهوض بالمرأة، ص8.

يتضح لنا من خلال الشكل أعلاه،أن التمكين يؤدي دوراً مهماً من أجل إحداث التغيير في سياسات التنمية وبرامجها في الدول المتقدمة، وذلك عبر وضع سياسات لتمكين النساء والفقراء، والعمل على دعمهم من خلال إزالة العقبات القانونية التي
تقف أمام تقدمهم، وإفساح المجال أمام مؤسسات المجتمع المدني، وتوفير الدعم المالي والبشري لبرامج تنموية بديلة، تعنى بالخصوص بالنساء وتشاركهن في تنفيذها.[2]

أما التمكين السياسي فيعرف بأنه: "اتخاذ التدابير الكفيلة بوصول المرأة، على قدم المساواة مع الرجل، إلى الهياكل المنتخبة ومواقع القرار والمشاركة الكاملة فيها.[4] ولا يقصد بالتمكين المشاركة في النظم القائمة كما هي، بل العمل على تغييرها واستبدالها بنظم تسمح بمشاركة الجميع في الشأن العام وفي إدارة البلد[5]، وتشمل عملية التمكين السياسي مجموعة من الأنشطة التي يقوم بها الأفراد في المجتمع من أجل المساهمة في تحديد السياسات العامة واختيار المسئولين. وتعتبر المشاركة السياسية للمرأة مؤشراً على حالة الديمقراطية في المجتمع و درجة وعي النظام السياسي، وهي تعبير عن الجهود المبذولة للانتفاع بقدرات المرأة في مجال التنمية الوطنية على جميع مستوياتها. [6]

ويرتبط مفهوم التمكين السياسي للمرأة بحق الاشتراك الكامل للأفراد في تقرير مصيرهم، من خلال إتاحة الحرية السياسية، بالاعتماد على سيادة القانون،باعتبارها وسائط تمكن المرأة من المشاركة في صنع القرار، والاستفادة من التنمية،[7]والقضاء على كافة الممارسات والسلوكات التي تؤدي إلى استبعاد أو تقييد أو تهميش المرأة.

أما التمكين الاقتصادي للمرأة، فيشمل إزالة الحواجز أمامها وإشراكها في خطط التنمية الاقتصادية، لتحقيق معدلات عالية من النمو الاقتصادي، وزيادة فرص حصولها على العمل، والمساهمة في تقليل الفقر وتعزيز الناتج المحلي الإجمالي.*

ثانياً: البيئة التشريعية والقانونية الداعمة للمرأة الإماراتية

إن توفر البيئة التشريعية الداعمة للمرأة الإماراتية، كانت وراء الإنجازات التي حققتها المرأة في مختلف المجالات، فقد حرصت القيادة الحكيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة ممثلة في صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان على أن تتضمن تشريعاتها على نصوص تمييزية ضد المرأة.

وفيما يلي استعراض لبعض التشريعات والقوانين الداعمة لتمكين المرأة في الإمارات[8]:

1. المساواة بين الرجل والمرأة

حرصت دولة الإمارات العربية المتحدة ومنذ قيامها على المساواة بين الرجل والمرأة كقاعدة عامة، وهذا ما أكده دستور الدولة الذي ضمن للمرأة حقوقها كاملة، إضافة إلى مجموعة التشريعات والقوانين التي أضافت العديد من الحقوق للمرأة الإماراتية في مختلف المجالات، وذلك على النحو التالي:

نصت المادة 14 على: المساواة، والعدالة الاجتماعية، وتوفير الأمن والطمأنينة، وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين، من دعامات المجتمع، والتعاضد والتراحم صلة وثقى بينهم." وأشارت المادة 17 بأن: التعليم عامل أساسي لتقدم المجتمع .وهو إلزامي في مرحلته الابتدائية ومجاني في كل مراحله داخل الاتحاد .ويضع القانون الخطط اللازمة لنشر التعليم وتعميمه بدرجاته المختلفة، والقضاء على الأمية. أما المادة 19 نصت على:"يكفل المجتمع للمواطنين الرعاية الصحية، ووسائل الوقاية والعلاج من الأمراض والأوبئة، ويشجع على إنشاء المستشفيات والمستوصفات ودور العلاج العامة والخاصة."

وأوضحت المادة 20 عل أن المجتمع يقدر العمل كركن أساسي من أركان تقدمه .ويعمل على توفيره للمواطنين وتأهيلهم له .ويهيأ الظروف الملائمة لذلك بما يضعه من تشريعات تصون حقوق العمال ومصالح أرباب العمل، على ضوء التشريعات العمالية العالمية المتطورة.

كما أقر القانون الاتحادي رقم 11 لسنة 2008 بشأن الموارد البشرية في الحكومة الاتحادية، بحق المرأة في المساواة، فالمادة 32 من قانون العمل «تمنح المرأة الأجر المماثل لأجر الرجل إذا كانت تقوم بنفس العمل». كما ساوى القانون في الرواتب والأجور والعلاوات والبدلات فإنه كذلك ساوى بين الذكور والإناث في كافة إجراءات التوظيف في الوظائف العامة بدأ من التعيين حتى إنهاء الخدمة من حيث

*منظمة العمل الدولية، تمكين المرأة اجتماعياً واقتصادياً والمساواة بين الجنسين، الاجتماعي الاقليمي الافريقيالثاني عشر ، جنوب افريقيا، أكتوبر 2011

صرف مستحقات نهاية الخدمة أو المعاش التقاعدي[9] وأشارت المادة 25 على أن جميع الأفراد لدى القانون سواء، ولا تمييز بين مواطني الاتحاد بسبب الأصل أو الموطن أو العقيدة الدينية أو المركز الاجتماعي.بينما بينت المادة 26 على أن الحرية الشخصية مكفولة لجميع المواطنين. ولا يجوز القبض على أحد أو تفتيشه أو حجزه أو حبسه فلا وفق أحكام القانون، ولا يعرض أي إنسان للتعذيب أو المعاملة الإحاطة بالكرامة." والمادة 30 نصت على" :حرية الرأي والتعبير عنه بالقول والكتابة، وسائر وسائل التعبير مكفولة في حدود القانون."

والمادة 32 نصت على:"حرية القيام بشعائر الدين طبقاً للعادات المرعية مصونة،على ألا يخل ذلك بالنظام العام،أن ينافي الأدب العامة. أما المادة 34 فذكرت أن كل مواطن حر في اختيار عمله أو مهنته أو حرفته في حدود القانون، وبمراعاة التشريعات المنظمة لبعض هذه المهن والحرف .ولا يجوز فرض عمل إجباري على أحد إلا في الأحوال الاستثنائية التي ينص عليها القانون، وبشرط التعويض عنه، لا يجوز استبعاد أي إنسان. والمادة 35 نصت على:"باب الوظائف العامة مفتوح لجميع المواطنين، على أساس المساواة بينهم في الظروف، ووفقا لأحكام القانون، والوظائف العامة خدمة وطنية تناط بالقائمين بها، ويستهدف الموظف العام في أداء واجبات وظيفته المصلحة العامة وحدها."

وبهذا يتضح لنا أن دستور دولة الإمارات سمح للمرأة التمتع بكامل الحقوق التي يتمتع بها الرجل، كما صرح على بنود تؤكد مبدأ المساواة الاجتماعية، وأن للمرأة الحق الكامل في التعليم والعمل والوظائف مثلها مثل الرجل، كما تبنى الدستور كل ما نص عليه الإسلام في ما يخص حقوق المرأة ومسألة توريثها وتمليكها، وهو ما كان معمولاً به أصلاً قبل قيام الاتحاد، وجاء الدستور ليؤكده.*

2. احترام الطبيعة الفطرية للمرأة

راعت النصوص التشريعية في دولة الإمارات العربية المتحدة الطبيعة الفطرية للمرأة وخصوصيتها ومنحتها تمييزاً إيجابياً في عدد من القوانين مثل العمل، أصدرت دولة الإمارات العربية المتحدة القانون الاتحادي رقم 28 لسنة 2005 بشأن الأحوال الشخصية والذي احتوى على أحدث المعايير وأكثرها مرونة في مجال الأحوال الشخصية، ويسري القانون المذكور على جميع مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة ما لم تكن لغير المسلمين منهم أحكام خاصة بطائفتهم وملتهم، كما تسري أحكامه على غير المواطنين ما لم يتمسك أحدهم بتطبيق قانونه[9].

وأصدرت الدولة القانون الاتحادي رقم 51 لسنة 2006 في شأن مكافحة الاتجار بالبشر وتعد دولة الإمارات العربية المتحدة من أوائل الدول في المنطقة التي تقوم بإصدار تشريع في هذا المجال، مما يدل على حرص المشرع الإماراتي على التصدي لجرائم الاتجار بالبشر وصور الاستغلال المختلفة للبشر وبخاصة النساء والأطفال، فعرفت المادة الأولى من قانون الاتجار بالبشر بأنه « تجنيد أشخاص أو نقلهم أو ترحليهم أو استقبالهم بواسطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو التحايل أو الخداع أو إساءة استعمال السلطة أو إساءة استغلال حالة الضعف أو بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا لنيل موافقة شخص آخر لغرض الاستغلال، ويشمل الاستغلال جميع أشكال الاستغلال الجنسي أو استغلال دعارة الغير أو السخرة أو الخدمة قسراً أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق أو الاستعباد أو نزع الأعضاء » .**

في ديسمبر 2011، وبمناسبة احتفالات الدولة باليوم الوطني الأربعين ، أصدر صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة حفظه الله، أمراً للوزارات والدوائر الحكومية والجهات المختصة ذات الصلة، بأن تتم معاملة أبناء المواطنات المتزوجات من أجانب، أسوة بالمواطنين، كما يقضي الأمر بمنح أبناء المواطنات المتزوجات من أجانب الحق في التقدم للحصول على جنسية الدولة حال بلوغهم سن الثامنة عشرة. وبهذا القرار تعتبر الإمارات أول دولة خليجية تمنح أبناء المواطنة المتزوجة من غير المواطن، كافة الامتيازات.

---

* المرأة في الإمارات، إصدارات صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، على الرابط:http://www.sheikhmohammed.ae

** سحر حمزة، واقع المرأة الإماراتية في اليوم الوطني ال43 تمكين وانجاز، وكالة أخبار المرأة، دبي – الإمارات العربية المتحدة – ، على الرابط التالي:
http://wonews.net/ar/index.php?act=post&id=12493

وهذا الحق لا شك يسهم في تحقيق المزيد من المكاسب للمرأة الإماراتية ويعمل على تمكينها في مختلف المجالات المجتمعية.[10]*

وبالنسبة للتعليم نصت المادة 17 من القانون على أن:"التعليم عامل أساسي لتقدم المجتمع وهو إلزامي في مرحلته الابتدائية ومجاني في كل مراحله داخل الاتحاد". وقد نتج عن ذلك ارتفاع مستويات تعليم المرأة، في البرامج التعليمية المختلفة(التعليم العام، التعليم المسائي،برامج تعليم الكبار، الكليات الجامعية والتطبيقية...). وأشارت المادة 33 إلى حرية الاجتماع وتكوين الجمعيات في إطار احترام القوانين، مما ساعد على تكوين جمعيات نسائية ذات أنشطة ثقافية واجتماعية مختلفة تؤكد في النهاية ازدهار مسيرة الحركة النسائية.

وتدعم مختلف القوانين الصحية في الإمارات المرأة والطفولة، من خلال مجموعة من المواد القانونية التي تهدف إلى الحفاظ على الأسرة الإماراتية. حيث نصت المادة 15 على أن الأسرة هي أساس المجتمع وقوامها الدين والأخلاق وحب الوطن، وتم تدعيم هذه المادة القانونية بإصدار عدة قوانين ولوائح وتشريعات تهدف إلى تنظيم علاقات العمل وإنشاء الجمعيات النسائية ومراكز التنمية الأسرية وقوانين الضمان الاجتماعي. وفي المادة 16 تمت الإشارة إلى ضرورة رعاية الطفولة والأمومة وحماية القصر والأشخاص العاجزين.

تضمن قانون العمل الاتحادي في مادته رقم 27 على عدم تشغيل النساء ليلاً خلال الفترة من العاشرة مساء حتى السابعة صباحاً. وذلك بغرض حماية المرأة والأسرة الإماراتية. وتنص المادة 29 من نفس القانون على حظر تشغيل النساء في الأعمال الخطرة أو الشاقة أو الضارة صحياً أو أخلاقياً. وعلى الجانب الآخر فقد راعى القانون طبيعة المرأة وظروفها، وعدم إغفاله لأهم جوانب حياتها وهى الأمومة، فقد أعطى في مادته الثلاثين للمرأة العاملة حق الحصول على إجازة وضع بأجر كامل مدة خمسة وأربعين يوماً، وفي نفس الوقت فقد أعطاها القانون الحق بعد استنفادها لإجازة الوضع أن تنقطع عن العمل بدون أجر لمدة مائة يوم متصلة أو متقطعة ولا تحتسب من إجازتها الاعتيادية. كما نصت المادة 31 من قانون العمل على حق العاملة التي تضع طفلاً في فترتين للراحة يومياً مدة كل منهما نصف ساعة لإرضاع الطفل وذلك على مدى 18 شهراً من الولادة وتحتسب هاتان الفترتان من ساعات العمل ولا يترتب عليهما أي تخفيض في الأجر. وتنص المادة 32 على منح المرأة الأجر المماثل لأجر الرجل إذا كانت تقوم بذات العمل الذي يقوم به.[11]**

إن النجاحات والإنجازات التي حققتها المرأة الإماراتية في مختلف مواقع العمل الوطني هي ثمار مرحلة التمكين التي أطلقها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، والتي تهدف إلى تعميق مشاركة المواطنين والمواطنات في الشأن الوطني على المستويات كافة، و هي أيضاً نتيجة لجهد متميز وجبار ، من أجل تفعيل دور المرأة الإماراتية، والارتقاء بأوضاعها في المجالات كافة.

أبـــعاد تمكين المرأة في الإمارات

تتضمن الأبعاد الأساسية لتمكين المرأة النواحي الاقتصادية والسياسية والتعليمية، وأي خلل فيها يعتبر نقصا في جوانب تمكين المرأة، وعليه فسيشمل هذا الجزء تحليل واقع المرأة الإماراتية في المجالات السابقة.

أ. التمكين السياسي للمرأة الإماراتية

إن مشاركة المرأة في الحياة السياسية يمثل أحد أركان التحديث والتنمية السياسية في المجتمع، فالمشاركة السياسية حق من حقوق المواطنين في ممارسة أدوارهم في المجتمع عن طريق المساهمة في اتخاذ القرارات والتأثير على أعمال المسؤولين وقراراتهم. ومن أوجه المشاركة السياسية، التصويت في الانتخابات، أو الانتساب للمجالس المحلية والوطنية، وتشكيل جمعيات أو أية أشكال أخرى تدعم المشاركة في بناء الدولة على كافة مستوياتها.

وفي الإمارات العربية المتحدة، هناك قبول متزايد ودعم رسمي لمشاركة المرأة في الحياة السياسية، والبداية الأولى لانخراط المرأة في العمل السياسي والبرلماني كانت بقرار تاريخي من المغفور له القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في 2004،حين أمر رحمه الله بتعيين لبنى القاسمي وزيرة للاقتصاد والتجارة، لتكون بذلك أول امرأة إماراتية تشغل منصباً وزارياً.

وبعدها أعلن سمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة بمناسبة العيد الوطني للدولة عام 2005، بتفعيل ودعم عمل المجلس الوطني الاتحادي ليكون سلطة تشريعية فعلية مساندة للسلطة التنفيذية، وذلك من خلال زيادة صلاحياته وزيادة فترة عمله، وزيادة عدد

---

*http://www.alittihad.ae/

**http://www.alittihad.ae/details.php?id=101764&y=2011&article=full

أعضائه، وهنا فتح المجال أمام عضوية المرأة في المجلس وذلك من خلال زيادة عدد أعضاء المجلس.و كذلك فتح المجال أمام تولي المرأة لحقائب وزارية.[12]

ويشير الجدول التالي إلى طبيعة مهام المرأة في الإمارات وفق الآليات الوطنية المعنية بالنهوض بالمرأة، حسب دراسة الإسكوا.

جدول 1: الآليات الوطنية المعنية بالنهوض بالمرأة و طبيعة مهامها في الإمارات –2006

طبيعة المهام				
مهام سياسية	مهام تخطيطية	مهام تنفيذية	مهام إشرافية	مهام تأثير و ضغط
لا	نعم	نعم	نعم	لا

*الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، مبادئ توجيهية من أجل تعميم قضايا النوع الاجتماعي و تعزيز فعالية آليات النهوض بالمرأة، ص25.

أغلب المهام المنوطة بالمرأة حسب دراسة الإسكوا هي مهام تخطيطية وتنفيذية وإشرافية، وتبقى المهام السياسية ومهام التأثير قليلة جداً، والسبب يرجع لأن دخول المرأة الحياة السياسية كان في بدايته، لكنها الآن تشغل مناصب عليا في جميع قطاعات المجتمع:القضاء، والسلك الدبلوماسي، والشرطة، والجيش، والأعمال والتمويل.

ففي عام 2006، شهد مجتمع الإمارات تعزيزاً ملموساً للتمكين السياسي للمرأة، وذلك من خلال توليها مسؤولية حقيبتين وزاريتين. وفي خطوة عززت من موقع الإمارات في مصاف الدول المتقدمة في دعم مشاركة المرأة في الحياة السياسية والعمل البرلماني، تضمن مرسوم صاحب السمو رئيس الدولة رقم " 6 " لسنة 2007 بتشكيل المجلس الوطني الاتحادي للفصل التشريعي الرابع عشر تعيين ثماني نساء وكان قد تم انتخاب مرشحة واحدة لعضوية المجلس في التجربة الانتخابية الأولى التي شهدتها الدولة.

وتلا ذلك تعيين مريم الرومي وزيرة للشؤون الاجتماعية، ثم تعيين ريم الهاشمي والدكتورة ميثاء الهاشمي وزيرتي دولة وانتخاب أمل القبيسي كأول عضو نسائي في المجلس الوطني الاتحادي في 2008، ثم توالت القرارات التي عززت من شأن المرأة الإماراتية، وفق برنامج التمكين الذي أعلنه صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله.[13]* هكذا تتأكد قضية تمكين المرأة، باعتبارها مسؤولية الجميع في المجتمع، وكجزء من خطط الإصلاح والتطوير[14]. وفي عام 2011 فازت سبع نساء بعضوية المجلس الوطني الاتحادي بنسبة 17.5 في المائة. أمّا حكومة سنة 2013 فتضم أربع وزيرات :وزيرة للشؤون الاجتماعية، ووزيرة للتجارة الخارجية، ووزيرتا دولة.** وأعطت الحكومة الإماراتية أولوية لمشاركة المرأة في انتخابات المجلس الوطني الاتحادي في سبتمبر 2011 وفي مجالات أخرى، وشكلت النساء 46 في المائة من مجموع الناخبين، الذين عينهم حكام الولايات، و 18 في المائة من المرشحين لعضوية المجلس الوطني الاتحادي، وكانت هناك أربع نساء في مجلس الوزراء من أصل 22 وزيراً، اثنتان منهما في مناصب وزارية، وسبع نساء، إحداهن منتخبة، خدمن في المجلس الوطني الاتحادي. [15]

لقد توالت مشاركة المرأة في صنع القرار السياسي، مما يدل على رغبتها في صنع القرار والمشاركة السياسية؛ لأن المرأة سوف تصبح من خلال دورها السياسي قادرة على تمهيد الطريق لغيرها من النساء مستقبلاً. كما تشارك المرأة اليوم بفاعلية من خلال وجودها في الوزارات والهيئات الحكومية كافة. وقد تعززت المشاركة السياسية للمرأة بشكل لافت للانتباه في الانتخابات البرلمانية التي شهدتها الدولة في سبتمبر 2011، وذلك للدورة الخامسة عشرة للمجلس الوطني، حيث بلغ عدد المرشحات نحو 85 مرشحة.[16].

ويؤكد هذا تقرير التنمية البشرية لسنة 2014 الصادر عن الأمم المتحدة في دليل الفجوة بين الجنسين إلى أن النسبة التي تشغلها النساء وفق مؤشر المقاعد في المجالس النيابية قد بلغ 17.5% في الإمارات العربية المتحدة.[17]

وكدلائل وشهادات على أن المرأة الإماراتية خطت خطوات هامة في طريق تمكينها، أكدت عضوات المجلس الاستشاري في الشارقة أن المرأة الإماراتية تشغل في الوقت الراهن نحو 30% من الوظائف القيادية العليا المرتبطة باتخاذ القرار في الدولة، ونحو 10% من أعضاء

---

* http://www.alittihad.ae/details.php?id=112163&y=2013&article=full

** http://www.uaecabinet.ae/English/The%20Cabinet/Pages/CabinetMembers.aspx

السلك الدبلوماسي، وتشغل 9 مقاعد في المجلس الوطني الاتحادي والمجلس الاستشاري، كما أن المرأة الإماراتية تشغل حالياً 4 مناصب وزارية، وكذلك تم تعيين وكيلات نيابة وقاضيات وتعيين سفيرتين في السلك الدبلوماسي، وهذا خير دليل على أن الإمارات تخطو بثبات نحو إفساح المزيد من المجالات أمام المرأة.*

وقالت شذى المعلا مديرة إدارة الصحة العامة في بلدية الشارقة: لقد دعم صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله برامج وخطط التمكين السياسي للمرأة الإماراتية وفتح الآفاق الواسعة أمامها، ليكون لها دور حقيقي ومحوري في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية .

كما أوضحت كذلك عضوات المجلس الاستشاري أن الإمارات احتلت المرتبة الأولى في تمكين المرأة قيادياً وبرلمانياً، وفقاً للتقرير السنوي 2013 لمركز دراسات مشاركة المرأة التابع لمؤسسة المرأة العربية، الذي تم كشف النقاب عنه مؤخراً في العاصمة الفرنسية باريس، وهذه حقيقة تؤكد أن الإمارات تسير في خطوات واثقة وقوية في مجال تمكين المرأة.** وأشرن إلى أن من القرارات التي كانت إنسانية ودعمت ملف المرأة الإماراتية أيضاً، القرار الذي صدر مؤخراً من قبل صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله بمنح الجنسية 1117 من أبناء المواطنات الذين استوفوا الشروط اللازمة لاكتسابهم الجنسية، ثم صدر قبل أيام مرسوم بمنح الجنسية لـ 500 من أبناء المواطنات.

ويرجع السبب في هذه المكتسبات للمرأة الإماراتية، الدعم غير المتناهي من القيادة السياسية الإماراتية، متجسداً بوضوح في رئيس الدولة الشيخ خليفة بن زايد، الذي قال: "إن ما أتيح للمرأة من فرص ليس منة أو تفضلاً حكومياً، بل هي طبيعة الأشياء؛ فالإماراتية قبل أن تكون وزيرة ونائبة، كانت ومازالت أماً وربّة أسرة وامرأة عاملة ومستثمرة وطبيبة ومعلمة وشاعرة وأديبة وفاعلة اجتماعية..."

وأشار في مقام آخر قائلاً: «لقد حظيت المرأة خلال مسيرتنا بكل مساندة ودعم، وقد أثبتت التجربة أن المرأة الإماراتية قدر المسئولية في جميع المناصب التي تولتها، وإنني أدعو بناتي إلى التحلي بذات الاندفاع والثقة التي رافقت المرأة الإماراتية في ظل ما تحظى به من تشجيع وتأييد من قبل القيادة السياسية، وبما يتلاءم مع متطلبات تفعيل المشاركة والتنمية السياسية في الدولة.ومن أهم قرارات الشيخ خليفة هو انتخاب نصف أعضاء المجلس الوطني و تعيين النصف من النساء، من خلال مجالس محلية في كل إمارة،تقوم هذه المجالس بانتخاب نصف عدد ممثليها في المجلس ويعين حاكم الإمارة النصف الآخر،وذلك لتعزيز فرصة مشاركة المواطنين ذكورا وإناثا في العمل الوطني العام،و بذلك من أجل تمثيل المواطنين والاهتمام بهمومهم وقضاياهم.[18]

هذا يعني أن مكانة المرأة ودورها في المجتمع الإماراتي شهد تطوراً ملحوظاً تماشياً مع مسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة، وترجمة لرؤية قيادية وتوجيهات ودعم مستمرين من قبل صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، حيث قال:" لقد تجاوزنا في دولة الإمارات التمييز بين المرأة والرجل، فالمعيار هو الكفاءة، والقدرة، والتميز، ونحن فخورون بما أنجزنا".[19] وتجاوز التمييز بين الجنسين تجسد أيضاً من خلال الانضمام إلى **اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة** وإبرام تسع اتفاقيات دولية حول تنظيم ساعات العمل وتساوي الأجر والامتيازات الأخرى وسن التشريعات والقوانين التي توفر الحماية القانونية للمرأة وتعاقب كل من يتعدى بالعنف ضد المرأة ويأتي قانون مكافحة الاتجار بالبشر في مقدمة هذه القوانين.[20]

---

*ميادرات نسائية: ابنة الإمارات حققت بدعم القيادة مكتسبات عديدة ،جريدة الاتحاد – الإثنين02ديسمبر2013 على الرابط:
http://www.alittihad.ae/details.php?id=112163&y=2013&article=full

** نفس المرجع

استفادت المرأة الإماراتية أيضاً، من الدعم الدستوري والسياسي والمجتمعي، فحققت عدة مكاسب، إضافية نذكر بعضا منها[21]

- تشغل النساء الإماراتيات 22.5% من مقاعد المجلس الوطني الاتحادي إضافة إلى 10% من عضوية السلك الدبلوماسي، في حين تشغل نسبة 30% وظائف قيادية مرتبطة باتخاذ القرار و66% من الوظائف بالقطاع الحكومي.
- تشمل الحكومة الاتحادية الحالية أربع نساء ضمن عضوية مجلس الوزراء.
- قامت شرطة أبو ظبي لأول مرة بتدريب 32 من المواطنات للعمل في قوات الأمن الخاصة.
- في أكتوبر 2008، أدت القسم أول امرأة مواطنة لتعمل في مجال القضاء.
- هناك أربع نساء يعملن في وظيفة قائد مقاتلات حربية، كأول دفعة من المواطنات يلتحقن بالقوات المسلحة بهذه الصفة.
- تم تسليم جائزة لعضوات المجلس الوطني الاتحادي لدولة الإمارات العربية المتحدة من قبل البرلمان الأوربي ومنظمة النساء البرلمانيات العالمية لحصول دولة الإمارات على المرتبة الأولى عربياً في جسر الفجوة بين الجنسين، وتحقيق المرتبة الأولى في المساواة بين الجنسين.[19]
- احتلت المرتبة الأولى عربياً في تمكين المرأة قيادياً وبرلمانياً وفق التقرير السنوي لسنة 2013 لمركز دراسات المرأة التابع لمؤسسة المرأة العربية. وتم أيضاً انتخاب الإمارات كعضو في المجلس التنفيذي للأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، لمدة ثلاث سنوات تنتهي بنهاية سنة 2015.

كما تجدر الإشارة إلى الدور الكبير والإنجازات التي حققها الاتحاد النسائي العام، حيث قام هذا الاتحاد ببذل الجهود في مجال تعديل التشريعات،و تحسين ظروف المرأة العاملة، و وضع البرامج والمشاريع القادرة على التأثير في السياسات والوقائع خاصة وأن صانعي القرار على صلة وثيقة بهذا الاتحاد، و التوقيع على اتفاقيات دولية و التواصل الوثيق مع المنظمات العربية الأخرى التي تعنى بشؤون المرأة، وبذل الكثير من الجهود على المستوى المحلي بغية النهوض بالمرأة. وقد عبر التقرير العربي الموحد حول تنفيذ منهاج عمل بيجين:+15 عن الإنجازات الكبيرة التي حققها الاتحاد في هذا المجال.[22]

نشير في الأخير إلى أن الواقع السياسي للمرأة الإماراتية شهد عدة مكاسب وإنجازات متميزة في إطار برنامج وخطط التمكين السياسي الذي يقوده صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، وأصبحت تتبوأ اليوم أعلى المناصب في جميع المجالات وتسهم بفعالية في قيادة مسيرة التنمية والتطوير والتحديث من خلال مشاركتها في السلطات السيادية الثلاث و مختلف المواقع القيادية في اتخاذ القرار.[12]

ب. تمكين المرأة في التعليم

يقاس تطور أي دولة بمدى التقدم المحقق في مجال التعليم، فهو عامل مؤثر في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولم يعد التعليم هدفاً ثانوياً، وإنما يدخل في صلب الأهداف الاستراتيجية للحكومات والدول، وبوصف التعليم أحد المرتكزات الأساسية التي تسهم في تمكين المرأة، فإن عدم المساواة في مجال التعليم، يحول دون مشاركة المرأة في إدارة شؤون بلادها بفعالية، ويجعل مشاركتها السياسية والاقتصادية من الأمور بالغة الصعوبة.[23]

ويرتبط تمكين المرأة بعدة مجالات، أهمها التعليم، فالتعليم يعد مرتكزاً أساسياً لتمكين المرأة، فهو يساعدها على امتلاك القابلية للتأثير والشعور بالذات، بينما عدم المساواة في مجال التعليم يعد انتقاصاً من حقوق المرأة، وعائقاً أمام تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية.[24]

وفي هذا الإطار أولت الإمارات العربية المتحدة اهتماماً كبيراً بقضية التعليم، ومن أبرز نتائج جهود الدولة باتجاه دعم دور المرأة التوسع الكبير في تعليمها، إذ نجحت التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة في خلق سياق عام مشجع لتعليم المرأة.[21] حيث بذلت الإمارات جهوداً مضنية للقضاء على الأمية وتحقيق المساواة بين الجنسين من حيث معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة للبالغين والشباب، وبفضل تلك الجهود بلغ المؤشر (معدل القراءة والكتابة) لدى النساء اللاتي تزيد أعمارهن عن 15 سنة والشباب من الفئة العمرية (15–24) من الإناث نحو 93% و 97% في عام 2005 على التوالي. [14]

وارتفع عدد المدارس الحكومية والخاصة في العام الدراسي 2007/ 2008 إلى 1259 مدرسة حكومية وخاصة من بينها 759 مدرسة حكومية و 500 مدرسة خاصة، تضم في صفوفها أكثر من 648 ألف طالب وطالبة في مختلف المراحل التعليمية، كما بلغ المعدل العام

للالتحاق بالمدارس الابتدائية 98 % للذكور و 95 % للإناث وانخفضت نسبة الأمية لتبلغ أقل من 5% بفضل مراكز محو الأمية وتعليم الكبار[14]. كما حرصت الدولة على تعزيز التعليم ومحو الأمية الرقمية خصوصاً باعتبارها التحدي الأكبر في مرحلة تعتبر حاسمة للتوجهات المعتمدة على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

وتشجع القوانين المعتمدة في الدولة الفتاة الإماراتية على طرق أول أبواب التمكين من خلال ضمان حق التعليم لها وتوفير الظروف الملائمة لتنعم بهذا الحق وبلغت نسبة الإناث مقارنة بالذكور في مستويات التعليم المختلفة أرقاماً مرتفعة تعتبر من أعلى نسب التعليم في العالم حسب إحصائيات سنة 2013، كما أن الإناث يمثلن نحو 53 % والذكور 42 % من المسجلين في منظومة التعليم قبل الجامعي أي أن نسبة الإناث إلى الذكور بلغت 112 بالمائة وأن نسبة الأمية بين صفوف المرأة أقل من 1 بالمائة.

وفي ظل إستراتيجية الإمارات الرامية إلى خلق مجتمع المعرفة، وما توليه حكومة الإمارات من اهتمام بتنمية مواردها البشرية، وفي مقدمة ذلك توفير فرص تعليم للإناث والذكور، حققت المرأة الإماراتية تقدماً نوعياً على صعيد مشاركتها في العملية التعليمية، مما انعكس إيجاباً على معدلات تعليم المرأة ووصولها في المراحل التعليمية العليا لنسب مرتفعة، تفوق مشاركة الذكور كما يتضح من الشكل التالي :

شكل 2 : نسبة الإناث إلى الذكور في المستويات التعليمية المختلفة

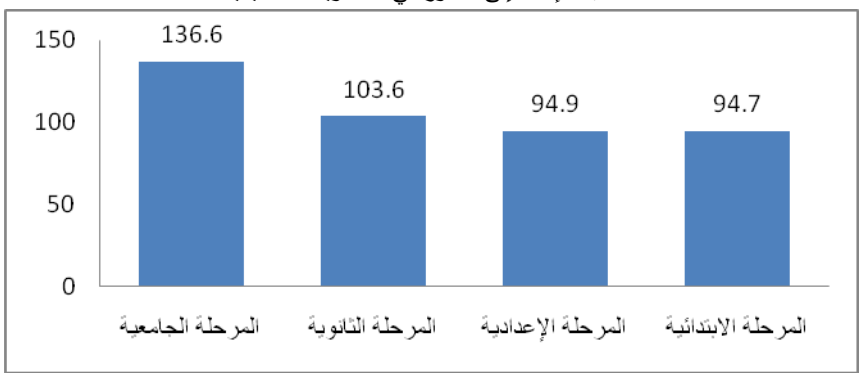

*المصدر: وزارة التربية والتعليم.

بلغت نسبة الإناث إلى الذكور في التعليم الجامعي إلى نحو 136.6%، إلى جانب ذلك وصلت نسبة الإناث إلى الذكور في التعليم الثانوي في الدولة إلى نحو 103.6% للعام الدراسي 2011 – 2012، وهي من أعلى النسب في العالم، ويعود السبب في ذلك إلى تشجيع الدولة والأسر على تعليم الفتيات، بالإضافة لبعض العوامل الأخرى التي أسهمت في تقدم تعليم الفتيات الإماراتيات. تشكل الطالبات أكثر من 70 % من طلاب الجامعات، ويحظر القانون الاتحادي التعليم المختلط في المدارس والجامعات الحكومية، باستثناء برنامج الماجستير التنفيذي في إدارة الأعمال بجامعة الإمارات العربية المتحدة وفي بعض برامج الدراسات العليا في جامعة زايد. وكان التعليم في عدد كبير من المدارس الخاصة والجامعات الخاصة مختلطاً.[25] وتشير الإحصاءات إلى أن المرأة في الإمارات تقبل على دراسة الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والإحصاءات تشير إلى مكاسب متقدمة حققتها المرأة الإماراتية في مجال التكنولوجيا حيث أخذت المرأة في التواصل مع الكمبيوتر في محيط الدراسة والعمل سواء الحكومي أو الخاص، وبالنظر إلى عدد الخريجات خلال السنوات الماضية يتضح أن أعداد الإناث في زيادة مستمرة مقارنة بأقرانهم من الذكور،وهذا يعكس استعداد حقيقي للإناث للاستفادة من الفرص المتاحة في التعليم وتحول واضح لديهن نحو تخصص يتيح لهن فرص أفضل في سوق العمل يعتمد على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.[26]

وتشير المهندسة فاطمة عبيد الجابر، رئيسة المجلس التنفيذي لمجلس سيدات أعمال أبوظبي في كلمة ألقتها بمناسبة يوم المرأة العالمي: «في ما يتعلق بالتعليم، لم تكن أية امرأة تذهب إلى المدرسة قبل 40% عاماً مضت، بينما تعتبر نسبة الخريجات الجامعيات على مستوى الدولة الأعلى في العالم».[27] وهو ما يؤكد دور وأهمية التعليم في تمكين المرأة، والإنجازات المحققة في الإمارات. وبلغة الأرقام فالمرأة الإماراتية تشكل نحو 50 % من إجمالي الدارسين في الجامعات والمعاهد الخاصة وتبلغ نسبة الإناث في مراحل التعليم بعد الجامعي "الماجستير والدكتوراه "نحو 62 % في الجامعات الحكومية 43% في الجامعات والمعاهد الخاصة أي أن نسبة الإناث بين المسجلين في منظومة التعليم الجامعي خلال العقدين الماضيين بلغت قياسا إلى الذكور نحو 144% هذه الأرقام تؤكد مساعي دولة الإمارات إلى تعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة بإزالة الفوارق بين الجنسين في جميع مراحل التعليم وهو ما أثبته تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي في

الفجوة العالمية بين الجنسين الذي أظهر وجود فجوة بمقدار 1 % فقط بين الجنسين في مجال التحصيل العلمي، ما يضع الإمارات من بين أكثر دول العالم نشاطا في سد الفجوة بين الجنسين.[28] وكنتيجة لبلوغ المرأة مستويات تعليمية مرتفعة فقد دخلت سوق العمل وأصبحت تشكل نحو 60 % من العمالة المواطنة في دولة الإمارات،[16]

إن كثيراً من النساء الإماراتيات أثّرن في مجتمعهن بطرق متعددة، فقد أشاد التقرير الخاص ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائي لعام 2007 حول الأهداف الإنمائية للألفية، بالنتيجة الإيجابية لسياسات دولة الإمارات الرامية إلى تحقيق أهداف محددة في عدد من المجالات، بما فيها تمكين المرأة، كما اهتم بالتشريعات القانونية التي تحمي المرأة من التمييز الجنسي والنوعي في مجالات التعليم والتوظيف والخدمات الضرورية. و تظهر المؤشرات التعليمية في التقرير أن إنجازات المرأة في التعليم قد وصلت إلى مستوياتها المستهدفة، بل وتجاوزت الرجل في بعض الحالات، كما هي الحال في مجال التعليم العالي مثلاً، نتيجة لرغبة المرأة في أن تصبح مستقلة مادياً وناجحة مهنياً. يوضح التقرير أيضاً أنه بالإضافة إلى النمو الاقتصادي، فقد حققت المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة مشاركة إيجابية في المجال الاجتماعي وفقاً لمؤشر التنمية البشرية الخاص ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، فقد احتلت المرأة الإماراتية المرتبة الأولى عربياً في مقياس تمكين المرأة.[16]

إن تعليم المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة يمثل أحد أهم الإنجازات التي تم تحقيقها في ظل الدولة الاتحادية، فالتعليم ومحو الأمية حقوق أقرها دستور دولة الإمارات العربية المتحدة لمواطنيه، دون النظر إلى الجنس أو العمر أو مكان الإقامة، وذلك تماشياً مع مبدأ تكافؤ الفرص بين الذكور والإناث. لذا كان الاهتمام بتعليم المرأة ليس من منطلق أنها تشكل نصف المجتمع فقط، بل لأن تعليمها سيكون له قيمة مضافة يظهر نتاجه على توفير الأسس السليمة للتنشئة الاجتماعية للأسرة والأبناء ومن ثم المجتمع بأسره، وعلى المشاركة في قوة العمل من خلال مخرجات التعليم التي تسهم في البناء والتطوير[29]

حرصت المرأة الإماراتية على الاستفادة من الفرص التعليمية التي توفرها الحكومة، وجعلت من التعليم أداة للتمكين الذاتي من جهة، والمساهمة الفاعلة في بناء مجتمعها من جهةٍ أخرى، فأعداد الإناث اللاتي يلتحقن بالمدارس ويواصلن مسيرتهن التعليمية وصولاً إلى مؤسسات التعليم العالي والدراسات العليا في زيادة مطردة، ووفقاً للإحصاءات الرسمية فقد بلغت معدلات التعليم بين المواطنات نسباً مرتفعة،كما يمكن إدراك التفوق العددي الواضح للإناث على الذكور في جميع مستويات ودرجات التعليم.

وفي إطار تطوير التعليم ودعم البحث العلمي، أسس الشيخ خليفة بن زايد "جامعة خليفة للعلوم والتكنولوجيا والبحوث"، التي تسعى إلى أن تكون جامعة أبحاث معترفاً بها دولياً، تحصد سمعة عالمية ومستوى عالياً من التعليم والبحوث، كما أنها متعددة التخصصات والتقاليد وهي في تعاون مع المؤسسات الأكاديمية الرائدة من مختلف أنحاء العالم، كما أسس الشيخ خليفة "جائزة خليفة التربوية" التي تطال كافة المجالات التعليمية في دولة الإمارات والعالم العربي.

إن معظم المنظمات العالمية تشهد بما قدمته الإمارات العربية المتحدة للمرأة، حيث حصلت الدولة على المركز الأول عربياً في مؤشر الفجوة بين الجنسين لعام 2013 الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي، كما تبوأت الدولة المرتبة الأولى عالمياً، وبالمشاركة مع عدة دول أخرى في المساواة بين الذكور والإناث في مجال التعليم، وهذا يعتبر تتويجاً للجهود الكبيرة والدور العظيم الذي توليه الدولة للنهوض بمكانة المرأة. وفي تقرير للمركز الوطني للإحصاء، ذكر أن نسبة الإناث في التعليم الجامعي وصلت إلى مستويات عالية فاقت 140 % وهي من أعلى النسب في العالم، الأمر الذي عزاه التقرير إلى تشجيع الدولة والأسر على تعليم الفتيات.[30]* ويشير تقرير التنمية البشرية لسنة 2014 الصادر عن الأمم المتحدة في دليل الفجوة بين الجنسين إلى أن :السكان الحاصلين على جزء من التعليم الثانوي في الفئة العمرية 25 سنة فما فوق يقدر ب 73.1% لدى الإناث، و61.3% لدى الذكور.[17]

إن جهود الإمارات في مجال تعليم المرأة وتنمية ثقافتها لم تقف عند حد التعليم النظامي،بل ساهمت المؤسسات الأهلية غير الحكومية وأبرزها الجمعيات والاتحادات النسائية، في تثقيف وتوعية المرأة، وتوفير نظام التعليم عن بعد للنساء في المنازل، والسعي من خلال برامج

---

* http://www.mohamoon-uae.com/default.aspx?action=DisplayNews&type=1&id=21673&Catid=3181

متنوعة إلى إكساب المرأة المهارات اللازمة في مجالات الحاسب الآلي،والسكرتارية وغيرها من المهارات الحرفية التي تجعل المرأة عنصراً فعالاً في خطط التنمية.*

كما تسهم جمعيات إحياء التراث وأندية الفتيات، ومركز جمعة الماجد، وجمعية المعلمين، وغيرها في تحقيق وتنفيذ برامج محو الأمية وتعليم الكبار[29]، وقد حققت الإمارات تقدماً ملحوظاً في تعليم الإناث والمساواة بين الجنسين، حيث وصلت معدلات التحاق البنات بالتعليم الثانوي إلى 100 % عام 2007.

وأخيراً، أمكن القول أن المرأة الإماراتية نجحت في إبراز قدراتها التنموية في مجالات متعددة، قد يكون أبرزها التعليم، واستمر دورها الطليعي في التبلور حتى أصبحت اليوم فاعلاً رئيسياً في مجالات الحياة المتعددة، مستفيدة من فرص التعليم المتاحة، والدعم والتشجيع من طرف رئيس الدولة والحكومة لبلوغ وتحقيق مرتبة عالية من النجاح.

ج. التمكين الاقتصادي للمرأة في الإمارات

قبل التطرق إلى واقع تمكين المرأة اقتصادياً في الإمارات، نشير إلى الدور المتزايد الذي أصبحت توليه دول العالم لتعزيز دور المرأة في الاقتصاد العالمي، حيث نشرت شركة "بوز أند كومباني"Booz and Company سنة 2012، تقريراً يشير إلى أنه خلال العقد التالي، ستدخل مليار امرأة سوق العمل، وستؤثرن على الاقتصاد العالمي بشكل كبير، توازي تأثير سكان الهند والصين البالغ أكثر من مليار شخص. وتتطرّق الدراسة إلى ما يمكن أن تفعله الحكومات، والشركات، والمستثمرون والمنظمات غير الحكومية، لضمانة أن تدخل هؤلاء النساء سوق العمل.

بالرغم من أنّ المؤشرات التي ترصد دور المرأة في سوق العمل لا تعتبر هامة إن لم تشمل القطاع غير الرسمي، فقد أظهر التقرير أنّ النساء تتولى مناصب قيادية في 20% فقط من شركات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، مقارنة مع 32% في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD و39% في أميركيا اللاتينية والكاريبي. 9% فقط من نساء المنطقة العربية تؤسّسن شركاتهنّ الخاصة والنسبة هي 19% عند الرجال.[31]** وبهدف تقييم كيف تستطيع المنظمات والشركات من كافة دول العالم من تمكين النساء بشكل أفضل، صنّف التقرير البلدان استنادًا إلى مؤشّر "المليار الثالث" THIRD BILLION INDEX (المؤلف من عدد النساء اللواتي سيدخلن سوق العمل وعدد السكان في الصين والهند). ويقيس هذا المؤشر فعالية البلدان في تمكين النساء وعلى مستوى دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد أدركت أن الشركات الناشئة و المقاولاتية هي إحدى الدعائم الأساسية لتحقيق النمو الاقتصادي وإيجاد فرص العمل، حيث تعتبر سياسة الدولة أن **ريادة الأعمال والمقاولاتية** تجسيد لروح الإبداع والابتكار وخلق الثروة في الدول، ومن ثم عملت الإمارات على تعزيز هذه المفاهيم بين المواطنين.

فأول ما بدأت به هو ترسيخ ثقافة **المقاولاتية** ودعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة حتى يتم بناء اقتصاد قائم على المعرفة، و وضعت في سبيل ذلك خططاً للتنمية ورؤى استراتيجية طموحة مثل: رؤية الإمارات 2021، رؤية دبي 2015، رؤية أبوظبي 2030.ومن الخطوات العملية المهمة التي أطلقتها الإمارات بهدف تنمية رواد الأعمال المواطنين ورعايتهم، تدشين صندوق خليفة لتطوير المشاريع في سنة 2007[32]، قصد تعزيز ثقافة المقاولاتية وترقية آثار المقاولين على النمو الاقتصادي في الإمارات لكي تصبح دولة ذات اقتصاد معرفي، ومن أجل تحقيق هذه الرؤية وضع صندوق خليفة لتطوير المشاريع عدة دعائم يبني عليها رؤيته الخاصة لترقية بيئة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة. تمثلت في :

- توفير بيئة أعمال مناسبة.
- توفير الخدمات والدعم للمؤسسات.
- إمكانية الوصول إلى التمويل.
- إمكانية الوصول إلى المعلومة.

---

*إدارة البحوث والدراسات،الإتحاد النسائي،المرأة والتعليم، ص6.

** http://ar.wamda.com/ [1] موقع ومضة بتاريخ 12 سبتمبر 2015

وتتمثل الأدوار الأربعة الأساسية لصندوق خليفة لتطوير المشاريع في: ترقية المقاولاتية،تقديم خدمات مالية، دعم المؤسسات، حاضنات الأعمال.[33] وأكبر التحديات في جوانب الابتكار والموارد البشرية التي يعمل صندوق خليفة لتطوير المشاريع على مواجهتها تتمثل في:

- تدعيم تطبيقات ومنتجات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
- تعزيز كفاءة الموارد البشرية في المجالات التقنية.
- العمل على زيادة نواتج الابتكار والبحث العلمي.
- زيادة عدد المقاولين ونشر ثقافة المقاولاتية.

ويعتبر صندوق خليفة لتطوير مشاريع الشباب، أن حاضنات الأعمال تمثل المفتاح الأساسي لدعم رؤية الإمارات 2030 من أجل الابتكار وسياسة العلوم والتكنولوجيا. وقد ساهم الصندوق في :تدريب أكثر من 4618 مقدم طلب، وتم القيام بحوالي 343 دورة تدريبية،إضافة إلى 10146 طلب تم تقديمها إلى الصندوق قصد إنشاء مشاريع،وأجيز منها (قبلت) 463 مشروعاً، بتكلفة إجمالية قاربت 692 مليون درهم إماراتي.

هذا وقد أعلن رئيس مجلس إدارة صندوق خليفة لتطوير المشاريع، أن الصندوق تولى تمويل 109 شركة صغيرة ومتوسطة، وهذا القطاع من الشركات يسهم بنحو 70 في المائة في النمو الذي يحققه الاقتصاد الإماراتي، . وقد تم اختيار تلك الشركات بعناية بالغة استناداً إلى جودة وابتكارية أنشطتها في شتى المجالات، إذ يستهدف صندوق خليفة لتطوير المشاريع الإسهام في بناء اقتصاد مستقر ومستدام عبر توسعة نطاق وتطوير أعمال المشاريع في جميع أنحاء الدولة. ويسعى إلى نشر ثقافة المبادرة الاستثمارية وإنجاحها. ورغم جملة العراقيل والصعوبات التي تصادفها إنشاء الشركات خاصة الصغيرة منها، إلا أن سيدات الأعمال استحوذت على 35 % من التمويلات التي قدمها الصندوق للشركات الصغيرة والمتوسطة،[34] بقيمة تجاوزت 113 مليون درهم، كما أن استثمارات المرأة الإماراتية بلغت مستويات مرتفعة في أسواق الأسهم المحلية، مما يثبت كفاءتها وقدرتها الاقتصادية.

ويشير تقرير المرصد العالمي لريادة الأعمال إلى أن المرأة الإماراتية تساهم بشكل فعال في خلق مشاريع ريادية، إلا أن مقاصد المرأة تختلف عن مقاصد الرجل، حيث ترى المرأة الإماراتية أن الهدف من تأسيس الشركات وريادتها هو تكامل شبكات العلاقات التعاونية مع العوامل الأسرية والمجتمعية والشخصية. بينما الرجل يرى نشاط ريادة الأعمال كياناً اقتصادياً يهدف لتحقيق الربح والاستقلالية المالية والوظيفية. والجدول الموالي يوضح نسبة مشاركة المواطنين في أنشطة ريادة الأعمال حسب النوع.

جدول 2: مشاركة المواطنين في ريادة الأعمال

النوع	الإناث	الذكور
نسبة المشاركة	%32.8	%67.2
توقع إنشاء مؤسسات الأعمال	%6.5	%12.1
إجمالي نشاط ريادة الأعمال	%7.6	%11.8
الشركات الناشئة	%5.6	%4.1
الشركات الحديثة	%2.2	%7.9

* المصدر: هالة السكري وآخرون، ريادة الأعمال منظور إماراتي، صندوق خليفة وجامعة زايد، معهد الدراسات الاجتماعية والاقتصادية ، 2014، ص37

يظهر الجدول ارتفاع نسبة الشركات الناشئة للنساء الإماراتيات عن نسبة الرجال، إلا أن باقي النسب عرفت سيطرة العنصر الرجالي، ورغم هذا فنسبة مشاركة النساء في النشاط المقاولاتي وصلت إلى نصف نسبة الرجال، وأيضاً نسبة توقع إنشاء مؤسسات أعمال، وهي نسب تعتبر مشجعة للعمل النسائي، رغم اختلاف البنية والتركيبة لكل فرد، ودور وخصوصية كل منهما في الحياة.

وتعد المبادرات الهادفة إلى زيادة مشاركة المرأة في أنشطة ريادة الأعمال استراتيجية هامة لتحقيق التنمية الاقتصادية في الدولة،[32]خاصة وأن المواطنات تشكلن قرابة 49% من سكان دولة الإمارات، إلا أن الواقع يثبت أن فرص المواطن في تأسيس الشركات يزداد بنسبة 50%

عن المواطنة. ورغم التحسن في عدد رائدات الأعمال في السنوات الماضية، إلا أنهن لا يمثلن سوى 30% من إجمالي رواد الأعمال المواطنين.[32]

ونتيجة لهذا الدعم القوي من القيادة الرشيدة، حققت المرأة الإماراتية في العقود الأربعة الماضية، العديد من المكتسبات على الصعيد الاقتصادي، وأصبحت تدير نحو 24 ألف مشروع تجاري داخل الدولة وخارجها، باستثمارات تبلغ قيمتها، نحو 45 مليار درهم. وتشكل المرأة ما نسبته 15% من أعضاء الغرف التجارية والصناعية في الدولة، وتدير 30% من المشاريع الصغيرة والمتوسطة. وعلى المستوى الإقليمي باتت المرأة الإماراتية تتصدر المشهد الاقتصادي في المنطقة العربية، من ناحية حجم المشاركة في القطاع الاقتصادي، إذ كان لها النصيب الأوفر ضمن قائمة أقوى 200 سيدة عربية لعام 2014، الصادرة عن مجلة «فوربس»، وكان لها النصيب الأوفر ضمن قائمة سيدات الأعمال العربية أيضاً. وعلى المستوى الدولي، وبحسب دراسة مسحية صادرة عن شركة «الماسة كابيتال المحدودة» المتخصصة في تقييم الأصول والشركات، فإن نسبة الشركات الرابحة المملوكة لنساء في الإمارات تفوق نسب الشركات الرابحة للنساء في الولايات المتحدة الأميركية[35]*.

وتشكل المرأة الإماراتية ما نسبته 66 % من إجمالي القوى العاملة في القطاع الحكومي،وتتوزع هذه النسبة على النحو التالي: 30 % منهن يشغلن مناصب رفيعة المستوى ومؤهلة لصنع القرار و60 % منهن يعملن في وظائف فنية مثل الطب والتعليم والصيدلة والتمريض، إضافة إلى التحاقهن بالعمل في صفوف القوات المسلحة والشرطة والجمارك، وارتفعت نسبة المساواة بين الجنسين في قطاع المشاركة الاقتصادية من 56 % سنة 2006 إلى 60 في المائة سنة 2014.[27]

وهناك عدد كبير وفي تزايد مستمر من المواطنات اللائي يدرن أعمالاً تجارية، فوفق مجلس سيدات أعمال الإمارات فإن حوالي 13 ألف سيدة إماراتية يمتلكن قرابة 200 ألف شركة داخل الدولة، في قطاعات ومجالات اقتصادية مختلفة، كالصناعات اليدوية التقليدية ومواد التجميل، والخدمات المالية، والعقارات والسياحة، والمعارض والهندسة ...وغيرها. [19]

وقد ارتفعت مساهمة المرأة الإماراتية في القطاع الخاص، مع زيادة عدد المشاريع التجارية المملوكة لسيدات الأعمال المواطنات البالغ عددهن 12 ألفاً إلى 22 ألف مشروع، باستثمارات تزيد عن 45 مليار درهم،

بحسب مريم الرميثي رئيسة مجلس إدارة مجلس سيدات أعمال الإمارات ورئيسة الهيئة التنفيذية لمجلس سيدات أعمال أبوظبي[36]**

وبفضل مبادرات على غرار صندوق خليفة لتطوير المشاريع يزداد عدد سيدات الأعمال المواطنات بشكل كبير، وتشير دراسة أعدتها مؤسسة «جلوبال إنتروبرونرشيب مونيتور» (GEM) التي تتولى تقييم أنشطة المبادرات الاستثمارية في مختلف الدول، إلى أن معدل نمو عدد سيدات الأعمال في دولة الإمارات العربية المتحدة ارتفع من نسبة متدنية قدرها 0.1 % عام 2006 إلى 1.4 % من المشاريع القائمة والناجحة في الوقت الحاضر. ونستطيع أن نعزو جانباً كبيراً من أسباب الارتفاع المستمر في أعداد سيدات الأعمال في الدولة بمن فيهن المواطنات والوافدات إلى المناخ الاقتصادي المواتي السائد في البلاد.

وهذا النسق التصاعدي والتحسن المستمر في معدلات مشاركة المرأة الإماراتية في الجوانب الاقتصادية يعزى إلى عدد من البرامج والمبادرات التي أطلقتها الحكومة الإماراتية لتمكين المرأة في سوق العمل، ومنها هيئة تنمية وتوظيف الموارد البشرية الوطنية " تنمية ومجلس أبو ظبي للتوطين" ومبادرة "أبشر" لتفعيل مشاركة المواطنين في سوق العمل، وإطلاق الشيخة فاطمة بنت مبارك مشروع " الأسر المنتجة" سنة 1997، وتحديثه سنة 2005 برعاية الشيخ خليفة بن زايد رئيس الدولة، وإطلاق مبادرة "مبدعة"، وبرنامج "رائدات الدار" الذي يهدف إلى المساهمة في تعزيز إنتاجية الأسر المواطنة، وتمكينها من الاعتماد على الذات، وتشجيعها على دخول سوق العمل واستمرارها فيه من خلال تأسيس وإدارة مشروعها الخاص مع التركيز على المشاريع المتوسطة والصغيرة ، وتسهيل وصولها للخدمات والمعلومات والموارد لتحقيق مساهمة اكبر وفاعلية حقيقية للمرآة في دعم مسيرة التنمية المستدامة.

---

* مظاهر التمكين الاقتصادي للمرأة، تاريخ النشر: السبت 13 يونيو 2015. على الرابط: http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=85084

** http://www.alittihad.ae/details.php?id=94775&y=2015&article=full

ومن المبادرات أيضاً، إطلاق سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك أم الإمارات، رئيسة الاتحاد النسائي العام، رئيسة المجلس الأعلى للأمومة والطفولة، الاستراتيجية الوطنية لتمكين وريادة المرأة في دولة الإمارات 2015-2021 ، لتوفر إطاراً عاماً لكافة المؤسسات الحكومية الاتحادية والمحلية، والخاصة، ومؤسسات المجتمع المدني، في وضع خطط وبرامج عملها من أجل توفير حياة كريمة للمرأة الإماراتية لجعلها متمكنة، ورايدة، ومبادرة، وتشارك في كافة مجالات العملية التنموية المستدامة بما يحقق جودة الحياة لها. وتعتبر هذه الاستراتيجية تحديثاً للاستراتيجية التي كانت سموها قد دشنتها سنة 2002 .[37]*

ويعتبر برنامج «مُبدِعَة» من أبرز المبادرات التي أطلقها مجلس سيدات أعمال أبوظبي، الذي تأسس بموجب قرار صادر من المجلس التنفيذي لإمارة أبوظبي عام 2005. ويتيح المجلس للنساء المواطنات في الإمارة فرصة ممارسة أنشطة اقتصادية انطلاقاً من منازلهن من خلال منحهن الرخص اللازمة عبر برنامج «مُبدِعَة»، الذي يمنحهن دعماً قوياً عبر توفير فرص التدريب وخدمات التسويق، ما يعزز نسبة مساهمة النساء في الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية في الإمارة. وتشير الإحصائيات إلى أن الدعم المقدم للنساء في الإمارات حقق نتائج مبهرة، حيث تشير المهندسة فاطمة عبيد الجابر: «إن عدد السيدات المسجلات لدى مجلس سيدات أعمال أبوظبي يزداد باستمرار وناهز 6900 سيدة في نهاية عام 2012. أما برنامج مبدعة فقد وصلت به أعداد النساء المواطنات اللواتي منحهن رخصاً ما يقارب 1500 سيدة أعمال ينشطن في شتى المجالات الاقتصادية المسموح بممارستها».[27]

ويشير تقرير التنمية البشرية لسنة 2014 الصادر عن الأمم المتحدة في دليل الفجوة بين الجنسين إلى أن: معدل المشاركة في القوى العاملة بالنسبة للفئة العمرية فوق 15 سنة، بلغ في الإمارات 46.6% لدى الإناث و 91% لدى الذكور.[17] وقد أثبتت الدراسات أن الفجوة بين الجنسين في سوق العمل، تؤدي إلى كثير من الخسائر في نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي[38]، وأن رفع نسبة مشاركة الإناث في القوى العاملة إلى مستويات مشاركة الذكور، من شأنها زيادة إجمالي الناتج المحلي في الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة 5 %، وفي اليابان بنسبة 9 %، وفي **الإمارات العربية المتحدة** بنسبة 12 %.[39]

وكخلاصة لما سبق عرضه في التمكين الاقتصادي، نقول أن دولة الإمارات اهتمت منذ بداية نشأتها بالمرأة وأعطتها من الحقوق ما لا نجده في كثير من الدول، وهذا نتيجة الاهتمام الكبير لصاحب السمو الشيخ زايد رحمه الله، وقد تابع سمو الشيخ خليفة نهج والده في الدعم المستمر للمرأة، وفتح آفاقاً واسعةً لتعليمها ومن ثم عملها في مختلف قطاعات الدولة.

ويعد نشاط ريادة الأعمال في الإمارات محركا أساسياً للنمو الاقتصادي، لتعزيزه لروح الإبداع والابتكار وتوفير فرص العمل في المدى الطويل، لذلك تم إدراج المرأة في روح المقاولاتية وإنشاء الأعمال. فأدى ذلك إلى زيادة نسبة مساهمتها في القوة العاملة الوطنية، وارتفاع نسبة توظيفها في القطاع العام والخاص أو من خلال استثماراتها الخاصة. وحظيت المرأة بالكثير من الاهتمام من قبل حكومة دولة الإمارات، إذ تم تذليل الكثير من القيود التي كانت تقف حائلاً أمام دخولها سوق العمل والاستثمار، بجانب استحداث الكثير من البرامج التي تدعم المرأة في كافة المجالات بدءاً من التعليم والتدريب والتأهيل لسوق العمل وسن القوانين التي تيسر وتسهل دخول المرأة مجال المال والأعمال، مثل إنشاء برامج ومراكز وصناديق لدعم قطاع المشروعات الصغيرة أدت إلى زيادة نشاط المرأة الاقتصادي .

د. المرأة والصحة في الإمارات

يمكن قياس التطور الصحي لوضع المرأة والأسرة الإماراتية من خلال عدد من المؤشرات مثل: انخفاض نسبة الأمراض، وبالتالي انخفاض نسبة الوفيات خاصة بين الأطفال الرضع، وكذلك زيادة أعداد نسبة المواليد، وارتفاع العمر المتوقع للفرد وزيادة الوعي الصحي لدى الأفراد عامة، والأمهات خاصة في معظم قطاعات المجتمع. وتشير إحصائيات وزارة الصحة إلى ارتفاع معدل البقاء على قيد الحياة للإناث إلى 78.6 مقارنة بنحو 75.6 للذكور. وبلغ معدل المواليد الخام 1.62 في الألف، أما معدل وفيات الأطفال الرضع فقد بلغ نحو 7,5 في الألف في عام 2007.

* http://www.mohamoon-uae.com/default.aspx?action=DisplayNews&type=1&id=25327&Catid=3181

إن الملامح الاستراتيجية الصحية في الإمارات تقوم على توفير رعاية صحية شاملة لكل سكان الدولة، ولاسيما الأم والأطفال، وتقوم وزارة الصحة في الدولة بتوفير خدمات متابعة السيدات الحوامل من خلال مراكز ووحدات الأمومة والطفولة بالمراكز الصحية الأولية، بجانب المؤسسات الصحية والمستشفيات العامة والمتخصصة في أمراض النساء والتوليد، ولا تقتصر رعاية الأم على فترة الحمل ولكن تمتد إلى فترة ما بعد الولادة، حيث تقوم الأم بمراجعة المركز الصحي للتأكد من عدم وجود مضاعفات تتعلق بالولادة وأيضاً لدعم وتشجيع الرضاعة الطبيعية، بالإضافة إلى الرعاية المقدمة للمولود.وشملت الرعاية الصحية والاجتماعية إنشاء العديد من مراكز رعاية الأمومة والطفولة والمراكز الصحية إلى جانب الإعانات الاجتماعية للعجزة والأرامل وكبار السن.

كشف تقرير منظمة الصحة العالمية لعام 2015 عن تقدم دولة الإمارات في معظم المؤشرات الصحية الرئيسية، والتي تشمل الرعاية الصحية ومعدلات الحياة والعمر المأمول والرعاية الاجتماعية والإنفاق على الصحة.

وأشار التقرير الذي إلى أن معدل العمر المتوقع عند الولادة في دولة الإمارات ارتفع لدى الذكور والإناث من 72 سنة في عام 1990 إلى 77 سنة في عام 2013 متساوية في ذلك مع معظم الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية، فيما ارتفع معدل العمر المتوقع عند سن الستين لكلا الجنسين من 17 سنة في عام 1990 إلى 20 سنة في عام 2013.

ووفق نفس التقرير انخفض مؤشر وفيات الأطفال الرضع من 14.2 لكل ألف مولود في عام 1990 إلى 7 وفيات في عام 2013، كما انخفض معدل وفيات الأطفال أقل من 5 سنوات من 16.5 وفاة لكل ألف طفل في عام 1990 إلى 8.2 وفيات في عام 2013، في الوقت الذي حقق فيه معدل وفيات البالغين من سن 15 إلى 60 سنة انخفاضاً كبيراً بواقع 150 وفاة لكل ألف من السكان عام 1990 إلى 83 وفاة عام 2013 بين الذكور ومن121 وفاة إلى 59 وفاة بين الإناث خلال الربع قرن الماضي.

وبين التقرير الدولي أن إجمالي الإنفاق على الصحة كنسبة مئوية من الناتج المحلي للدولة بلغ 3% في عام 2012، كما بلغ الإنفاق الحكومي على الصحة من الميزانية العامة 9.4% في العام نفسه، فيما ارتفع متوسط نصيب الفرد من الإنفاق على الصحة من 753 دولاراً أميركياً في عام 2000 إلى 1235 دولاراً في عام 2012، في الوقت الذي ارتفع فيه نصيب الفرد من الإنفاق الحكومي على الصحة من 578 دولاراً في عام 2000 إلى 854 دولاراً عام 2012.* وأظهرت منظمة الصحة العالمية أن مجموع الإنفاق العام في القطاع الصحي في دولة الإمارات ارتفع بنسبة 26% ما بين الأعوام 2008-2011 . وفي التفاصيل فقد ارتفع الانفاق الصحي من 34 مليار درهم في ،2008 43 ملياراً في ،2009 40 ملياراً في ،2010 43 ملياراً في 2011.

كما حرصت الإمارات على إنشاء مستشفيات تتمتع بجودة عالمية بكافة المعايير وصل عددها إلى 106 مستشفيات حكومية وخاصة تضم طاقماً طبياً محترفاً، حيث باتت مستشفيات الدولة تضم نحو 16 ألفاً و596 طبيباً، ولضمان حصول سكان الإمارات على الخدمات الصحية المتميزة، قامت الحكومة بزيادة عيادات الرعاية الصحية لتصل إلى نحو 3 آلاف عيادة تغطي مناطق الدولة كافة. **

وفي مجال ارتفاع نسب الاعتمادات الدولية للمستشفيات، حسب اللجنة المشتركة الدولية للاعتماد، فإن دولة الإمارات تسعى للتميز في الخدمات الصحية، حيث ارتفع عدد المستشفيات الحاصلة على الاعتماد الدولي من 16 مستشفى في 2008 إلى 43 مستشفى في 2013 بنسبة 169. %

---

* الصحة العالمية: الإمارات متقدمة في المؤشرات الصحية، على الرابط:
http://www.alaan.tv/news/health/135235/world-health-organization-said-uae-advanced-in-health-indicators

** نظام صحي بمعايير عالمية: 106مستشفيات حكومية تضم نحو 16 ألف طبيب، جريدة الخليج:
http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/a45a04f0-c3d3-499c-8412-2f1abab6f94d#sthash.xu4L5Yoo.dpuf

وفيما يتعلق بارتفاع متوسط العمر المتوقع في الإمارات، بحسب البنك الدولي، فقد انعكس التطور في مجال الرعاية الصحية في زيادة متوسط العمر المتوقع في الدولة ليصل إلى 77 عاماً في 2011 متخطياً بذلك المعدل العالمي البالغ 70 عاماً.

أما الحد من وفيات الرضع، وبحسب البنك الدولي، فقد حققت الدولة تحسناً مقداره 16% في نسبة الحد من وفيات الرضع ما بين 2008 و2011 مقارنة بالمعدل العالمي الذي بلغ 36.9 وفاة لكل 1000 طفل. أما الحد من وفيات الأطفال، فقد نجحت الدولة في تقليص معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة من 7.8 حالة وفاة لكل 1000 مولود في عام 2008 إلى 6.6 حالة وفاة لكل 1000 مولود في عام 2011 وذلك بنسبة انخفاض وصلت إلى 15. %

وفي تعزيز جودة الرعاية الصحية حسب مؤشر ليجاتوم للرخاء والازدهار العالمي– قطاع الصحة، فقد أخذت دولة الإمارات على عاتقها دفع عجلة التقدم في مجال الرعاية الصحية ما أوصلها إلى مراتب متقدمة في التصنيف العالمي لمؤشر ليجاتوم للرخاء والازدهار والذي يقيم مستوى جودة الرعاية الصحية في عدة مجالات، وحسب الترتيب الدولي لجودة القطاع الصحي في الإمارات فقد تقدمت الإمارات من المرتبة 35 في العام 2010 إلى 34 في سنة 2011 إلى 32 في عام 2012 ، وفي آخر تقرير لسنة 2014 بلغ مستوى الرضى عن الخدمات الصحية 92.5% وهو ما صنف الإمارات ضمن فئة الدول المرتفعة.[40]

وجاءت الإمارات في المرتبة الأولى عالمياً في عدد المرافق والمنشآت الطبية الحاصلة على الاعتماد الدولي، بعدد 97 وحدة أو مرفق طبي، متقدمة على السعودية والبرازيل وتايلاند وتركيا، بحسب اللجنة الدولية للاعتماد الدولي*

تحليل مؤشرات الفجوة بين الجنسين

إن التقرير العالمي للفجوة بين الجنسين يحدد التحديات الأساسية التي يتعين تحسينها، إذ يشير إلى أن الدولة الأفضل ترتيباً بالنسبة لهذا المؤشر قد قلصت الفجوة بين الجنسين. ويعطي التقرير إطار عمل واضح لتقييم مقارنة الفجوات العالمية بين الجنسين ومن خلال إبراز الدول التي تمثل نماذج يحتذى بها في مجال التوزيع العادل للموارد المتاحة بين الرجل والمرأة.

وقد تم إعداد التقرير العالمي للفجوة بين الجنسين استناداً على منهجية بحث جديدة ومبتكرة، وهو يتضمن دراسات تفصيلية تساعد على فهم الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والقانونية للفجوة بين الجنسين في كل بلد. ويقيس التقرير حجم الفجوة بين الجنسين في أربعة مجالات أساسية يتجلى فيها انعدام المساواة بين المرأة والرجل:

- المشاركة والفرص الاقتصادية: الرواتب ومستوى المشاركة وفرص الحصول على الوظائف.
- التحصيل العلمي: فرص الحصول على التعليم الأساسي والعالي.
- التأثير السياسي: معدلات التمثيل في دوائر صنع القرار.
- الصحة: مختلف مؤشرات الاعتناء بجانب الصحة والطفولة.

---

*https://watanialemarat008.wordpress.com/category/%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%AF-%D9%88-%D8%A5%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%B2%D8%A7%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85%D8%A9/

جدول 3: المؤشر العالمي للفجوة بين الجنسين 2006 – 2015

الترتيب / السنوات	تقييم	نتيجة
2006	101	0,592
2007	105	0,618
2008	105	0,622
2009	112	0,620
2010	103	0,640
2011	103	0,645
2012	107	0,639
2013	109	0,637
2014	115	0.644
2015	119	0.646

*World Economic Forum, The Global Gender Gap Report.2014

عرف المؤشر العام للفجوة بين الجنسين في دولة الإمارات تذبذبا بين المرتبة 101 والمرتبة 112، بنتيجة تفوق 0.59 منذ سنة 2006. والترتيب العام للمؤشر يشمل أربعة محاور كما أسلفنا. وقد تصدرت دولة الإمارات العربية المتحدة المركز الأول عربياً في مؤشر الفجوة بين الجنسين لعام 2013 الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي. وهي نفس المرتبة لسنة 2012، إلا أن ترتيبها ارتفع إلى 119 في آخر تقرير لسنة 2015. ووفق عدة تقارير لسنوات سابقة، فقد تبوأت الإمارات المرتبة الأولى عالمياً، بالمشاركة مع عدة دول أخرى،في معدل القراءة والكتابة، وفي مؤشر التسجيل في التعليم الثانوي، وفي مؤشر معدل المواليد حسب الجنس ضمن فئة الصحة والحياة، وفي المساواة بين الذكور والإناث في مجال التعليم، وحصلت الإمارات على 644 نقطة من إجمالي 1000 نقطة في المؤشر العام ما يوضح الجهود المبذولة لسد الفجوة بين الجنسين، لتحتفظ بصدارة دول المنطقة.

وينقسم معيار التعليم إلى معايير فرعية منها، معرفة القراءة والكتابة الذي جاءت فيه الدولة بالمركز الأول بعد أن سجلت 87 نقطة من أصل 100 نقطة، وبلغت النسبة للإناث 91% وللذكور 89% بمعدل قدره 1.02 مرة.كما جاءت الدولة في المرتبة الأولى في المعيار الفرعي الخاص بالتسجيل في التعليم الثانوي، مسجلة نحو 62 نقطة وبنسبة 79% للإناث و 73% للذكور.

واحتلت دولة الإمارات المركز 123 عالمياً وفقا لمعيار المشاركة والفرص الاقتصادية، بحصولها على 515 نقطة من أصل 1000 نقطة.وهو العنصر الذي أضعف الترتيب العالمي للإمارات، مما ينبغي معه الرفع من مشاركة المرأة اقتصاديا. حيث حلت الإمارات في المركز 125 عالمياً في نسبة المشاركة في القوى العاملة بمجموع 51 نقطة من أصل 100 نقطة. ب47% للإناث و91 %للذكور. والمرتبة 96 في الدخل المتوقع بالدولار بمجموع 54 نقطة من أصل 100، وبقيمة 21565 دولار للإناث مقابل 40000 دولار للذكور، بينما أفضل ترتيب في محور الفرص الاقتصادية هو المرتبة السابعة في مؤشر المساواة في الدخل لنفس العمل والمهام حيث جمعت الإمارات 79 نقطة من أصل 100.[41]

كما جاءت في المرتبة 96 عالمياً في معيار المساواة في التمكين السياسي، وذلك بعد أن صنفت في المرتبة 77 عالمياً في المعيار الفرعي الخاص بمشاركة النساء في المواقع الوزارية والذي سجل 15% للنساء مقابل 85% للرجال، وكذلك المرتبة 84 في المعيار الفرعي الخاص بمشاركة النساء في البرلمان، والتي بلغت 18% للنساء و83% للرجال. كما جاءت الدولة في المرتبة 132 عالمياً في المعيار الرئيسي الرابع والخاص بالصحة.

وفيما يلي تحليل أهم أبعاد الفجوة بين الجنسين لدولة الإمارات وذلك خلال الفترة من 2006 إلى غاية 2015.

1. مؤشر المشاركة الاقتصادية والفرص

تمثل المشاركة في الحياة الاقتصادية وقوة العمل إحدى النقاط المهمة في تقييم الفجوة بين الجنسين، فحصول النساء على رواتب مساوية لرواتب الرجال في نفس نمط العمل، وحصولهن على مناصب قيادية كبيرة وولوجهن عالم التقنية والمهن العالية التأهيل، كلها مؤشرات تدل عل نقص الفجوة بين الرجال والنساء في الجوانب الاقتصادية. والجدول الموالي يوضح ترتيب الإمارات في هذا المؤشر .

جدول 4 : ترتيب الإمارات وفق مؤشر المشاركة الاقتصادية والفرص

	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
المشاركة الاقتصادية والفرص	109	119	121	126	120	119	122	122	123	128
المشاركة في قوة العمل	103	115	116	120	120	121	121	120	125	128
المساواة في الأجر بين الجنسين في الوظائف ذاتها	30	29	40	42	42	35	22	22	7	19
تقدير الدخل المحقق (دولار أمريكي)	114	121	126	128	100	77	101	113	96	85
النساء من المشرعين وكبار المسئولين والمديرين	93	102	110	108	108	108	101	103	115	115
النساء من العمالة التقنية والمهنية	88	94	98	108	110	110	106	109	120	123

*World Economic Forum, The Global Gender Gap report.

رغم المستويات العالية لمؤشر التحصيل العلمي في الإمارات، وارتفاع نسبة الفتيات اللواتي ينجحن في الانتقال إلى التعليم الثانوي ويحققن نتائج أفضل في دراساتهن بالمقارنة مع الذكور. وقد سُجل ارتفاع كبير في مشاركة الفتيات في التعليم العالي، ومع ذلك، نشير إلى أن هذه المكاسب لا تتيح للنساء بالضرورة أن يحصلن على عمل أو دخل أفضل.

وتشير النتائج أعلاه إلى أن مؤشر المشاركة الاقتصادية والفرص عرف تذبذباً خلال فترات الدراسة،وتكمن نقطة ضعف الإمارات في مؤشر النساء في فئة العمالة التقنية والمهنية، حيت صنفت في المرتبة 120 عالمياً سنة 2014، ولعل المشكل يكمن في عدم رغبة الإماراتيات بشكل كبير للتوجه نحو هذه التخصصات، إضافة إلى توفر العديد من الشركات التكنولوجية العالية التي تتنافس في جلب أفضل الإطارات عبر دول العالم أجمع ، مما يجعل المنافسة شرسة في هذا القطاع .لكن أفضل أداء حققته الإمارات كان في المؤشر الفرعي: المساواة في الأجر بين الجنسين في الوظائف ذاتها، حيث حققت المرتبة السابعة عالمياً.

وتشير دراسة صادرة عن المصرف السويسرى «كريدى سويس» إلى أن الشركات التي تضم سيدات في مجالس إداراتها أو في هيئاتها الإدارية تحقق أداء أفضل مقارنة بالعاملين منهم من الرجال، مشيرة إلى أن هذا الأداء الإيجابي للسيدات ينعكس بدوره في سوق البورصة وعائدات الموارد والأرباح. وأشارت الدراسة إلى أن الشركات التي تضم امرأة واحدة على الأقل فى مجلس إدارتها تسجل ارتفاعاً فى سعر أسهمها بنسبة تتخطى 5%، وتبين الدراسة أن العائدات على الموارد الخاصة تساوي 14% في الشركات التي تضم امرأة في مجلس إدارتها مقابل 11% في الشركات التي تضم مجالسها الإدارية رجالاً فقط، وأكدت الدراسة أن مشاركة النساء على الصعيد الإداري تسهم فى تحسين الأداء وارتفاع أرباح ودخول هذه الشركات.[42]*

2. مؤشر التحصيل العلمي

حققت الإمارات العربية المتحدة المرتبة الأولى في مؤشر التحصيل العلمي بين جميع دول العالم، وهدمت الفجوة بين الجنسين، من خلال تحقيقها للمرتبة الأولى في جميع المؤشرات الفرعية لفئة التحصيل العلمي.

---

* http://www.elwatannews.com/news/details/678529

فقد حققت أفضل أداء في معدل معرفة القراءة والكتابة،ومعدل الالتحاق بالتعليم الابتدائي، والإعدادي، مما مكنها من التربع على عرش أفضل مؤشر تحصيل علمي للفجوة بين الجنسين، وهو ما يوضح الجهود المبذولة التي عممت التعليم بمختلف أطوراه بين ذكور وإناث الإمارات،وحققت التكافؤ بينهم.

ويشير تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي وجود فجوة بسيطة جداً تقدر بـ 1% بين الجنسين وفق مؤشر الفجوة العالمية بين الجنسين في مجال التحصيل العلمي، مما يجعل الإمارات من بين أكثر دول العالم نشاطاً في سد الفجوة بين الجنسين.[28]

جدول 5: ترتيب الإمارات وفق مؤشر الفجوة في التحصيل العلمي

	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013
التحصيل العلمي	61	68	46	67	37	59	1	1
معدل معرفة القراءة والكتابة	1	1	68	70	1	1	1	1
الالتحاق بالتعليم الابتدائي	93	99	68	96	75	102	1	1
الالتحاق بالتعليم الاعدادي	1	1	1	1	1	1	1	1
الالتحاق بالتعليم الثانوي والعالي	1	–	1	1	1	1	1	–

*World Economic Forum, The Global Gender Gap report.

ويبلغ معدل الإلمام بالقراءة والكتابة في دولة الإمارات العربية المتحدة مستوى 90%، وهي نسبة مرتفعة لكن يبقى التحدي والعمل المستمر مطلوباً لرفع النسبة السابقة حتى تصل إلى مصاف الدول ذات المراتب الأولى. وفي مؤشر حصول السكان على مستوى التعليم الثانوي على الأقل،نجد أن ما نسبته 64.3% من سكان الإمارات لديهم مستوى تعليمي يفوق المستوى الثانوي، وهي ثاني نسبة مقارنة بدول مجلس التعاون الخليجي بعد البحرين،لكنها بحاجة إلى تحسين حتى تصل إلى مستوى يفوق 74% وهي أقل نسبة بين الدول العشرة الأولى في ترتيب التنمية البشرية.[43]

وبلغت نسبة الالتحاق بالتعليم الابتدائي نسب 104% وهي نسبة مرتفعة تشابه نسبة الدول ذات الترتيب العالي، حيث بلغت نسبة الالتحاق بالتعليم الابتدائي في النرويج 99% وفي أستراليا 104% وفي الولايات المتحدة الأمريكية 102%.وتبدأ هذه النسبة في الانخفاض قليلاً لما نتكلم عن التعليم الثانوي، مما يعني أن الأطفال يبدؤون في التسرب المدرسي وإهمال التعليم شيئا فشيئا،حيث تصل النسبة في الإمارات إلى 92%.بينما نسبة الالتحاق بالتعليم العالي فهي 22.5% وهي نسبة ضعيفة مقارنة بالنرويج التي تصل فيها نسبة الالتحاق بالتعليم الثانوي 73.8% وفي أستراليا 75.9% وفي سنغافورة 71%. مما يجعل من المسؤولين على قطاع التعليم العالي ضرورة الانتباه إلى تحسين معدلات الالتحاق بالتعليم العالي ،وهو التعليم الذي من دون شك يصقل مهارات الطلبة، ويزودهم بالعلوم والمعارف التي تفيدهم وتساعدهم في عملية البناء التنموي للدولة.

إضافة إلى ما سبق، فقد أشار تقرير التنافسية العالمية 2013-2014 أن الإمارات صنفت في المرتبة 13 عالميا في مؤشر وجود خدمات التدريب والبحث في المؤسسات التعليمية. وبلغت نسبة التسجيل في التعليم العالي ما يقارب 25.2 % وبمرتبة عالمية تساوي الـ86.

3. مؤشر الصحة وفرص الحياة

تشير إحصائيات تقرير الفجوة ين الجنسين إلى نوع ثالث من أنواع قياس التفاوت بين الجنسين ممثلاً في الصحة وفرص الحياة، والذي يقيس نسبة الجنسين عند الولادة، ومتوسط العمر المتوقع. والجدول التالي يظهر نتائج المؤشر.

جدول 6: ترتيب الإمارات وفق مؤشر الفجوة في الصحة وفرص الحياة

	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
الصحة وفرص الحياة	100	110	112	116	110	111	111	112	132	133
نسبة الجنسين عند الولادة	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1
متوسط العمر المتوقع	105	117	119	123	117	118	118	119	138	139

World Economic Forum, The Global Gender Gap report.

صنفت الإمارات في المرتبة الأولى عالمياً في المؤشر الفرعي: نسبة الجنسين عند الولادة، وذلك منذ سنة 2006. أما متوسط العمر المتوقع فلم يكن ترتيب الإمارات جيداً لأن التفاوت واضح بين الذكور والإناث في متوسط العمر المتوقع.

تجدر الإشارة مرة أخرى إلى أن الترتيب السابق لا يتكلم عن المؤشرات الصحية بشكل عام بل عن الفجوة بين الجنسين، لكن إذا تطرقنا إلى المؤشرات الصحية فقد كشف تقرير منظمة الصحة العالمية لعام 2015 عن تقدم دولة الإمارات في معظم المؤشرات الصحية الرئيسية خلال الـ 25 سنة الماضية، والتي تشمل الرعاية الصحية ومعدلات الحياة والعمر المأمول والرعاية الاجتماعية والإنفاق على الصحة، وأشار التقرير إلى أن معدل العمر المتوقع عند الولادة في دولة الإمارات ارتفع لدى الذكور والإناث من 72 سنة في عام 1990 إلى 77 سنة في عام 2013 متساوية في ذلك مع معظم الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية،فيما ارتفع معدل العمر المتوقع عند سن الستين لكلا الجنسين من 17 سنة في عام 1990 إلى 20 سنة في عام 2013.

وعلى مستوى الارتقاء بصحة الأمهات والمرأة، تتبنى دولة الإمارات العربية المتحدة سياسات وبرامج تهدف إلى النهوض بالأسرة على وجه العموم، والمرأة والطفل على وجه الخصوص، وتم اعتماد مفهوم الصحة الإنجابية الشمولي على مستوى الدولة، بحيث لا تقتصر خدمات الأمومة والطفولة على الأمهات في مرحلة الحمل والإنجاب فقط، بل تمتد لتشمل الأمهات والمرأة في كافة المراحل العمرية المختلفة، من خلال تطبيق البرامج والمشاريع الصحية التي تهدف إلى تعزيز صحة المرأة والطفل، هذا بجانب خدمات الأمومة والطفولة، والتي مكنت الدولة من خفض معدل الوفيات بين الأمهات في سن الإنجاب إلى الصفر، وعلى هذا الصعيد أشارت الإحصائيات إلى أن:*

- 99 % من الولادات تتم داخل المستشفيات تحت رعاية طبية شاملة.
- انخفاض في معدل وفيات الرضع لكل 1000 ولادة حية في عام 2011 مقارنة بالعام 1990 بنسبة حوالي 44% أي ما يقارب النصف.

4. مؤشر التمكين السياسي

صنف تقرير مؤشر الفجوة العالمية لسنة 2014، دولة الكويت كأفضل دولة عربية في المؤشر العام، حيث احتلت المركز 113 عالمياً والإمارات الثانية عربياً و 115 عالمياً، بتمكنهما من تحقيق مكاسب كبيرة في رأب الفجوة بين النساء والرجال في مختلف المجالات، وحققت المرأة في الإمارات نجاحات في تحسين مستويات الدخل ومشاركتها في الحياة السياسية والاقتصادية وتحسين مستويات التعليم والصحة ومستوى المعيشة مقارنة مع بقية دول المنطقة. والجدول الموالي يوضح المؤشرات الفرعية للفجوة بين الجنسين في فرع التمكين السياسي، لدولة الإمارات وفقاً لتقرير سنة 2014.

* المركز الوطني للإحصاء: المرأة الإماراتية قوة فاعلة وطاقة إنسانية خلّاقة، المركز الوطني للإحصاء، الإمارات، مارس 2014.على الرابط: http://www.uaestatistics.gov.ae/Home/NewsDetails1/tabid/91/Default.aspx?ItemId=280

جدول7: ترتيب الإمارات وفق مؤشر الفجوة في التمكين السياسي

	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
التمكين السياسي	112	65	72	76	60	62	81	81	96	93
المرأة في البرلمان	112	35	39	41	42	40	73	77	84	87
المرأة في المناصب الوزارية	99	110	101	105	61	62	54	53	77	78
طول فترة تقلد المرأة لمناصب رئاسية	41	42	40	41	44	52	58	60	64	64

*World Economic Forum, The Global Gender Gap report.

وتقدر الإمارات أهمية دور المرأة وأنها تمثل نصف المجتمع، وبالتالي أحقيتها في المشاركة السياسية وإبداء الرأي والمساهمة في بناء ودعم القرارات المصيرية للدولة والمجتمع ككل، ونظراً لحداثة عهدها بالحراك السياسي كان تمثيلها بالانتخاب لا يمثل ثقلها في المجتمع، ولذلك ارتأت الدولة أن يكون لها تمثيلاً مؤثراً في المجلس الوطني الاتحادي من خلال التعيين، فخلال الفترة الحالية 2011 – 2015، نجد أن عدد الأعضاء الإناث بلغ 7 أعضاء، أي بنسبة 17.5% من إجمالي أعضاء المجلس الوطني الاتحادي.

ولعل حداثة دخولها المعترك السياسي جعل بعض المؤشرات السابقة بعيدة عن ترتيب دول المقدمة. وما تجدر الإشارة إليه أن بعض المؤشرات لا تنسجم مع الثقافة والبيئة العربية والإسلامية، مما جعل أغلب الدول العربية غير مصنفة مع أوائل الدول، ورغم ذلك إلا أنه يوجد مثال عربي مشرف على الديمقراطية ووجود دور مهم للمرأة على الصعيد السياسي إلا وهو النموذج الإماراتي حيث استطاعت دولة الإمارات التغلب على الصورة النمطية للمرأة و جعلتها تتبوأ مكانة فعالة في المجتمع.

وقد جاء ذلك من خلال توفير الحماية السياسية والدستورية للمرأة وإرساء مبدا المساواة وعدم التمييز وتكافؤ الفرص وأصبحت المرأة الإماراتية تعامل على قدم المساواة مع الرجل في المجتمع عامة والبرلمان خاصة.فقد أصبحت الإمارات نموذجاً لما يجب أن يكون عليه العمل النسائي من حيوية وفاعلية حيث أن المرأة الإماراتية نجحت أن تشارك في البرلمان عن طريق الانتخابات بنسبة تمثيل 22.3% وهي نسبة عالية عالميا حيث احتلت بها المرتبة الثانية في التمثيل النسائي بعد ألمانيا.

و تشير تقرير التنمية البشرية الدولي الخاص ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى أنه في عام 2008 احتلت دولة الإمارات المرتبة الأولى على مستوى العالم العربي في مقياس تمكين المرأة والمرتبة 29 عالمياً. كما أنه وفقا لمؤشر التنمية المتعلق بالجنسين والتمييز الجنسي فإن دولة الإمارات احتلت المرتبة الـ 30 من بين 177 دولة كما احتلت المرتبة الـ17 في مقياس المساواة بين الجنسين. فضلاً عن السماح لامرأة – وهي الدكتورة أمل القبيسي – بأن تعين النائب الأول لرئيس المجلس الوطني و ذلك أتاح لها بالطبع أن ترأس جلسة المجلس الوطني السادسة المنعقدة في يناير 2012 و هو ما يعكس مدى نجاح المرأة الإماراتية و مشاركتها الفعالة في صنع القرار.

وفي خطوة عززت من موقع الإمارات في مصاف الدول المتقدمة في دعم مشاركة المرأة في الحياة السياسية والعمل البرلماني، تضمن مرسوم رئيس الدولة رقم 6 لسنة 2007 بتشكيل المجلس الوطني الاتحادي للفصل التشريعي الرابع عشر، تعيين ثماني نساء. وكان قد تم انتخاب مرشحة واحدة لعضوية المجلس في التجربة الانتخابية الأولى التي شهدتها الدولة لتشكل نسبة النساء في المجلس الوطني الاتحادي 22.2%.

رؤية الشيخ زايد والشيخ خليفة لتمكين المرأة في الإمارات

تعد تجربة دولة الإمارات في مجال تمكين المرأة نموذجاً لكثير من دول المنطقة والعالم، ليس فقط لما حققته المرأة الإماراتية من إنجازات نوعية في المجالات كافة، وإنما أيضاً لأن هناك تطوراً مستمراً في الدور الذي تقوم به المرأة في المجتمع الإماراتي يؤهلها لتصدر المسؤولية في كل مواقع العمل الوطني .

وقد حرص صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة في إطار استراتيجية المشروع النهضوي واستراتيجية الخطة العشرية الاتحادية الخامسة على تمكين المرأة في جميع المجالات وعلى المستويات كافة لتكون شريكاً فاعلاً في بناء الوطن. وأكد سموه أن الدولة ركزت منذ قيامها في الثاني من ديسمبر 1971 على النهوض بالمرأة وتمكينها لتضطلع بدورها الطبيعي كمشارك فاعل في عملية التنمية المستدامة .

لعل أفضل تعبير عن الرؤية الشاملة لتمكين المرأة هو ما ظل الشيخ زايد رحمه الله يردده: " إن ما تفعله دولة الاتحاد وتسعى إلى تحقيقه لبنت الإمارات، هو في الحقيقة تعويض عما فاتها ، وتكريم للأمهات والجدات في شخصها..إنه واجب يلزمنا به الدين، وضرورة تفرضها طبيعة العصر..واحتياج تؤكده متطلبات التنمية، فلن نحقق آمال الشعب ونصفه مكبل بقيود المفاهيم البالية، أو معطل عن المشاركة بدعوى تقاليد واتجاهات تتعارض مع جوهر الدين، وفلسفة التراث ودروسه، ومنهج العصر في تفسير قانون الحياة".

وأشار صاحب السمو رئيس الدولة إلى قدرات المرأة ومشاركتها الفاعلة في التنمية وقال:" لقد حظيت المرأة خلال مسيرتنا بكل مساندة ودعم وقد أثبتت التجربة أن المرأة الإماراتية على قدر المسئولية في جميع المناصب التي تولتها.. وإنني أدعو بناتي إلى التحلي بذات الاندفاع والثقة التي رافقت المرأة الإماراتية في ظل ما تحظى به من تشجيع وتأييد من قبل القيادة السياسية وبما يتلاءم مع متطلبات تفعيل المشاركة والتنمية السياسية في الدولة."

وقال في حديث آخر في التاسع من شهر ديسمبر عام 2009 .. "إننا ننظر للمرأة كمكون رئيس من مكونات المجتمع الإماراتي وهي شريكة للرجل في كل مواقع العمل.. وما وصلت إليه المرأة الإماراتية في الآونة الأخيرة لم يكن تطوراً مفاجئاً بل هو تتويج لمسيرة طويلة رسم خطوطها القائد المؤسس الوالد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي حرص على تشجيع المرأة وتمكينها من ممارسة حقوقها جنباً إلى جنب مع الرجل.. ولقد أثبتت المرأة الإماراتية أنها أهل لثقتنا وثقة شعبنا واستطاعت في كل المواقع التي احتلتها أن تترك بصمة واضحة تجعلنا على ثقة بأنها ستحقق مزيداً من الإنجازات والمكاسب التي تعطي لمشاركتها في الحياة العامة مضموناً حقيقياً وبعداً اجتماعياً."

وعبر سموه عن ارتياحه لما حققته المرأة من نجاحات في تفعيل سياسات تمكينها .. وقال سموه في اليوم الوطني الثامن والثلاثين في الأول من ديسمبر 2009 .. " إن ذلك يؤكد ثقتنا المطلقة في إمكانياتها كفاعل أصيل في كل مجالات العطاء والعمل وقد أثبتت التجربة كفاءتها وقدرتها في كل ما تولت من مهام ومسؤوليات."

وأعرب رئيس الدولة، في كلمته في الاحتفال باليوم الوطني الأربعين، عن سعادته لتمتع المرأة بكامل حقوقها، وقال "لقد جعلنا تمكين المرأة أولوية وطنية ملحة، وبفضل هذا التخطيط السليم أصبح لدولتنا سجلّ متميز في مجال حقوق المرأة، فهي تتمتع بكامل الحقوق وتمارس الأنشطة جميعها دون تمييز، مؤكداً "أن الأبواب جميعاً مفتوحة أمامها لتحقيق المزيد من التقدم والتطور."

وبالنظر إلى الإنجازات المحققة لحد الآن، فإن مفهوم تمكين المرأة في الإمارات لم يعد مجرد شعار ومصطلح نظري، بل تحول إلى واقع ممارس ومجسد من خلال مشاركة المرأة في مختلف مجالات وقطاعات التنمية في الدولة. وذلك بفضل القيادة الرشيدة لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة وإيمانه بأن الاستثمار في بناء الفرد الإماراتي هو أساس التقدم والازدهار.

تجدر الإشارة إلى أن ما تحقق من إنجازات للمرأة الإماراتية لا يعني التوقف وعدم الاستمرار، فمسيرة التنمية مستمرة وتتطلب المضي نحو خطوات أكبر في المستقبل، وينبغي أن يشكل الواقع الحالي حافزاً نحو العمل لترسيخ نجاح المرأة الإماراتية، والتزاماً منها بكفاءتها وقدرتها على المساهمة في تنمية المجتمع. ولعل قول صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة يصب في هذا المنحى، حيث قال:" إننا اليوم على مشارف مرحلة جديدة غايتها تكريس مبادئ سيادة القانون وقيم المساواة والشفافية وتكافؤ الفرص". فالمرأة الإماراتية تحظى بدعم غير محدود من القيادة الإماراتية، والفرص متكافئة على جميع الأصعدة، سواء التعليم أو العمل الحكومي والأعمال الاقتصادية والمشاركة السياسية..وغيرها.والآن مرحلة استكمال البناء والتميز والعطاء.[19]

وتعد الاستراتيجية الوطنية لتقدم المرأة التي دشنتها سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك رئيسة الاتحاد النسائي العام الرئيسة الأعلى لمؤسسة التنمية الأسرية رئيسة المجلس الأعلى للأمومة والطفولة خلال سنة 2002، من أكبر إنجازات مسيرة الاتحاد وأبرزها على الإطلاق في مسيرة تمكين المرأة الإماراتية.[44]

ودعمت سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك أم الإمارات استراتيجية الشيخ خليفة بإطلاقها الاستراتيجية الوطنية لتمكين وريادة المرأة في دولة الإمارات 2015–2021، ضمن الاحتفال بيوم المرأة العالمي، لتوفر إطاراً عاماً ومرجعياً وإرشادياً لكافة المؤسسات الحكومية الاتحادية والمحلية، والخاصة، ومؤسسات المجتمع المدني، في وضع خطط وبرامج عملها من أجل توفير حياة كريمة للمرأة لجعلها متمكنة، وريادية، ومبادرة، وتشارك في كافة مجالات العملية التنموية المستدامة بما يحقق جودة الحياة لها. وتعتبر هذه الاستراتيجية الوطنية لتمكين وريادة المرأة في دولة الإمارات، تحديثاً للاستراتيجية التي كانت سموها قد دشنتها عام 2002.

وتبوأت دولة الإمارات نتيجة لهذه السياسات الحكيمة..المركز الأول بين دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في معدلات المساواة بين الجنسين في مؤشرات جودة التعليم والمساهمة الاقتصادية والسياسية والرعاية الصحية..وفقاً لتقرير المنتدى الاقتصادي العالمي للعام 2013.وتطمح الإمارات وفق رؤية الشيخ خليفة إلى الارتقاء أكثر بدعم المرأة وتمكينها في مختلف المجالات، ويبدو ذلك واضحاً من خلال المبادرات المستمرة التي تتبناها، والمشاريع التي تطلقها لدعم دور المرأة في قطاع الأعمال، كما تنسجم هذه الإجراءات مع خطط الدولة للتنويع الاقتصادي المحلي القائم على الابتكار، باعتبار أن فئة الشباب من الجنسين هي أبرز الفئات المؤهلة والمستهدفة لإقامة المشاريع الاقتصادية القائمة على الابتكار والتكنولوجيا.

نتائج الدراسة

تتقدم المجتمعات الإنسانية إذا استثمرت طاقات كل فرد فيها؛ ورعاية المرأة وتمكينها أحد أبرز المعايير التي تدل على تقدم المجتمع وتطوره. وقد شهد العالم لدولة الإمارات العربية المتحدة بالتقدم والتطور؛ فمن خلال الإحصائيات احتلت الإمارات مكانة متميزة في تمكين المرأة.فقد اهتمت الإمارات بحقوق الأسرة والمرأة والطفل من خلال العديد من القوانين والنصوص والتشريعات، وانضمامها إلى الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي تكفل حماية حقوق المرأة والطفل، منها اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بحقوق الطفل، اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة والاتفاقية الدولية بشأن عمل النساء ليلاً، والاتفاقية الدولية المعنية بالحد الأدنى لسن الاستخدام والاتفاقية الدولية بشأن مساواة العمال والعاملات في الأجر والامتيازات الأخرى وجميع الاتفاقيات التي ترمي إلى تحقيق المساواة الكاملة بين الجنسين في الحقوق والواجبات.

وفيما يلي بعض أهم نتائج الدراسة:

- يعد الدستور الإماراتي المرجعية الأساسية وأكبر ضامن لحقوق المرأة، إذ حرصت التشريعات والقوانين على تشجيع المرأة وحمايتها وإعطائها مكانة لا تقل عن مكانة الرجل، وإتاحة الفرص أمامها لتحقيق مكاسب قياسية في التعليم والتمكين والمشاركة الاقتصادية والسياسية والمجتمعية.
- وصلت المرأة الإماراتية بدعم من القيادة الحكيمة لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان إلى مستويات عالية مرموقة من القدرات العلمية والأكاديمية، وحققت جدارة وكفاءة عملية في مجالات التطور التقني والتكنولوجي مما مكنها من المشاركة الإيجابية الفاعلة في جميع مجالات التنمية المستدامة، ومختلف مواقع العمل.
- إذا كانت النجاحات والإنجازات التي حققتها المرأة الإماراتية في مختلف مواقع العمل الوطني هي ثمار مرحلة التمكين التي أطلقها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، والتي تهدف إلى تعميق مشاركة المواطنين والمواطنات في الشأن الوطني على المستويات كافة، فإنها أيضاً نتيجة لجهد متميز وجبار قادته سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك، رئيسة الاتحاد النسائي العام، الرئيس الأعلى لـ"مؤسسة التنمية الأسرية" «أم الإمارات»، من أجل تفعيل دور المرأة الإماراتية، والارتقاء بأوضاعها في المجالات كافة.
- إن التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها دولة الإمارات في ظل قيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، أدت إلى تحسين الخصائص الصحية للأفراد، بمن في ذلك المرأة. فالخدمات الصحية والبرامج العلاجية والوقائية التي نفذتها وزارة الصحة دعمت الوضع الصحي للمرأة الإماراتية، ولا شك أن ارتفاع المستوى التعليمي والوعي لدى الأفراد كان له الأثر الطيب في نجاح جهود الدولة المبذولة للارتقاء بالوضع الصحي لمواطنيها

- شهدت الأسرة الإماراتية تغيراً سريعاً خلال العقد الماضي، نتيجة لعملية التحديث التي مر بها المجتمع الإماراتي في كافة مجالات الحياة. حيث ارتبط التحديث بالتطور والنمو الاقتصادي، وما ترتب عليه من توسع وتحسن في مستوى الخدمات الاجتماعية كالتعليم، وتحسين المستوى المعيشي للأسرة.
- في سابقة برلمانية تعكس نجاح المرأة الإماراتية من خلال مشاركتها في صنع القرار، ترأست الدكتورة أمل القبيسي النائبة الأولى لرئيس المجلس الوطني الاتحادي الإماراتي الجلسة السادسة للمجلس، وتعتبر الدكتورة القبيسي أول امرأة تتولى رئاسة البرلمان الإماراتي لفترة، وهي أول امرأة منتخبة، وهو ما يعكس نجاح المرأة الإماراتية ومشاركتها الفاعلة في صناعة القرار في إطار حرص الحكومة الإماراتية على تمكين المرأة وتسخير جميع الإمكانيات لتعزيز مشاركتها في مختلف نواحي الحياة.
- تعد تجربة تمكين المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة تجربة متميزة مقارنة بالدول العربية والكثير من الدول الأجنبية، وفق الضوابط الوطنية والثقافية. حيث بموجب الدستور الإماراتي، تتمتع المرأة بنفس الوضع القانوني مثلها في ذلك مثل الرجل، وذلك فيما يخص تقلد المناصب، والحصول على التعليم، والحق في ممارسة المهن. وفي مثل هذه البيئة الداعمة، تم إنجاز الكثير من المشاريع الداعمة للمرأة، والتي تصب خدمة للأسرة الإماراتية، وقد ارتقت المرأة الإماراتية في كثير من المؤشرات التعليمية والسياسية والاقتصادية في عهد الشيخ خليفة رئيس الدولة.
- الأهمية البالغة لتعليم المرأة في دعم مسيرة التمكين على جميع المستويات، حيث تبين وجود علاقة قوية بين المستوى التعليمي للمرأة الإماراتية وبين مشاركتها في صياغة القرارات والمشاركة في مختلف الأنشطة، وهذا ما سعى إليه الإتحاد منذ تأسيسه على يد الشيخ زايد رحمه الله، وأتم المسيرة الشيخ خليفة من خلال التأكيد على أن التمكين الفعلي للمرأة يتحقق انطلاقا من حصولها على مستويات تعليمية مرتفعة.
- لقد عرف وضع المرأة الإماراتية تطوراً هاماً خلال السنوات الأخيرة نتيجة لحرص القيادة السياسية في الدولة على إشراكها في صنع واتخاذ القرار، حيث ارتفعت نسبة تمثيلها في التشكيل الوزاري الذي تم إعلانه في فبراير2008 من مقعدين إلى أربعة مقاعد وزارية، وهي من أعلى نسب التمثيل الوزاري على المستوى العربي،كما حصلت على حقوقها كاملة في الانتخاب والترشيح في أول انتخابات برلمانية شهدتها البلاد في ديسمبر 2006،حيث شاركت المرأة الإماراتية بقوة، وكان حضورها مميزاً أكثر في الهيئات الانتخابية والذي وصل إلى 1189 مواطنة من أصل 6689 عضوا و بنسبة 17% من العدد الكلي للأعضاء.

توصيات واقتراحات

سنحاول صياغة و طرح مجموعة من الرؤى المستقبلية من شأنها زيادة تمكين المرأة الإماراتية سياسياً واقتصادياً وتعليمياً، ومواجهة التحديات القادمة، ورسم أفضل للمستقبل، وتوصلت الدراسة إلى تحديد مجموعة من السياسات أهمها:

- السعي إلى تعميم قضايا النوع الاجتماعي في المناهج الدراسية المختلفة، والعمل على تعميم وتشجيع النساء على إكمال تعليمهن حتى مستويات جامعية، وعدم الاكتفاء بالحد الأدنى.
- حتى يتم رفع نسبة مساهمة النساء الإماراتيات في سوق العمل، وتوسيع فرص عمل المرأة، ينبغي زيادة معدلات التحاق الفتيات بالتعليم، مما يؤدي إلى تكوين عال يسمح بالرفع من إنتاجية الشركات، وحدوث تأثير إيجابي على أداء الشركات نتيجة لوجود نساء في مجلس إدارتها ومناصب الإدارة العليا فيها.
- ربط تخصصات المرأة في الجامعات والمعاهد بسوق العمل المناسب لها، حتى نضمن تمكين المرأة في التخصص والعمل الذي يناسبها.
- ضرورة تفعيل دور القطاع الخاص للمساهمة في الأنشطة المجتمعية الخاصة بالمرأة.
- ينبغي استعمال استراتيجيات متنوعة لتحسين الفرص الاقتصادية للمرأة، كإتاحة الوقت للمرأة للعمل خارج المنزل من خلال توفير خدمات رعاية الأطفال، وتحسين فرص الحصول على القروض المصرفية وتسهيل ضمان حصولها على الموارد الإنتاجية، والقضاء على التحيز المؤسسي ضد المرأة باستحداث نظام الحصص أو برامج التوظيف المناسبة لزيادة تمثيل المرأة في بعض القطاعات.

- إيجاد قاعدة بيانات تعنى بحقوق المرأة، تشمل أهم المؤشرات والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
- ربط التمكين الاقتصادي بمحو الأمية والتعلم والتدريب، ورفع قدرات المرأة وتدريبها على إنشاء وإدارة المشروعات الاقتصادية

المراجع:

1. Narayan-Parker, D., 2002, Empowerment and Poverty Reduction: A Sourcebook, World Bank, Washington, D.C.
2. الأمم المتحدة،، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا،مبادئ توجيهية من اجل تعميم قضايا النوع الاجتماعي و تعزيز فعالية آليات النهوض بالمرأة،نوفمبر 2007.
3. عبد السلام سهام، المنظمات الأهلية الصغيرة العاملة في مجال المرأة، دار العين للنشر، القاهرة، 2005.
4. إعلان ومنهاج عمل بيجين، الإعلان السياسي والوثيقة الختامية لمؤتمر بيجين بعد 5 سنوات، إدارة شؤون الإعلام في الأمم المتحدة، 2002.
5. Gutierrez, L. M., & Ortega, R., Developing Methods to Empower Nations: The importance of Groups, 1991.
6. اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا،مشاركة المرأة العربية في العمل السياسي:تحديات واقتراحات، الأمم المتحدة،22 يناير 2013.
7. وحيدة بورغدة، المشاركة السياسية والتمكين السياسي للمرأة : حالة الجزائر، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد:36، سبتمبر 2012.
8. البيئة القانونية والتشريعية ودورها في تمكين المرأة، الاتحاد النسائي العام، إدارة الدراسات والبحوث، أبوظبي،الإمارات.
9. واقع المرأة الإماراتية في مرحلة التمكين، مجلة درع الوطن، مديرية التوجيه المعنوي في القيادة العامة للقوات المسلحة، العدد 510، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، يوليو 2014.
10. وكالة الأنباء الإماراتية، خليفة.. قيادة لا تعرف المستحيل لوطن عنوانه السعادة،جريدة الاتحاد، الثلاثاء 18 نوفمبر 2014.
11. خورشيد حرفوش، المرأة الإماراتية الرقم الأهم في معادلة البناء ومسيرة التنمية الشاملة، تاريخ النشر: الخميس 03 نوفمبر 2011
12. صالحة سهيل العامري،دور المرأة الإماراتية في المشاركة السياسية،رسالة ماجستير غير منشورة،قسم العلوم السياسية،جامعة الشرق الأوسط،عمان، الأردن ،تموز 2013.
13. جريدة الاتحاد، مبادرات نسائية: ابنة الإمارات حققت بدعم القيادة مكتسبات عديدة الإمارات تحتل المرتبة الأولى عربياً في تمكين المرأة قيادياً وبرلمانيا، الإثنين02ديسمبر 2013.
14. الأمم المتحدة، التقرير الوطني المقدم وفقاً للفقرة ١٥ (أ) من مرفق ١/ قرار مجلس حقوق الإنسان في الإمارات العربية المتحدة، 16 سبتمبر 2008.
15. Human Rights and Labor , United States, Country Reports on Human Rights Practices for Department of State , Bureau of Democracy,2012.
16. فاطمة حسن الصايغ، المرأة الإماراتية من الدعم إلى التمكين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي- الإمارات- ، 7 نوفمبر 2013.
17. تقرير التنمية البشرية لسنة 2014، المضي في التقدم : بناء المنعة لدرء المخاطر،2014.
18. عابد أحمد، خليفة يعلن تفعيل المجلس الوطني بانتخاب نصف أعضائه، ملحق صحيفة الخليج، آفاق الشارقة،31 ديسمبر 2005.
19. أمل عبد الله القبيسي، تمكين المرأة الإماراتية ..رؤية قيادة وإستراتيجية دولة، مجلة الدفاع الوطني، العدد الأول،يونيو 2014.

20.وزارة الخارجية الإماراتية، تقرير حول تمكين المرأة الإماراتية، مارس 2015.
21.فضة عبدالله لوتاه، إسهام المرأة الإماراتية في سوق العمل، ورشة عمل حول:"تنمية المهارات المهنية والقدرات التنافسية للمرأة العربية"، منظمة العمل العربية ، يوليو 2009 .
22.الأمم المتحدة،اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا،اجتماع الخبراء لمراجعة المبادئ التوجيهية لتعزيز فعالية الآليات الوطنية للنهوض بالمرأة في منطقة الاسكوا،لبنان،فيفري2010.
23. مالك عبد الحسين أحمد، تمكين المرأة العراقية في مجالات التنمية، مجلة الاقتصادي الخليجي، العدد 23، 2012.
24.صابر بلول، التمكين السياسي للمرأة العربية بين القرارات والتوجهات الدولية والواقع،مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 25، العدد الثاني، 2009.
25. تقرير حول حقوق الإنسان لعام 2012 في الإمارات العربية المتحدة، 2012.
26.الاتحاد النسائي العام،تقرير دولة الإمارات العربية المتحدة عن متابعة عمل بيجين15.
27. ماري صوفيا، نجاح متزايد للمرأة الإماراتية، التقرير الاقتصادي، العدد 14 ، مجلس أبو ظبي للتطوير الاقتصادي، 2012.
28.سماح بن عبادة، المرأة الإماراتية بعد 43 عاما من الاتحاد: تمكين الإماراتيات من الإسهام الفعال في بناء الدولة، جريدة العرب، الأحد 14 ديسمبر2014.
29.الأمم المتحدة، اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة،النظر في التقارير المقدمة من الدول الأطراف بموجب المادة 18 من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، التقرير الدوري الاولي من الدول الأطراف، الإمارات العربية المتحدة ، سبتمبر2008.
30. درية الكسار، المرأة.. دور لافت في المشهد الإماراتي وأبعاد جديدة في «التمكين»،جريدة الاتحاد، 14نوفمبر2013.
31. Booz Company, Empowering the Third Billion,Women and the World of Work in 2012.
32. هالة السكري وآخرون، ريادة الأعمال منظور إماراتي، صندوق خليفة وجامعة زايد ، معهد الدراسات الاجتماعية والاقتصادية، 2014.
33. Khalifa Fund for Entreprise Development,report on Business Incubation.
34.ماري صوفيا ، سيدات الأعمال في الإمارات قوة اقتصادية ، التقرير الاقتصادي ، العدد 14 ، مجلس أبو ظبي للتطوير الاقتصادي، 2012
35.الإمارات اليوم، مظاهر التمكين الاقتصادي للمرأة، جريدة الاتحاد، السبت 13 يونيو 2015.
36.سيد الحجار، «تمكين رائدات الأعمال» يناقش دعم المرأة بالقطاع الخاص،جريدة الاتحاد، أكتوبر 2015.
37.الشيخة جواهر تؤكد أنها وصلت بها إلى العالمية الشيخة فاطمة تطلق الاستراتيجية الوطنية لتمكين الإماراتية حتى 2021، جريدة دار الخليج ، الأحد 08 مارس 2015.
38. DeAnne Aguirre, Leila Hoteit, Christine Rupp, Karim Sabbagh, Empowering the third billion: Women and the world of work in 2012, Booz & Company: October 15, 2012
39.كاترين إيلبورغ وآخرون، المرأة والعمل والاقتصاد، صندوق النقد الدولي،سبتمبر 2013.
40. Legatum Institute,The 2014 Legatum Prosperity Index,London,UK,November 2014.
41. World Economic Forum,The Global Gender Gap Report 2014.
42.نهاد أبو القمصان، هل يوفر المؤتمر الاقتصادى فرصاً للنساء؟، جريدة الوطن، الجمعة 6 مارس 2015.
43.تقرير التنمية البشرية لسنة 2013،برنامج الأمم المتحدة الإنمائي
44.عبد الله الجبلي، تقرير.. مسيرة تمكين المرأة في الإمارات، وكالة أنباء الإمارات، 27 إبريل 2015.

الازدواج اللغوي وأثره في ثقافة الأمّة

Diglossia (Bilingualness) and Its Impact on Arab Nation's Culture

*د. حسن طاهر مصطفى أبو الرُّب

*DR. Hassan Taher Mostafa Abu-Alrob

ملخص

إنّ من أخطر المشكلات التي تواجهها اللغة العربية في عصرنا الحاضر، هو طغيان اللهجات العامية على طابعها العام، الأمر الذي أوجد ظاهرة لم تنتشر في أي عصر مضى كما انتشرت في عصرنا هذا؛ وهي ظاهرة الازدواج اللغوي. لذا يناقش هذا البحث هذه الظاهرة موضحاً أصلها ونشأتها، ومواطنها والمستويات اللغوية التي تقع فيه، ويبين بعد ذلك الأثر السلبي لها في ثقافة الأمة، مُقدِّماً نظرات مقترحة للحدّ من أثرها السلبي في واقعنا الثقافي والتعليمي بخاصة.

Abstract

One of the most dangerous problems facing the Arabic language, nowadays, is the widespread use of a number of vernaculars or dialectal Arabic, a phenomenon that Arabic has never had in its long history. In addition, another phenomenon has also emerged use of diglossia . This paper examines this linguistic phenomenon in terms of origin, history, areas, causes and negative impacts on the culture of the Arab nation. The paper also looks at the language levels this phenomenon falls in. The paper concludes with a number of suggestions to check on the negative effect of this phenomenon on the cultural and educational realities.

*أستاذ مساعد–جامعة القدس المفتوحة–نابلس– فلسطين

*Assistant Professor Al Quds Open University-Nablus-palestine

مقدمة

يجمعُ اللغة والثقافة رباط حميم جداً؛ إذ لا نستطيع أن نتخيل لغة ما على وجه البسيطة لا تنتج ثقافة ولا تحفظ هوية! فقد حفظت اللغة الهندية ثقافة الهنود طوال قرون غابرة، وحفظت اليونانية والفارسية ثقافة اليونان والفرس زمناً طويلاً، وكذا الحال في لغتنا المقدسة التي حباها الله عزّ وجل لكتابه الكريم الخالد، ولسائر البشر جميعاً، تلك التي استطاعت أن تتربع على عرش اللغات، حين ملك المسلمون مقاليد الخلافة، وأداروا حكم الأرض ردحاً من الزمن !

إن اللغة العربية غدت في عصرنا اليوم، تعاني من ظاهرة خطيرة معقدة، ألا وهي الازدواج اللغوي، وبصرف النظر عن الاختلاف في هذا المصطلح؛ أهو ازدواج أم ثنائية، وإن كان الأول أكثر دقة؛ فإنّ هذه الظاهرة لم تكن تشكل في يوم من الأيام خطراً ظاهراً كما هو حالها اليوم، فهي تضْعِفُ اللغة الفصيحة الأصل، التي ما تزال حبلاً يصل بين أبناء هذه الأمة، من محيطها إلى خليجها، وتفسدُ حياتنا الثقافية، وحياتنا الاجتماعية ولا سيما في مجال التواصل العلمي والثقافي والديني الذي نحن بأمسّ الحاجة إليه. ويهدف هذا البحث إلى:

1. الوقوف على أصل هذه الظاهرة (الازدواج اللغوي) في الماضي بشكل موجز.
2. تعرّفُ مواطن هذا الازدواج اللغوي، بين اللغة الفصيحة والعامية وعمقه على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، من خلال نماذج توضح ذلك.
3. بيان الأثر السلبي لهذا الازدواج اللغوي في ثقافة الأمة العربية .
4. تقديم نظرات يمكن لها أن تخفف من الأثر السلبي لهذا الازدواج.

أمّا منهج الباحث في البحث، فيكمن في توضيح إشكالية الازدواج اللغوي في اللغة العربية، وفق ما ذكره المؤرخون اللغويون في المعاجم، أو الذين جمعوا الشعر العربي، أو الذين كتبوا في اللغة وتاريخها وألفاظها ودلالاتها، إلى أن يصل إلى العصر الحديث؛ إذ تظهر الفوارق بيّنةً بين اللغة الفصيحة والعامية المتعددة في أرجاء الوطن العربي، وما ينعكس ذلك من آثار في ثقافة الأمة، ويسهم في زيادة الانقسام والتشرذم التي تعانيها أمّتنا في العصر الحاضر.

تُمثل اللغة الوسيلة الرئيسة للتواصل بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه؛ فمن خلالها يمكن التعبير عن أفكارنا وأحاسيسنا ومشاعرنا، إذ لا وجود للأفكار بلا كلام.

ولعل أقدم تعريف للغة ما حكاه ابن جني حين قال:" اللغة أصواتٌ يُعبّرُ بها كلّ قومٍ عن أغراضهم .." [1]، و نلمس من كلام ابن جني أنّ علماء العربية القدماء قد درسوا اللغة بوصفها لغة منطوقة قائمة على أصوات، وقد ذهب دي سوسير إلى أنّ اللغة يجب أن تدرس باعتبارها أصواتاً وليس باعتبارها حروفاً مكتوبة [2]. وهذا ما رآه الدكتور كمال بشر حين قال إنّ علم اللغة بالمفهوم الحديث وظيفته دراسة اللغة ذاتها بالكشف عن خواصها وميزاتها، فالغرض ما يتكلمه الناس بالفعل لا ما يجب أن يتكلموه..[3].

وبصرف النظر عما تكون عليه وظيفة اللغة أو دراستها؛ فإنها تعدّ سبيلنا في التعبير عن الوجود، وهي الوعاء الحافظ للحضارة، ففيها ذاكرة الشعوب وتراثها، ولولا هذا التراث المدوّن باللغة ما عَرَفَ الآخر ما كان عليه الأول؛" لأنها شرط ضروري للدخول إلى عالم الإنسان، فهي قوام الفكر والتخاطب ولا مجال للفكر خارج الكلام."[4]

ونعتقد أن اللغة التي كانت في بادئ الحياة على الأرض واحدة، ونتيجة لتكاثر النسل البشري، واتساع المكان، واختلاف العوامل بشتى أنواعها وجدت اللهجات وتعددت اللغات، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:" وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ " [الروم : 22] . وهذا يعني أن اللغة تساير الارتقاء الفكري والحضاري للإنسان.

ومن المؤكد أن مسألة البحث في أصل اللغة ونشأتها على أهميته لا يمكن الوصول فيه إلى قرار حاسم أو رأي واضح نطمئن إليه، وكلّ الذين ساروا في هذا الطريق من قدماء ومحدثين لا تعدو نظراتهم عن محض اجتهاد. غير أنّ الذي يمكن الاطمئنان إليه، هو أن اللغة العربية فرع من فصيلة كبيرة يطلق عليها فصيلة اللغات السامية؛ وهو مصطلح حديث أطلقه شولتزر حين بحث عن تسمية مشتركة تضمّ العبرية والعربية والحبشية والآرامية والفينيقية واليمينة والبابلية والآشورية لوجود صلات قرابة بين هذه اللغات[5،6] .

ومن المؤكد أيضاً أنّ اللغة العربية الباقية، هي التي ما نزال نستخدمها في الكتابة والتأليف، وهي التي وصلت إلينا عن طريق الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والسنّة النبوية.

لقد أسهمت عوامل التطور اللغوي التي مرّت بها العربية عبر مراحلها، في إيجاد ما يعرف باللغة المشتركة، وهي اللغة العالية أو الفصيحة المستخدمة في الأدب، وهذا لا ينفي وجود اللهجات التي كان العرب يستخدمونها في شؤونهم الخاصة، ووجد فيها الاستنطاء والتلتلة والشنشنة والطمطمانية والعجعجة والفحفحة والعنعنة [5]* وغير ذلك من أنماط لغوية امتازت بها بعض القبائل.

ولعل وجود نمطين من اللغة العربية فصيح وعامي، يجعلنا نتيقن أن العرب قديماً، ميّزت بين هذين النمطين؛ وقد عدّه ابن الأثير مسلكاً وعراً، وأن العلماء لم يزالوا يكثرون القول فيه، وأن غاية ما يقال في هذا الباب، أنّ الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي، يقال: أفصَحَ الصبحُ إذا ظهر، فإذا لم يكن اللفظ ظاهراً بيّناً لم يكن فصيحاً ،والكلام الفصيحُ هو الظاهر البيّنُ، وأعني بالظاهر البيّن، أنْ تكون ألفاظه مفهومة، لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة، وإنما كانت بهذا الصفة؛ لأنها مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر[7] وهذا ما فعله ثعلب حين وضع كتابه" الفصيح"، فقد قال في أوله :" هذا كتاب اختيار الفصيح مما يجري في كلام الناس وكتبهم، فمنه ما فيه لغة واحدة، والناس على خلافها، فأخبْرنا بصواب ذلك؛ ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك، فاخترنا أفصحهنّ، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستُعْمِلتا، فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما".[8]

وعدّ السيوطي من شروط اللفظ الفصيح خلوصه من تنافر الحروف ومن الغرابة ومن مخالفة القياس اللغوي[9]. ويبدو أن اللغات السامية قبل تفرقها كانت ترجع إلى أصل واحد، وتشكل وحدة شعبية، إلاّ أنّ من العسير جداً تعيين ذلك الأصل، وتحديد هذه الوحدة؛ لأن المهد الأول للساميين ما يزال غامضاً مجهولاً رغم أبحاث العلماء الكثيرة[5] .

---

* الاستنطاء هو جعل العين السكنة نوناً، نحو (أنطى) بدلاً من (أعطى) والتلتلة كسر حرف المضارعة ، نحو : أنا إعلم، ونحن نِعْلم، وتنسب هذه اللهجة إلى قبيلة بهراء وقيس وتميم وأسد وربيعة، والشنشنة هي جعل الكاف شيناً مطلقاً نحو: لبيش اللهم لبيش بدلاً من لبيك اللهم لبيك، وتنسب هذه إلى اليمن، والطمطمانية عبارة عن إبدال لام التعريف ميماً ، فيقال: طاب امهواء بدلا من طاب الهواءُ، وتنسب إلى طيء والأزد وحِمْير، والعجعجة قلب الياء المشددة جيماً وتنسب إلى قضاعة ، نحو أبو علجّ بدلا من أبو علي، والعنعنة هي قلب الهمزة المفتوحة في أول الكلمات والحروف عيناً نحو: علمتُ أنّك كريم/ علمتُ عنّك كريم ، وتنسب إلى تميم وقيس وأسد . والفحفحة وهي تنسب إلى هذيل، وهي عبارة عن قلب الحاء عيناً نحو (حتّى): عتّى. ينظر: صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص68 ، مرجع سابق.

لقد عاشت اللغة المشتركة (الفصحى) في شبه الجزيرة العربية زمناً طويلاً، جنباً إلى جنب مع بعض اللهجات المحلية؛ غير أنّ اتساع رقعة الدولة الإسلامية في الأمصار، ودخول كثير من العجم في الإسلام، واختلاطهم بالعرب، واقتناء الجواري والزواج من الأجنبيات، أسهم في تعزيز اللهجات.

وانتشارها وظهور العامية التي وجدت لها رقعة جغرافية واسعة، ولا سيما في القرن الرابع الهجري، وفي ذلك يقول أحمد أمين:" كان من مظاهر هذا العصر، انتشار العامية بجانب الفصحى، فكان لكل إقليم إسلامي لغته ولهجته الدارجتان.."[10] ، وينضاف إلى ذلك أن الدولة الإسلامية بعد القرن الرابع، بدأت تتشعب إلى دويلات؛ في فارس والشام ومصر علماً أنها كانت تتبع الخليفة العباسي في الولاء. وقد ساعد ذلك على تمدد اللهجات، وتفشي اللحن؛ إذ وجدت كثير من الكلمات الأعجمية طريقاً إلى العربية وهي دخيلة عليها، إضافة إلى تناسي قلة استعمال الإعراب في الحديث الدارج بين الناس، والتلاعب باللفظ كما يستسيغه الناطق، وكانت العامية كما يقول الرافعي:" في بدايتها لحناً في اللغة ثم أمست لغة في اللحن.[11]

ولم يكن حال اللغة في العصر الأيوبي أو المملوكي أفضل من آخر العصر العباسي، فقد ضعفت شوكة المسلمين، وتردت أوضاعهم، واحتلّ الصليبيون بلادهم، وبالرغم من الانتصارات التي حققها بعض القادة المسلمين على الصليبين والمغول غير أنّ أمور الحياة والأدب والعلم ما عادت قوية نشطة ومزدهرة كما كانت عليه في العصر العباسي.

أما في العصر العثماني، فكانت لغة الدولة الرسمية هي اللغة التركية، غير أنّ دولة الخلافة لم تسعَ إلى تغيير البنية اللغوية في الولايات العربية، ويتبدَّى هذا في أول مظهر من مظاهر الحياة الفكرية، وهو التعليم، الذي بقي تعليمًا دينيًّا في الدرجة الأولى؛ إذ إن التعليم العربي الإسلامي منذ نشأته اتخذ مكانًا له المسجد والجامع، وكان الهدف الديني فيه هو الأغلب[12]

ووفق ما كتب مؤرخ التربية التركية المشهور عثمان أركين في كتابه تاريخ التربية التركية؛ فإنّ العثمانيين مع استخدامهم للغتهم التركية في الأعمال الحكومية، فإنهم لم يدرِّسوا هذه اللغة للشعب في أي مؤسسة من المؤسسات –فاللغة السائدة والمسيطرة في المدارس والجامعات كانت اللغة العربية، ولم تتنحَّ اللغة العربية عن المكانة الأولى في المؤسسات التعليمية العثمانية إلا مع إلغاء النظام التربوي العثماني عندما صدر قانون عام 1923م؛ أي مع النهاية الرسمية للدولة العثمانية وميلاد تركيا الجديدة[12].

وبعد سقوط دولة العثمانيين، تعرضت اللغة العربية لأعتى المخاطر؛ فقد خاضت وما تزال صراعاً عنيفاً مع الطامعين المستعمرين الذين أخضعوا بلاد العرب لغزو عسكري وثقافي وفكري وحضاري، كان من نتائجه زيادة الإقبال على العامية، والعزوف عن اللغة الفصحى، وانتشار لغات أخرى أجنبية كالعبرية في فلسطين والفرنسية في سوريا والجزائر، والإنجليزية في باقي البلاد العربية.

وبالرغم من انقضاء قرن من الزمان على ذلك، غير أنّ طبيعة العصر الذي نعيش فيه من تقدم وتطور تكنولوجي وثورة صناعية تغطي مجالات الحياة كافة قد جعل الأزمة التي تعيشها اللغة العربية آخذة في العمق في الأسواق والمدارس والجامعات ووسائل الإعلام. ولا سيما أن نصيب العرب في صنع هذا التقدم والتطور والازدهار ضئيل جداً؛ إذ إنّ البلاد العربية تعدّ أكبر سوق مستوردة لما يُنْتَجُ في الغرب والدول الصناعية الكبرى، وقد أثقل ذلك كاهل اللغة، بعدد لا يعدّ ولا يحصى من الألفاظ الدخيلة التي تُستَخدَمُ على ألسنتنا بهيئتها التي جاءت فيها دون تغيير أو تبديل.

ولعل أخطر التحديات التي تواجهها لغتنا اليوم الغزو الفكري الثقافي؛ لأن هذا الاستعمار هاجم اللغة في جوهرها، وعمل على تقويض دعائمها، من حيث الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية أولاً، وثانياً من خلال استخدام العاميات بدل الفصيحة، وقد قاد هذه الدعوات عدد من المستشرقين المرتبطين بالغزو الاستعماري، كالمستشرق الألماني سبيته الذي ألف كتاب في الأقوال والأمثال المصرية باللغة اللاتينية.[13].

وتندرج العولمة في سياق هذا الغزو الفكري الثقافي، وهي من التحديات الكبرى التي تواجهها اللغة العربية؛ فالعولمة ترمي في مضمونها إلى تشكيل العالم اقتصادياً واجتماعياً و ثقافياً، وفق رؤية جديدة تقودها الدول العظمى، ولا سيما أمريكيا، وتسعى من خلال هذه الرؤية إلى قلب المفاهيم والحقائق، والتشكيك بتاريخ الأمة وعقيدتها وتراثها وحضارتها، وليس أدلّ من ذلك الخلاف الكبير في دلالة مفهوم الإرهاب الذي زجّت به إلى منطقتنا العربية، وحرّفته عن أصله ودلالاته. وأسهمت سياستها هذه في إيجاد شخصيات من أبناء هذه الأمة تطالب بالعزوف عن الفصحى، واللجوء إلى العامية، وإعادة صياغة قواعد اللغة الأصيلة، التي مكث عليها جهابذة العرب والعجم من المسلمين ردحاً طويلاً، وهم يرسمون خطوطها، ويضبطون حدودها، ويحصون مفرداتها، في مؤلفات كثيرة ما تزال تحتفظ بها مكتباتنا الخاصة والعامة.

اللغة ونشأة الازدواجية

الواقعُ الذي تعايشه اللغة العربية اليوم، واقعٌ صعب ومُعقدٌ ومُقْلق، ولعلّ الصعب والتعقيد فيه يتأتى من حالة التشرذم والانقسام والهزيمة، التي تعانيها بلادنا العربية في المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية ؛ وما يقلق في هذه الحالة غياب شرائح المجتمع المؤثرة في تصحيح الوضع اللغوي المتردي، الذي يتمثل بالهروب من الفصيحة إلى العاميات المتعددة ، في كل قطر عربي، إلى ضعف في الإملاء ، وميل إلى الكتابة الصوتية، كما نجد ذلك في مواقع شبكة المعلومات الإلكترونية، وأصبح من يكتب بالفصيحة يُرمى بتهم التخلف والتقليد والفلسفة ، وأصبحنا نجد العربيّ في كثير من الأحيان، لا يتورع عن كتابة اللفظ الأجنبي الدخيل بحروف عربية ظاناً أنه عربيّ، وبعضهم الآخر يمزج بين ألفاظ اللغة الأجنبية والعربية العامية في العبارة الواحدة، وإذا سِرْتَ في طرقات أية مدينة عربية، صرت تشاهد بعض لوحات الإعلان، وما يُعلّق على أبواب الدكاكين من لافتات، كُتِبَتْ بصياغة بعيدة عن قواعد اللغة الصحيحة، وامتزج الحرف العربي بالدخيل الأجنبي ، وغير ذلك من ظواهر لغوية مؤلمة صار عدد من يشكو منها قليلاً ...!

لن نسترسل كثيراً في وصف واقعنا اللغوي، فهذا البحث القليل الأوراق، لا يحتمل ذلك أبداً، لكننا سنعصر أكبر هموم لغتنا اليوم في همّ واحد، ألا وهو هذه الازدواجية بين الفصحى والعامية.

في هذا الواقع الذي نعايشه، توجد ازدواجية لغوية ما كانت جديدة في تاريخنا يوماً ما، فقد تعايشت الفصيحة واللهجات العربية ردحاً طويلاً من الزمن، منذ العصر الجاهلي على الأقل، وحتى آخر العصر العباسي، لكنّ هذه اللهجات ما كان لها أن تغلب لغة الأدب والثقافة والعلم والدين. وهي اليوم ليست لهجات معدودة فقط؛ بل لهجات يضيق تعدادها وبيان سماتها في كل قطر عربي!! حتى بلغ سوء الحال أنْ لو التقى عربي من بلاد الخليج العربي بعربيٍّ من بلاد المغرب العربي وتحادثا كلّ بلهجته الخاصة لاحتاجا إلى ترجمان !!

لقد ظهر مصطلح ازدواجية Diglossie أولُ ما عند الفرنسيين على يد العالم وليم مارسيه الذي نحت هذا الاصطلاح عام 1930م وعرّفه بقوله:" التنافسُ بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة" ولما لم يكن في الإنجليزية كلمة لها مثل هذه الدلالة صيغ مصطلح: Diglossie ليدلّ على المعنى نفسه، أما اللغات الأوروبية، فتستعمل المصطلح: Bilingualism الثنائية اللغوية ليدل على المعنى السابق نفسه، وقيل بل إنّ أول من تحدث عن هذه الظاهرة هو الألماني كارل كر مباخر عام 1902م، حين تطرق إلى طبيعة هذه الظاهرة وأصولها، وأشار بشكل خاص إلى اللغتين اليونانية والعربية، واقترح على اليونانيين ترك ازدواجيتهم الشرقية واللحاق بالعالم الغربي، بتبني العامية لغة قومية، كذلك دعا العرب إلى ترك فصيح لسانهم، وتبني إحدى اللهجات مفضلاً المصرية لغة قومية[14،15].

والصحيح أنّ الباحثين العرب، حين وصل إليهم المصطلح انقسموا في فهمه وتفسيره، ففريق رأى أنّ الازدواجية كائنة في لغة واحدة في مجتمع واحد كالفصيحة والعامية في بلادنا العربية، وأنّ الثنائية تكون في لغتين في مجتمع واحد، كأنْ يعرف شخص لغتين أو أكثر.

وفي قاموس المعاني الإلكتروني، نجد هذه الدلالة؛ فقد ورد فيه أنّ مصطلح الازدواجية يعني استعمال اللغة الفصحى واللغة الدارجة، وهو خلاف الثنائية التي تعني استعمال لغتين مختلفتين كالعربية والإنجليزية[16]. وعلى هذا اتفقت كثير من آراء الباحثين المحدثين ممن كتبوا في الموضوع نحو: محمد راجي الزغلول[14]،و محمد أمارة[17] وسليمان يوسف أسّو[18] وعبد الرحمن بودرع[19] وغيرهم كثير.

ونجد فريقاً آخر يخالف هذا الرأي، ومنهم محمد الخولي، الذي يرى أنّ اعتبار وجود لهجتين إحداهما فصيحة والأخرى عامية في المجتمع، هو نوع من الثنائية اللغوية، وأسماها ثنائية رأسية فقال:" إذا كانت اللغتان لهجتين للغة واحدة كأنْ تكون لهجة عالية فصيحة ولهجة عامية محلية فتدعى هذه الثنائية ثنائية رأسية.."[20].

ولعلّ أفضل من فسّر المصطلح تفسيراً جلياً، العالم اللغوي نهاد الموسى، وذلك حين ذهب إلى أنّ الازدواجية اللغوية هي مقابلٌ عربيّ لDiglossi ،في حين تكون الثنائية هي المقابل العربي ل Bilingualism،وبعد أن استعرض الآراء في هذا الموضوع قال:" وعلى الرغم من هذا فإننا نؤثر استعمال الازدواجية في الدلالة على المفهوم؛ وذلك أنّ الذين اختاروا الازدواجية في إفادة هذا المطلب أكثر، والغَلَبَةُ من مستلزمات المصطلح، ثمّ إن الازدواجية مادتها الزوج بدلالة جلية على الاقتران، والمشاكلة شأنُ العربية ولهجاتها كالفصيحة والعامية، وهذه المادة تشي بتوحد العرق والسلالة.

أمّا الثنائية فإنّ أسّ دلالتها مطلق العدد، حتى إنها تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشرّ والنور والظلام والفقر والغنى، وذلك أشبه بالتقابل البعيد بين اللغات المتباينة.." وهكذا تكون الازدواجية اللغوية عندنا مقابلٌ عربيّ لDiglossie ، في حين تكون الثنائية هي المقابل العربي ل Bilingualism .."[21]

وتأسيساً على ما تقدم، فإنّ الازدواجية في اللغة العربية مصطلح حديث، على الرغم من وجود دلالاته في تراث العرب اللغوي، لكن حين دخل هذا المصطلح حديثاً إلى العربية، كان لا بدّ له من أن يترك بعضاً من دلالاته في اللغات التي أتى منها على دلالاته الاصطلاحية في اللغة العربية. وربما كان هذا من أسباب التباين في فهم هذه الظاهرة بين الباحثين في هذا العصر.

والحقّ، إنّ لغتنا العربية في عالمنا العربيّ، تتمثل في مجموعة من الأشكال، فهناك لغةُ تَخاطبٍ تَختلفُ عن لغة الكتابة؛ ليس هذا فحسب، بل إنّ لغة التخاطب نفسَها تختلفُ من مكان لآخر، فهي في الجامعات ومؤسسات العلم والثقافة، غيرُها في مؤسسات الإعلام، أو في الأسواق، والبيوت والنوادي، وهي في مصر غيرها في بلاد الشام أو العراق أو اليمن أو في بلاد الخليج العربي أو دول المغرب العربي. أمّا لغةُ الكتابة؛ فهناك كتابة فصيحة يغلب أن تكون في الكتابات الأدبية كالشعر والقصة والمسرح والمقالة، وهناك نوعٌ من لغة كتابة الأبحاث العلمية تختلف باختلاف موضوعها، وهناك كتابة الرسائل والخطب والمذكرات اليومية.

جميع هذه الأشكال، ترسم صورة اللغة العربية في مجتمعنا العربي، وقد أتى عليها اللغوي نهاد الموسى[22]، وبيّنَ واقعها التداوليّ بين عموم العرب على النحو الآتي:

1. العربية الفصيحة وهي اللغة الكلاسيكية، الموجودة في القرآن الكريم، والأدب القديم، ففي هذين اللونين نستخدم اللغة الفصيحة قراءةً.
2. العربية العامية وهي اللهجة الدارجة أو المحكية، وهي تنوعات لهجية عديدة، وأنماط لسانية متباينة تباين الجغرافيا العربية ذاتها.
3. العربية الوسطى وهي مزيج من اللغة الفصيحة والعامية، ومتداولة في أوساط نخب المثقفين والمتعلمين.

4. العربية المعاصرة وهي أقرب إلى الفصيحة ومتداولة في الوسط الثقافي والإعلامي، من خلال وسائل الإعلام المختلفة، لكنّ هذه برأيي تميل إلى استخدام الألفاظ الأجنبية، والعبارات المترجمة.

وبرأي الباحث يمكن الاكتفاء بثلاث صور، وذلك بدمج الرابعة في الثالثة، إذ لا فرق كبيرٌ بين الصورتين؛ فالعربية المعاصرة التي نستمع إليها في وسائل الإعلام، هي المتداولة أيضاً في الوسط الثقافي وبين المتعلمين؛ لأنّ لغة المتخصص في علوم العربية ستختلفُ بالتأكيد عن لغة العربيّ غير المتخصص، وسنجد أن لغة الثاني تشبه كثيراً لغة الإعلاميين، من هنا كان دمج الصورتين أوفق.

إنّ ظاهرة الازدواج بين الفصيحة والعامية في لغتنا العربية لا يمكن أن نعدّها شيئاً غريباً عن باقي اللغات؛ إذ كانت هناك – على الدوام– لغة للكتابة تختلف عن لغة التخاطب. وهذا ما يقع على اللغة العربية وعلى جميع اللغات الحية أيضاً.

إنّ العامية في لغتنا ظاهرةٌ أصابت اللغة الفصيحة التي تواضعت عليها الأمة بوصفها الصورة المثلى لهذه اللغة. فاستقرأت أساليبها وتراكيبها. وقعّدت قواعدها النحوية والصرفية والبلاغية. ونتساءل: ألم تكن لغة قريش المرجع الرئيس لدى كتاب الوحي عند جمع القرآن الكريم وتدوينه؟ ألم يرافق ذلك لهجات عربية تستخدمها القبائل بالتوازي مع هذه اللغة الفصيحة؟ أليس الأسلوب الذي سلكته العربية، قد سارت فيه لغات أمم أخرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها؟

لكنّ الحياة اليوم تغيرت وتعقدت مطالبها، وأضحت مسافة البعد واسعة بين الفصيحة والعامية، غير ما كانت في العصور السابقة، وغدت ظاهرة الازدواج، كأنها انتحال لشخصيتين أو أكثر، ولم يسلم منها أحدٌ؛ فالطالبُ الذي يدرس اللغة يستمعُ إلى كلام فصيحٍ، حتى إذا خَرَجَ من المدرسة أو الجامعة إلى زملائه أو أهلهِ عادَ يتحدثُ العامية التي نشَأَ عليها، وكذا حالُ كلّ الذين يحملون رسالة الفصيحة على ألسنتهم وفي أقلامهم، أضحوا قلّة في مجتمع عربيّ واسع، يموج بلهجات محكية أو عاميات متعددة، حتى الأستاذ الجامعي المتخصص في أحد علوم اللغة، تجِدُهُ لا يتحدثُ الفصحى إلاّ في قاعات الدرس أو في المؤتمرات والندوات، فإذا ما عاد إلى بيته أو خرج إلى السوق أصبحت لغته مشابهة للغة البيت أو للغة السوق ..!

ولا بدّ من أجل تشخيص ظاهرة الازدواجية بشكل صحيح، الوقوف على أنماط هذه الظاهرة أو مستوياتها، التي تتفاعل فيها في مجتمعنا العربي، في بيئاته كلها، حتى نستطيع أنْ نتعرف درجة العمق في الخطر بين الواقع والمتخيل، فنصِفَ الواقع، ونبتعد عن الخطر، ونتعرف درجة تأثر العامية في الفصحى، ودرجة الالتقاء والبعد بين الاثنتين، وهو مما وضعه الباحث صوب عينيه في بحثه هذا.

مستويات الازدواجية

في الواقع العربيّ الذي نعايشه، توجدُ ازدواجية لغوية في أقطار العالم العربي جميعاً؛ إذ يتحدث الناسُ في حياتهم اليومية، وأحاديثهم الخاصة لغةً عاميّة، يستخدمها أيضاً المعلمون في المدارس، والمذيعون في البرامج، والمتحدثون في الندوات، وهي اللغة التي سمعوها ونشأوا عليها في بيئتهم الأسرية، لكنّ الملاحظ أن العلاقة بين ما يتحدثون به من عامياتٍ عربيّة متعددة واللغة الفصيحة هي علاقةٌ قائمة، وغالباً ما تكون قوية؛ غيرَ أنّ الخُلْفَ–بين الفصحى والعامية– يقعُ في عدة مستويات منها : طريقة إخراج الصوت، أو الخروج عن قواعد الصرف، أو النحو أو دلالة الألفاظ التي يتحدثون بها. وسنعرض من خلال أمثلة شائعة في مجتمعنا العربيّ لهذه المستويات، ونوجز الحديث عنها على النحو الآتي:

- **المستوى الصوتي**

ابتعدت العامية عن قواعد الفصيحة الصوتية في غير مجال؛ فهناك حروف حقُّها الترقيق إلاّ أن العامية تُفَخِّمُها، وحروفٌ مجهورة إلاّ أنّ العاميّة تَهْمِسُها، وحروفٌ تُنْطَقُ على وجهٍ واحدٍ واضحٍ والعاميّةُ تقلبُها إلى حرف آخر. ولن نُفَصّلَ القول كثيراً في بيان هذا الأمر، لكننا سنكتفي بتقديم أمثلة على ذلك.

يلحظُ دارس العربيّة، أنّ العربية الفصيحة تقوم على أصوات، ولكلّ صوتٍ مخرجه وخصائصه وطريقة نُطْقه وكتابته، وعلاقاته بباقي الأصوات، ويلحظُ أيضاً أنّ هذه الأصوات الأصيلة المعروفة لا تبقى على حالها حين تدخلُ ألسَنَةَ الذين يتحدثون العامية، وتتعرض لتغيير تتباين درجاته من شخص لآخر، ومن منطقة لأخرى في بلاد العرب. ومن الأمثلة على ذلك أنّ حرف الظاء ينقلبُ زياً مُفخّمة في كثيرٍ من العاميات كما في مدن بلاد الشام ومصر وغيرهما من مناطق. فيقولون [زُلْم] بدل [ظُلْم] و[زَهَرَ] بدل [ظَهَرَ] ...، وحيناً ينقلب ضاداً في تلك المناطق فيقولون : [صلاة الضُهْر] بدل [صلاة الظُهْر]ونجدُ أيضاً حرف الذال ينقلبُ زياً في كثير من العاميات ؛ فيقولون: [زكي] بدل [ذكي] و [الزُنوب] بدل [الذُنوب] و [هزا] بدل [هذا] و [مَزْهَب] بدل [مذهَبَ]...، ونجدُ حرف الضاد ينقلب ظاءً في عاميّة بعض القرى نحو [ظَرَبَ] بدل [ضَرَبَ] و [أرظ] بدل [أرض] و [ظَرَر] بدل [ضَرَر]... ، ونجدُ القاف تنقلب إلى همزة في المدن الشامية والمصرية فيقولون : [أَلَمْ] بدل [قَلَم] و [آسي] بدل [قاسي] و [آلَ] بدل [قالَ] و[أَمَر] بدل [قَمَر] و[أَلْب] بدل [قَلْب]...وتنقلب إلى صوت حرف [G] بالإنجليزية عند بعض الشاميين والبدو ، نحو [gال] بدل [قال] و[gعُدْ] بدل [اقعُدْ] ... وتنقلب كافاً في بعض الأرياف في بلاد الشام نحو [كالَ وكلتُ له] بدل [قال وقلتُ له] و[كَلْب] بدل [قَلْب] ..وتنقلب غيناً في بعض مناطق أفريقيا وبعض مناطق فلسطين أحياناً ، فيقولون : [راغَبَ] بدل [راقَبَ]و [غريب] بدل [قريب] و[غادر] بدل [قادر]...إلخ. ولعلّ هذا الحرف [القاف] من أكثر الحروف التي تعرضت لتغيير في العاميات العربية. ونجد الكاف في كثير من المناطق سواء في ريف بلاد الشام ولا سيما شمال فلسطين وفي كثير من مناطق الخليج تنطق تاءً وشيناً بصوت يشبه (ch) بالإنجليزية، أي بين الجيم والشين في كثير من الكلمات التي تشتمل على كافٍ نحو [كيفَ] تصبح [chيف]و [كبير] تصبح[chبير] و لاسيما حين تكون الكاف ضميراً للمؤنث فلا تنطق في تلك المناطق إلا [ch] نحو كيف حالكِ] تصبح[chيف حالch] وهكذا ...وهي لهجة عربية قديمة كانت تسمى الكشكشة وهي لهجة ربيعة ومضر وتميم وبعض من أسد[9،23]، وفيها تقلبُ الكاف وبخاصة إن كانت لمؤنث إلى تاء وشين معطشة تشبه (ch) في الإنجليزية.

ونجدُ الثاء تنقلبُ إلى تاء في بعض مناطق الشام وأفريقيا، فيقولون: [توم] بدل [ثَوم] و [اتنين] بدل [اثنين] و [تلاتة] بدل[ثلاثة] وأحياناً تقلبُ سيناً في المناطق السابقة نفسها فيقولون [حديس] بدل [حديث] ...

ونجدُ حرف العين يُقلبُ إلى نونٍ في شمال فلسطين وكثير من مناطق الخليج، وهو يعود إلى لهجة عربية أصيلة شاعت في بعض القبائل كهذيل والأزد وقيس، وفيها يقلبون العين الساكنة إذا جاورت الطاء نوناً[9] نحو [[أنطى] بدل [أعطى]. ونجد كذلك لام التعريف تقلب ميماً فنجد بعض المناطق في الشام ومصر يقولون [امبارح] بدل [البارحة]وهي لهجة عربية قديمة تسمى الطمطمانية، ونُسبت لحمير وهذيل.

وهكذا، نجدُ أن كثيراً من أصوات اللغة الفصيحة، لا تبقى على حالها الفصيح حين تنطق بالعامية، فهي تتعرض لتغيير قليل أو كثير أحياناً، يؤثر في دلالة الكلمات التي تتألف منها، ولا أنسى حادثة سمعتها من الأصدقاء قديماً؛ حين طلبتْ الأم المصرية من بعض أولادها أن يشتري لها شيئاً تحتاجه في الطبخ، وكانت برفقة زوجها الفلسطيني الذي جاء مع أسرته لعودة الأهل، فطلبت

من ابنها أن يسرع في مشيه، فقالت بلهجتها المصرية:(إجري إجري ..) فظنّ بعض الصغار من الموجودين أنها تشكو شيئاً من رجلها. لأنّ السكان في تلك المنطقة يقولون عن [رِجْلي] [إجري]

- **المستوى الصرفي**

إنّ قواعد الصرف في العربية الفصيحة، منها ما هو قياسي مبنيّ على قاعدة، ومنها ما هو سماعيّ أُخذَ بالسماع عن قبائل العرب، التي يحتّج بكلامها، ويدخل ضمن هذه القواعد الأفعالُ الثلاثية وفوق الثلاثية في حالتيها المجردة والمزيدة، وما يشتقّ من هذه الأفعال أيضاً من مصادر ومشتقات، وغير ذلك من أمور يتضمنها الصرفُ العربيّ من بناء الصيغ أو ما تتعرض له أصول بعض الأفعال من إبدال وإعلال.

ويلحظُ الباحث أنّ العاميات العربية، في استخدامها لقواعد الصرف تذهب غالباً في طرقٍ مخالفة لقواعد اللغة التي تنتمي إليها. ويغلبُ على استخدامها المخالف هذا سمتان؛ الأولى في إجراء تغيير طفيف أو كبير على القاعدة الأصيلة، والأخرى توليد صيغٍ جديدة لا أساس لها في المعجم العربيّ؛ وزناً واستعمالاً ودلالةً.

ومن الأمثلة على ذلك الفعل[قَطَبَ] فلم يردْ في المعاجم القديمة صيغة [استقْطَبَ] والعاميّة تستعمله، فيقولون في كثير من مناطق الشام : استقطَبَ فلانٌ فلاناً ، أي جعله في صفّه، وأقْنَعَهُ بصواب فكرته أو فِعْله. ومثلُ ذلك صيغة الفعل[بَرَعَ]، فلم يرد في المعاجم بناء [انْفَعَلَ] من هذا الفعل لا في القديم منها ولا في الحديث. وبعض العاميّات تستعمله؛ فيقولون حين يريدون التعبير عن الفرح الذي شَعَرَ به واحد من الناس نتيجة حصول أمر ما: سمِعَ فلان الخبر فانبَرَعَ ؛ أيْ فَرِحَ كثيراً . ومثلُ ذلك استعمالهم ل [انبخَعَ] ولم ترد هذه الصيغة من الفعل [بَخَعَ] في المعاجم القديمة لا من حيث البناء ولا من حيث الدلالة؛ فقد ورد في اللسان[24] بخَعَ نفْسَه يَبْخَعُها بَخْعاً وبُخوعاً: قتلَها غيْظاً أَو غَمّاً. وفي التنزيل: فلعلَّك باخعٌ نفْسَك على آثارِهم [الكهف: 6]؛ قال الفرّاء: أَي مُخْرِجٌ نفسَك وقاتلٌ نفسَك. وبعض العاميات العربية في الشام يستعملون ذلك فيقولون [انْبَخَعَ] فلان ؛ أي فوجئ بالأمر، وصُدِمَ به فسكتْ . ومثل هذا التوليد كثير نحو[انجَلَطَ] أي أصابته سكتة قلبية، ولم يرد بناء[انفَعَلَ] هذا في المعاجم القديمة بل ورد في المعجم الوسيط[25] :" انْجَلَطَ، مطاوع جَلَطَهُ والشيء عن الشيء انجَرَدَ، والجُلْطة البقية الخاثرة من اللبن الرائب، وكتلة رخوة من الدم.." ...وغير ذلك كثير.

ومن الأمثلة على التغيير البسيط الخاطئ في القاعدة، أنهم يخالفون في صيغ التثنية والجمع المعروفة ؛ فيقولون[إيدين] بدل [يدان] و[ديّات] بدل [أيادٍ] أو [أيدٍ] وفي بعض مناطق مصر يجمعون [رَجُل] على [رِجّالة] بدل [رجال]، وفي بعض مناطق الشام يقولون [بنوتة] وجمعها[بنوتات] بدل [بنت– بنات] ،ويجمعون [رأس] على [روس] بدل [رؤوس] وهذا نتيجة تخفيف الهمز . ومن الأمور التي يلحظها الدارس في العربية المعاصرة استخدام بعض صيغ المصادر بمعنى لم يستعمل من قبل، مثل : [استبيان]بمعنى: [استطلاع المعلومات] وهذا الاستعمال دارج–للأسف– بين طبقة المعلمين والمتعلمين، على الرغم من أنّ صيغة هذا المصدر ينكرها الصرفيون ؛ ففي هذا الفعل (استبْيَن)– وما ماثله – ينقلون حركة حرف العلة : الياء ، وهي الفتحة، إلى الحرف الصحيح الساكن قبله، فتصير الصيغة الصحيحة هي : استبانَ ، ومصدرها : [استبانة] ، ومن الظواهر الصرفية العجيبة في بعض العاميات العربية أنها اختطت لها نهجاً في الاشتقاق المولّد البعيد عن القواعد الفصيحة؛ فيقولون فلان[يَتَلَعْبَنْ] بدل [يتلاعب] و[يَتَمَجْنَن] بدل صيغة المبني للمجهول[قد جُنَّ] و[يَتَمَرْجَل] بدل [يتظاهر بالرجولة] و[يَتَهَنْدَم] بدل [يلبس هندامه] ،و يقولون في مناطق الشام:[بدَي أكتب] بدل [أريدُ]، وأصلها [بِوُدي] فحذفوا الواو. وفي بعض مناطق الجزائر يقولون: (باغي نروح) أي أبغي أن أروح أو (يحب يروح) وهو أسلوب عربي يعني (أريد أن أسافر) وفي بعض مناطق الخليج يقولونها قريباً من الأصل: [يريد يفعل كذا] بتسكين الدال، وبعضهم يقول [بِيْغي يعمل كذا]. ويقولون أيضاً إجا: يعني جاء، بالقلب

المكاني وفي الجزائر يقولون "جا" بحذف الهمزة وهي من صور التخاطب العامي التي يجري فيها تحويل جاء الفصيحة إلى (إجَا) في العامية، أو (إجي) في المناطق التي تلجأ إلى الإمالة، ثم جمعوها على (إجو) أي جاؤوا، ثم صاغوا المضارع إلى (يِجِيْ) للفرد، و(يِجُوا) للجمع، وحوّلوها إلى المستقبل بوضع أدوات خاصة عامية مثل: (بَدّن يجو، بُكرا بيجو، هَلّأ بيجوا)[26] وهذا وذاك من لغات العرب كالقلب والتخفيف أو حذف الهمزة، ويلحظ أيضاً ظاهرة القلب المكاني بين الحروف، فيقولون عن [زوج] في بعض مناطق الشام [جوز]، وعن [غلط[لغط] وعن [زغرودة] [زغلوطة]، وبعضهم يقول عن [لا] [لأ] و [لَعْ] و عن [ملعقة] [معلقة] وعن [لئيم] [أليم]إلى غير ذلك من الأمثلة.

- **المستوى التركيبي:**

لعل من أكثر المستويات التي تبعُدُ فيها اللهجات العامية عن الفصيحة، هو المستوى النحوي أو التركيبي؛ ولعلّ عقدة الأجيال في عصرنا في العربية هي عقدة نحوية في أساسها، ولم أعجب حين قرأت مقالة للكاتب" أحمد حربه" [27] يناقش فيها كيف وصل الحال ببعض طلبتنا العرب، حين كتب في أحد المنتديات عبارة" لو كان النحو رجلاً لقَتَلْتُه"، وقد جعل الكاتب عنوان مقالته هذه العبارة، وفيها يردّ على الطالب، موضحاً الأسباب التي دفعت هذا الطالب وغيره على كراهة النحو العربي، ومقدماً خطوات علاج عزوف الأجيال عن تعلمه والرغبة فيه .

والحقّ، إنّ نحاة العرب الأوائل، لمّا وضعوا قواعد النحو ، قسّموا الكلام إلى أقسام، فذكروا المعرب والمبني والمعارف والنكرات، وذكروا المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والمجزومات، وفرّقوا بين الاسم والفعل والحرف، وأفاضوا كثيراً في الحديث عن كل واحدٍ في كلّ حالة من حالاته التي قد يقع عليها، واختلفوا في قضية العامل ؛ وجوده وتقديره وحذفه ،ولم يفعلوا ما فعلوه من تقعيد النحو العربيّ – في نهاية المطاف – بين عشيّة وضُحاها، ولا وصلوا إليه بإجماع مطلق بينهم؛ بل أقبلوا قبل ذلك على لغة القرآن والسنة النبوية ولغة أسلافهم من الفصحاء الأدباء، بشوقٍ ولهفة، ثم خلصوا إلى مبانيها، وتذوقوا معانيها، وحفظوا شواردها، ثم عقدوا مجالس العلم بينهم، وألقوا الدروس على شداة العلم، ففتح الله عليهم بعلم غزير، ما تزال مكتباتنا تحفظ كثيراً مما وضعوه للأجيال.

ولعلّ الخصيصة التي تنماز بها لغتنا العربية عن باقي اللغات، وسَبَبَتْ تعقيداً لجيل اليوم، وجعلَتْهُ عاجزاً عن حبّ لغته الفصيحة وقادراً على امتلاك مهاراتها، هي أنّ هذه اللغة تقوم على الحركات الإعرابية في أواخر الكلم، فالحركة في التركيب لها وزنها الدلالي، وتستطيع أنْ تقلب المعنى حين تتغير، أضف إلى لذلك عمق بعض موضوعات النحو، ولا سيما المنصوبات منه، لتشابهها، وجواز إعراب المنصوب أحياناً بأكثر من وضع، نظراً لأنّ التقدير في الإعراب قائمٌ لا مناص منه. وأخيراً، فإنّ هذه القواعد قد وُضِعتْ بلغةٍ فصيحة قوية من حيث السبك، حتى إذا حاول الطالب اليوم قراءتها، وجد نفسه أمام طلاسم وألغاز، لما فيها من متانة التركيب، وعمق الدلالة، وبعدها عن الخيال والعاطفة. وينضاف إلى لذلك، غياب المنهج الصحيح في تدريس هذه القواعد، في المدارس والجامعات، والإلحاح على الجانب النظري أكثر من الجانب التطبيقي

هذه بعض أسباب خوف الطلبة أو جيل اليوم من النحو العربي؛ خوفٌ دفع بهم إلى الهرب من اللغة الفصيحة، ونأى بهم إلى العامية التي تقبل أيّ شيءٍ ولا تحتاج إلى كل هذا الجهد.

لذا نجد العامية تضرب عرض الحائط بقواعد اللغة، ولا تستجيب لحدودها الموضوعة، وقد نتج عن ذلك الانحراف، كثرة الأخطاء الشائعة في التراكيب، وصياغة الجمل، حتى بين المتعلمين أنفسهم، وسنأتي بأمثلة نوضح بها هذا الانحراف.

ومن أبرز تجاوزات العامية وتأثيرها في لغة الناس، ولا سيما المتعلمين، أننا نجد بعض المتأثرين بها لا يقيم وزناً لعلامات الإعراب، في الأفعال الخمسة والأسماء الخمسة؛ فيهرب إلى التسكين؛ فترى بعضهم يرفع في موضع النصب، وينصب في موضع الرفع، كقولهم : [ما رأيكم ، الليلة تزوروا أخوكم المريض ؟] والصواب [تزورون أخاكم]، و [بالأمس انتظرناكم ولم تأتون عندنا]، والصواب [لم تأتوا] ، و [والله أنا أعرف أبوكم كريم]، والصواب [أباكم كريماً]، و قوله: [لا تتعبْ نفسك، فلن يسمعونك]، والصواب [لم يسمعوك] ...الخ. وترى بعض العاميات لا تجزم الفعل المضارع المعتل الآخر ، كقول أحد المتعلمين: [هو جاء وأنت لم تأتي] والصواب [لم تأتِ] . وترى بعض العاميات في الشام والخليج ومصر ، لا تنطق اسم الاستفهام صحيحاً، فيقول بعضهم: [شو] بدل [ماذا] في الشام، و[إيه بتؤول] بدل [ماذا تقول] بمصر ، وفي الخليج يستعلمون [شنو هاذ] بدل [من هذا]، وبعضهم يستعمل: [مين] بدل [مَنْ] ، و[ليش] بدل [لماذا]، و[عليش] بدل [على ماذا]...الخ. ومن انحراف العامية عن الفصيحة، جَعْلُ النصب أولاً بصرف النظر عن الموقع الصحيح للكلمة، فيقول أحدهم حين يُسألُ عن جماعة ما: [هم سيئيين جداً – لا هم طيبيين – إنتو كذّابين، وهم متدينيين ووطنيين....الخ]، والصواب: [سيئون– طيبون– أنتم كذّابون– وهم متدينون ووطنيون] ، وحين تريد العاميات أن تنطق شبه الجملة [في هذا الوقت] نجد شمال أفريقيا يقولون: [توّاً]، وفي الشام [هالوئت] أو [هَلّأْ]، وفي مصر [دي الوئت]،وفي الخليج [هالحين] وفي العراق وفلسطين [هسّاع] ، وعن تركيب [ما شاء اللهُ] نجدُ أعراب عُمان، يقولون: مشا الله[9] وفي الشام يقولن (ما شا الله حولك) بحذف الهمزة من الفعل "شاء". ولكنهم يقولون: "ما شاء الله كان" بالفصحى، في سياقات معينة.

ومن الأمور التي تخرج بها العامية عن قواعد النحو، إضافة حرف الجر الباء للفعل المضارع، علماً أنّ الجرّ من صفات الاسم لا الفعل، فيقولون:[فلانٌ بيُكْتُب] بدل[يكتب]، وهو[بيبكي] بدل [يبكي]، و [بيضحك] بدل [يضحك]، وتحذف بعض العاميات كما في الشام أل التعريف في حالة الجر ، فيقولون :[ركبت علفرس] بدل من (على الفرس)، و [مِصَّباح بستناك أو بنتظرك]، والصواب:[من الصباح أنتظرك] ويعود حذف أل التعريف هذه إلى قبيلة بلحارث[28] .

ومما يُلْحَظُ من تأثير العامية على الفصيحة، أن بعض المتعلمين يقدم ما حقّه التأخير ، فيسألُ طالب : [الامتحان متى] والصواب: [متى الامتحان؟] ، و [ساكن وين أو فين] والصواب [أين تسكنُ ؟] و [ولدين وبنت عندي] والصواب: [عندي ولدان وبنت]...الخ. وذلك لأنه يحاول تركيب كلام فصيح بطريقة عامية لا تراعي التقديم والتأخير، لذا يلوذ بالتسكين، الذي يقتل الحركات الإعرابية، ويُشْكِلُ المعنى المقصود، وهذا يكاد يطال جلّ حديث الناس، حتى الذين يريدون الحديث بلغة قريبة من الفصيحة، فإنّهم يلجؤون إلى التسكين. فأسمعُ في بعض نشرات الأخبار العربية، قول المذيع :[ووردنا أنّ هناك مجزرة نفّذها إرهابيين، كانوا يقودوا دراجات نارية] والصواب [إرهابيون – يقودون]، وغير ذلك كثير. ونجد بعضهم أيضاً لا يعرف شيئاً عن عمل النواسخ؛ فيرفع اسم إنّ وخبر كان، وينصب خبر إنّ واسم كان، كقول بعضهم: [ليت المسلمون متحدين] بدل [ليت المسلمين متحدون]، و [كان المسلمين مجاهدون أيام الصحابة] بدل [كان المسلمون مجاهدين أيام الصحابة] ...الخ. ونلمح كثيراً أثر الترجمة في لغة المتعلمين، فتسمعُ أحدهم يقول: [سمعتُ الخبر من قِبَلِ محمد]، والصواب: [سمعتُ الخبر من محمد] و [عوقب المذنبُ من قبل المحكمة] والصواب: [عاقبتْ المحكمة المذنبَ] ..إلخ. وتجدُ كثيراً على أبواب المحلات التجارية بعض اللوحات تبيّن عمق أثر العامية والترجمة وذلك حين يقدمون المضاف إليه على المضاف نحو:[علي سوبرماركت] والصواب :سوبرماركت علي ، علماً أنّ[سوبر ماركت] كلمة دخيلة وليست معرّبة ...الخ.

- **المستوى الدلالي:**

لعلّ الوجه الجامع لأثر العامية في اللغة الفصيحة، هو الألفاظ ودلالتها، فاللفظ يتألف من أصوات، وله وضعه الصرفي، ويوضع مع غيره من الألفاظ لِيُؤَلّفَ جملةً، ويكون بذلك داخلاً في المستوى النحوي. لذا فإنّ دراسة الألفاظ في العاميّة العربية تفيد الدارسين والباحثين كثيراً في تعرف حجم التغيير الذي طرأ عليها حين انتقلتْ من حروفها وأصواتها الصحيحة الفصيحة المحفوظة في المعاجم القديمة إلى لسان الإنسان العربي في الوقت الحاضر، سواءً أكان ذلك وهو يتحدث أم وهو يكتب. فالعربيّة تواجه تغيرات سلبية، تثقل كاهلها، وتدفنها تحت سيل من الألفاظ المولدة حيناً، والألفاظ الأجنبية الدخيلة حيناً آخر، وبات كثير من هذه الأجيال لا يدري أهو يتحدث لغة عربية ينتمي لها، أم يتحدث لغة هجينة هي مزيج من أصوات عربية وأجنبية. ؟ وكأنّ العربَ انقسموا في لسانهم طبقتان: الأولى طبقة المتعلمين والمثقفين الذين تسنى لهم الاختلاط بغير العرب من الأجانب عن طريق الدراسة والرحلات والعمل، فتجد نصف لغتهم أجنبياً، فهم حين عادوا لبلادهم صاروا يتحدثون بلسان لا يكاد يُبين؛ ظانّين أنّ ذلك يزيدهم احتراماً وهيبة في أعين الناس، والذين لم يسافروا منهم وقعوا في تأثير وسائل الإعلام مرة وفي تأثير العوامّ الذين يعايشونهم كلّ يوم مرة أخرى، فتجد لغتهم عربيّة لكنها مزيج بين الفصيحة والعاميّة. وفي هاتين الطبقتين كثير مفتون بحضارة الغرب، ولغاتهم وما يصدر عنه من اكتشافات وبرامج وجمعيات، ولا يتورع عن تعلم بعض اللغات، علماً أنه لا يتقن لغته!

أما الطبقة الأخرى، فهي طبقة الأطفال والشيوخ والنساء وكلّ الذين لم يحالفهم الحظّ في الحصول على شهادة علمية؛ فهؤلاء نشأوا في أُسَرِهم على اللغة العاميّة، يستعملونها كلّ حين، حتى غدت هويتَهُم وثقافَتَهُم، وهم يمثلون شريحة كبرى في المجتمع العربي. وقد وضع محمود تيمور معجم الألفاظ العامية، ووضعت معاجم أخرى لأقطار متعددة[29،30،31،32،33]، وهي قيّمة جداً لكل الباحثين في اللهجات.

إنّ الأمثلة على استعمال العامية للفظ الأجنبي واستعانتها به في التعبير عما تريد، لا تعدّ ولا تحصى، حتى الألفاظ التي سبق لمجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق أن عرّبها، لم تنتشر إلاّ في شريحة محددة من المثقفين، كما في الألفاظ المتصلة بالحاسوب أو السيارة أو الأدوية أو أجهزة الاتصال أو المخترعات العسكرية والزراعية وغير ذلك كثير. فما يزال كثير يستعمل: [كمبيوتر] بدل [حاسوب] ،و[كيبورد] بدل [لوحة مفاتيح] و [ماوس] بدل[فارة] و[ستيرنج] بدل [مِقْود] و [بريك] بدل [كابح] و[ميموري] بدل [ذاكرة] حتى في الكلمات العلمية، أجاز العلماء قضية الجمع والتثنية، شرط أن لا تمس جوهر اللغة وسلامة الألفاظ وعذوبتها، كقولهم (ريبورتاج – ريبورتاجان – ريبورتاجات).

وهناك كلمات مُعرّبة، مثل (سوسيولوجيا) المعرّبة بعلم الاجتماع، لكنْ يُصرّ كثير من الباحثين العرب على إيرادها منقولة كما هي، ثم يتصرّفون بها في بعض الوجوه، فيقولون (سوسيولوجيا –السوسيولوجيون – سوسيولوجيّ – السوسيولوجية)، (سمفونية – السمفوني – السمفونيون – السمفونيا – سمفونيات)، وهي كلمات صرف دخيلة، إلا أن الوقوع في عشق اللغات الغربية جعل الكثيرين يستعيضون عن الكلمات المعرّبة بوضع الدخيل الأصلي،...الخ. ولم نكتف بذلك بل أصبحت الألفاظ الأجنبية ولا سيما الإنجليزية هي ما يظنّه كثير أنّها حِلْيَة الكلام، فأصبح حديث كثير من هذه الأجيال ممزوج بلغة أجنبية، ففي الشرق يستعلمون بعض ألفاظ الإنجليزية، فنسمعهم يستعملون على سبيل المثال: [I'm busy] بدل [أنا مشغول]، و[please] بدلاً [من فضلك]، و[Sorry] بدل [آسف] ،و [Exam] بدل [امتحان]، و [Thank you] بدل [شكراً] ، بينما نجد بعض أهلنا في شمال أفريقيا يستعمل ألفاظاً فرنسية، بدل الإنجليزية في الشرق، وقد مكث الاستعمار الفرنسي زمناً طويلاً هناك، وفي المقابل يستعمل بعض أهلنا في فلسطين ألفاظ اللغة العبرية، نظراً لمعايشتهم الاحتلال الإسرائيلي لأرضهم مدة طويلة.

أما الألفاظ العامية في مجتمعنا العربي فقسمان: واحد له أصول من لغة العرب الفصيحة أو متصل بواحدة من اللهجات القديمة المعروفة، وآخر مولّد ليس له أصل، ومن الأمثلة على النوع الأول: كلمة ([بُق] في اللهجة المصرية والتي تعني [الفم]، و هي اختصار لكلمة (البَقباق) و هو اسم من اسماء الفم، وبعض السعوديون و أماكن في اليمن يقولون للشخص الذي يتكلم كثيرا (أنت تبقبق كثير) يعني تتكلم كثيراً ،وفي المعجم الوسيط البُق – من البقبقة ، وهو (اسم من أسماء الصوت كصوت غليان الماء و صوت وقوع الماء و بَقْبَقَ الرجل : كثُرَ كلامه ، و بقبق علينا الكلام : ألقاه جزافاً ...و البَقبَاق : الفم)[25]. كذلك كلمة[بُصْ] ، وهي لا تستخدم في مصر فقط، وإنما كذلك في السودان وبلاد المغرب، وهي فصيحة، وقد جاء في اللسان:" بَصّ الشيءُ يَبِصّ بَصّاً وبَصيصاً: بَرَقَ وتلأْلأَ ولَمَع؛ والبَصّاصةُ: العَينُ في بعض اللغات، صفة غالبة. وبَصَّصَ الجِرْوُ تَبْصِيصاً: فتَحَ عَيْنَيه[24]. ويستعمل أهل تونس لفظ[حوت] بدل [السمك] "، و هو لفظ عربي فصيح[24]، و قد ذكره الله تعالى في قوله :" قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت.."[الكهف :63]. وتستعمل العامية كلمة (شاف) بمعنى [رأى] ولها أصل فصيح، وقد جاء في المعجم الوسيط:" شافَ شوفاً : أشرَفَ ونَظَرَ "[25]، و يعني كذلك في اللغة (النظر أو الإشراف) ..و هي كلمة تُستخدم في كل بلد عربي تقريباً.

وتستعمل العاميات العربية كلمة [المرا] – وهي كلمة تُستخدم في كل بلد عربي ، و هي اختصار لكلمة "المرأة" ،أما كلمة "ستِ" التي يستخدمها بعض العامة فهي ليست عربية ، بل أصلها مصري قديم، فالفراعنة كانوا يقولون عن المرأة "سِت"، و ظل المصريون يستخدمونها إلى الآن ، و نتيجة السفر و الاختلاط انتقل اللفظ إلى بلاد الشام و العراق و بعض بلاد الخليج [34] .

والصحيح أنّ هناك كثيراً من الألفاظ الفصيحة التي يظنّها الناس عاميّة، نحو: (بِزْر : كل حب يبزر للنبات، والبُزُر : الأولاد)، و(حَرْدان : غاضب)، و(حَطْ : وضع)، و(خَبَّص : خلط)، و(خَبَط : ضربه ضرباً شديداً)، و(زَحْلَقْ : بمعنى تزلّج)، و(شاف : بمعنى نظر)، (قُدّام : نقيض وراء، هو المضي أمام أمام)، و(الكَرْكَرَة : ضرب من الضحك، وقيل هو أن يشتد الضحك)، و(لَبَط فلان بفلان الأرضَ يَلْبِطُ لَبْطاً : ضربها به)، و(المغْصُ : تقطيع في أسفل البطن والبطن ووجع فيه)، و(مَغْمَغْ الكلام أو غمْغَمَهُ بالقلب بمعنى: لم يُبيّنه)، (نَتَشْتُ الشيء : استخرجته)، و(نَغِص نغصاً: لم تتم له هناءته، وقيل : النَّغَص : كدر العيش)، و(نَكَزَهُ : دفعه وضربه)، و(ورش : تقول العامة : هذا طفل وِرِشْ؛ تريد كثير الحركة والنشاط، قال أبو عمرو : الوارش : النشيط)، و(الوَشْوَشَة : كلام مختلط حتى لا يكاد يُفهَم) و(زيطة : وهي اختلاف الأصوات) وغير ذلك...من ألفاظ[35].

ومن الألفاظ العامية المولّدة، التي ليس أصل في العربية، كلمة [الصَالَة]، وهي اسم مؤنث تجمع جمعا سالما على صَالَات. وهي مكان فسيح في وسط المسكن، يُوصِلُ إلى سائر الحجرات، الرُدْهَة. ومنه أيضاً كلمة [امزعبر] في بعض مناطق الشام، تطلق على الذي يصيح ويصرخ لأدنى سبب، وفي اللسان[25] نجد أنّ [زعْبَرَ] تعني ضربٌ من السّهام.

ومن المولّد العاميّ كلمة [الشخشوخة] ،وتستعمل في الجزائر ، وهي نوع من الكسور تحضر من الدقيق وتطهى في المقلاة الفخارية، ثم تُفَتَّتُ إلى قطع حسب النوع المراد تحضيره، وهي قريبة من طعام الثريد الذي عرفه العرب قديماً بأنواعه المختلفة. ومن ذلك أيضاً: كلمة [بِدّيش] بمعنى [لا أريدُ] ،في بعض مناطق الشام. وفي مصر يقولون[مش عايز]، وهي أقرب إلى العربية الفصيحة من [بديش]، وكلمة [إمْسَكْعْ] للشخص الذي لا يثبت على أمر، ويتدخل فيما لا يعنيه، ودلالتها العامية واسعة، فقد تقال للرجل محبّ اللهو، وقليل الحياء، والفضولي، وهي كلمة لها أصل في المعجم لكن دلالتها مُولّدة ، فقد ذكر صاحب اللسان أنّ :" سَكَعَ الرجلُ يَسْكَعُ سَكْعاً وتَسَكَّعَ: مشَى مُتَعَسِّفاً. وما أَدْرِي أَين سَكَعَ وأَين تَسَكَّعَ أَي أَين ذَهَب وأَخذ. ورجل سُكَعٌ: متحير، بالدّلالة. والتسَكُّع التّمادِي في الباطل .."[25] . وفي بعض لهجات بلاد الشام وبخاصة في فلسطين يقولون: [حَبَطْرَش] بمعنى كثير. وكذلك [إمطلمس] أو [طلطميس]، لمن لا يستوعب ويفهم ما يستمع إليه، و[طَنَّشَ] بمعنى [لم يهتم أو يبالِ]،

و[خَرْبَطَ الصف، ويخربط في كلامه] ،أي لم يلتزم النظام ويتوخى الدّقة والصواب :بعثَرَ الصف ، وتلعْثَمَ ولجّ في كلامه...الخ.

أثر الازدواج اللغوي في ثقافة الأمة

لعلّ أكبر معجزات الله في الكون خلقُ الإنسان، وأكبر معجزة أودعها الله في الإنسان اللغة. وإذا كان التفكير لغة صامتة، فإن اللغة فكر ناطق، وهي الرابطة الحقيقية بين الجسد و العقل، لذا نجد الفيلسوف الألماني " مارتن هايدجر" يقول :" إنّ لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظرُ إلى بقية أرجاء الكون الواسع التي تدلّ على هُوية الفرد وتكشف عن ذاته، ومن هو؟"[36] وقديماً قال المتنبي[37]: (الطويل)

أصادقُ نفسَ المرءِ من قبل جسمهِ وأعرِفُها في فعلهِ والتكلمِ

إنّ جذر مصطلح الثقافة ينحدر في اللغة العربية من: ثَقِف، يثقَف، ثَقَفاً؛ حَذَقَه؛ أي، صار حاذقًا فطنًا، وثَقِف العلمَ والصناعةَ: أجاد فهمهما، وثَقِف الرجلَ في الحرب أدركه، وظفر به، والثِّقافُ: حديدة تكون مع القَوَّاسِ والرَّمّاحِ يُقَوِّمُ بها الشيءَ المُعْوَجَّ[25]. لذا سُمّيت الرماح بالمُثَقّفة. وفي القرآن الكريم:" وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ "[البقرة : 191]' و:" إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُون"[الممتحنة :2]. وكأنّ الإنسان حين يكتسب التجارب والخبرات سواءً أكان ذلك عن طريق القراءة أم الاستماع أم المعايشة يُقَوِّمُ ما به من نقصٍ فيها ، فيصبح على دراية أوسع بالحياة والناس، وما يحتاجه ليكون ناجحاً وفاعلاً في حياته.

إنّ مصطلح "الثقافة" لفظة محدثة؛ استعملها المحدثون في العصر الحديث، وشاع استعمالها في لغة الحياة العامة، وذُكِرَتْ في المعجم الوسيط، وتعني: " العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحِذق فيها". ونجدها في المعجم الفلسفي تعني:" كل ما فيه استثارة للذهن، وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع. وتشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية، ولكل جيل ثقافته التي استمدها من الماضي، وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية"* .

ويرى أحد علماء الأنثروبولوجيا العرب، أن الثقافة مرادفة للحضارة، وأنها تعني النشاط الفكري والفني الواسع، وما يتصل بهما من مهارات، وأنها موصولة بمجمل أوجه النشاط الاجتماعي، وتشمل سعي الإنسان في علاقات طويلة ومتنوعة مع البيئة الطبيعية، في كل ما طوع فيها، واكتشف وسخر، واخترع. وفي علاقته مع البيئة الاجتماعية بكل ما شرع فيها ونظمَّ واختبر وابتدع [38] .

إنّ ارتباط اللغة بالمجتمع وثقافته لا سبيل لفصله أبداً، مقولةٌ رددها كثير من العلماء، وهذا العالم " سابير"(Sapir) الذي عمل هو وتلميذه وورف (Benjamin Lee Worf)على الرغم من كون تلميذه هذا مهندساً كيميائيّاً يعمل في إطفاء الحرائق الضّخمة، ولكنّه كان يمارس اللّسانيّات كهواية. عمل سابير وتلميذه وورف على إثبات العلاقة بين اللّغة والثّقافة وقال إنّهما غير منفصلين، وهذا هو النّص الشّهير الذي تحدّث فيه عن تلك العلاقة في كتابه "اللّغة": النّاس لا يعيشون في العالم الموضوعيّ وحدهم، ولا يعيشون بمعزل عن النّشاط الاجتماعيّ، كما يُفهم بصفة عامّة ولكنّهم (يعيشون) تحت رحمة لغة خاصّة، صارت وسيلة التّعبير لمجتمعهم. ومن الوهم التّامّ أن نتصوّر أنّ الواحد يساير الواقع أساساً من دون استعمال اللّغة، وأنّ اللّغة مجرّد وسيلة عارضة لحلّ مشاكل محدّدة في التّواصل أو التّفكير. إنّ حقيقة الأمر هي أنّ "العالم الواقعيّ"، إلى حدّ كبير، مشيّد على العادات اللّغويّة للمجموعة. نحن نرى ونسمع وخلافا لما يقال، نجرّب بطريقة واسعة كما نفعل؛ لأنّ العادات اللّغويّة للجماعة تفرض مسبقاً اختيارات تأويليّة معينة.[39]"

* مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي، ص58، القاهرة 1979

لذا تعرف اللّغة بأنّها وسيلة في التّواصل، لكنّها الوعاء الذي يحمل الثّقافة. ويُجمع علماء اللّسانيّات على أنّ المعاني تحمّل للّغة بصفة عشوائيّة أي من دون اتّباع نظام معيّن في ذلك.

إنّ النّظام الرّمزيّ للتّواصل، يمتاز بالمرونة؛ لأنّه يمكّن من إيجاد معان جديدة. هذا الأمر تثبته الكلمات الجديدة التي يجري إنشاؤها أو صناعتها في اللّغة، وتلك الكلمات هي في الحقيقة رموز صوتيّة، تدلّ على أشياء موجودة في الواقع أو مجرّدة، ما دام الشّخص يشير لدلالات موجودة في ذهنه، عندما ينطق بسلسلة صوتيّة، فأغْلَبُ ما ينطق به يعبّر عن ثقافته وثقافة بيئته.

إنّ المرونة في النّظام الصّوتيّ، لا تمكّن من إنشاء معان جديدة فحسب، وإنّما تجعل التّغيير في الدّلالات أو المعاني القديمة ممكناً أيضاً، لنأخذ مثلاً كلمة "رموت" أو " بلفون" أو "كمبيوتر"، فهي ليست عربيّة بل أجنبية، لكنها دخلت العربيّة لاحقا، للتّعبير عن الآلة التي تقوم بعمل ما. هذه الكلمات وغيرها لم تظهر ولم تستعمل إلاّ حين وصلت بلادنا العربية ثم دعت الحاجة إليها.

وتأسيساً على ما تقدم، يرى الباحث في اللغة أهمية تطوير الثقافة الإنسانية، وهي ثقافة أصبحت بالغة التعقيد في الزمن الحاضر، فبهذه اللغة تمكّن بنو البشر من استخدام الرموز لخلق معان للحياة، ومعنى ذلك، أن أصحاب اللغة تمكنوا من إسداء النعم ومن نقل الدلالات عبر الأصوات، وترتيباتها إلى كلمات وجمل، وبعدئذ صار من الممكن تعليم العديد من الحيوانات لتستجيب إلى اللغة، من خلال صورة إشارات أو أصوات وليس بوصفها رموزاً حقيقة.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أنه يمكن تعليم قرد الشمبانزي عدداً من الرموز، ليستجيب إلى أصوات وإيماءات معينة [40]، ولعل هذا يفيد أننا إذا أحسنّا تعليم أبنائنا لغتنا العربية بالشكل الصحيح، فستكون ثقافتهم أصيلة متينة متانة اللغة التي ألفوها.

إنّ جنس البشر، هم الذين بوسعهم استخدام لغة نظامية. وعن طريق هذا الاستخدام تنقل الثقافات الإنسانية من خلال اللغات البشرية، حتى لغات تلك الشعوب غير المتعلمة. لكنّ الخطر القائم في الازدواجية يتمثّل في سيل الكلمات الأجنبية، التي تفد إلى حياتنا العربية بكل مناحيها، دون مُنظّم أو رادع، أو تغييب اللغة الفصيحة من حياتنا أمام الأجيال الناشئة في البيت والمدرسة والجامعة، والسماح باستعمال لهجات محلية متعددة لا يكاد تعرف عربيتها إلاّ من خلال الأصوات فقط، وجلّ ما يخشاه العربيّ الغيور، أن تمحّي ثقافتنا العريقة، فتذوب وتستبدل بثقافة عصرية لا نتصل بها بشيء اللهم إلاّ بالنقل والاستعمال!

لذا، فالناظر إلى الثقافة العربية، في أوضاعها ومستوياتها الحالية، يجدها، لا تعبّر عن هُوية المجتمع العربي؛ لأنها تعاني الضعف في كل النواحي، ولأن هناك تفاوتاً ظاهراً بين المنابع الأصيلة، وبين ما يبتدعه كثير من أبناء هذه الأمة، فيدخلون عليها كلّ غريب في الأصوات والألفاظ والعادات والتقاليد والأفكار ما تمجّه الأذواق، وتأباه الطبائع الأصيلة. لقد كانت العروبة رابطة لغة وثقافة وتراث وتاريخ ومصالح مشتركة ووعي واحد، وكان العربي هو من يتكلم لغة الضاد، ومن تَجيشُ في نفسه روح الانتماء إلى الأمة العربية، وهذه الأمة تحتضنُ مجموعات لا تعود أصولها إلى الجزيرة العربية، كالأكراد في العراق وسوريا ولبنان، والبربر في المغرب وكذلك السريان والكلدانيين والأشوريين في العراق وبلاد الشام، كلهم عرب تجمع بينهم رابطة العروبة، سواءً أكانوا يشعرون بذلك أم أرادوها وفق رغبتهم؛ لذا يفاخر العرب بأبطالهم بدءاً بصلاح الدين الأيوبي –وهو كردي– وطارق بن زياد – وهو بربري–[41].

وقد أصبح هؤلاء وغيرهم كثيرٌ ، جزءاً من تاريخ الأمّة وثقافتها؛ لأن اللغة هي الترسانة الثقافية والمعرفية التي تبني الأمَّة، وتحمي كيانها، وهي التي تجعل من "الأمَّة الناطقة بها كلاًّ متراصًّا خاضعًا لقوانين، إنها الرَّابطة الحقيقية بين عالَم الأجسام وعالم الأذهان كما قال الفيلسوف الألماني "فيخته"

وما دامت اللغةَ هي الأداة المعبِّرة عن منجَزات العقل وإبداعاته، فإنها مسؤولة عن نمو الثقافة وامتداداتها، وهي وعاء الحضارة، ومِرآة القِيَم ودليل الحياة، وهذا ما فهِمته الشعوب الأوروبية؛ التي اعتنت بلُغَتها، وجعلتها وسيلتَها لفتح الشعوب وقهرِها ثقافيًّا، وغزوها فكريًّا، وكسب مودتها وولائها وتقليدها في أنماط حياتها ومعايشها، وهذا ما تجاهلته أمتُنا العربية والإسلامية في أوضاعها

الراهنة، فلم تجعل لُغتَها وسيلة للتلاقح الحضاري والتواصل الاجتماعي، ومظهرًا لعزَّتِها وقوتها وكرامتها، ولعل هذا ما جعَل اللغة المقدسة تُعاني المهانةَ والإعراض والاحتقار، لا من قِبَل أعدائها فحسب، بل من أبنائها كذلك، فكم هي مهمَّشة على مستوى الإدارات والمؤسسات، وكم هي مُبعَدة على مستوى الجامعات والكليات، وكم هي مُهمَلة على مستوى الأقسام والتخصصات، وكم هي منسيَّة على مستوى الوظائف والتعيينات[42].

إنّ أي ثقافة مهما كان مستواها، تعتمد في جانب منها على لغة ما؛ فاللغة دعامة أساسية للثقافة، فلا تقوم ثقافة أياً كانت أشكالها ومستوياتها التعبيرية دون حاضن لغوي يحتويها، ويتفاعل معها وينقلها إلى الآخرين، فإذا تحدثنا عن كيان الأمة العربية أو عن هوية أي قطر من أقطار العروبة، فنحن نتحدث عنها من خلال اللغة العربية الفصيحة وحدها، فهي اللغة الجامعة الموحدة، إلى جانب كونها لغة الفكر والتعبير عن دقائق المعاني وظلالها. إنَّ نظرة فاحصة للعاميات العربية، تدلنا على أنها لغات دائمة التغير والتحول، قرباً أو بعداً. وإلى جانب ذلك توجد في العالم العربي لغات أخرى غير عربية، تستخدم على نطاق أضيق بين بنيها، مثل النوبية في جنوب مصر والسودان، والكردية في العراق وسوريا، والأمازيغية، في دول شمال إفريقيا.[43]

ولعل أكبر تأثير يتعرض له الإنسان المعاصر، يكمن في التعليم ووسائل الإعلام، فمن خلالهما تتعزز لغته ثم ثقافته؛ لذا كان تأثير التعليم والإعلام قوياً في لغة أبناء اليوم وثقافتهم؛ لأنّ وسائل الإعلام هذه تستخدم اللغة العربية أداة رئيسية في معظم أعمالها، استخداماً يتأرجح بين صفاء اللغة الفصحى ووضوحها تارةً وجفاء العامية وضبابها تارة أخرى، وكأن اللغة العربية الفصحى ليست لغة الدين والحياة والثقافة والعلم والحضارة ..! لذلك نجد اللغة العربية ذاتها في حالة "انشطار" بين فصحى وعامية، وتبدو "الفصحى" لغة الثقافة والكتابة، فيما تبدو "العامية" لغة الحياة اليومية.

إنّ واقع الازدواج اللغوي يطعنُ في اللغة سواء أكانت فصيحة أم عامية، فلكي تكون اللغة الفصيحة معيارية، ينبغي أن يشمل التمكُّن منها الناطقين بها كافة، وينبغي أن تكون شاملة في الاستخدام لنواحي الحياة جميعها. وهذان الجانبان "التمكُّن وشمول الاستخدام" مترابطان ترابطا وثيقا بطبيعة الحال؛ إذ إنّ الاستخدام المزدوج بين العامية والفصيحة يعني انعدام الانسجام اللغوي، أي انعدام سيادة النسق اللغوي الواحد، وهذا يعني أنّ اللغة الفصيحة لغة أصعبُ من أنْ تنتشرَ في مناحي الحياة، لجهل الناس بمفرداتها وقواعدها، ولعدم إرادتهم في تعلمها التعلم الصحيح واستخدامها كلّ حين. وفصلها عن الحياة اليومية يحرمها من حيويتها، ويجرّدها من قدرتها في التعبير عما يصيب حياتنا اليومية من تطور وتغير، ويتيح للعامية أن تتمدد في المكان والزمان في العلم والثقافة والآداب والفنون، وتنتشرَ أكثر بين الناس لسهولتها ولغياب القواعد المعيارية فيها، على الرغم من كونها عاجزة، بحكم عدم الممارسة، وبحكم وقف النمو المفروض عليها، عن أن تكون لغة الفكر والفلسفة والأدب، وكلّ ذلك كائنٌ على حساب اللغة الفصيحة. ولا يعني هذا بحال من الأحوال أن "العامية" قد أحرزت قصب السبق وصارت اللغة السائدة. فما يزال الناس ينظرون إليها أنها من الدرجة الثانية، وأنها تتسلل من النافذة ولا تدخل من الباب.

إنّ الازدواج اللغوي الذي نعايشه اليوم صار ينشعب عنه ازدواج متعدد، في مجالات العلم والثقافة والاجتماع والاقتصاد، ويؤثر سلباً في نهضة الأمة. ويتضح ذلك بميل أغلب الناطقين بالعربية إلى العامية، التي تختلط عند الفئات المثقفة بألفاظ وعبارات أجنبية، ما يجعل الثقافة العربية اليوم تبتعدُ عن أصالتها ونسبها المحفوظ في القرآن والسنّة والتراث الأدبي واللغوي، وغدا أطفال العرب اليوم يعانون من واقع تُفرض فيه اللغة الأجنبية إلى جانب اللغة العربية في المدارس ورياض الأطفال، وأمسى يتخرج حيران يشعرُ بالضياع والعجز؛ فلا هو يُتقنُ لغته الأمّ جراء العامية المتفشيّة، ولا هو يُتقنُ اللغة الأجنبية التي فُرضتْ عليه دون مبرر مقنع. والعجيب أنّ هذه العامية لا تفي بغرض حين يريد الرجوع إلى تفسير شيءٍ من القرآن أو السنّة أو في معرفة شيء من اللغة والأدب، فيصبح لزاماً عليه العودة من جديدٍ لتعلم اللغة الفصيحة لفهم ذلك.

خاتمة

وخلاصة القول، إنّ ظاهرة الازدواج اللغوي بمستوياتها وواقعها العربي الذي نعايشه تفرض علينا جميعاً وبخاصة المسؤولون الوقوف على مجموعة من الأمور، نلخصها على النحو الآتي:

- إنّ السياسة الاستعمارية التي بدأت منذ القرن التاسع حتى يومنا هذا، تقوم على الاحتلال والتجزئة، والسيطرة على وسائل الثقافة والتعليم والاقتصاد، ومحاربة كل ما يتصل بالأصول التراثية للعرب، من لغة ودين وتاريخ، وذلك ما أسهم في نشر العاميات في كلّ مناحي الحياة، وسمح بتسرب لغات دول الاستعمار إلى حياتنا العربية، وجعل طريق اللغة الفصيحة طريقاً شاقاً وعراً . وادّعاء السياسة الرسمية للدول العربية أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية، ليس دقيقاً؛ فواقع الحال ينافي ذلك، فكثير من جامعاتنا العربية أصبحتْ تدرّسُ بعض التخصصات باللغة الأجنبية، وهذا يسهم في تعزيز ظاهرة الازدواج اللغوي. لذا لا بدّ من مراجعة تلك السياسة، وتعزيز مبدأ التعليم باللغة العربية في المراحل الأساسية ثم الجامعية بما يخدم المصلحة العليا لهذه الأمة.
- دراسة لغة الواقع الإعلامي في الوطن العربي، من صحف ومجلات وقنوات فضائية مسموعة ومرئية، إذ إن الملاحظ أن هذا الإعلام يمارس الازدواج اللغوي ويعزز هذه الظاهرة، سواء باستعمال ألفاظ عامية محلية أحياناً أو بزج مصطلحات أجنبية في نشراته وبرامجه وما يعرضه للمشاهد العربيّ. والإعلام يمتلك تأثيراً قوياً في الجمهور العربي، لكن إذا أدّى رسالته بسلبية فسينعكس ذلك في هذا الجمهور وثقافته، ولا سيما إذا كان جمهوراً أمياً، حظه من العلم والوعي قليلٌ. لذا ينبغي وضع هذا الإعلام تحت إشراف أهل الاختصاص في اللغة، ورقابتهم وتوجيهاتهم، وذلك لا يتأتى إلاّ بقرار سياسي.
- لقد وصل انتشار ظاهرة الازدواج اللغوي إلى طائفة من الأدباء والمثقفين والمتخصصين، فأصبحنا نجدُ كثيراً من الروائيين العرب، يكتبون رواياتهم بالعامية، وبعضهم يخلط بين الفصيحة والعامية، وصرنا نشاهد جلّ مسرحيات اليوم، تُعْرَضُ بالعامية، ومتأثرة بدرجة كبيرة ببعض أنماط الحياة الغربية، وكذا الأمر في الأفلام والمسلسلات، فبعد أنْ كانت اللغة الفصيحة تتصدر العامية في بادئ الأمر ، أصبحت العاميات تزحفُ ببطء في مختلف الميادين لأسباب كثيرة؛ بعضها يتصل بمستوى المؤلفين وحاجة السوق التجارية، وبمحاولة توسيع قاعدة المتلقين من الجمهور، والنزول إلى مستواهم، وفقاً لبعض النظريات الأوربية المتعلقة بالفكر الواقعي، والدعوات الاستشراقية الهدامة، المؤيدة لانتشار اللهجات العامية رسمياً، بديلاً حضارياً حسب زعمهم للرقي والتقدم واللحاق بالغرب. ولا بدّ من تدارك هذا كله، وذلك بتبيان مخاطر ذلك على لغتنا وثقافتنا، وإعداد برامج مسموعة ومرئية توضح خطر هذه الظاهرة.
- إنّ الناظر في شبكة المعلومات والاتصالات الإلكترونية، يجدُ أن أكثر المستخدمين لها هم فئة الشباب، الذين تبدو معرفتهم باللغة العربية الفصيحة قليلة أو نادرة. ويجدُ الناظرُ أنّ اللهجات العامية هي التي تستحوذ على لغتهم في الحديث والكتابة، فتراهم يكتبون كما ينطقون، ويبررون ذلك بالترفيه عن النفس، وصعوبة اللغة الفصيحة، وهذا يحتاج إلى برامج متخصصة، توضح لهؤلاء قيمة شبكة المعلومات والاتصالات الإلكترونية، وطرق الإفادة منها لغوياً وثقافياً واجتماعياً دون الالتفات إلى الأسهل المضر.
- توعية الأجيال العربية في أنّ اللغة العربية هي هوية الأمة العربيّة ونبض ثقافتها؛ فهي وعاء تاريخها وحضارتها ودينها وعلومها وفنونها، وهي أداتها لتحصيل العلوم والمعارف في المستقبل. وإذا كانت اللغة العربية الفصحى لا تختلف عن لغات العالم الأخرى في هذه المعاني السابقة، فإنها تختلف جذرياً عن لغات العالم، في كونها لغة العقيدة والشريعة والتراث، وهي السبب المباشر في مناعة الأمة وقوتها، وقدرتها على الصمود أمام متغيرات العصر، ويشهد بذلك بعض العلماء الأجانب كالمؤرخ (أرنست رينان) حين يقول مُتَعَجِّباً: " من أغرب المُدْهِشات أن تتبتَ تلك اللغةُ القوميّةُ وتصل

إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمّةٍ من الرُحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرةِ مفرداتها ودقّةِ معانيها وحسنِ نظامِ مبانيها، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولةٌ ولا شيخوخةٌ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة"[43].

- إعداد برامج دينية تُسْتَلهم من القرآن والسنّة والعلوم الشرعية والتراث الأدبي واللغوي، وذلك من أجل التقليل من مخاطر ظاهر الازدواج اللغوي، وإحياء اللغة الفصيحة، لما في ذلك من ثروة لغوية لعامة الناس الذين يحترمون شريعتهم ويقدسون دينهم وتراثهم . ولا بدّ من العمل على عرض مختارات روائع الشعر العربي المقفى الموزون في جميع وسائل الإعلام لما له من قيمة سماعية على الأذن العربية. والإكثار من عرض المسلسلات والأفلام والمسرحيات التي أعدّتْ باللغة الفصيحة، فمن شأن ذلك أن يسهم في ترغيب الناس بالفصيح من لغتنا، وثقافتنا وتراثنا، ويخلّصهم من تعدد اللهجات، والألفاظ الأجنبية والأخطاء الخارجة عن قواعد اللغة.

المراجع

1. ابن جني ، أبو الفتح عثمان: الخصائص، الهيئة العامة للكتاب،ط4 .
2. وافي، عبد الواحد: فقه اللغة، القاهرة، 1956م.
3. بشر، كمال: دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، 1998م.
4. نهر، هادي: اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م.
5. الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، 1973م.
6. مزيان، علي حسن، وإبراهيم الطاهر الشريف، مباحث في فقه اللغة، دار الشموع الثقافة، ليبيا،2002
7. ابن الأثير، ضياء الدين: (ت637هـ) المثل السائر، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها 1959م.
8. ثعلب، أحمد بن يحيى :(200هـ– 291هـ) الفصيح، تحقيق: إبراهيم مدكور، دار المعارف (د. ت).
9. السيوطي، جلال الدين (849هـ– 911هـ): المزهر في علوم اللغة، ج1، 185، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط3 .
10. أمين، أحمد، ظهر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م.
11. الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، ج1 ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م.
12. الشرقاوي، أحمد عبد الوهاب، اللغة العربية في الدولة العثمانية والهوية الحضارية، موقع شبكة الألوكة : رابط الموضوع: http://www.alukah.net/library/0/73604/#ixzz3hmP8Wy2N
13. خير بك، روزانا : شبكة الوحدة العربية ، رابط الموضوع: http://ahlan.com/2011/02/26/arabic-language-modern-challenges/#ixzz3hmVvRE2h
14. الزغلول، محمد راجي : ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، مجلد 14، 1985م.
15. القعود ، عبد الرحمن، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مطابع الأوسفت، الرياض، ط1 ، 1997م.
16. قاموس المعاني: رابط: www.almaany.com
17. إمارة، محمد: اللغة العربية وتحدياتها الداخلية، رابط الموضوع: http://www.aljabha.org/index.asp?i=72476

18. أسّو، سليمان يوسف: أخطار العامية والأمية والعجمية على الفصيحة في الجامعات العربية، جامعة القصيم السعودية، 2011م.
19. بودرع، عبد الرحمن: الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية ، منتدى اللسانيات، رابط الموضوع: http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=436 .
20 . الخولي، محمد علي : الحياة مع لغتين" الثنائية اللغوية" ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1988م.
21. الموسى، نهاد: الازدواجية في العربية ما كان وما هو كائن وما ينبغي أن يكون، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مطبعة الجامعة الأردنية،1988م.
22. الموسى، نهاد: اللغة العربية في العصر الحديث، وما بعدها، دار الشروق، عمان، 2007م.
23. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قُنبر أبو بشر (148هـ-180هـ) : الكتاب، مطبعة بولاق، مصر، 1866م.
24. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968م.
25. المعجم الوسيط ، دار إحياء التراث، بيروت، ط2 .
26. نور الدين، حسن جعفر: اللهجات العامية أصولها ومصادرها والفصيح العامي، مجلة رسالة النجف، العراق، العدد التاسع، 2007م رابط:http://www.al-najaf.org/resalah/9/11_nourdin1.htm .
27. حربه ، أحمد محمد : مقالة " لو كان النحو رجلاً لقتَلْتُهُ" ، مكتبة صيد الفوائد، رابط الموضوع: http://www.saaid.net/arabic/260.htm
28. أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية . مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1 ، 2010م.
29. تيمور محمود، معجم الألفاظ العامية، حققه د. حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب،1978م.
30. معجم اللهجات العربية العامية، رابط http://ar.mo3jam.com/
31. فريحة، أنيس: معجم الألفاظ العامية، مكتبة لبنان، 1995م.
32. سليمان، فتح الله أحمد : معجم الألفاظ العامية المصرية ، دار الآفاق العربية، 2010م.
33. معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإعلام، 1998م
34. حسن ، أحمد السيد :الأصول اللغوية لمفرداتنا العربية/ شبكة الفصيح لعلوم العربية ، رابط : http://www.alfaseeh.com/vb/archive/index.php/t-83011.html
35. التنير، محمد داود: ألفاظ عامية فصيحة، دار الشروق، لبنان ، 1987م .
36. السيد، محمود، اللغة العربية بين الواقع والمرتجى، المجلس العالمي للغة العربية، 2008 م، رابط : http://www.cil-a.org/index.php?s=books&cat=3&id=18
37. المتنبي، أحمد بن حسين: الديوان، شرح مصطفى السبيتي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.
38. صابر، محيي الدين . قضايا الثقافة العربية المعاصرة، تونس: الدار العربية للكتاب، 1983
39 -(E. Sapir; language: an Introduction to the Study of Speech, New York, Harcourt,page207, Brace, 1921)
40. مايكل توماسيلو ، "التكيف الإنسانى للثقافة" في مجلد الاستعراض السنوي للأنثروبولوجيا. -1999
41. الحص، سليم، العروبة والعولمة، مجلة المستقبل العرب ،ص 10، بيروت، العدد 326 نيسان، 2006م.
42. ناعوس، بن يحيى الطاهر: اللغة العربية وتحديات الازدواجية اللغوية (الواقع والحلول)رابط الموضوع: http://www.alukah.net/literature_language/0/68064/#ixzz3izG9nZHf

43. مسعود ، أبو بكر حسن: اللغة العربية والهوية الثقافية،(الحالة السودانية أنموذجاً) ملف: PDF رابط:
https://www.google.ps/?hl=ar&gws_rd=cr&ei=61TDVcWnMYKT7Aa4pL6gCw#hl=ar&q=%D8%A5%D9%86%D9%91+%

تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري كما يدركها الشباب الجامعي وآليات مواجهتها

(دراسة ميدانية)

Threats of social networking sites to the intellectual security as perceived by university students, and mechanisms of facing them

(field study)

***د. محمد محمد غنيم سويلم**

***DR. Mohammed Mohammed Ghoneim Sweilem**

ملخص

أضحت شبكات التواصل الاجتماعي واقعًا مفروضًا يصعب تجاوزه أو تجاهل تأثيراته على مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، ويهدف البحث الحالي إلى التعرف على الأسس النظرية لشبكات التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالأمن الفكري، والكشف عن تقديرات طلبة جامعة جازان لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري، وتحديد الفروق بين متوسطات تقديراتهم طبقًا لمتغيرات الدراسة التصنيفية، إضافة إلى تقديم تصور مقترح لآليات مواجهة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي. ولتحقيق أهداف البحث تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، كما تم بناء أداة (استبانة) والتحقق من خصائصها السيكومترية، وتكوّنت في صورتها النهائية من (37) فقرة موزعة على بعدين أساسيين (البُعد الفردي 18 فقرة، والبُعد المجتمعي 19 فقرة)، وطُبّقت على عينة عشوائية بلغت (603) طالبًا وطالبة من كليات الجامعة. وقد بيّنت نتائج البحث أن تقديرات طلبة جامعة جازان لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري جاءت بدرجة "متوسطة" لكلا البُعدين، حيث بلغ المتوسط الحسابي للبُعد الفردي (2.23)، وبلغ للبُعد المجتمعي (2.30)، وأنه لا توجد فروق دالة إحصائيًا بين تقديراتهم تُعزى إلى متغير النوع وذلك بالنسبة للبُعد الفردي للأمن الفكري، في حين توجد فروق لصالح الذكور فيما يتعلق بالبُعد المجتمعي للأمن الفكري. كما بيّنت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائيًا بين متوسطات تقديرات الطلبة تُعزى إلى متغيري (شبكات التواصل الاجتماعي الأكثر استخدامًا، وعدد ساعات الاستخدام اليومي). وبعد ذلك قدم البحث تصورًا مقترحًا لمجابهة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي، تضمّنت آليات تنفيذه أربعة جوانب أساسية هي: الشباب الجامعي، وأعضاء هيئة التدريس، وإدارة الجامعة والكليات، ومؤسسات المجتمع الحكومية والمدنية.

الكلمات المفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي،الأمن الفكري، تهديدات، مواجهة التهديدات، الشباب الجامعي.

Abstract

The purpose of the study was to identify the theoretical background of Social Networking Sites (SNSs) and its impact on intellectual security, and to detect the perceptions of Jazan University students regarding the threats of SNSs to the intellectual security, and whether or not there were significant differences among the participants' perceptions due to the variables of the study. The study depended on the descriptive research method, and used a questionnaire of (37) items to collect the data. The sample consisted of (603) students randomly selected from Jazan colleges. The data was analyzed using Means, Standard Deviation, One way ANOVA, & t-test. The results indicated that students' responses regarding the threats of SNSs to the intellectual security came at the moderate level. The results also showed that there were statistically significant differences among students' responses regarding the threats of SNSs to individual dimension of intellectual security due to the gender variable in favor of male students. However; the results didn't show any statistically significant differences regarding social dimension of intellectual security. The results also didn't show any statistically significant differences among students' responses due to number of hours spent on SNSs & type of SNSs. The study ended with a suggested proposal that may help to face the threats of SNSs to the intellectual security for university students.

Key words: Social Networking Sites, Intellectual Security, Threats, University Students

---

[البحث الفائز بالمركز الثاني في مجال الدراسات التربوية والنفسية بالمسابقة 33 لجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم]

* أستاذ مساعد أصول التربية –كلية التربية–جامعة جازان– المملكة العربية السعودية.

* Assistant Professor of Education, Faculty of Education, Jazan University, Saudi Arabia.

مقدمة

ساهمت التطورات المتلاحقة لشبكة الإنترنت في إيجاد شكل جديد من الإعلام، تعددت تصنيفاته ومسمياته لدى المهتمين والمختصين، أطلقوا عليه الإعلام الجديد أو البديل، ويشمل الشبكات الاجتماعية الافتراضية، التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان اليومية.

وقد انتشرت هذه الشبكات في مختلف أنحاء العالم، فقرّبت العالم من بعضه البعض، ولم يعد العالم مجرد قرية كونية صغيرة كما عبر عن ذلك المفكر الكندي مارشال ماكلوهان (Marshall McLuhan)، بل أصبح أشبه بالغرفة الواحدة محددة المعالم والأبعاد، تلاشت معها حدود الزمان والمكان التي لم يعد لها أي اعتبار (جلولي، 2015)[1]، وعليه، لم يعد مصطلح المجتمع الافتراضي من المفاهيم التي تستوقف الانتباه عند سماعه، حيث أصبح ذو عمومية وانتشار ليس على مستوى التحليلات العلمية فحسب، بل أصبح مفهومًا متداولاً لدى مستخدمي شبكة الإنترنت (زكي، 2012)[2]، وزادت أهمية استخدام الإنترنت بانتشار شبكات التواصل الاجتماعي، إذ غيّرت طريقة تواصل الناس وتفاعلهم مع بعضهم البعض، وهو ما أكده سيليك وباك (Silic& Back 2016)[3]، وأوضحته دراسة ماثيو (Matthew 2011)[4] عندما أكدت على الميزة النسبية لشبكات التواصل الاجتماعي والتي مكنت مستخدميها من التفاعل والتواصل المباشر مع الآخرين في أي وقت ومن أي مكان.

وبذلك أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي ظاهرة اجتماعية عمقتها قدرتها التقنية والتفاعلية الهائلة، وغدت أكثر وسائل الاتصال شيوعًا بين الناس، حتى صار مَن لا يملك صفحة خاصة على تلك الشبكات يبدو وكأنه منعزل عن العالم، وهذا ما دفع الكثير من الأفراد لإنشاء صفحات عبر تطبيقات هذه الشبكات من أجل الاندماج مع الواقع وتطوراته المتلاحقة، كما دفع الكثير من المؤسسات والشركات إلى إنشاء هذه الصفحات للحفاظ على مستفيديها الذين يتطلعون إلى خدمات تواكب التطورات التقنية المعاصرة (Ofcom, 2008)[5].

وقد أحدث هذا الاستخدام المفرط لشبكات التواصل الاجتماعي وتطبيقاتها انعكاسات على مستخدميها إيجابًا وسلبًا، وعلى مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية (بعزيز، 2014)[6]، كما بات من الصعوبة إخفاء آثار هذه الانعكاسات على الفرد والمجتمع، وهذا يستدعي إجراء دراسات للكشف عن تأثيراتها الواقعية والمفترضة، خاصة على الأمن الفكري للفرد والمجتمع.

شبكات التواصل الاجتماعي

تعد شبكات التواصل الاجتماعي ظاهرة اجتماعية فرضت نفسها على الساحة الإعلامية بقوة تأثيرها في مستخدميها على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية، وتمثل بيئة اجتماعية افتراضية يجمع المشاركون فيها صداقة أو قرابة أو مصالح واهتمامات مشتركة أو توافق في المعتقدات والميول والهوايات والأفكار أو الرغبة في تبادل المعارف والخبرات، كما أنها تُمثل في صورتها المبسطة خريطة لعلاقات محددة تربط بين أقطاب متعددة تجمعهم نقاط التقاء مشتركة (مركز الدراسات الإستراتيجية بجامعة الملك عبد العزيز، 2012)[7].

وتتميز شبكات التواصل الاجتماعي بخروجها من دائرة سلطة الدولة إلى دائرة الناس جميعًا حتى صارت وسائل مفتوحة للجميع لا يتطلب استخدامها أي أذونات مسبقة أو خبرات تقنية عالية، واستطاعت تلك الشبكات أن تلغي فكرة الجماعة المرجعية في مقابل المجتمع الافتراضي، وأن تلغي حدود الجغرافيا والمكان والزمان، وأن تفكك الهوية التقليدية، الوطنية

والشخصية (الضبع، 1436هـ)[8]، وأن تدمج الناس في محيطها الافتراضي وتعزلهم عن واقعهم الاجتماعي بمحض حريتهم وإرادتهم لا جبرًا أو قسرًا، وتتيح لهم فرصة التمرد على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وكذلك السياسية.

وتمثلت دوافع الأفراد لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، وما يسعون إليه من إشباعات، في دوافع نفسية لتمضية وقت الفراغ والهروب من مشكلات الحياة اليومية، ودوافع شخصية لاكتساب المعارف والمعلومات والخبرات، ودوافع اجتماعية للتفاعل والمشاركة مع أفراد جدد خارج نطاق الأسرة ومجموعة الأصدقاء، إضافة إلى دوافع فكرية تتيح لهم حرية التعبير عن آرائهم ومناقشتها مع الآخرين ذوي الاهتمامات المشتركة. وأضافت دراسة (العربي وسالم 2013)[9] ودراسة (تهامي 2015)[10] دوافع أخرى تعزز انتقال الفرد من عالمه الواقعي إلى العالم الافتراضي، منها: افتقاد الفرد للبيئة الأسرية المستقرة، والهروب من ضغوط البطالة وقلة فرص العمل، والرغبة في تفريغ الشحنات العاطفية، والمساهمة في نشر الأخبار والآراء الثقافية والأدبية والسياسية الإيجابية منها والسلبية، إضافة إلى الرغبة في التسويق والإعلان.

وقد أسهمت شبكات التواصل الاجتماعي في زيادة الإقبال على استخدام الإنترنت على مستوى العالم، وتشير إحصاءات (Internet World States, 2015)[11] أن عدد مستخدمي الإنترنت في العالم شهد ارتفاعًا ملحوظًا خلال السنوات الأخيرة، حيث تجاوز ثلاثة مليارات و 366 مليون مستخدمًا بنهاية عام 2015، أي ما يقرب من نصف سكان الكرة الأرضية وبنسبة (46.4%) يستخدمون الإنترنت هذه الأيام. كما تشير الإحصاءات على مستوى العالم العربي إلى أن مصر تأتي في المركز الأول من حيث عدد مستخدمي الإنترنت الذي بلغ (43,065,211) وبنسبة 49.6% من مجموع السكان (86,895,099)، وتأتي المغرب في المركز الثاني بعدد مستخدمين (18,472,835) وبنسبة 56% من مجموع السكان (32,987,206)، في حين احتلت المملكة العربية السعودية المركز الثالث بعدد مستخدمين (16,544,322) وبنسبة 60.5% من مجموع السكان (27,345,986).

وبالنسبة لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، تشير الإحصاءات أن فيسبوك Facebook وواتس آب WhatsApp يعتبران الأكثر استخدامًا بين وسائل التواصل الاجتماعي في جميع الدول العربية وبنسبة (87% و 84%) وذلك على التوالي (قمة رواد التواصل الاجتماعي العرب، 2015)[12].

وقد يرجع السبب وراء تزايد استخدام شبكات التواصل الاجتماعي بصفة عامة إلى مقدار الحرية التي تتمتع بها (Kim et al., 2016)[13]، فإنها تُتيح لمستخدميها سقف مرتفع من حرية التعبير عن آرائهم بخلاف وسائل الإعلام التقليدية التي تخضع للضوابط الرقابية، إضافة إلى توفر الإنترنت وقلة تكلفته وإتاحته للجميع، وانتشار الأجهزة الذكية والتليفونات المحمولة، واعتماد نسبة كبيرة من المشاهير في كافة المجالات على تلك الشبكات للتواصل والاتصال بالجمهور.

الأمن الفكري

أدى التطور الكبير الذي شهده عالم اليوم خاصة في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات إلى بروز قضية الأمن الفكري في مقدمة أولويات كثير من بلدان العالم، ففي ظل هذا التطور المتسارع سهل انتقال الثقافات وتأثر بعضها بالبعض الآخر، حيث انفتحت الحدود بين الدول والشعوب في عصر العولمة والسموات المفتوحة، وتعرضت كثير من الدول إلى موجات من الغزو الفكري والثقافي التي باتت تهددها في فكرها ومعتقدها وفي أمنها واستقرارها.

لقد أصبح تعزيز الأمن الفكري ضرورة ملحة باعتباره السبيل لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع من خلال التصدي للمؤثرات والانحرافات الفكرية في ظل التلوث الثقافي والغلو الديني وضعف الوعي لدى كثير من أبناء المجتمع. وأكد

(شلدان 2013)[14] أن الأمن الفكري يُعد –بلا مبالغة– الأساس لأي أمن في المجتمع، فالفرد إذا ما امتلك فكرًا سليمًا راشدًا استطاع أن ينعم بالأمن والاستقرار الشامل الذي ينشده المجتمع من حوله.

ويعتبر الأمن الفكري صمام أمان وحماية ضد الانحراف والتطرف، حيث يعمل على سلامة فكر الإنسان وعقله من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية وفي تصوره للحياة بصفة عامة (السبيعي، 2013)[15]. ويرتبط الأمن الفكري بصور الأمن الأخرى ويتداخل في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ومن خلاله تتحقق الحماية للمكتسبات الوطنية، وتتحقق مقاصد الشريعة الإسلامية في المحافظة على الضرورات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والعرض (الشهراني،1430هـ)[16].

وتبرز أهمية تحقيق الأمن الفكري في تحقيق الاستقرار الديني والخُلقي من خلال تصحيح المفاهيم والمصطلحات الشرعية وتنقيتها من الأفكار المشبوهة والمغلوطة (السديس، 2005)[17]، إضافة إلى دوره في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والسياسي من خلال الحفاظ على لحمة المجتمع والتصدي للإرهاب (صالح، 2008)[18]، ومحاربة الجماعات المتطرفة التي تهدف إلى إضعاف الانتماء والولاء للوطن وتشويه الرموز الوطنية وبث الشائعات في المجتمع وإضعاف الحكومات والنيل من مكانتها وهيبتها (الوشاحى، 2015)[19].

ويتطلب تحقيق الأمن الفكري السير في ثلاث مراحل متداخلة ومتكاملة هي: الوقاية والمواجهة والعلاج، فتُمثل مرحلة الوقاية مرحلة تحصين أبناء المجتمع ضد أي فكر متطرف من خلال تضافر جهود كافة مؤسسات المجتمع وعلى رأسها الجامعات، على أن يكون ذلك وفق خطط مدروسة بعناية، أما مرحلة المواجهة فتمثل مرحلة الحوار والمناقشة التي تستدعى تدخل علماء الدين ورجال الفكر خاصة في المؤسسات الجامعية للتصدي للأفكار المتطرفة بالحوار والمناقشة، وتأتي مرحلة التقويم والعلاج لتفعيل أدوار المؤسسات التربوية في تقويم الفكر المنحرف من خلال تأصيل مفهوم الأمن الفكري وبيان مخاطر الانحراف الفكري على أمن المجتمع واستقراره (المالكي، 2006)[20].

علاقة شبكات التواصل الاجتماعي بالأمن الفكري

تُشكل شبكات التواصل الاجتماعي موضوعًا فكريًا يتعارض فيه توجهان أساسيان، التوجه الأول يرى أنصاره أن هذه الشبكات فرصة للبشرية للاتصال وتبادل المعارف والخبرات وتعزيز العلاقات الاجتماعية والقضاء على حواجز الزمان والمكان، ويدعم هذا التوجه عدد من الدراسات السابقة مثل دراسة (Ellison et al., 2007)[21] التي أكدت على أن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي قد أسهم في دعم العلاقات الاجتماعية وترسيخها بين طلبة جامعة ميتشجن الأمريكية، ودراسة (Mohseni et al., 2008)[22] التي أكدت على دور الشبكات الاجتماعية في مساعدة الشباب الإيراني على تكوين صداقات جديدة ناحجة، ودراسة (Valenzuela et al., 2009)[23] التي أشارت إلى وجود علاقة إيجابية بين استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ورضا طلبة الجامعات بولاية تكساس الأمريكية عن الحياة وزيادة ثقتهم الاجتماعية واستعدادهم للمشاركة المدنية والسياسية، إضافة إلى دراسة (بدر 2015)[24] التي أشارت إلى بعض الآثار الإيجابية لاستخدام الشباب الجامعي الخليجي شبكات التواصل الاجتماعى منها: التعرف على الثقافات الأخرى والشعور بالسعادة عند التواصل مع الأصدقاء وعند مشاركة الآخرين مناسباتهم المختلفة.

وعلى الجانب الآخر، ينظر التوجه الثاني لشبكات التواصل الاجتماعي نظرة كارثية باعتبارها مصدر خطر حقيقي على أمن المجتمع واستقراره، حيث يرى أنصاره أن تلك الشبكات قد اقتحمت الحياة الاجتماعية وبدلت كثيرًا من القيم وقللت فرص التفاعل والتواصل بين الأفراد، ويدعم هذا التوجه عدد من الدراسات السابقة مثل دراسة (محمود 2012)[25] التي أكدت على التأثير السلبي لشبكات التواصل الاجتماعي على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، ودراسة (درويش 2013)[26]

التي أشارت إلى بعض التداعيات السلبية لاستخدام هذه الشبكات مثل: انتشار العلاقات غير المشروعة بين الجنسين، عدم التثبت في نقل الأخبار، والتأثير السلبي علي اللغة العربية، وأضافت دراسة (الطيار 2014)[27] الإهمال في أداء الشعائر الدينية، ودراسة (القرشي 2014)[28] نشر الفضائح وانتهاك خصوصيات الأفراد، ودراسة (الصويان 2014)[29] إهدار الوقت والانخراط في علاقات افتراضية بعيدة عن الواقع الفعلي، كما أضافت دراسة (Fox &Moreland, 2015)[30] فساد العلاقات العاطفية والتعرض لمحتوى إعلامي غير لائق، ودراسة (Cao& Lin, 2015)[31] التعرض لحملات النصب والاحتيال، ودراسة (Muller et al., 2016)[32] إدمان الإنترنت وظهور بعض المشكلات النفسية لدى مستخدمي تلك الشبكات.

ويُمثل الانتشار الكبير لشبكات التواصل الاجتماعي تهديدًا حقيقيًا للأمن الفكري، حيث تُعد المضامين التي تُنشر عبر صفحاتها مدخلاً للغزو الفكري والثقافي لشباب الأمة، كونها أكثر المضامين استهلاكًا وتداولاً بين فئة الشباب، في الوقت الذي يعاني فيه غالبية الشباب من ضعف الوعي الديني والحصانة الثقافية والفكرية (منصور، 2014)[33] التي تمكنهم من التمييز بين الغث والسمين فيما يتعرضون له أو ما يُطرح عليهم عبر تلك الشبكات وتطبيقاتها المختلفة.

إن تعرض الشباب لمضامين إعلامية سلبية عبر شبكات التواصل الاجتماعي يؤثر سلبًا في منظومتهم الفكرية، وقد يقودهم إلى تبني أفكار مغايرة للثوابت الثقافية والدينية (بعزيز، 2014)[6]. وتُعد هذه الشبكات بيئة خصبة يستغلها البعض لتداول الأفكار والمفاهيم المغلوطة بين مستخدميها (الشهري، 2007)[34]، إضافة إلى دورها في نشر الإشاعات داخل المجتمع (تريكي، 2014)[35]، وأحيانًا يتم ذلك بشكل مدروس وممنهج من أطراف خارجية لتحقيق غايات معينة أو تجنيد بعض مستخدمي تلك الشبكات لتبني أفكار عدائية تهدد أمن المجتمع واستقراره (بعزيز، 2014)[6].

لقد أسهمت شبكات التواصل الاجتماعي في بسط نفوذ التطرف الفكري من خلال المواقع الإلكترونية الخاصة ببعض العناصر المتطرفة التي تقدم منتجاتها الفكرية للجمهور وفق خطاب ديني جذاب (Gerstenfeld et al., 2003)[36]، يتم استغلاله في توجيه طاقات الشباب ذوي الوعي الديني المحدود ضد مجتمعاتهم وتكفيرها في بعض الأحيان (الشرقاوي، 2014)[37]. ولربما مكنت الطبيعة المفتوحة لشبكات التواصل الاجتماعي– التي تتيح لأي إنسان إنشاء حساب أو أكثر عبر تطبيقاتها المختلفة باستخدام بيانات غير حقيقية في بعض الأحيان، إضافة إلى ضعف الضوابط الرقابية عليها– العناصر المتطرفة من استغلال تلك الشبكات كمنصات إعلامية لنشر أفكارها المنحرفة وتجنيد أفرادها والتواصل معهم لتبادل التعليمات والتوجيهات وتنفيذ العمليات الإرهابية.

أضف إلى ذلك إن فوضى الفتاوى الدينية المنتشرة على صفحات شبكات التواصل الاجتماعي قد عززت من الترويج للأفكار الضالة ونشر الخطاب الديني المتطرف، خاصة بين الشباب ذوي الوعي الثقافي والديني المنخفض، مما يجعلهم ينقادون وراء بعض التيارات الفكرية المنحرفة التي تُهدد تماسك المجتمع وتزعزع أمنه واستقراره (بعزيز، 2014)[6]، أويجعلهم ينخرطون في جماعات فكرية متطرفة تنتهج نهجًا عدائيًا ضد المجتمع تحت ستار الدين.

ومن جانب آخر، يُهدد الاستخدام المتزايد لشبكات التواصل الاجتماعي كيان العلاقات الاجتماعية بين الشباب ويؤدي إلى انصرافهم من علاقات اجتماعية حقيقية إلى علاقات افتراضية تفتقر إلى مهارات التواصل الاجتماعي الفعالة (مسعودان ووارم، 2012)[38]، وبهذا تؤثر شبكات التواصل الاجتماعي على نسيج العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتُضعف من تماسكه وتُهدد استقراره وأمنه.

ونخلص مما تقدم، أن الاستخدام السيئ لشبكات التواصل الاجتماعي دون توافر الأخلاقيات التربوية السليمة الضابطة لهذا الاستخدام يؤدي إلى مخاطر وخيمة على الفرد والمجتمع، ويُحدث حالة من الانفلات الأخلاقي ونشر القيم الهدامة التي

تضر باستقرار الوطن وتهدد أمنه الفكري، ومن هنا يمكن القول أن الاستخدام المنضبط لوسائل التكنولوجيا والتقنيات الحديثة، وفي مقدمتها شبكات التواصل الاجتماعي، يعد ضمن ضرورات ومقومات تحقيق الأمن الفكري في المجتمع.

الدراسات السابقة

يتبين من خلال العرض السابق أهمية وخطورة شبكات التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري، فإنها سلاح ذو حدين تحمل الخير والشر في آن واحد، بحسب طريقة استخدامها وتوظيفها، كما يُلاحظ تنوع وتعدد الدراسات السابقة التي تناولت موضوع شبكات التواصل الاجتماعي، فمنها ما ركز على تأثيراتها الإيجابية مثل دراسة إليسون وآخرون (Ellison et al., 2007)[21] ودراسة محسني وآخرون (Mohseni et al., 2008)[22] ودراسة فالينزويلا وآخرون (Valenzuela et al., 2009)[23] ودراسة (بدر 2015)[24]، ومنها ما ركز على تأثيراتها السلبية مثل دراسة (محمود 2012)[25] ودراسة (درويش 2013)[26] ودراسة (الطيار2014)[27] ودراسة (الصويان 2014)[29] ودراسة (بعزيز2014)[6] ودراسة فوكس وموريلاند (Fox &Moreland, 2015)[30] ودراسة كو ولن (Cao& Lin, 2015)[31] ودراسة مولر وآخرون (Muller et al., 2016)[32]، ومنها ما ركز على علاقتها بقضية الأمن الفكري مثل دراسة (الكفارنة 2012)[39] ودراسة (أبو خطوة والباز 2014)[40] ودراسة (عبد الرحمن 2015)[41] ودراسة (المعيذر 2015)[42]، وفيما يلي تفصيل القسم الثالث من هذه الدراسات لارتباطة المباشر بموضوع البحث الحالي، وهي كما يلي:

- دراسة الكفارنة (2012)[39] التي هدفت إلى الكشف عن مخاطر التقنيات المعاصرة على الأمن الفكري لدى عينة تكونت من (250) طالبًا من طلبة جامعة البلقاء التطبيقية بالأردن، والتي بيَّنت نتائجها أن درجة المخاطر كانت عالية في المجالين الأخلاقي والسياسي والتبعية الفكرية والثقافية، في حين كانت المخاطر متوسطة في المجال النفسي.

- دراسة أبو خطوة والباز (2014)[40] التي استهدفت التعرف على انعكاسات شبكة التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى عينة تكونت من (104) طالبًا بالجامعة الخليجية بمملكة البحرين، والتي بيَّنت نتائجها أن أثر شبكات التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى الطلبة بصفة عامة جاء بدرجة متوسطة.

- دراسة عبد الرحمن (2015)[41] التي هدفت إلى التعرف على تقدير طلبة الجامعات الفلسطينية بمحافظة غزة لدور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبة الجامعات الفلسطينية بغزة من وجهة نظر عينة تكونت من (600) طالبًا بجامعة الأزهر والجامعة الإسلامية بغزة، وبيَّنت نتائجها أن الدرجة الكلية لتقدير أفراد العينة لدور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز الأمن الفكري متوسطة، وأوصت بضرورة تفعيل الشبكات الاجتماعية في تعزيز الأمن الفكري.

- دراسة المعيذر (2015)[42] التي استهدفت التعرف على الآثار التربوية لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى عينة تكونت من (297) طالبة من طالبات جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالمملكة العربية السعودية، والتي بيَّنت نتائجها أن الآثار التربوية لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى طالبات المستوى الجامعي كبيرة.

ويتضح من خلال عرض الدراسات السابقة، أن البحث الحالي إتفق مع بعض الدراسات السابقة مثل دراسة الكفارنة (2012)[39]، ودراسة أبو خطوة والباز (2014)[40]، ودراسة المعيذر (2015)[42]، ودراسة عبد الرحمن (2015)[41] في معالجة موضوع شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالأمن الفكري، ولكنه تَّفرد عنها بتناوله تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري من وجهة نظر الشباب الجامعي أنفسهم وتقديم بعض الآليات لمواجهتها.

وبصفة عامة استفاد البحث الحالي من الدراسات السابقة في تعيين منهجية البحث وتحديد مفاهيمه وبناء الأداة وتفسير النتائج.

مشكلة البحث وأسئلته

صار الشباب الجامعي في العقد الأخير، وبحكم طبيعة سِنّه العمرية وحالته التعليمية، ينشد النموذج المثالي في نظرته للمستقبل، متسلحًا بمعطيات تقنيّة ومعرفية وفّرتها له التغيّرات المتسارعة والمستجدات الحديثة.

لكن هذه التغيّرات المتسارعة والمستجدات الحديثة التي يعتقد الشباب الجامعي تمكنهم من معطياتها هي نفسها أوقعتهم في شرك التشتت الواضح في تطلعاتهم وأهدافهم، وأضعفت قدرتهم على التمييز الجلي بين تناقضَي الصواب والخطأ، فدفع الكثير منهم إلى التمرد على قيم المجتمع وتقاليده (أبو خطوة والباز، 2014)[40]، وعدم التكيّف الكامل مع مجتمعه الواقعي، والانكفاء إلى الذات بمجتمعها الافتراضي المُستحدَث، لعلهم يجدوا فيه متنفسًا لهم.

وتؤكد الحقائق الخطيرة والمثيرة للقلق التي ينطوي عليها تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي على أن عددًا كبيرًا من الشباب العربي يغترب ويهرب إلى عالم وهمي وواقع افتراضي يقضي فيه جل وقته مع أصدقاء افتراضيين بدلاً من الاختلاط بأفراد المجتمع الواقعي والاندماج فيه، فحلّ الإدمان الإلكتروني، وقلّ التفاعل الشخصي بين الناس وضَعُفت مهارات التواصل الاجتماعي، وزاد التفكك الأسري والكسل والخمول، والتعرض إلى مواد غير لائقة، والحصول على معلومات مغلوطة ومضللة في بعض الأحيان، والتعرض إلى بعض القيم المتعارضة مع الثقافة المحلية للمجتمعات العربية (قمة رواد التواصل الاجتماعي العرب، 2015)[12].

كما أكّدت بعض الدراسات الميدانية، مثل دراسات: (تريكي 2014)[35]، (وأبو خطوة والباز 2014)[40]، (والمعيذر 2015)[42]، (وعبد الرحمن 2015)[41]، (وتهامي 2015)[10]، على بعض التداعيات السلبية لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي ومنها: محدودية الضبط الذاتي، والتعرّف على أفكار غريبة لأشخاص مجهولين، والتعرض للترهيب، والقضايا الجنسية، والحروب العقائدية والإعلامية، ونشوء الجماعات المتطرفة والإرهاب، مما يؤثر سلبًا على الأمن الوطني والفكري للمجتمع ووحدته الوطنية ويزعزع مفاهيم وأبعاد المواطنة الصالحة لدى أبنائه.

وتزداد خطورة تلك التداعيات على الأمن الفكري للمجتمعات العربية واستقرارها، خاصة أن العالم العربي يضم نسبة كبيرة من الشباب، ويُشكّل الشباب الذين تبلغ أعمارهم 25 عامًا فأقل ثلث عدد سكانه، تستخدم غالبيتهم العظمى شبكات التواصل الاجتماعي (قمة رواد التواصل الاجتماعي العرب، 2015)[12]، وكلها تُمثل تحديات حقيقية للأمن الفكري العربي.

وعليه، فقد تحددت مشكلة البحث الحالي في السؤال الرئيس التالي: **ما تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي وآليات مواجهتها؟**

ويجيب البحث الحالي عن هذا السؤال الرئيس من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

السؤال الأول: ما مستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي من وجهة نظر طلبة جامعة جازان؟

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0,05) بين متوسطات تقديرات وجهة نظر طلبة جامعة جازان لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري تُعزى لمتغيرات الدراسة (النوع، وشبكات التواصل الاجتماعي الأكثر استخدامًا، وعدد ساعات الاستخدام اليومي)؟

السؤال الثالث: ما التصور المقترح لآليات مواجهة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي؟

أهداف البحث

هدف البحث الحالي تعرف الأسس النظرية لشبكات التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالأمن الفكري، والكشف عن واقع تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري من وجهة نظر طلبة جامعة جازان، وتحديد دلالة الفروق بين متوسطات تقديرات طلبة جامعة جازان لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري طبقًا لمتغيرات الدراسة التصنيفية، وأخيرًا تقديم تصور مقترح لآليات مواجهة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي.

أهمية البحث

للبحث الحالي أهمية نظرية وتطبيقية، تتمثل أهميته النظرية فيما يعرضه من تنظير لشبكات التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالأمن الفكري، الأمر الذي ينتج عنه فهمًا أعمق لأهمية وخطورة تلك الشبكات على الأمن الفكري، أما أهميته التطبيقية فتتمثل فيما يقدمه من آليات مقترحة يُمكن أن تستفيد منها الإدارة الجامعية والمخططين للتعليم العالي لتجنب تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري، والعمل على الاستفادة من تلك الشبكات وإعادة توظيفها، بما تمتاز به من قدرات هائلة، في نشر الفكر المستنير بين الشباب الجامعي، بما يحقق الأمن والسلم المجتمعي.

حدود البحث

تمثلت حدود البحث الحالي فيما يلي:

الحدود الزمانية: تم التطبيق الميداني للبحث خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي 1437/1436هـ، 2015/ 2016م.

الحدود المكانية: تم تطبيق أداة البحث على طلبة جامعة جازان بالمملكة العربية السعودية.

الحدود الموضوعية: اقتصر البحث على الكشف عن درجة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي من وجهة نظر طلبة جامعة جازان، وتقديم مقترحات لمواجهة تلك التهديدات.

مصطلحات البحث

- **شبكات التواصل الاجتماعي Social Networking Sites:** هى "مواقع تتشكل من خلال الإنترنت تسمح للأفراد بتقديم فكرة عامة عن حياتهم الشخصية، وتُتيح الفرصة أمامهم للاتصال بقائمة المستخدمين الآخرين، والتعبير عن وجهة نظرهم من خلال عملية الاتصال، وتختلف طبيعة التواصل بين الأفراد من موقع إلى آخر" (Boyd & Ellison, 2007, 211)[43]. **وإجرائيًا**، هي مجموعة من المواقع أو التطبيقات علي شبكة الإنترنت تُتيح التواصل والتفاعل بين الأفراد ذوي التوجهات أو الاهتمامات أو المصالح المشتركة في بيئة افتراضية، يتم التواصل فيها من خلال تبادل الملفات والرسائل والصور والفيديوهات، ومن أمثلة المواقع: الفيسبوك Facebook

وتويتر Twitter وانستجرام Instagram، ومن أمثلة التطبيقات: واتس آب WahtsApp وسناب شات SnapChat وبي بي إم (BBM).

- **الأمن الفكري Intellectual Security**: هو: "الحماية الفكرية اللازمة للفرد للحفاظ على مخزونه الفكري الأصيل، والتصدي للهجمات الفكرية المنحرفة، مع وضع المعايير والأسس اللازمة للفهم الصحيح، ليعيش حياة آمنة في وطنه وخارجه، وتجعله قادرًا على تصحيح مساره إلى الاعتدال والوسطية"(عبد الرحمن، 2015)[41]. **وإجرائيًا**، هو مصطلح له بعدين أساسيين، هما: البُعد الفردي الذي يهتم بتأمين أفكار وعقول أفراد المجتمع من كل معتقد خاطئ، وحماية عقائدهم من الغلو والتطرف والخروج عن منهج الوسطية والاعتدال، والبُعد المجتمعي الذي يركز على حفظ النظام العام في المجتمع، وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

منهج البحث

اعتمد البحث الحالي على منهج البحث الوصفي التحليلي لمناسبته لطبيعة الدراسة.

عينة البحث

طُبق البحث الحالي على عينة مكونة من (603) طالبًا من كليات (التربية والآداب وعمادة خدمة المجتمع) بجامعة جازان، مقسمين حسب المتغيرات التصنيفية الموضحة في جدول(1):

جدول1: يوضح توصيف أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة التصنيفية

متغير النوع			متغير شبكات التواصل الاجتماعي الأكثر استخداماً						متغير ساعات الاستخدام اليومي		
البيان	ك	%	البيان	ك	%	البيان	ك	%	البيان	ك	%
ذكر	292	%48.4	whatsapp	294	48.8%	Twitter	56	9.3%	أقل من 3 ساعات	17	%28.9
انثى	311	%51.6	Snapchat	112	18.6%	BBM	51	8.5%	6-3 ساعات	186	%30.8
مجموع= 603			INSTGRAM	77	12.8%	Facebook	13	2.2%	أكثر من 6 ساعات	243	%40.3
			مجموع = 603						مجموع = 603		

يتبيّن من جدول توصيف عينة البحث رقم (1) ما يلي:

- احتل تطبيق "الواتس أب" المرتبة الأولى في تفضيلات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي بنسبة 48.8% على مستوى مجموع عينة البحث. ويتفق ذلك مع نتائج دراسة (السقا، 2015)[44] التي أظهرت أن تطبيق

"الواتس آب" جاء في مقدمة برامج التواصل الاجتماعي التي يفضلها الشباب الخليجي بنسبة 94% من عينة الدراسة.

- جاء تطبيق "سناب شات" في المرتبة الثانية في تفضيلات الاستخدام بنسبة 18.6% من مجموع عينة البحث. ويتفق ذلك مع تقرير شركة "GlobalWebIndex" البريطانية، الذي كشف عن أن الشباب السعودي من أكثر الشعوب العربية استخدامًا لتطبيق "سناب شات"، وأن المملكة تحتل المركز الثاني في العالم بعدد المسخدمين لتطبيق "سناب شات"، وأن أعمار الشباب السعودي المستخدمين لتطبيق "سناب شات" تراوحت ما بين 16 و20 عام (GWI, 2015)[45].
- جاء استخدام الفيسبوك في المرتبة الأخيرة بين وسائل التواصل الاجتماعي الأكثر استخدامًا لدي طلبة جامعة جازان–عينة البحث– بنسبة 2.2% من مجموع عينة البحث. ويختلف ذلك مع نتائج دراسة (العشري، 2014)[46] التي أكدت على أن أكثر وسائل التواصل الاجتماعي استخدامًا لدى الشباب في الجامعات السعودية هما: توتير يليه الفيسبوك.

- بلغت نسبة من يستخدم شبكات التواصل الاجتماعي أكثر من 6 ساعات يوميًا 40.3% من مجموع عينة البحث، أما الذين يستخدمونها من (3–6) ساعات يوميًا نسبتهم 30.8%، بينما تبلغ نسبة من يستخدمونها من (أقل من 3 ساعات) يوميًا 28.9%. ويتفق ذلك مع نتائج دراسة (آل سعود، 2014)[47] التي أكدت على أن غالبية طلبة جامعة الملك سعود (أكثر من 95%) يستخدمون الإنترنت بشكل يومي منتظم، وأن منهم 42.6% يتراوح استخدامهم للإنترنت بين 4–6 ساعات يوميًا.

أداة البحث

1. **بناء الأداة:** تم إعداد استبانة لمعرفة درجة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري من وجهة نظر عينة البحث، وذلك من خلال مراجعة الأدبيات المرتبطة بموضوع البحث، وتكونت أداة البحث في صورتها النهائية من قسمين رئيسيين: القسم الأول تضمن معلومات عامة عن المستجيب (الكلية، النوع، أكثر شبكات التواصل الاجتماعي استخدامًا، عدد ساعات الاستخدام اليومي)، أما القسم الثاني فتكون من (37) فقرة، موزعة على بعدين أساسيين، هما: البُعد الفردي وتضمن (18) فقرة، والبُعد المجتمعي وتضمن (19) فقرة. وتم استخدم مقياس ليكرت ذي التدرج الثلاثي (أوافق– أوافق إلى حد ما– لا أوافق) لتحديد دراسة موافقة أفراد العينة، وتمثلت طريقة الإجابة عن فقرات الأداة باختيار درجة واحدة فقط عن كل فقرة من بين خيارات المقياس كالآتي: أوافق (3)، أوافق إلى حد ما (2)، لا أوافق (1).

- ولتحديد درجة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري، ومعيار الحكم على استجابات أفراد العينة، تم اعتماد قاعدة التقريب الحسابي للأعداد الصحيحة وذلك من خلال تحديد طول خلايا المقياس (الحد الأدنى والأعلى)، ثم حساب المدى (3–1=2)، ومن ثم تقسيمه على أكبر قيمة في المقياس للحصول على طول الفئة أي (2÷3=0.66)، ثم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس (بداية المعيار 1) وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الفئة، وبذلك تم توزيع تقدير الدرجات على النحو التالي:

من 2.34 إلى 3 درجة موافقة "كبيرة"

من 1.67 إلى 2.33 درجة موافقة "متوسطة"

من 1 إلى 1.66 درجة موافقة "ضعيفة"

2. **صدق الأداة:** بلغ المجموع النهائي للفقرات المنتمية لمحاور الأداة 37 فقرة.
3. **ثبات الأداة:** للتحقق من ثبات الاتساق الداخلي لبنود الأداة، تم بتطبيقها على عينة استطلاعية –من خارج عينة البحث– تكونت من (50) طالباً وطالبة بجامعة جازان. ويُظهر الجدول (2) معاملات الارتباط (الاتساق) الداخلي لأداة البحث ومحوريها الفرعيين، كما تم حساب معامل ثبات "ألفا كرونباخ" لأداة البحث ومحوريها الفرعيين، كما يلي:

جدول 2 : معامل ثبات "الفا كرونباخ" ومعاملات الارتباط (الاتساق الداخلي) لأداة البحث ومحوريها الفرعيين

محاور الاستبانة	عدد المفردات	الفا كرونباخ	1	2	3
البُعد الفردي	**18**	**0.78**	**1**		
البُعد المجتمعي	**19**	**0,85**	****0,778**	**1**	
الأداة ككل	**37**	**0.90**	****0,936**	****0,949**	**1**

**** دالة عند 0.01**

يتضح من الجدول السابق أن أداة البحث تتمتع بمعاملات ثبات مرتفعة بالنسبة لكلا المحورين مما يُعطي موثوقية في استخدامها، كما يُشير الجدول إلى معاملات اتساق داخلي دالة إحصائيًا عند مستوى الدلالة (0.01) بين المحورين الفرعيين للأداة من ناحية، وبينهما وبين الدرجة الكلية للأداة من ناحية أخرى، مما يؤكد صلاحية الأداة لقياس ما صُممت من أجله.

خطة التحليل الإحصائي

بعد تجميع الاستبانات تم تفريغها وفق برنامج (SPSS) ومعالجتها بالأساليب الإحصائية المناسبة وفقًا لأسئلة البحث، حيث تم استخدام اختبار "**ت**" لتحديد دلالة الفروق طبقًا لمتغير (النوع)، واستخدام تحليل التباين الأحادي لتحديد دلالة الفروق طبقًا لمتغيري (الشبكات الأكثر استخدام، عدد ساعات الاستخدام اليومي)، واستخدام اختبار (Tukey) لفحص دلالات الفروق، كما تم استخدام التكرارات والنسب المئوية والمتوسط الوزني والانحراف المعياري للحكم على درجة تقديرات الطلبة لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري.

نتائج البحث ومناقشتها

أجاب البحث عن الأسئلة التالية:

إجابة السؤال الأول، ونصّه: ما مستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي من وجهة نظر طلبة جامعة جازان؟ وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسط الوزني والانحراف المعياري لاستجابات عينة البحث، وذلك وفقًا لمحوري الأداة (البُعد الفردي والبُعد المجتمعي)، ويبين جدول (3) تلك النتائج على النحو التالي:

جدول 3: تقديرات أفراد العينة لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري فيما يتعلق بالبُعد الفردي

رقم العبارة	العبارة	أوافق		أوافق إلى حد ما		لا أوافق		المتوسط الوزني	الانحراف المعياري	درجة الموافقة	الترتيب
		ك	%	ك	%	ك	%				
1	تعزل الفرد عن واقعه	264	43.8	240	39.8	99	16.4	2.27	.727	متوسطة	9

	الاجتماعي										
2	تؤدي إلى إدمان الفرد للإنترنت	395	65.5	152	25.2	56	9.3	2.56	.658	كبيرة	2
3	تعرض الفرد للنصب والاحتيال	156	25.9	236	39.1	211	35.0	1.91	.775	متوسطة	18
4	تعزز شعور اللامبالاة وعدم تحمل المسئولية لدى الفرد	187	31.0	215	35.7	201	33.3	1.98	.802	متوسطة	17
5	تتسبب في تقصير الفرد في أداء عباداته الدينية	267	44.3	194	32.2	142	23.5	2.21	.798	متوسطة	11
6	تسهم في تأخر الفرد دراسيًا	208	34.5	246	40.8	149	24.7	2.10	.764	متوسطة	13
7	تؤدي إلى شعور الفرد بالكسل والخمول	286	47.4	208	34.5	109	18.1	2.29	.755	متوسطة	7
8	تشعر الفرد بالتعب البدني والذهني	249	41.3	231	38.3	123	20.4	2.21	.758	متوسطة	12
9	تقلل من ممارسة الفرد للهوايات المفيدة كالرياضة	292	48.4	184	30.5	127	21.1	2.27	.788	متوسطة	8
10	تضعف بعض القيم لدي الفرد كالصدق والأمانة	205	34.0	230	38.1	168	27.9	2.06	.785	متوسطة	15
11	تقلل من قدرة الفرد على التمييز بين الصواب والخطأ أو (الحق والباطل)	204	33.8	249	41.3	150	24.9	2.09	.762	متوسطة	14
12	تفتقر نقاشات الأفراد على صفحاتها إلى الاحترام المتبادل	281	46.6	253	42.0	69	11.4	2.35	.676	كبيرة	3
13	تسمح بانتهاك خصوصيات الأفراد	292	48.4	213	35.3	98	16.3	2.32	.738	متوسطة	5
14	تضعف مهارات التواصل اللفظي للأفراد	280	46.4	225	37.3	98	16.3	2.30	.733	متوسطة	6

15	تساعد على إهدار وقت الفرد دون فائدة	417	69.2	143	23.7	43	7.1	2.62	.615	كبيرة	1
16	تسهم في تزييف الوعي لدى الفرد	249	41.3	252	41.8	102	16.9	2.24	.724	متوسطة	10
17	تضعف من شعور المواطنة لدى الفرد	197	32.7	226	37.5	180	29.9	2.03	.791	متوسطة	16
18	تغذي ثقافة التعصب للرأي عند الفرد	284	47.1	244	40.5	75	12.4	2.35	.690	كبيرة	4
المحور ككل								**2.23**	**.359**	**متوسطة**	

يتبيّن من جدول (3) ما يلي:

- جاءت معظم إجابات أفراد العينة على عبارات هذا المحور في نطاق درجة الموافقة "**المتوسطة**"، حيث حصلت معظم العبارات على متوسطات نسبية أقل من (2.34) وأكبر من (1.66)، وبلغ المتوسط النسبي للمحور ككل بلغ (2.23) بإنحراف معياري (0.359)، وبدرجة موافقة متوسطة.
- وتُعطي هذه النتيجة مؤشرًا إيجابيًا على مدى إدراك طلبة جامعة جازان لخطورة شبكات التواصل على الأمن الفكري بصفة عامة، فالشباب الجامعي من أكثر فئات المجتمع استخدامًا لشبكات التواصل الاجتماعي مما يجعلهم على دراية كافية بالجوانب السلبية لتلك الشبكات.
- كانت أعلى درجات موافقة أفراد العينة على تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري في هذا البُعد، هي التي تضمنتها العبارة رقم (15) ونصّها: "**تساعد على إهدار وقت الفرد دون فائدة**" بمتوسط حسابي (2.62) وبانحراف معياري (0.615) وبدرجة موافقة كبيرة، والتي تضمنتها العبارة رقم (2) ونصّها: "**تؤدي إلى إدمان الفرد للإنترنت**" بمتوسط حسابي (2.56) وبانحراف معياري (0.658) وبدرجة موافقة كبيرة، ثم التي تضمنتها العبارة رقم (18) ونصّها: **تغذي ثقافة التعصب للرأي عند الفرد**" بمتوسط حسابي (2.35) وبانحراف معياري (0.690) وبدرجة موافقة كبيرة، تليهم في المرتبة الرابعة الموافقة التي تضمنتها العبارة رقم (12) ونصّها: "**تفتقر كثير من نقاشات الأفراد على صفحاتها إلى الاحترام المتبادل**" بمتوسط حسابي (2.35) وبانحراف معياري (0.676) وبدرجة موافقة كبيرة.
- ويُمكن تفسير هذه النتائج بأنه نظرًا لكثرة استخدام طلبة جامعة جازان لشبكات التواصل الاجتماعي توفر لديهم الوعي الكافي لإدراك تهديداتها للأمن الفكري لأفراد المجتمع خاصة فئة الشباب، فإنها قد تتسبب في هدر أوقاتهم، وقد تدفع ببعضم إلى إدمان الإنترنت، إضافة إلى دورها في تغذية النعرات العصبية، حيث تتحول كثير من النقاشات عبر صفحاتها إلى صراعات وتبادل للإساءات والتهم، وهذا يزيد من انقسام المجتمع ويضعف من وحدته واستقراره.

- تتفق نتائج البحث الحالي مع نتائج دراسات: (الصويان، 2014)[29]، (Fox& Moreland, 2015)[30]،

و(تهامي، 2015)[10] والتي أجمعت على أن شبكات التواصل الاجتماعي قد تتسب في إهدار الوقت نتيجة للخدمات الواسعة التي تقدمها للمشتركين فيها، حيث توفر لهم خدمات ترفيهية تجذبهم إليها، وتجعلهم ينتقلون بين صفحاتها وملفاتها المتنوعة دون إدراك للوقت.

- كما تتفق نتائج البحث الحالي مع نتائج دراسات: (الكفارنة، 2012)[39]، (الشهري، 1434هـ)[48]، و (Muller et al.,2016)[32] والتي أظهرت أن الاستخدام المفرط لشبكات التواصل الاجتماعي يؤدي إلى إدمان الإنترنت ويقود إلى العزلة عن المجتمع.
- حصلت العبارتان " **تسمح بانتهاك خصوصيات الأفراد**"، و"**تضعف مهارات التواصل اللفظي للأفراد**" على متوسط نسبي (2.32) و (2.30) على التوالي، وعلى الرغم من وقوعهما في نطاق درجة الموافقة "**المتوسطة**"، إلا أنهما أقرب من درجة الموافقة "**الكبيرة**"، حيث بلغت نسبة موافقة أفراد العينة عليهما 48.4% ، 46.6% على التوالي. وتشير هذه النتيجة إلى إدراك طلبة جامعة جازان لخطورة شبكات التواصل الاجتماعي على انتهاك خصوصياتهم الفردية وإضعاف مهاراتهم الاجتماعية. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (القرشي، 2014)[28] التي أكدت على أن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي يُهدد خصوصيات الأفراد من خلال الاعتداء على معلوماتهم وبياناتهم الشخصية واستغلالها بغرض الإساءة والتشهير بهم، ودراسة (عبد المعطي، 2015)[49] التي أكدت على دور هذه الشبكات في تعزيز العزلة الاجتماعية لدى الشباب وتقليل فرص التفاعل والنمو الاجتماعي لديهم.
- تختلف النتيجة السابقة مع نتائج دراسة (Mohseni & et al, 2008)[22] التي أكدت على أن استخدام الإنترنت قد ساعد الشباب على تكوين صداقات جديدة ناجحة، ودراسة (Valenzuela et al., 2009)[23] التي أكدت نتائجها على أن شبكات التواصل الاجتماعي تؤدي إلى تدعيم ثقافة الحوار بين الأفراد الأخرين، وتزيد ثقتهم الاجتماعية واستعدادهم للمشاركة في المناسبات العامة والاجتماعية.
- كانت أقل درجات موافقة طلبة جامعة جازان على تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري في هذا البُعد هي التي تضمنتها العبارة رقم (3) ونصّها "**تعرض الفرد للنصب والاحتيال**" حيث حصلت على متوسط حسابي (1.91) وبانحراف معياري (0,775). ويُمكن تفسير هذه النتيجة بأن الشباب الجامعي أصبح لديه الوعي الكافي بجرائم النصب والاحتيال على شبكات التواصل الاجتماعي، وأنه لم يعد من السهل استدراجهم للوقوع في شرك تلك الجرائم الإلكترونية.

جدول 4 : تقديرات أفراد العينة لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي فيما يتعلق بالبُعد المجتمعي للأمن الفكري

رقم العبارة	العبارة	أوافق		أوافق إلى حد ما		لا أوافق		المتوسط الوزني	الانحراف المعياري	درجة الموافقة	الترتيب
		ك	%	ك	%	ك	%				
19	تؤدي إلى ظهور قيم جديدة غير مقبولة بين الشباب	297	49.3	219	36.3	87	14.4	2.35	.719	كبيرة	11
20	تُتيح الفرصة للتزوير وانتحال شخصيات الآخرين	316	52.4	181	30.0	106	17.6	2.35	.761	كبيرة	10
21	تسهم في نشر الفاحشة والرذيلة في المجتمع	272	45.1	224	37.1	107	17.7	2.27	.745	متوسطة	12
22	تساعد على إقامة علاقات غير	315	52.2	193	32.0	95	15.8	2.36	.740	كبيرة	9

	أخلاقية بين الجنسين									
23	تسهل عملية التجسس على الآخرين	338	56.1	187	31.0	78	12.9	2.43	.710	كبيرة	7
24	تساعد في الإساءة والتشهير بالآخرين	339	56.2	190	31.5	74	12.3	2.44	.702	كبيرة	6
25	تساعد في نشر الإشاعات داخل المجتمع	426	70.6	126	20.9	51	8.5	2.62	.636	كبيرة	1
26	تتسبب في إثارة الفتن	351	58.2	180	29.9	72	11.9	2.46	.699	كبيرة	5
27	تحرض على الكراهية والعنف بين أبناء المجتمع	206	34.2	261	43.3	136	22.6	2.12	.745	متوسطة	15
28	تؤدي إلى التفكك الأسري	206	34.2	226	37.5	171	28.4	2.06	.789	متوسطة	16
29	تولد الشكوك بين أفراد الأسرة	237	39.3	213	35.3	153	25.4	2.14	.793	متوسطة	14
30	تسهم في توسيع الفجوة بين الآباء والأبناء	258	42.8	233	38.6	112	18.6	2.24	.746	متوسطة	13
31	تتسبب في ضعف مهارات التواصل الاجتماعي مع الآخرين	324	53.7	199	33.0	80	13.3	2.40	.712	كبيرة	8
32	تسهم في ضعف اللغة العربية	173	28.7	199	33.0	231	38.3	1.90	.814	متوسطة	19
33	تشكك في مصداقية الدولة وأجهزتها	182	30.2	228	37.8	192	31.8	1.98	.789	متوسطة	17
34	تقلل من قيمة الشخصيات والرموز الوطنية	161	26.7	259	43.0	183	30.3	1.96	.755	متوسطة	18
35	تساعد التنظيمات المتطرفة على نشر أفكارها	386	64.0	178	29.5	39	6.5	2.58	.612	كبيرة	2
36	تفيد التنظيمات المتطرفة في تجنيد أفرادها	367	60.9	178	29.5	58	9.6	2.51	.666	كبيرة	4
37	تسهل عمليات التواصل بين العناصر المتطرفة	389	64.5	156	25.9	58	9.6	2.55	.664	كبيرة	3
المحور ككل								**2.30**	**.398**	**متوسطة**	

يتبيّن من جدول (4) ما يلي:

- جاءت معظم إجابات أفراد عينة البحث على عبارات هذا المحور في نطاق درجة الموافقة "**المتوسطة**"، حيث حصلت معظم العبارات على متوسطات نسبية أقل من (2.34) وأكبر من (1.66)، وبلغ المتوسط النسبي للمحور ككل بلغ (2.30) بإنحراف معياري (0.398)، وبدرجة موافقة متوسطة، وتعكس هذه النتيجة مدى إدراك طلبة جامعة جازان لخطورة شبكات التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري بالنسبة للمجتمع بصفة عامة.
- حصلت بعض عبارات هذا المحور على درجات موافقة "**كبيرة**"، مما يوضح مدى وعي أفراد العينة بحجم تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري، وهذه العبارات هي بالترتيب كما يلي:

- العبارة رقم (25) ونصّها: "**تساعد في نشر الإشاعات داخل المجتمع**"، حيث حصلت على متوسط نسبي (2.62)، وانحراف معياري (0.636)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات: (شعلان، 2012)[50]، و(بعزيز، 2014)[6]، و(السقا، 2015)[44]، والتي أكدت على أن شبكات التواصل الاجتماعي قد أسهمت بشكل كبير في نشر الإشاعات والأخبار الكاذبة، والمعلومات المغلوطة والمتناقضة، وقد يكون لذلك تداعيات خطيرة على الأمن القومي.
- العبارة رقم (35) ونصّها: "**تساعد التنظيمات المتطرفة على نشر أفكارها**" حيث حصلت على متوسط نسبي (2.58)، وانحراف معياري (0.612)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات: (شعلان، 2012)[50]، (تريكي، 2014)[35]، و(هلل، 2015)[51] والتي أكدت على أن شبكات التواصل الاجتماعي تُعد بيئة خصبة لنشر الأفكار المنحرفة والدعوات الهدامة بين أبناء المجتمع، ومن شأن ذلك إحداث خللاً أمنيًا وفكريًا في المجتمع.
- العبارة رقم (37) ونصّها: "**تسهل عمليات التواصل بين العناصر المتطرفة**" بمتوسط نسبي (2.55) وانحراف معياري (0.664)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (الحلوة، 2013)[52] التي أكدت على أن التنظيمات المتطرفة تستفيد من شبكات التواصل الاجتماعي بتوظيفها في تبادل المعلومات والتوجيهات والترويج للأفكارها والتخطيط لتنفيذ عملياتها الإرهابية.
- العبارة رقم (36) ونصّها: "**تفيد التنظيمات المتطرفة في تجنيد أفرادها**" بمتوسط نسبي (2.51) وانحراف معياري (0.666)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (عبد الصبور، 2014)[53] التي أكدت على أن المجتمع الافتراضي أصبح مجالاً لإدارة حروب فكرية من قبل جماعات متطرفة تسعى إلى تجنيد الأفراد، خاصة الشباب، لتبني أفكارها المنحرفة.
- العبارة رقم (26) ونصّها: "**تتسبب في إثارة الفتن داخل المجتمع**"، بمتوسط نسبي (2.46) وانحراف معياري (0.699)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (الدبيسي والطاهات، 2013)[54] التي أكدت على الآثار السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي في التحريض على العنف وإثارة الفتن داخل المجتمع من خلال التشكيك في مصداقية ما تبثه وسائل الإعلام الوطنية، وتحريض المواطنين على التظاهر، واستخدام العامل الديني لإثارة سلوك الأفراد.
- العبارة رقم (24) ونصّها: "**تساعد في الإساءة والتشهير بالآخرين**"، بمتوسط نسبي (2.44) وانحراف معياري (0,702)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (عبد المعطي، 2015)[49] التي أكدت على استغلال البعض لسهولة التدوين على شبكات التواصل الاجتماعي، وضعف الرقابة عليها، للتطاول على بعض الشخصيات والتشهير بهم وفضيحتهم.
- العبارة رقم (23) ونصّها "**تسهل التجسس على الآخرين**" بمتوسط نسبي (2.43) وانحراف معياري (0.710)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (تريكي، 2014)[35] التي أكدت على أن الاستخدام السيئ لشبكات التواصل الاجتماعي قد أسهم في تسهيل عمليات التجسس على الآخرين وتهديد خصوصياتهم الفردية وابتزازهم في بعض الأحيان.
- العبارة رقم (31) ونصّها "**تتسبب في ضعف مهارات التواصل الاجتماعي مع الآخرين**" بمتوسط نسبي (2.40) وانحراف معياري (0,712)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (Wandel, 2008)[55]، ودراسة

(محمود، 2012)[25] حيث أكدتا على أن كثرة ارتياد الشباب لشبكات التواصل الاجتماعي يزيد ارتباطهم بالمجتمع الافتراضي على حساب المجتمع الواقعي ويفقدهم كثير من مهارات التواصل الاجتماعي المباشر.

- العبارة رقم (22) ونصّها: "**تساعد على إقامة علاقات غير أخلاقية بين الجنسين**"، بمتوسط نسبي (2.36) وانحراف معياري (0.740)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (درويش، 2013)[26]، و(الطيار، 2014)[27] إذ أكدتا على أن شبكات التواصل الاجتماعي قد سهلت المحادثات السرية بين الشباب من الجنسين، وساهمت في انتشار العلاقات غير المشروعة بينهم.
- العبارة رقم (20) ونصّها: " **تُتيح الفرصة للتزوير وانتحال شخصيات الآخرين**"، بمتوسط نسبي (2.35) وانحراف معياري (0.761)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (شعلان، 2012)[50] التي أكدت على أن شبكات التواصل الاجتماعي تسهل عملية انتحال الشخصيات، ونشر المعلومات المضللة وتشويه السمعة وارتكاب الجرائم بأسماء أشخاص لا علاقة لهم بها.
- العبارة رقم (19) ونصّها: "**تؤدي إلى ظهور قيم جديدة غير مقبولة بين الشباب**" بمتوسط نسبي (2.35) وانحراف معياري (0.719)، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (العتيبي، 2012)[56] التي أكدت على أن شبكات التواصل الاجتماعي ساعدت على بث قيم وتيارات دخيلة على مجتمعنا العربي، وروجت إلى أفكار غربية تخالف تعاليم الإسلام.

- وتعكس درجة الموافقة "**الكبيرة**" للشباب بجامعة جازان على بعض عبارات هذا المحور مدى وعيهم بمخاطر شبكات التواصل الاجتماعي على البُعد المجتمعي للأمن الفكري، تلك الشبكات التي زاد معدل استخدامها بطريقة مذهلة فاقت كل التصورات، وأضحت تُمثل خطرًا حقيقيًا يُهدد أمن المجتمع واستقراره، حيث أسهمت في إثارة الفتن داخل المجتمع من خلال نشر الإشاعات والمعلومات المغلوطة والتشكيك والتشهير بالآخرين، والتجسس عليهم وانتحال شخصياتهم، وظهور قيم غريبة على المجتمع تخالف دينه وعاداته وتقاليده، وتسهيل العلاقات غير المشروعة بين الجنسيين، إضافة إلى دورها في مساعدة الجماعات المتطرفة لبث أفكارها المنحرفة بين الشباب ومحاولة تجنيدهم مستغلة ضعف وعيهم الديني والثقافي، ودورها في تغيير شكل العلاقات الاجتماعية، وتعزيز الصراع بين الأجيال، ونشوب الخلافات الأسرية التي قد تنتهي بالطلاق، إلى غير ذلك من الأمور التي قد تزعزع استقرار وأمن المجتمع، إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار.
- كانت أقل درجات موافقة أفراد العينة على تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري في هذا البُعد هي التي تضمنتها العبارة رقم (32) ونصّها: "**تسهم في ضعف اللغة العربية**" حيث حصلت على متوسط حسابي (1.90) وبانحراف معياري (0.814). ويُمكن تفسير هذه النتيجة بأن عينة البحث تحاول الدفاع عن نفسها كونها تستخدم شبكات التواصل الاجتماعي لفترات طويلة، ولا ترغب في أن يكون ذلك الاستخدام سببًا في ضعف لغتهم العربية التي يعتزون بها باعتبارها لغة القرآن الكريم. وتختلف هذه النتيجة مع دراسة (درويش 2013)[26] التي أشارت نتائجها إلى الآثار السلبية لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي على اللغة العربية.

إجابة السؤال الثاني، ونصّه: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسطات تقديرات طلبة جامعة جازان لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري تُعزى لمتغيرات الدراسة: النوع، وشبكات التواصل الاجتماعي الأكثر استخدامًا، وساعات الاستخدام اليومي؟ وللإجابة عن هذا السؤال تم استخدام (t–test) طبقًا لمتغير النوع، وتحليل التباين الأحادي طبقًا لمتغيري: شبكات التواصل الاجتماعي، وعدد ساعات الاستخدام اليومي، وتفصيل ذلك كما يلي:

- **بالنسبة لمتغير النوع (ذكور– إناث):**

جدول 5: نتائج اختبار (ت) لتحديد دلالة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة طبقًا لاختلاف النوع

التهديدات المحتملة	النوع	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
البُعد الفردي	ذكور	292	2.24	.34803	.668	.505 غير دالة
	إناث	311	2.22	.37076		
البُعد المجتمعي	ذكور	292	2.35	.37071	3.32	.001 دالة
	إناث	311	2.25	.41762		
الأداة ككل	ذكور	292	2.29	.33540	2.19	.029 دالة
	إناث	311	2.23	.37241		

يتبيّن من جدول (5) ما يلي:

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة، وفقًا لمتغير النوع (ذكور، إناث)، فيما يتعلق بالبُعد الفردي، حيث بلغت قيمة "**ت**" المحسوبة للمحور الأول (البُعد الفردي) (0.668)، وهي قيمة غير دالة إحصائيًا عند مستوى الدلالة (0.05)، وبذلك يُمكن استنتاج أن هناك إتفاق بين تقديرات طلاب وطالبات جامعة جازان لدرجة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي فيما يتعلق بالبُعد الفردي للأمن الفكري، ويُمكن تفسير هذه النتيجة بأن هناك إقبال كبير من الشباب والفتيات على استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، وأن درجة تأثرهما بمحتوى ما يُعرض عبر هذه الشبكات متقاربة. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (أبو خطوة والباز، 2014)[40] التي كشفت عن عدم وجود فروق بين الذكور والإناث فيما يتعلق بدرجة التأثر بمحتوى مواقع التواصل الاجتماعي.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة، وفقًا لمتغير النوع (ذكور، إناث)، فيما يتعلق بالبُعد المجتمعي، حيث بلغت قيمة "**ت**" المحسوبة للمحور الثاني (البُعد المجتمعي) (3.32)، وهي قيمة دالة إحصائيًا عند مستوى الدلالة (0.01)، وقد جاءت الفروق لصالح الذكور. ويُمكن تفسير هذه النتيجة بأن الشباب الجامعي السعودي أكثر من الفتيات نشاطًا على شبكات التواصل الاجتماعي نظرًا لتمتعهم بحرية أكثر من تلك الممنوحة للفتيات في تكوين الصداقات والانضمام إلى المجموعات الافتراضية، وفي المقابل فإن الرقابة الذاتية والأسرية عند الإناث أعلى منه عند الذكور لأسباب عديدة من بينها عادات وتقاليد المجتمع، مما يجعل الذكور أكثر احتكاكًا بالمجتمعات الافتراضية عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وبالتالي أكثر دراية بمخاطرها على الأمن الفكري بصفة عامة، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (عبد الرحمن، 2015)[41].
- **بالنسبة لمتغير شبكات التواصل الاجتماعي**

(WhatsApp, SnapChat, Twitter, Instagram, Facebook, BBM)

جدول 6 : تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة وفقًا للشبكات الأكثر استخدام

التهديدات المحتملة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	ف	مستوى الدلالة
البُعد الفردي	بين المجموعات	.538	5	.108	.830	.528 غير دالة
	داخل المجموعات	77.382	597	.130		
	التباين الكلي	77.920	602			
البُعد المجتمعي	بين المجموعات	1.032	5	.206	1.298	.263 غير دالة
	داخل المجموعات	94.746	597	.159		
	التباين الكلي	95.779	602			
الأداة ككل	بين المجموعات	.727	5	.145	1.148	.334 غير دالة
	داخل المجموعات	75.611	597	.127		
	التباين الكلي	76.339	602			

يتبيّن من جدول (6) ما يلي:

– عدم وجود فروق دالة إحصائيًا بين متوسطات تقديرات طلبة جامعة جازان لدرجة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري تُعزى إلى متغير شبكات التواصل الاجتماعي الأكثر استخدامًا. ويُمكن تفسير هذه النتيجة بأن شبكات التواصل الاجتماعي على اختلاف أنواعها تُعد خطرًا يُهدد الأمن الفكري لدى أبناء المجتمع إذا ما أُسئ استخدامها، فإنها وسائل تحمل الخير والشر، وسلاح ذو حدين نافع يُمكن توظيفه في تعزيز ونشر القيم الفاضلة والمحافظة عليها، وضار قد يستخدم في استبدال قيم المجتمع بقيم هابطه تخالف الفطرة والشريعة الإسلامية.

- **بالنسبة لمتغير عدد ساعات الاستخدام اليومي**

(أقل من 3 ساعات، ومن 3– 6 ساعات، وأكثر من 6 ساعات)

جدول 7: تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات تقديرات أفراد العينة وفقًا لعدد ساعات الاستخدام

التهديدات المحتملة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	ف	مستوى الدلالة
البُعد الفردي	بين المجموعات	.772	2	.386	3.001	.050 دالة
	داخل المجموعات	77.148	600	.129		
	التباين الكلي	77.920	602			
البُعد المجتمعي	بين المجموعات	.560	2	.280	1.765	.172 غير دالة
	داخل المجموعات	95.223	600	.159		

التهديدات المحتملة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	ف	مستوى الدلالة
	التباين الكلي	95.784	602			
الأداة ككل	بين المجموعات	.661	2	.331	2.622	.073 غير دالة
	داخل المجموعات	75.673	600	.126		
	التباين الكلي	76.335	602			

يتبيّن من جدول (7) ما يلي:

- عدم وجود فروق دالة إحصائيًا بين متوسطات تقديرات طلبة جامعة جازان –عينة البحث– لدرجة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري فيما يتعلق بالبعد المجتمعي تُعزى إلى عدد ساعات الاستخدام اليومي. ويُمكن تفسير هذه النتيجة بأن شبكات التواصل الاجتماعي قد أضحت – هذه الأيام– الظاهرة الإعلامية الأكثر انتشارًا بين كافة أطياف المجتمع، فلا يُمكن لأي فرد في عصرنا الحالي أن ينأى بنفسه عن التأثر بتلك الشبكات الافتراضية، وعلى الأخص شباب الجامعات – وهم أكثر فئات المجتمع استخدامًا لتلك الشبكات– وعليه، فلقد أصبح واضحًا للجميع حجم الخطورة التي تشكلها شبكات التواصل الاجتماعي على المجتمع بصفة عامة والأمن الفكري لأفراده بصفة خاصة.
- وجود فروق دالة إحصائيًا بين متوسطات تقديرات عينة البحث لدرجة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري فيما يتعلق بالبعد الفردي تُعزى إلى متغير عدد ساعات الاستخدام اليومي، ولفحص دلالة الفروق الزوجية بينها تم استخدام اختبار توكي (Tukey) للمقارنات البعدية، وجاءت النتائج كما في جدول (8):

جدول 8: نتائج فحص دلالة الفروق الزوجية باستخدام اختبار توكي (Tukey) بين متوسطات تقديرات وجهة نظر طلبة جامعة جازان لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري

عدد ساعات الاستخدام اليومي	المتوسط الحسابي	أقل من 3 ساعات	من 3– 6 ساعات	أكثر من 6 ساعات
أقل من 3 ساعات	2.27			
من 3– 6 ساعات	2.24	0,036		
أكثر من 6 ساعات	2.19	*0,086	0,049	

يتبين من جدول (8) أنه توجد فروق دالة إحصائيًا عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسطات تقديرات وجهة نظر طلبة جامعة جازان لمستوى تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري فيما يتعلق بالبعد الفردي، وجاءت الفروق لصالح فئة الطلبة الأقل استخدامًا لشبكات التواصل الاجتماعي، ويمكن تفسير ذلك بأن الطلبة ذوي الاستخدام القليل لشبكات التواصل هم أكثر وعيًا بمخاطرها وتهديداتها للأمن الفكري بالنسبة للفرد، ومن ثم قل استخدامهم لها مقارنة بأقرانهم، فإدراك المرء للخطر دافع قوي للابتعاد عنه.

إجابة السؤال الثالث، ونصّه: ما التصور المقترح لمجابهة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي؟

وللإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بوضع تصور مقترح في ضوء ما أسفرت عنه نتائج أدبيات البحث ونتائج الدراسة الميدانية فيما يتعلق بتهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري ببعديه الفردي والمجتمعي، وتضمن

التصور المقترح عدة عناصر هي: فلسفة التصور المقترح، ومرتكزاته، وأهدافه، وآليات تنفيذه، والمعوقات المتوقعة للتنفيذ، وسبل التغلب عليها.

وللتحقق من صدق التصور المقترح وقدرته على تحقيق النتائج المأمولة قام الباحث بعرضه على مجموعة من المحكمين (15) محكمًا من ذوي الخبرة والاختصاص، للاستفادة من آرائهم في بناء التصور المقترح وتحديد عناصره وآليات تنفيذه، وفي ضوء ما أجمعت عليه آراء السادة المحكمين أمكن عرض عناصر التصور، على النحو التالي:

فلسفة التصور المقترح

في ضوء الهدف العام للبحث الحالي، تتمثل فلسفة التصور المقترح في "**العمل على تحصين الشباب الجامعي ضد الانحراف الفكري من خلال توظيف إيجابيات شبكات التواصل الاجتماعي وتجنب مخاطرها ومواجهة تهديداتها**".

مرتكزات التصور المقترح

في ضوء فلسفة التصور المقترح يُمكن تحديد مرتكزاته في النقاط التالية:

- **الإقرار بشدة التأثير:** يجب الاعتراف بحجم التأثير القوي الذي تمتلكه شبكات التواصل الاجتماعي، وبقدرتها الفائقة على إحداث التأثير والتغيير في المجتمع.
- **مسايرة التغيير:** يجب على مؤسسات المجتمع وفي مقدمتها الجامعات أن تواكب التغييرات والتطورات الحديثة والمستجدات المتسارعة المعرفية والرقمية.
- **حتمية المواجهة:** ينبغي على الجامعات أن تأخذ زمام المبادرة في التفاعل المباشر مع شبكات التواصل الاجتماعي بالدراسة والتحليل والتقييم، من أجل إبراز إيجابياتها، وتحديد أساليب توظيفها بجدية في المجريات التعليمية والمجتمعية، والحد من سلبياتها.
- **المسئولية المشتركة:** يجب تضافر جهود جميع المؤسسات التربوية لترشيد استخدام شبكات التواصل الاجتماعي بتوعية أفرادها بأخلاقيات التواصل، وباستثمار إيجابيات شبكات التواصل، وبالتنبّه لمخاطرها، وتوجيههم إلى أساليب مواجهتها.
- **التنمية البشرية المستدامة:** ينبغي الاستفادة من الثروات البشرية التي تتوافر في المجتمع لتوظيف شبكات التواصل الاجتماعي في تحقيق التنمية الشاملة وبما يُسهم في تحقيق الأمن الفكري والاستقرار المجتمعي.

أهداف التصور المقترح

يهدف التصور المقترح إلى:

- تحقيق الأمن الفكري من خلال تحصين الشباب الجامعي ضد حملات الغزو الفكري التي تُشنُّ ضدهم عبر شبكات التواصل الاجتماعي.
- الحفاظ على الثوابت الدينية والوطنية من خلال التصدي لحملات شبكات التواصل الاجتماعي للتشكيك في الدين الإسلامي وزعزعة قيم الولاء والانتماء لدى الشباب الجامعي.
- استغلال الإمكانات وتعظيم الإيجابيات من خلال توظيف الجوانب الإيجابية لشبكات التواصل الاجتماعي بفعالية في تنمية الشباب الجامعي.

- تمكين الشباب الجامعي من خلال تنمية الوعي الإيجابي لديهم حول شبكات التواصل الاجتماعي، وتدريبهم على القيام بأدوار فعّالة في مواجهة تهديداتها للأمن الفكري.

أ. آليات تنفيذ التصور المقترح

ويقصد بآليات تنفيذ التصور المقترح تلك الخطوات الإجرائية والعملية التي يُمكن استخدامها في مواجهة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي، وتتمثل هذه الآليات في الخطوات التالية:

آليات تتعلق بالشباب الجامعي:

- تضمين بعض المقررات الدراسية وحدات خاصة بتهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للشباب وأساليب التصدي لها، وتفعيل أساليب وطرائق تدريس مناسبة لهذه الوحدات تُتيح الفرصة للمشاركة الطلابية الفاعلة في وضع المقترحات التي تساعدهم في مواجهة تلك التهديدات.
- إشراك الجامعة الشباب الجامعي فيها مع بعض الشخصيات الدينية والعامة المؤثرة في المجتمع في عقد ندوات تتعلق بتهديدات شبكات التواصل الاجتماعي.
- استثمار طاقات الشباب الجامعي في تخطيط وتنفيذ بعض الأنشطة الطلابية لخدمة الأغراض الوطنية النبيلة من خلال شبكات التواصل الاجتماعي برعاية وإشراف أساتذة متخصصين في الاتصال الجماعي والسلوك الإنساني.
- إشراك كليات الجامعة الشباب الجامعي فيها بتنظيم مسابقات ثقافية متنوعة تستهدف مختلف فئاتهم باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي بشكل آمن بما يسهم في تعميق الهوية الثقافية، وتحقيق اللحمة الاجتماعية، وتنمية الانتماء والولاء للوطن وقيادته.
- إشراك الشباب الجامعي في برامج وأنشطة مجتمعية تطوعية مختلفة للاستفادة من أوقات فراغهم أو إجازاتهم في تنمية جوانب شخصيتهم، وفي تنمية المجتمعات المحلية.

ب. آليات تتعلق بأعضاء هيئة التدريس:

- عقد دورات تدريبية متخصصة لأعضاء هيئة التدريس في استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي للإسهام في توعية الشباب الجامعي بتهديدات هذه الشبكات، وفي معالجة مشكلاتهم المترتبة على استخداماتهم لها.
- يُعطى أعضاء هيئة التدريس ممن حصلوا على دورات تدريبية حول (استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي) أولوية في تدريس المقررات ذات الصلة بهذا الموضوع والمقترحة في البند (1).
- إضافة مشاركة عضو هيئة التدريس بالأنشطة الطلابية ذات الصلة باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي إلى استمارة تقويم أداء الهيئة التدريسية المعتمدة بالجامعة.
- تمكين أعضاء هيئة التدريس من استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التواصل مع طلابهم لتلقي المهام والتكليفات الدراسية، وتداول توضيح بعض الجوانب الصعبة في المقررات الدراسية.
- إلزام الأقسام الأكاديمية بإنشاء صفحات عبر شبكات التواصل الاجتماعي لكل مقرر دراسي، يشرف عليها عضو هيئة التدريس مدرّس المقرر.

- تشجيع أعضاء هيئة التدريس على إجراء بحوث ميدانية للكشف عن الآثار الناجمة عن تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري، وللكشف عن دوافع الشباب الجامعي لاستخدام تلك الشبكات.
- توظيف أعضاء هيئة التدريس للساعات الإرشادية أو المكتبية لتعريف الطلبة بتهديدات شبكات التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري للفرد وللمجتمع.
- قيام أعضاء هيئة التدريس باستثمار بعض أنشطة المقررات لتنمية المسئولية الاجتماعية لدى الشباب الجامعي باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي.

ج. آليات تتعلق بإدارة الجامعة والكليات:

- تتبنى إدارة الجامعات والكليات (ممثلة في إدارات ووحدات رعاية الطلاب) خطة إستراتيجية تستهدف حماية شبابها من تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي.
- دعم إدارة الجامعات والكليات لإدارات ووحدات رعاية الطلاب بكل ما تحتاجه من خبرات بشرية ومخصصات مالية لمساعدتها على تنفيذ خططها الاستراتيجية لحماية شبابها من تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي.
- يُمكن إنشاء مركز متخصص في أمن المعلومات بالجامعة، يتولى مسئولية تقديم المعلومات من مصادرها الموثوقة.
- تضمين مقرر في الأمن التكنولوجي يدرسه جميع طلاب الجامعة في السنة التحضيرية، بهدف توعية الطلاب بأخلاقيات التعامل مع المجتمعات الافتراضية.
- عقد شراكات بين الجامعات والكليات من ناحية وبعض الشركات المسؤولة عن شبكات التواصل الاجتماعي تحت إشراف أجهزة الدولة المعنية، تستهدف منح هذه الجامعات والكليات امتيازات فنية، ودعم تكنولوجي، يُمكنها من تحصين الشباب الجامعي من تهديدات تلك الشبكات والمحافظة على ثقافة المجتمع وهويته.
- يُمكن إنشاء وحدة إدارية بكل جامعة تختص بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة فيما يتعلق بمحاربة الإشاعات عبر شبكات التواصل الاجتماعي، من خلال استخدام مواقع الجامعة وصفحات التواصل الاجتماعي للأقسام الأكاديمية والكليات.
- تتولى الجامعة عقد مجموعة ندوات توعوية حول استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي بهدف تنمية الوازع الديني والوطني والرقابة الذاتية والمسؤولية الاجتماعية لدى الشباب الجامعي.

د. آليات تتعلق بمؤسسات المجتمع الحكومية والمدنية:

- وضع خطة وطنية على مستوى المملكة تشترك في بنائها كل المؤسسات الحكومية والمدنية تستهدف حماية الشباب الجامعي من تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي وتمكينهم من مواجهتها.
- تقوم المؤسسات الحكومية التربوية (مثل وزارة التعليم، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ووزارة الثقافة والإعلام) بوضع خطة تنفيذية للخطة الوطنية لحماية الشباب الجامعي من تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي وتمكينهم من مواجهتها.

- أن تقوم الجهات المختصة بالمملكة بإعادة النظر في المنظومة القانونية حتى تواكب المستجدات المرتبطة باستخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة، وضبط استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي التي تلحق الضرر بالأمن الفكري للشباب الجامعي والمجتمع.

معوقات متوقعة لتنفيذ التصور المقترح

- قلة وضوح الرؤية لدى غالبية الجامعات بآليات مواجهة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي.
- غياب العمل المشترك بين غالبية الجامعات للتعاون والعمل على مواجهة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي.
- ضعف اهتمام الجامعات بدعم أنشطة إدارات ووحدات رعاية الطلاب بالكليات المتعلقة بشبكات التواصل الاجتماعي وتهديداتها.
- غياب التشريعات التي تتصدى بحزم لتهديدات شبكات التواصل الاجتماعي.
- الرغبة الجامحة لدى الشباب الجامعي في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والمشاركة بأنشطتها بأسماء وشخصيات غير حقيقية.

مقترحات للتغلب على معوقات التصور المقترح

- العمل على إعداد برامج تثقيفية للشباب الجامعي في الأمن التكنولوجي، واستخدام مواقع شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز الأمن الفكري لديهم.
- العمل على إيجاد آليات محددة للتعاون بين كافة الجهات المعنية المشار إليها في التصوّر المقترح من أجل تضافر الجهود لمجابهة تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي.
- ضرورة التعامل بمسؤولية وجدية مع شبكات التواصل الاجتماعي باعتبارها أحد أشكال الإعلام الجديد، وأنها تلعب دورًا مهمًا مؤثّرًا في تشكيل وعي الشباب الجامعي.
- العمل على سن بعض القوانين والتشريعات التي تُجرم استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في تهديدات الأمن الفكري.
- تفعيل كافة أشكال الرقابة (الذاتية– الأسرية– الأمنية) على الشباب الجامعي في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وتوجيههم للاستخدام الأمثل لهذه الشبكات.

توصيات البحث

- يوصي الباحث عمادة شئون الطلاب وكليات جامعة جازان بالاستفادة من التصور المقترح الذي توصل إليه البحث الحالي، وترجمة إجراءاته إلى خطط وبرامج عملية، تستهدف تحصين شباب الجامعة من تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لديهم.
- ويوصي الباحث باستخدام أداة البحث الحالي في إجراء دراسات أُخر بالجامعات السعودية وغيرها للوقوف على حجم تهديدات شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب الجامعي.
- كما يوصي الباحث باستكمال جهد البحث الحالي بتناول متغيرات تصنيفية جديدة.

المراجع:

1. جلولي، مختار، الآثار النفسية والاجتماعية والصحية لشبكات التواصل الإجتماعى على مستخدميها، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، 2015.
2. زكي، وليد رشاد، نظرية الشبكات الاجتماعية من الأيدولوجيا إلى الميثودولوجيا، سلسلة دراسات استراتيجية، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، القاهرة، مصر، 2012.
3. Silic, Mario & Back, Andrea, The dark side of social networking sites: Understanding phishing risks, Computers in Human Behavior, Elsevier, 60 (2016) 35-43.
4. Matthew A. Russell, Mining the Social Web: Analyzing Data from Facebook, Twitter, LinkedIn, and Other Social Media, 1st Edition, O'Reilly Media, USA, 2011.
5. Ofcom, Social Networking: A quantitative and qualitative research report into attitudes, behaviors and use, Office of Communications, UK, April 2008.
6. بعزيز، إبراهيم، وسائل الاتصال الجديدة والأمن القومي: دراسة في دور مواقع التواصل الاجتماعي في زعزعة أمن واستقرار الدول، مجلة ستراتيجيا، العدد1، المعهد العسكري للوثائق والتقويم والاستقبالية، الجزائر، 2014.
7. مركز الدراسات الإستراتيجية، المعرفة وشبكات التواصل الاجتماعي الإلكتروني، الإصدار التاسع والثلاثون، سلسلة دراسات نحو مجتمع المعرفة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، 2012 .
8. الضبع، ماهر عبد العال، العلاقات الافتراضية بين الشباب في المجتمع السعودي: دراسة في الخصائص والمحددات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد37، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، شوال 1436هـ.
9. العربي، هشام وسالم، أحمد، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي السياسي لطلبة الجامعات المصرية: دراسة ميدانية، المؤتمر العلمي العربي السابع حول التعليم وثقافة التواصل الاجتماعي، جمعية الثقافة من أجل التنمية بسوهاج بالاشتراك مع جامعة سوهاج، مصر، 2013.
10. تهامي، جمعة سعيد، دور الجامعة في تعزيز القيم لدى طلابها في ظل انتشار شبكات التواصل الاجتماعي، المؤتمر القومي السنوي التاسع عشر لمركز تطوير التعليم الجامعي (التعليم الجامعي العربي وأزمة القيم في عالم بلا حدود)، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 16-17 سبتمبر 2015.
11. Internet World States, Arabic Speaking Internet Users - updated as of June 30, 2015, Retrieved from: http://www.internetworldstats.com/stats19.htm

Internet World States, Internet Usage and World Population Statistics updated as of November 30, 2015, Retrieved from: http://www.internetworldstats.com/stats.htm

12. قمة رواد التواصل الاجتماعي العرب، تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي، التقرير الأول، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2015.
http://www.arabsmis.ae/assets/frontend/images/ASMISArabicReport.pdf
13. Kim, T., Atkin, D., & Lin, C., the Influence of Social Networking Sites on Political Behavior: Modeling Political Involvement via Online and Offline Activity, journal of

Broadcasting & Electronic Media, 60(1), Journal of the Broadcast Education Association (BEA), Routledge, 2016,.

14. شلدان، فايز، دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد21، العدد1، غزة، فلسطين، 2013.
15. السبيعي، سعد بن عبيد، الإعلام الجديد ودوره في تعزيز الأمن الوطني في المملكة العربية السعودية: دراسة تطبيقية على بعض النخب السعودية في مدينة الرياض، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2013.
16. الشهراني، بندر بن علي، تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1430 هـ.
17. السديس، عبد الرحمن، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، فصل في كتاب: الأمن الفكري (52-70)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2005.
18. صالح، جلال الدين محمد، الإرهاب الفكري أشكاله وممارساته، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2008.
19. الوشاحى، غادة السيد، دور كلية التربية فى تحقيق الأمن الفكرى لدى طلابها: دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية، المجلد31، العدد3، جامعة أسيوط، مصر، 2015.
20. المالكي، عبد الحفيظ، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2006.
21. Ellison, N. B., Steinfield, C., Lampe, C., The benefits of Facebook ‘‘friends:’’ Social capital and college students’ use of online social network sites. Journal of Computer-Mediated Communication, 12 (4), Wiley Online Library, 2007.
22. Mohseni M., Dowran B. & Haghighat M., Does the Internet Make People Socially Isolated? A Social Network Approach, Bangladesh e-Journal of Sociology, 5(1), 2008 .
23. Valenzuela, S., Park, N., & Kee, K. F., Is there social capital in a social network site? Facebook use, and college students’ life satisfaction, trust, and participation, Journal of Computer-Mediated Communication, 14(4), Wiley Online Library, 2009.
24. بدر، أمل نبيل، الآثار الثقافية والاجتماعية والنفسية لاستخدام الشباب الخليجي لشبكات التواصل الاجتماعي، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد28، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
25. محمود، خالد، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي: تصور مقترح من تطور الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، العدد33، الجزء1، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مصر، 2012.
26. درويش، محمد درويش، القيم الأخلاقية للتواصل الإجتماعي عبر شبكة الإنترنت من منظور إسلامي، مجلة دراسات تربويه ونفسية، العدد80، كلية التربية، جامعة الزقازيق، مصر، 2013.

27. الطيار، فهد بن علي، شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة "تويتر نموذجًا": دراسة مطبقة على طلاب جامعة الملك سعود، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد31، العدد61، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2014.
28. القرشي، خالد بن علي بن عباد، أخلاقيات التواصل الاجتماعي الإلكتروني لدى طلاب الجامعات السعودية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، 2014.
29. الصويان، نورة إبراهيم، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على الثقافة الاجتماعية للشباب السعودي: دراسة ميدانية لعينة من الشباب الجامعي، مجلة الشرق الأوسط، العدد34، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، مصر، 2014.
30. Fox, J. & Moreland, J., the dark side of social networking sites: An exploration of the relational and psychological stressors associated with Facebook use and affordances, Computers in Human Behavior, 45 (2015).
31. Cao, B. & Lin, W., How do victims react to cyberbullying on social networking sites? The influence of previous cyberbullying victimization experiences, Computers in Human Behavior, 52 (2015).
32. Muller, K., Dreier, M., Beutel, M., Duven, E., Giralt, S., & Wolfling, K., A hidden type of internet addiction? Intense and addictive use of social networking sites in adolescents, Computers in Human Behavior, 55 (2016).
33. منصور، تحسين، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تحقيق احتياجات الشباب الجامعي الأردني، المجلة الأردنية فى العلوم الاجتماعية، المجلد7، العدد2، عمادة البحث العلمي، جامعة الأردن، الأردن، 2014.
34. الشهري، فايز عبد الله، التطرف الإلكتروني: رؤية تحليلية لاستخدامات شبكة الانترنت في تجنيد الأتباع، مؤتمر تقنية المعلومات والأمن الوطني، رئاسة الاستخبارات العامة، الرياض، السعودية، 1-4 ديسمبر 2007.
35. تريكي، حسان، التهديدات الأمنية المرتبطة بالاستخدامات السيئة لشبكات التواصل الاجتماعي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، العدد19، جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، 2014.
36. Gerstenfeld, P., Grant, S., & Chiang, C., Hate Online: A Content Analysis of Extremist Internet Sites, Analyses of Social Issues and Public Policy, 3(1), 2003.
37. الشرقاوي، إيمان عبد الرحيم السيد، جدلية العلاقة بين الإعلام الجديد والممارسات الإرهابية: دراسة تطبيقية على شبكات التواصل الاجتماعي، مؤتمر دور الإعلام العربي في التصدي لظاهرة الإرهاب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ١٦-١٨ ديسمبر ٢٠١٤.
38. مسعودان، أحمد ووارم، العيد، استخدام وسائل الاتصال والإعلام الجديدة وعلاقته بالعزلة الاجتماعية: دراسة تحليلية لتأثير شبكات التواصل الاجتماعي على التواصل الأسري، مجلة كلية التربية، العدد151، الجزء1، جامعة الأزهر، مصر، 2012.
39. الكفارنة، أحمد عارف، مخاطر التقنيات المعاصرة على الأمن الفكري لدى طلبة جامعة البلقاء التطبيقية: دراسة ميدانية، المجلة السعودية للتعليم العالى، العدد8، مركز البحوث والدراسات في التعليم العالي، وزارة التعليم، السعودية، 2012.

40. أبو خطوة، السيد عبد المولى والباز، أحمد نصحي، شبكة التواصل الاجتماعي وآثارها على الأمن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بمملكة البحرين، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، المجلد7، العدد15، الأمانة العامة لإتحاد الجامعات العربية، 2014.
41. عبد الرحمن، محمد أحمد، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبة الجامعات الفلسطينية بغزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2015.
42. المعيذر، ريم عبد الله، أثر شبكات التواصل الإجتماعي على الأمن الفكري لدى طالبات المستوى الجامعي، مجلة كلية التربية، العدد164، الجزء2، جامعة الأزهر، مصر.
43. Boyd, D. M & Ellison, N. B., Social network sites: Definition, history, and scholarship, Journal of Computer-Mediated Communication, 13(1), Wiley Online Library, 2007.
44. السقا، همت حسن، إدراك الشباب الخليجي لمخاطر وسائل التواصل الاجتماعي: دراسة في تأثير الشخص الثالث، مؤتمر وسائل التواصل الاجتماعية: التطبيقات والإشكالات المهنية، كلية الإعلام والاتصال، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، 10-11 مارس 2015.
45. GWI- GlobalWebIndex, GWI Social Summary, London, UK, 2015, https://www.globalwebindex.net/hs-fs/hub/304927/file-2812772150-pdf/Reports/GWI_Social_Summary_Report_Q1_2015.pdf
46. العشري، ولاء عبد المنعم، وسائل التواصل الاجتماعي عبر شبكة الإنترنت وعلاقتها بمفهوم الذات لدى طالبات جامعة الملك سعود: دراسة سيكولوجية مقارنة، مجلة دراسات عربية في علم النفس، المجلد13، العدد1، رابطة التربويين العرب، مصر، 2014.
47. آل سعود، نايف بن ثنيان، دوافع استخدامات الشباب السعودي الجامعي لشبكات التواصل الاجتماعي والإشباعات المتحققة منها: دراسة ميدانية على طلاب جامعة الملك سعود، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد34، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، 2014.
48. الشهري، حنان بنت شعشوع، أثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونية على العلاقات الاجتماعية: الفيس بوك وتويتر نموذجًا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 1434هـ.
49. عبد المعطي، أحمد حسين، شبكات التواصل الإجتماعى وتأثيرها على مهارتى التفاوض التربوى والعلاقات التبادلية البين شخصية لدى معلمات رياض الأطفال بكلية التربية: دراسة تقويمية، مجلة كلية التربية، المجلد31، العدد1، جامعة أسيوط، مصر، 2015.
50. شعلان، السيد محمد، المشكلات الناجمة من كثرة استخدام الأطفال والشباب لشبكة التواصل الإجتماعي وبعض الحلول المقترحة لحلها، مجلة كلية التربية، العدد46، جامعة طنطا، مصر، 2012.
51. هلال، شعبان أحمد، الأخلاقيات التربوية لشبكات التواصل الاجتماعي لدى طلبة الدراسات العليا بجامعة دمنهور: دراسة ميدانية، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد22، العدد94، المركز العربي للتعليم والتنمية، مصر، 2015.
52. الحلوة، خالد بن عبد الله، استراتيجيات التوظيف السياسي لمواقع التواصل الاجتماعي ومخاطره على الأمن الوطني، الدورة التدريبية (توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في مكافحة الإرهاب)، كلية التدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 23-27 فبراير 2013.

53. عبد الصبور، سماح، الإرهاب الرقمي: أنماط استخدام الجماعات المسلحة للإرهاب الشبكي، مجلة إتجاهات الأحداث، المجلد1، العدد2، مركز المستقبل للدراسات والأبحاث المتقدمة، أبو ظبي، الإمارات، سبتمبر، 2014.
54. الدبيسي، عبدالكريم والطاهات وزهير ياسين، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات الأردنية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد40، العدد 1، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، الأردن، 2013.
55. Wandel, Tamara L., Colleges and Universities Want to Be Your Friend: Communicating via Online Social Networking, Planning for Higher Education, 37(1), 2008, .
56. العتيبي، بندر بدر، التحديات التي تفرضها شبكة الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي على القيم في الوطن العربي، مجلة كلية التربية، الجزء3، العدد151، ، جامعة الأزهر، مصر، 2012.